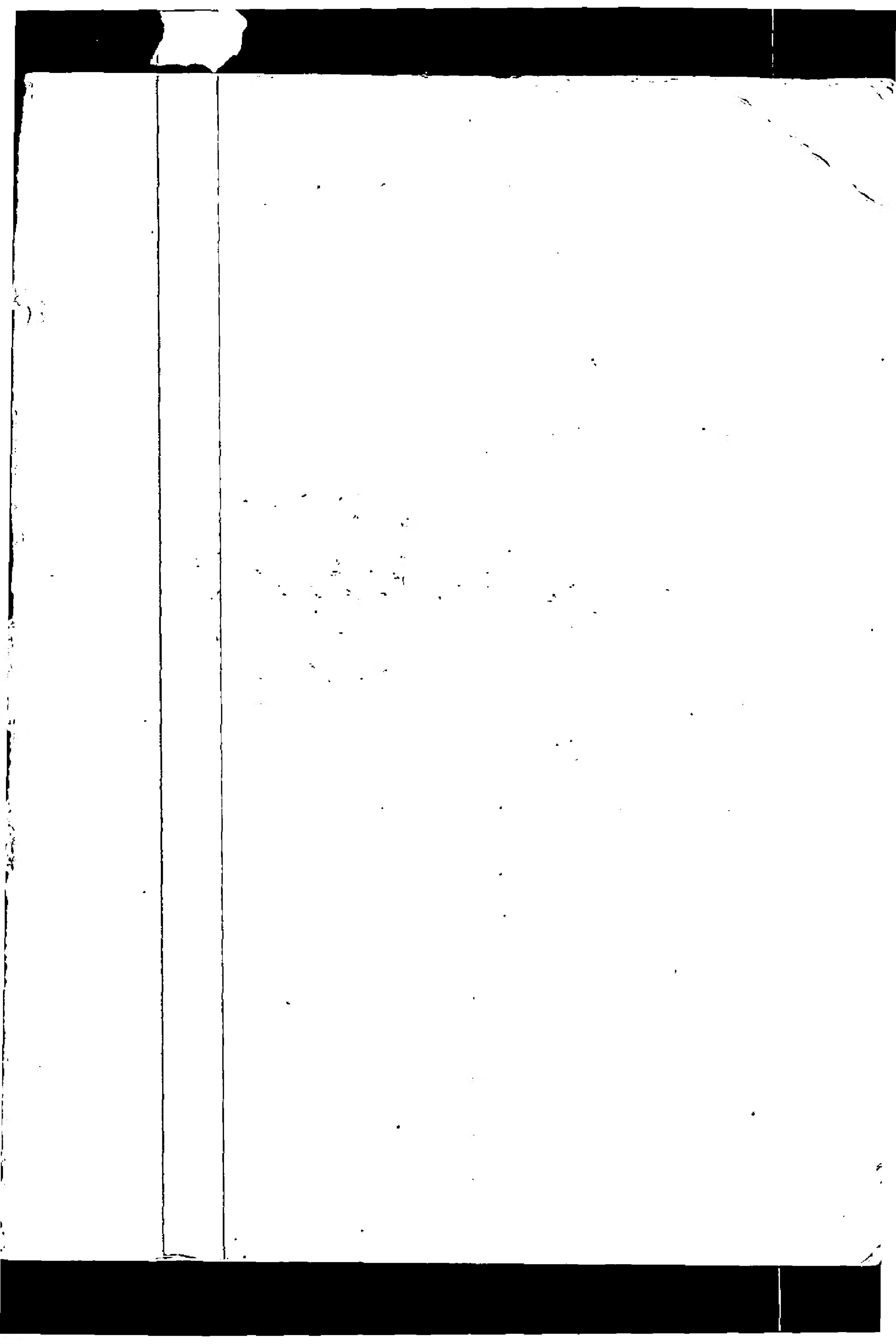

د. رفعت السعيد
٢
تاريخ
الحركة الشيوعية
المصرية
الصحافة
العلنية
المجلد الثاني



الصحافة اليسارية

في مصر

تصميم الغلاف الفنان عبدالمنعم القصاص

د. رفعت السعيد

# تاريخ الحركة الشيوعية المصرية

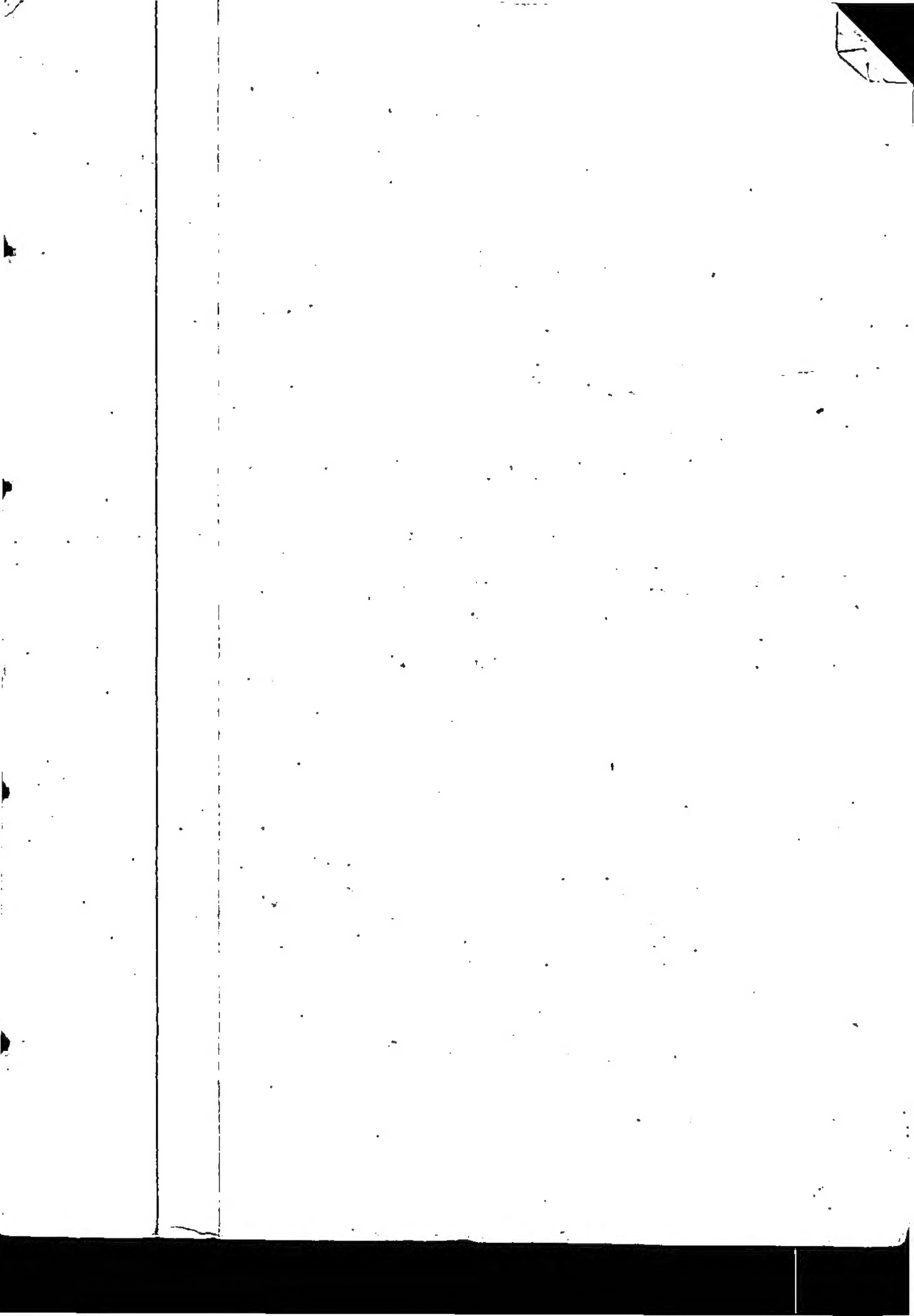
## المجلد الثانى

## الصحافة العلنية

## ١٩٢٥ ـ ١٩٥٢

ـ الكتاب الأول
الصحافة اليسارية فى مصر
١٩٢٥ ـ ١٩٤٨
الطبعة الرابعة

ـ الكتاب الثانى
الصحافة اليسارية فى مصر
١٩٥٠ ـ ١٩٥٢
الطبعة الثالثة



# الكتـــاب الأول

## الصحافة اليسارية فى مصر

**٠٠ عام ١٩٢٥**

* الحســاب
* روح العصر
* شبرا
* التطـور
* الفجر الجـديد
* الضمير
* الجماهير ٠٠ عام ١٩٤٨

**الطبعـة الرابعـة**

الطبعة الأولى ـ دار الطليعة ـ بيروت
الطبعة الثانية ـ مكتبة مدبولى ـ القاهرة
الطبعة الثالثة ـ دار الطليعة ـ بيروت

## الى ٠٠ جـدى لأمى

### عوض سلامة

تاجر بسيط ، كل علاقته بالصحافة انه منحها حياته دفاعا عن حريتهـا .

ففى عام ١٩٣٠ ، عنـدما الغى الطاغية صـدقى الدستـور وصادر كل صحف المعارضة ، قام هو بقيـادة ابناء بلـدتنا « المنصورة » فى مظاهرة تهتف للدستور ، وللحرية ، وللصحافة الحرة ٠٠ وأطلقوا عليه الرصاص واستشهد ٠

وبقى بدلا منه لوح رخامى شامخ اقاموه وسط حديقة ، كثيرا ما وقفت أمامه وانا طفل ، أحـاول فى خشـوع أن افـك طلاسم كلمـات حفرت على رخام أبيض ٠٠ « اسـتشهد فى سـبيل الوطن والحرية ٠٠ » .

وفى عام ١٩٤٦ جاء الطاغية صدقى من جديد ٠٠

واستشهد جدى مرة أخرى ، فقـد دمروا لوحه الرخـامى وألقوا به بعيدا ٠

اليه ٠٠ رمزا للانسان الذى يرفض الطغيان حتى ولو لم يمسه مباشرة ، الانسان الذى يمجـد الكلمة الحرة حتى ولو دفع حياته ثمنـا لهـا .

اليه ٠٠ رمزا لصراع دائم لم ينته ، سيظل الانسان المصرى قادرا فيه – دوما – على أن يبذل حياته ثمنا لحريته .

اليه ٠٠ مضطهدا على الدوام ٠٠ ، مطاردا ٠٠ منسيا ٠٠ مقتولا على الدوام ٠٠ تماما كالحرية فى أرضنا .

## •• بدلا من المقدمة

لم تكن الصحيفة بالنسبة لليسار مجرد منبر اعلامى ••

كانت أكثر من ذلك بكثير .

ففى بعض الاحيان كانت الوجه العلنى لتنظيم سرى ، وفى أحيان اخرى كانت ـ فى نظر البعض ـ بديلا عنه ، وفى حالات ثالثة كانت أكثر من أداة تجميع وتنظيم وتعبئة وانما محورا يمارس التنظيم نشاطه من خلاله .

لكننى أعترف ان هذا كله لم يكن الدافع لاعداد هذه الدراسة الان •• لقد كان مخططى أن أمضى قدما فى انجاز الجزء الثالث من دراستى المطولة عن تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر والتى وقفت بالجزء الثانى منها عند مشارف الاربعينات •• وبدأت أستجمع كل قواى كى أقتحم ميدان المحاولة الجديدة ، وهو ميدان صعب ، ملىء بالتعقيدات ، بقدر ما هو ملىء بالتوقعات .

فهنا •• فى الاربعينات ولد كل شىء من جديد •• تحولت الاجنة التى ظلت تنمو فى أحضان مصر منذ العشرينات الى حركة عارمة •• غامرة ، لعل مصر لا زالت تعيش ـ حتى الان ـ فى الظلال الوارفة لهذه الحركة التى هزت أعمق أعماقها .

هنا •• فى الاربعينات ، كان النضج ، وكان ميلاد الحركة الشيوعية الجديدة ، ولادة طبيعية وفى موعدها تماما .

وهنا •• فى الاربعينيات ، تبلورت التنظيمات الشيوعية ، ونمت وتصارعت وصارعت ، وعاشت ـ كأى كائن حى دافق الحيوية ـ الحياة بطولها وعرضها ، وأقامت مصر وأقعدتها معلنة وبأعلى صوت •• راية البروليتاريا المصرية المستقلة .

ولم يكن قد مضى على بداية الاربعينات سوى ست سنوات ، حتى كانت مصر كلها تنفجر ثورة ضد الاستعمار وضد الرجعية ومن أجل الديمقراطية وحقوق الشعب ، وقد تفجرت ـ ولاول مرة ـ فى ظلال قيادة جديدة نواتها الأساسية هم الشيوعيين فى اطار « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » .

وبعدها بأشهر قليلة كان الطاغية صدقى يقف أمام مجلس الشيوخ مستحثا الاعضاء على اغماض أعينهم ، والموافقة على مشروع قانون غير دستورى لمكافحة الشيوعية ، وتململ البعض بسبب الخرق الفاضح للدستور ، ولم يجد صدقى من وسيلة لاقناعهم سوى أبيات من قصيدة « اصرار » لكمال عبد الحليم ٠٠ كانت كافية ليرتعد الشيوخ جميعا وارتفع صوتهم بالموافقة على مشروع القانون ٠

ان الاربعينيات هى محور تاريخ حركة اليسار المصرى المعاصر ، انها سنوات ولادتها ، وحضانتها ونموها ٠

وكان لا بد من عمل مضن ، كبير ، يتهيب المرء أن يقحم نفسه فيه ٠

.. ومع ذلك فقد بدأت .٠

* * *

وكالعادة ٠٠ تلمست طريقى الى صحف اليسار فى هذه الفترة ، وعشت معها لفترة طويلة ، أسجل ، وأدون ، وأقتبس ، كل ذلك تجميعا لبعض المواد المواد اللازمة للبحث الكبير .

وفجأة ٠. أدركت أن كمية المواد التى تتضمنها هذه الصحف ، كثيرة وهامة وضرورية الى درجة أنها تستغرقنى وتستحثنى على الانغماس فيها ٠ بشكل تفصيلى ٠٠ بحيث تعوقنى عن التقدم نحو الدراسة الاساسية ٠

احسست انى أمام أحد أمرين اما أن أركز الضوء على هذه الصحف فأتخم بها دراسة تستهدف شيئا آخر ، أو أن أتجاوز عن الشىء الكثير الذى تضمنته بما يعنى من خسارة لقيمة تاريخية هامة ٠

أقول .. ــ فجأة ــ وأنا أنغمس فى الدراسة الرئيسية ٠. لمعت هذه الفكرة فى رأسى لماذا لا اغير ترتيب مشروع دراساتى ٠.

كنت قد رتبت أمرى على استكمال دراسة تاريخ الحركة الشيوعية ثم أبدأ باعداد كتاب عن صحافتها ٠

واحسست أن الترتيب الاكثر معقولية هو أن أبدأ بالصحافة ٠٠ كمحاولة لتقديم الوجه العلنى ، والفكر ، والمواقف السياسية ، والصراع الظاهر ، ثم يصبح متاحا بعد ذلك ــ ان انثنى الى الصورة الداخلية للعمل الحزبى ٠٠ تناقضاته ٠٠ صراعاته ٠. تاريخه .

وفى بادىء الامر ، راودتنى شكوك كثيرة ، قلت لنفسى ربما كنت تبحث عن مهرب من العمل الاكثر مشقة ، وطرحت الفكرة .. ومضيت قدما فى دراستى الأصلية ٠

ومرة ثانية ، وثالثة ، أحسست أنه لا بد لى من أن أنتهى من دراسة صحافة اليسار كتمهيد ضرورى لاستقصاء الحقيقة عن « تنظيمات اليسار » .

وهكذا قررت أن يصدر هذا الكتاب أولا ٠

* * *

« والصحافة اليسارية » كلمة مطاطة ٠٠ فثمة محاولات عديدة لصحافة متقدمة أو مستنيرة أو ليبرالية لعل خير مثال لها صحف سلامة موسى : « المستقبل » .. « المفيد » « المجلة الجديدة » .. الخ ٠

وثمة محاولات أخرى تمثلت فى نجاح كاتب يسارى ، أو كتاب يساريين فى الانضمام الى مجلة أو مجلات والكتابة فيها بقدر لا بأس به من الحرية ، الى درجة أنه يمكن اعتبار أن صحيفة كهذه كانت « نصف يسارية » والنصف هنا يعنى المناصفة العملية والفعلية بمعنى أن بعض صفحات الجريدة كان يميل يسارا والصفحات الاخرى تميل فى اتجاه آخر ٠٠ وثمة حالات نجح فيها بعض كتاب اليسار فى ( تغيير مسار ) صحيفة ما ، لفترة من الوقت ، معلنين سيطرتهم عليها مثل مجلة ( الشعاع ) ٠٠ ومجلة (الطليعة) التى كانت تصدر عام ١٩٤٦ عن اتحاد خريجى الجامعة ..

وكانت هناك صحف أخرى تمثل جناحا يساريا فى حزب برجوازى مثل « رابطة الشباب » و « البعث » وكانتا تمثلان لفترة ما يسار حزب الوفد ٠

كل هذا لم يكن قصدى عندما استخدمت تعبير « الصحافة اليسارية » .

فقد أردت به بالتحديد الصحف التى كانت منبرا لتجمعات أو منظمات يسارية أو كانت بذاتها « مشروعا » لتنظيم يسارى ٠٠ أقصد - بوضوح أكثر - صحافة المنظمات الماركسية المصرية التى صدرت باللغة العربية ، ذلك أن ثمة مجلات مثل « دون كيشوت » وغيرها صدرت بالفرنسية بما يجعلها غير قابلة للتأثير الفعلى فى المسار المصرى للحركة ٠

* * *

وثمة مجلتان كانتا يساريتين بغير ما شك ، وكانتا صادرتين أيضا عن تنظيم شيوعى مصرى هو الحركة المصرية للتحرر الوطنى ( ح٠م) ، لكنهما كانتا تصدران عن « قسم السودانيين » فى هذا التنظيم وبهدف محدد ٠ هو حشد القوى الوطنية والتقدمية السودانية سواء فى مصر أو فى السودان من أجل أن ينمو هذا القسم الذى ولد فى أحضان ح.م ، ليزهر فى أرض السودان الخصبة تنظيما استقل فيما بعد تحت اسم « الحركة السودانية للتحرر الوطنى » ( حستو ) والذى أعلن نفسه بعد ذلك ( الحزب الشيوعى السودانى ) ٠

لكن وزارة الداخلية كانت تملك حق الغاء الترخيص ... وقد فعلت ذلك فى كثير من الأحيان .

فعلته مع « الشبيبة » بعد العدد الاول ، ومع جرائد أخرى عديدة .

لكن المحاولات لم تتوقف ، فقد كان ذلك هو السبيل الوحيد ـ فى معظم الأحيان ـ لاصدار منبر علنى يسارى .

وقد خلقت مسالة استئجار الرخص هذه بعض المشاكل أمام هذه الدراسة فالجريدة تتحول من جريدة عادية الى جريدة شيوعية ، لكن متى بدأ هذا التحول ، ومتى انتهى ؟ قد يبدو الامر سهلا فى أول الامر ، لكنه يصبح أكثر صعوبة عندما تصاحبه تلك التعقيدات القانونية والسياسية التى كانت تلازم عملية استئجار رخصة جريدة ، خصوصا وأن الكوادر الشيوعية كانت تبدأ ـ فى كثير من الحالات ـ بالتواجد . الذى يتزايد تدريجيا ، حتى يتحول الى مشاركة ، ثم يتوج رويدا رويدا ودون ضجة بان يفرضوا ظلهم على المجلة كمنبر ، ثم لا يلبث هذا الظل أن ينكمش ويتلاشى . أو تغلق المجلة ابوابها .

وهكذا فقد تعين علينا ان ندرس فى كل حالة على حدة تطور علاقة الكوادر اليسارية بهذه الجريدة أو تلك ، ومتى يمكن القول باطمئنان ، الى أنها قد أصبحت جريدة يسارية .

أقول ذلك ايضا ـ لاننى عندما أقول ان ( الحساب ) أو ( شبرا ) و ( حرية الشعوب ) ... كانت صحفا يسارية ، فاننى اعنى انها كانت كذلك فى فترة محددة بالذات ، بذلت اقصى جهدى فى تحديد بدايتها ونهايتها تحديدا قاطعا ، ذلك ان تقليب اصفحات عدد سابق على هذه الفترة أو عدد لاحق لها سوف يعطى انطباعا مختلفا تماما .

***

ولما كان الحصول على « رخصة » لاصدار مجلة دورية مسالة غير سهلة ، فقد لجات المنظمات اليسارية فى كثير من الاحيان الى اصدار « نشرات غير دورية » فهى لا تحتاج لاذن خاص ، وكان أول مطبوع « غير دورى » وعلنى فيما نعلم ـ هو النشرة التى كان يصدرها الحزب الاشتراكى المصرى « الأول » فى أواخر عام ١٩٢١ وكانت تباع بخمسة مليمات ، ويوزعها الأعضاء بانفسهم علنا فى شوارع مدينة الاسكندرية (١) وكان الحزب يلجأ فى مختلف المناسبات

---

١ ـ راجع محضر النقاش مع حافظ سند ، وحيثيات الحكم الصادر عن محكمة جنايات الاسكندرية عام ١٩٢٤ فى د. رفعت السعيد ـ تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ـ ١٩٠٠ ـ ١٩٢٥ الطبعة الثالثة ـ دار الفارابى ـ بيروت . ص ٢٧٦ وما بعدها .

الى اصدار نشرة مطبوعة بعنوان « خطـاب مفتوح الى ... » يقوم اعضاؤ ببيعهـا الى الجمهور .. ومن هذه السلسلة من « النشرات غير الدورية » نجد « خطـاب مفتوح الى سعد زغلول » ، «خطاب مفتوح الى أعضاء لجنة التوفيق» ( وهى اللجنة الخاصة بالفصل فى المنازعات العمالية ) « وخطاب مفتـوح الى

عمال القطـر المصرى » و « خطـاب مفتوح الى المثقفين » ( يدعوهم فيه الى الاتجاه الى الريف والاهتمام بمشاكله )(١) .

ثم نجـد بعـد ذلك ( مجلة الفن والحرية ) وقـد صـدر منها عددان مطبوعان بالرونيو .كل منهما يتضمن مقـالات باللغتين العربية والفرنسـية معـا ، وتاريخ العدد الاول مارس ١٩٣٩ وغلافه مكون من لوحـة تشـكيلية سيريالية وقعهـا « التلمسانى » وعنوانها « ام الشعوب » ، اما العدد الثانى فقـد صدر فى مايو ١٩٣٩ وعلى غلافه لوحة تشكيلية سيريالية أيضا ولكن التوقيع غير واضح . ولعلهـا المرة الأولى التى يرسم فيها فنان مصرى لوحـة تشكيلية متكـاملة على الاستنسل ، لتسهم فى اصدار نشرة مطبوعة بالرونيو*

لكن ذلك كله كان محدود الاثر والتأثير ولا يقـارن مثـلا بالنشرة غير الدورية التى كانت تصدرها « دار الأبحاث العلمية » ( منظمة ايسكرا ) عام ٤٦ ـ ١٩٤٧ والتى صدرت منهـا أعدادا كثيرة متناولة موضوعات ودراسات شتى وكانت تصدر فى شكل كتيب مطبوع بعنوان « نشرة دار الأبحـاث العلمية » ولم أتمكن من العثور الا على نسخة وحيـدة من هذه النشرة وهى منزوعة الغـلاف ومخصصة كلهـا لدراسة القضية الفلسطينية وابعادها .

وهناك أيضا « مجلة كفـاح العمال » وكانت تطبع على المطابع السرية للحركة المصرية للتحرر الوطنى وتباع بشكل نصف علنى بخمسة مليمات . وكانت تصدر عام ١٩٤٦ عن ( قسم العمال ) بالحركة المصرية للتحرر الوطنى . وقد انتظم صدور هذه المجلة واتسع نطـاق توزيعها بحيث اكتسبت طابع الجريدة العلنية الواسعة الانتشار .

وهناك أيضا ( صوت الطالب ) وكانت تصدر فى اواخر ١٩٤٦ كلسـان حال لرابطـة الطلبة المصريين ، وكان يتولى اصدارها ( قسم الطلبة بايسكرا ) ويشرف على تحريرها ( عبد المنعم الغزالى ـ سعد زهران ـ جمال شـلبى ) وكانت تطبع بأحـد مطابع الجيزة العلنية وتوزع ما يقرب من ستة آلاف

---

١ ـ المرجع السابق ، ص ٢٣٣ وما بعـدها .

* يتوجب على أن أفى الصديق « ألبير اربيه » حقه من الشكر فقـد اهـدانى مجموعة من وثائق هذه الفترة تتضمن هاتين النشرتين .

تسليط الضوء على المواقف السياسية والفكرية التى رددتها الصحيفة .. ومقارنتها بموقف التنظيم والمجموعة التى تصدرها .. وربط ذلك كله بالاطار التاريخى العام لحركة اليسار المصرى ككل .

وقد تطلب الامر مقابلات عديدة مع كل من تيسرت مقابلته من المشاركين فى اصدار أو تحرير هذه المجلات .. وهؤلاء - بطبيعة الحال - مجرد رواة ، يرددون ذكريات قديمة ، بعضها صحيح ، وبعضها الآخر مختلط بحوادث أخرى ، وبعضها تلونه مواقف أو نزعات شخصية ، وكان لابد من عملية مستمرة للمطابقة بين الروايات وبعضها البعض وبينها وبين الحقائق التاريخية ، وأيضا بينها وبين ما يمكن استنتاجه من خلال النظرة المتأنية لصفحات هذه المجلات .

لكننى فى نهاية الامر لم أرد أن اثبت هنا غير الحقائق المتيقن من صحتها ، وبقيت بعض المسائل المعلقة بغير ايضاح كاف ، تصورت أن تركها معلقة أفضل من فرض تفسير قد يكون غير صحيح لها .

ولقد بذلت كثيرا من الجهد فى استقصاء الأسماء الحقيقية لهؤلاء الذين آثروا لسبب أو لآخر استخدام أسماء مستعارة وهم كثيرون .. وخاصة فى مجلتى « الفجر الجديد » و « الجماهير » .

ولقد نجحت فى معظم الحالات بالنسبة « للفجر الجديد » ، ذلك أن عدد كتابها كان محدودا ، وكان اكثرهم يكتب باسمه الحقيقى ، ثم باسمه المستعار لسبب فنى بحت .. وهو تلافى تكرار اسم واحد اكثر من مرة فى العدد الواحد .. وعلى أية حال فإن مقابلتين مع إثنين من أصحاب « الفجر الجديد » كانتا كافيتين تماما فى هذا الصدد .

غير أن الامر يختلف بالنسبة « للجماهير » ، ذلك أنها كانت تصدر عن تنظيم متسع النشاط ، جم العلاقات ، والاسماء كلها مستعارة تقريبا ، والاسباب هنا متعلقة بالامن وبجماعية العمل وحزبيته معا ، فصفحة الطلبة يحررها مكتب الطلبة ، وصفحة العمال يحررها مكتب العمال .. وهكذا بالنسبة للنساء ايضا ، ويتم التوقيع على العمل سواء أكان فرديا أم جماعيا باسم مستعار . ولقد قمت بمحاولات متعددة لترجمة الاسماء المستعارة الى اسماء حقيقية ، نجحت فى بعضها وفشلت فى البعض الآخر .

* * *

ولقد كانت النظرة المتأنية على هذه الصحف ، والانغماس لفترة طويلة من الوقت فى صفحاتها ومشاكلها ، فرصة رائعة أمكنها ان تجسد فى

ذهنى صورة متكاملة الخطوط لكل تنظيم من التنظيمات ، أسلوبه فى العمل .. منهجه الفكرى .. خطه السياسى .. الخ .

ان الفارق بين ( الفجر الجديد ) و ( الجماهير ) واضح تماما يمكن تلخيصه فى انه فارق بين عقليتين ومنهجين مختلفين .. وأدركت أن دراسة « الجريدة » كانت سبيلا لدراسة « الوجدان الداخلى » للتنظيم السياسى .

وهكذا – يمكن القول – بان دراستنا هذه كانت مقدمة ضرورية لدراسة تاريخ المنظمات .. انها مجرد اعداد للمسرح ، نوع من ضبط قواعد الحوار الداخلى فى العمل الفنى ، رسم ملامح الصورة ... تحديد معالم الديكور .. وباختصار انها تمهيد ضرورى كى يمكن للعرض الاساسى ان يبدأ ..

**القاهرة – اغسطس ١٩٧٤**

العدد الحادى عشر — السنة الاولى

الاشتراك عن سنة — الاعلانات تخابر الادارة بشأنها رأساً

٣٥ قرشاً للعمال والفلاحين — بشارع الدواوين رقم ٤٤

١٠٠ لسواهم

الاشتراك عن سنة خارج البلاد — مدير سياسة الجريدة المسئول

٤٥ قرشاً للعمال والفلاحين — ابراهيم الصيحى

٠٥ لسواهم

# الحساب

صحيفة سياسية اجتماعية اقتصادية يومية

تصدر مؤقتاً مرة فى الاسبوع

للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين

القاهرة فى يوم الجمعة ٦ مارس ١٩٢٥

• في عام ١٩٢٥ كانت ماكينة الارهاب تدور بأقصى سرعتها ، ليس ضد الشيوعيين وحدهم وانما ضد كل القوى الوطنية والتقدمية .

وسعد زغلول بعد ان أنجز مهمة ضرب الحركة العمالية بأقصى عنف ممكن وبعد أن حل حزبها السياسى ، وطارد قادته وكوادره وأغلق دوره ، وبعد أن بذل كل جهده محاولا أن يقدم البديل للعمل الشيوعى وسط العمال بتأسيس اتحاد عمال وفدى برئاسة عبد الرحمن فهمى ، واستخدم كل ثقل زعامته الجبار ، وكل جماهيريته ، وجماهيرية حزب الوفد فى المعركة ضد الحزب الشيوعى ، بعد أن أنجز هذه المهمة أصبح هو أيضا عنصرا غير مرغوب فيه من قبل الاحتلال والسراى .

واذا كانت محكمة جنايات الاسكندرية ، قد أصدرت أحكامها القاسية بالسجن على أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى ٦ اكتوبر ١٩٢٤ . فقد تلتها مباشرة – فى ١٩ نوفمبر – حادثة السردار المعروفة واستقال سعد مرغما .

وجاءت حكومة زيور التى واصلت حملة تصفية الحزب الشيوعى فى هيستريا واضحة . فأصدرت قرارا بمنع دخول السفن السوفيتية الى الموانى المصرية . وتنشر «الأهرام» قصة عن وصول سفينة « بلشفية » الى المياه المصرية . « وصلت إلى الاسكندرية امس باخرة روسية بلشفية تدعى «تشيشيرين» تنقل بضاعة الى هذا القطر . وربما كان عليها بعض الركاب أيضا ، فلم تكد تصل الى الميناء الخارجى حتى أصدرت السلطة المحلية أمرا الى البوليس بمراقبتها وحراستها ومنعها من الدخول الى المرفأ .. فوقفت فى الخارج ولا تزال حتى الآن تحت حراسة الشرطة . والمفهوم ان الحكومة ستأذن بتفريغ مشحونها حيث هى راسية . ثم تأمرها بالانصراف غدا . ويظهر أن الباخرة « تشيشيرين » هذ لا تدرى ما نحن فيه من الانهماك فى قضية الشيوعية البلشفية فى هذه الايام »(١) .

كذلك أصدرت الحكومة قرارا بمنع السماح ببيع أو تداول الكتب الاشتراكية ، أو جلبها من الخارج ، وأصدرت قرارا بمنع دخول جريدة « الاومانيتيه » الفرنسية ، وجريدة « الانسانية التى كانت تصدر فى بيروت أو أية جريدة أو مجلات شيوعية أو اشتراكية » .

ويعلق ( الاهرام ) على ذلك قائلا : « عزمت السلطة عزما ثابتا على مكافحة الشيوعية ، ومبادئها ودعاتها فى هذا القطر ، وغدا هذا العزم يتضح

---

(١) الاهرام ١٩ – ٦ – ١٩٢٥ .

من اتساع نطاق المساعى المبذولة لاستئصال شأفة ذلك الداء الاجتماعى الخطير . وقد صادر البوليس مؤخرا بالإسكندرية بعض كتب اشتراكية وجدت عند شاب يونانى يقول عنه أصحابه انه لا علاقة له بالحركة الشيوعية مطلقا ، وقد أرسل هذا الشخص الى القاهرة للبحث فى أمره »(١) .

وكان كل ذلك يجرى فى ظل حملة عنيفة من الكتابات المعادية للفكر الاشتراكى أسهمت فيها معظم الصحف والمجلات وصدرت من أجلها عشرات الكتب .

لكن الامر لم يكن بهذه السهولة .. فحتى أحمد الصاوى محمد الذى كان أحد متزعمى الحملة المعادية للشيوعية .. اضطر الى أن يقول ان الشيوعية قد أصبحت « شوكا دق جذوره العميقة فى الارض » .

وفى نفس اليوم الذى أصدرت فيه محكمة جنايات الاسكندرية حكمها على أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى .. أى فى ١٦ أكتوبر ١٩٢٥ . تكونت لجنة مركزية جديدة .. وبدأت تمارس قيادة العمل السرى فى ظروف بالغة الصعوبة .. وكان أحد سكرتيرى اللجنةالمركزية رفيق جبور . الذى رأس تحرير مجلة ( الحساب ) .

***

ولسنا نريد أن نتابع هنا نشاط الحزب ومسيرته فى هذه الفترة ، فقط نريد أن نلقى بعض الضوء على منبره العلنى مجلة « الحساب » ، أردنا بالاسطر السابقة أن نصور الجو العام الذى صدرت فيه ، حتى يستطيع القارىء أن يتصور مدى الشجاعة التى احتاجها محرروها كى يواصلوا المسيرة فى طريق صعب ..

ورفيق جبور رئيس تحرير هذه المجلة شخصية فريدة ، صحفى لبنانى مخضرم أحد قادة جماعة لبنان الفتى بمصر ، لعب دورا هاما فى صحافة الرأى المصرية وخاصة فى جريدة « النظام » الوفدية الميول ، وقد ظل منذ ١٩١٨ وحتى ١٩٢٥ محررا بهذه الجريدة ، ومن ثم فقد كان القبض عليه فى قضية شيوعية مثارا لاقاويل كثيرة حول علاقة الوفد بالحركة الشيوعية ، متهمة الوفد الذى استخدم كل القسوة ضد الحزب الشيوعى عام ١٩٢٤ ، بأنه على علاقة بالحزب الشيوعى « وينقل الاهرام عن الديلى تلجراف « واعظم ما يلفت الانظار فيما اكتشفه البوليس هو ما يدل على العلاقة الوثيقة بين دسائس البلاشفة وحملة القتل ، وعلاقتهم أيضا بالوفد ، لانه يوجد بين المقبوض عليهم طاهر افندى العربى المحرر بـ « كوكب الشرق » احدى

---

(١) الاهرام ١٦ ـ ٦ ـ ١٩٢٥ ..

الصحف الوفدية الكبرى ، ورفيق افندى جبور المحرر بجريدة « النظام » وهى من الصحف الوفدية ايضا »(١) .

ويتضح من مذكرات طاهر العربى ان رفيق جبور هو الذى قدمه الى « كونستانتين فايس » وهو الشخصية الشيوعية الشهيرة ( أفيجدور )(٢) ، يقول طاهر العربى حول ظروف علاقته بالنشـــاط الشيوعى فى عام ١٩٢٥ « كنت اعرف زميلا صحفيا يعمل فى جريدة ( النظام ) هو الاستاذ رفيق جبور ، وكنت أتردد عليه من وقت لاخـر فى محل عمله . وذات يوم عرفنى بصديق له كان زائرا فى مكتبه ، قال أنه ( مشتر كونستانتين فايس ) مكاتب جرائد عمالية دولية حضر لمصر لدراسة حالة العمال والفلاحين وقدمنى اليـه قائلا : هذا صديقى طاهر ضحية من ضحايا الاستعمار البريطانى : قضى فى السجن اثنى عشر عاما فى محاربة الانجليــز فهو يكـرههم ويكره كـل ما يتعلق بهم »(٢) * .

.. وقـدم قرار الاتهام فى قضية الشيوعية الصادر عن النيابة العـامة فى ٨ سبتمبر ١٩٢٥ المتهم السادس : رفيق جبور – سن ٤٣ سنة مولود بجبل لبنـان محرر بجريدة « النظام » ، واتهمه هو وغيره من المتهمين بأنهـم « نشروا وهم متفقون جميعا على ذلك أفكارا ثورية مغايرة للمبادىء الاساسية لدستور الدولة المصرية ، وحبذوا تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتمـاعية فى البلاد المصرية بالقوة والارهاب وبوسائل أخرى غير مشروعة ، وذلك علنـا بطريق بيع وتوزيع كتب وجرائد مطبوعة ، والقـاء مقـالات فى المجـان والمحـافل العمومية وبواسطة اشهار رسوم وتصاوير ، وهذه الكتب والجرائـد والنشرات والمقالات والرسائل تحوى أمورا وأفكارا تخالف مبادىء الدستور المصرى الاساسية . ومن شأنها تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتمـاعية مثل الغاء نظام الملكية الفردية المقرر فى دستور الدولة واستبدالة بنظـام شيوعى بطريق الثورة والقوة والتهديد ، وذكر فيها أن النظم التى يسعون اليها أفضل من النظم الحالية ، وانها حرية ان تحقق ، وانه يجب العمـل

---

(١) الاهرام ١ – ٨ – ١٩٢٥ .

(٢) للمعلومات عن شخصية افيجدور راجع : والتر لاكور – الاتحـاد السوفييتى والشرق الاوسط – ترجمة المكتب التجارى – بيروت – ١٩٥٩ ، ص ١٥٥ .

(٣) محمود طاهر العربى – هذا المجتمع الظالم – الطبعة الاولى – دار المستقبل ص ١٨٠ .

* ثبت فيما بعـد أن طاهر العربى كان عميلا للبوليس ، راجع الوثيقة الدالة على ذلك فى : د. رفعت السعيد – تاريخ الحركة الشيوعية المصرية – المجلد الأول – ١٩٠٠ – ١٩٤٠ – دار الأمل – القاهرة – ١٩٨٧ – ص ٤٦٤ .

والسعى للتحقيقها وقد الفوا حزبا لهذا الغرض سموه بالحزب الشيوعي المصرى» (١)

وعلى أية حال فقد حوكم رفيق جبور باعتباره عضوا فى سكرتارية اللجنة المركزية للحزب وخلال المحاكمة نسبت اليه كل المقالات التى نشرت فى مجلة «الحساب» والموقعة باسم محمد صديق عنتر . وكذلك كتيبا تحريريا موقعا باسم محمد عنتر المصرى وحكم عليه بالسجن ، والراجح انه ابعد عن البلاد بعد قضاء مدة العقوبة .

وقد شارك فى تحرير «الحساب» أيضا الشاعر محمود رمزى نظيم الذى نشر عديدا من القصائد بعنوان «من الشعر الفلاحي» ووقعها بامضاء فلاح . كذلك نشر بعض المقالات السياسية . وكان نظيم على علاقة وثيقة بالحزب فى ذلك الحين .

ومن محررى «الحساب» أيضا الشيخ شاكر عبد الحليم ، وكان ايضا من كوادر الحزب وكان المتهم السابع فى قرار الاتهام المشار اليه سابقا وذكر فيه انه يبلغ من العمر ٢٦ سنة - وانه طالب بالازهر وحكم عليه بالسجن هو الآخر ، وأيضا محمود ابراهيم السمكرى وهو عضو قديم باللجنة المركزية للحزب .

* * *

وفى ظل السرية الشديدة والمطاردة المتواصلة كانت «الحساب» منبرا علنيا وكانت أيضا مجالا يمارس كوادر الحزب عملا سريا نشيطا فى اطاره . فالشيخ شاكر عبد الحليم الذى كان مسئولا عن نشاط الحزب فى الوجه البحرى كان يستند فى تحركاته الواسعة بين قرى ومدن الوجه البحرى الى صفته كوكيل متجول للحساب فى الوجه البحرى . فقد نشرت «الحساب» الاعلان التالى فى العدد ١٨ «من ادارة الجريدة» : انتخبت جريدة (الحساب) حضرة الاستاذ الشيخ شاكر عبد الحليم وكيلا متجولا فى الوجه البحرى وهى ترجو العمال والنقابات وكل من له ثقة بها اعتماده فى كل الشئون الخاصة بها . الادارة . وفى نفس العدد اعلان آخر (وكيلنا فى الاسكندرية : تعلن ادارة جريدة «الحساب» ان وكيلها العام فى الاسكندرية هو حضرة الأديب أحمد أفندى حشمت حماد . وهى ترجو العمال والنقابات وكل من له علاقة معها فى الاسكندرية باعتماد حضرته فى كل أعمال الجريدة .)

* * *

ولكن الحصول على ترخيص باصدار جريدة ليس بالمسألة السهلة بالنسبة لاى واحد من الكوادر الحزبية ، وتجربة الحزب فى ذلك لم تزل ماثلة

---

(١) الاخبار ٩ - ٩ - ١٩٢٥

في أذهان كل كوادره . عندما طلب ترخيصا باصدار جريدة فرفضت الداخلية ، فاستأجر مجلة ( الشبيبة ) وأصدر منها عددا واحدا ثم أصدرت الداخلية أمرا باغلاقها .. ثم عاد فطلب ترخيصا من جديد دون جدوى .

وعلى أية حال فقد طلب رفيق جبور ترخيصا من الداخلية لاصدار مجلة ، وقبل منه التأمين ثم عادت وزارة الداخلية فرفضت منحه الترخيص (١) .

ومن ثم فقد كان السبيل الوحيد هو استئجار رخصة جريدة .

وهكذا استأجر رفيق جبور رخصة جريدة ( الحساب ) من صاحبها ابراهيم الصيحى . وشخصية ( الصيحى ) غير معروفة لكننا يمكن أن نتلمسها من الاعداد التى أصدرها بنفسه من جريدته قبل أن يؤجرها للحزب . شعار الجريدة كان الآية القرآنية « ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » ثم .. صحيفة يومية ، سياسية : تعنى بنوع أخص بالشئون الداخلية ، وفى صدر الصفحة الاولى من العدد الاول صورة الملك فؤاد وتحتها « جلالة مليكنا المفدى فؤاد الأول » ثم تنبية بأن « المكاتبات ترسل الى ابراهيم الصيحى – صاحب ومدير جريدة « الحساب » الادارة مؤقتا بدرب الجماميز نمرة ١٥ » .

ومن الواضح ان ابراهيم الصيحى قد فشل فى مواصلة اصدار جريدة يومية ، ذلك أنه أصدرها أسبوعية ، ثم توقفت « الحساب » عن الصدور بعد العدد العاشر الصادر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٢٤ ، حتى عاودت صدورها على يد رفيق جبور وكوادر الحزب فى ٦ مارس ١٩٢٥ .

كذلك فانه من الراجح ان علاقة الحزب بالحساب لم تبدأ فى هذا التاريخ لان مراجعة الاعداد العشرة التى أصدرها الصيحى توحى بأن الحزب ورفيق جبور بالذات ، كان يمارس نوعا من العلاقة مع الجريدة قبل أن يتولى جبور مسئوليتها بشكل كامل ومباشر .

فمنذ العدد الرابع من الترقيم الأصلى ، وهو العدد الذى أصدره ابراهيم الصيحى فى ١١ نوفمبر ١٩٢٤ ، يمكننا أن نلاحظ بسهولة بصمات صحفى قدير مثل رفيق جبور ، كذلك فاننا نلمس بشكل واضح اتجاهاته السياسية .

.. ولسوف نشير – فيما بعد – الى مقالات ثلاث نعتقد أن كاتبها هو

---

(١) الحساب ، ١٨ – ٥ – ١٩٢٥ .

رفيق جبور ـ الاولى بعنوان « ما يشغلنا » وقد نشرت بالعدد ٤ ( الترقيم الأصلى ) ١١ نوفمبر عام ١٩٢٤ ، والثانية بعنوان « الأحزاب والشقاق » ( العدد ٩ الصادر فى ١٦ ديسمبر ١٩٢٤ ) ، أما الثالثة فبعنوان « السياسة اليوم ـ مسئولية الوزراء ـ يوم البرلمان » ( العدد ١٠ الصادر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٢٤ ) . وهو آخر عدد صدر تحت مسئولية ابراهيم الصيحى ثم توقفت المجلة بعد ذلك . ليصدر العدد رقم ١١ فى ٦ مارس ١٩٢٥ تحت اشراف رفيق جبور .

وقد آثرنا أن نؤجل القاء نظرة على هذه المقالات الثلاث لحين الحديث بشكل متكامل عن النهج السياسى للمجلة باعتبار أنها امتداد او بالدقة تمهيد للخط السياسى العام الذى رسمه الحزب للمجلة والذى سنتحدث عنه تفصيلا فيما بعد .

وقد غير جبور من قطع المجلة فجعله « كوارتر » كما غير شعارها الى « الحساب صحيفة سياسية اجتماعية ، اقتصادية يومية ، تصدر مؤقتا مرة فى الاسبوع ـ للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين » .

واتخذت الجريدة مقرا جديدا لها فى شارع الدواوين رقم ٤٤ . ثم عادت فغيرت مقرها ابتداء من ٨ مايو ١٩٢٥ ( العدد ١٧ ) الى شارع كامل رقم ٩ مقابل فندق شبرد .

وظل اسم ابراهيم الصيحى باعتباره « مدير سياسة الجريدة المسئول » وقد يبدو ذلك غريبا لكن الحقيقة تتكشف عندما تقلب صفحات الحساب فنجد أن رفيق جبور قد طلب من الداخلية الاذن بتولى رئاسة تحرير « الحساب » لكن الداخلية رفضت ومن ثم فقد كان من الضرورى ابقاء اسم « الصيحى » حيث لا تستطيع الصحيفة الصدور بدون اسم رئيس تحرير مسئول . وحول هذا الموضوع تقول « الحساب » : « لم يصدر هذا العدد والعدد الماضى فى موعدهما نظرا لما لاقيناه ونلقاه من رجال الادارة من المعاكسة فقد رفض قلم المطبوعات اعطاء مدير هذه الجريدة رخصة لاصدار جريدته الخاصة بعد أن كان قد سمح له بذلك ، وقبل منه التأمين المعتاد . ثم حرم قلم المطبوعات على مدير هذه الجريدة وضع اسمه عليها مع انه فى أقل ما يقال فيه انه مثل كثيرين من الذين سمح لهم باصدار الصحف أو بوضع أسمائهم على ما يشاءون منها »(1) .

ومع ذلك فان رفيق جبور يتحدى . ويتولى مسئولية المجلة . وفى الوقت الذى يبقى فيه « ابراهيم الصيحى » شكلا ـ على الصفحة الاولى ـ

---

١ ـ الحساب ، ١٠ ـ ٤ ـ ١٩٢٥ .

مديراً لسياسة المجلة ٠٠ فان المجلة تعلن التنبيه التالى فى صدر الصفحة الثانية من العدد ١٣ ( الترقيم الاصلى ) « من الادارة الى القراء : ترجو ادارة جريدة « الحساب » حضرات القراء والمكاتبين ، وكل من له علاقة معها مخاطبة رفيق جبور ( ادارة جريدة « الحساب » بشارع الدواوين رقم ٤٤ ) فى كل شأن من شئون الجريدة ٠ وجميع المراسلات يجب أن تكون باسمه لا باسم آخر » .

ويتكرر هذا التنبيه فى هامش الصفحة الثامنة من نفس العدد « جميع المراسلات تكون باسم رفيق جبور بادارة جريدة « الحساب » بشارع الدواوين رقم ٤٤ القاهرة » ٠

ويبدو أن ثمة مشكلات معقدة قد اعترضت اصدار العدد الاول من المجلة ( تحت اشراف رفيق جبور ) أى العدد ( ١١ بالترتيم الاصلى ) فقد صدر متأخرا ٣٦ ساعة عن موعده المحدد ، كذلك لم تكن هناك مواد كافية أو بالدقة حذفت منه مواد كثيرة ولم يتمكن المحررون من كتابة غيرها فلم يجدوا حلا سوى جمع العدد كله ببنط ٢٤ وهو بنط أكبر بهدف شغل مساحة الصفحات بأقل عدد ممكن من المقالات ٠ وفى اعتقادنا أن السبب فى ذلك قد يكون ان ابراهيم الصيحى الذى يظل مسئولا من الناحية القانونية عن كل ما يصدر بالمجلة ، طالما يضع اسمه عليها كمسئول عن تحريرها قد اعترض فى آخر لحظة على بعض المقالات ٠ . وعلى أية حال فان «الحساب»

قد اعتذرت لقرائها على الوجه التالى : تصدر جريدة الحساب صباح يوم الجمعة من كل أسبوع ٠ وقد تأخر صدور هذا العدد الى مساء السبت لأسباب قاهرة ٠ وقد اضطررنا كذلك الى حذف بعض المواد المهمة منه وصف أحرفه بحجم ٢٤ وهو حجم كبير سنبدله بأصغر منه كلما اتسع معنا المجال فى المستقبل ٠

وسبب هذه المسائل التى ما كنا نود أن نتحدث هو اصدارنا هذا العدد على عجل ، اذ لم يتفق على اصداره الا مساء الخميس ، فلم نشأ أن نؤخره الى يوم الجمعة المقبل وسيرى القراء التحسين باديا بوضوح فى جريدتهم فى كل عدد من الاعداد المقبلة — الادارة »(١) .

ومع صدور العدد الاول بدأت مضايقات البوليس ٠٠ « وبعدما طبعنا العدد قامت مشكلة أخرى حول السماح للمطبعة بطبع « الحساب » ٠ وبينما كنا نطبع العدد الثانى صادرة البوليس وهو على الطابع ونقل أعداده الى القسم حيث حجز ثلاثة أيام ثم سلم لمدير « الحساب » ومعظم الأعداد

---

١ — الحساب ، ١٠ — ٤ — ١٩٢٥ ٠

مقطعة فكانت الخسارة مزدوجة : فعسى أن وزارة الداخلية وما يتبعها من الادارات تكف عن معاكستنا وتلتفت إلى سوانا لحظة نتمكن في أثنائها من التنفس بحرية»(1).

وهكذا فقدنا العدد الثاني فلم نجد أي نسخة منه . أما العدد الثالث ( ١٣ بالترقيم الأصلي ) فيبدو أن صدوره قد تعثر طويلا لانه لم يصدر إلا في ١٠ ابريل بينما كان الموعد المفترض لصدوره ٢٠ مارس . لكن المجلة انتظم صدورها بعد ذلك .

ولم تكف وزارة الداخلية مطلقا عن مطاردة « الحساب » ولا حتى للحظة واحدة تتمكن في أثنائها من التنفس بحرية .. كما كان يتمنى محرروها . ومع ذلك واصلت « الحساب » المسيرة .. تقاوم كي تصدر ، وتصدر كي تقاوم .

* * *

ولنحاول الآن أن نتابع كيف واصلت « الحساب » مسيرتها فوق الشوك .

ولنبدأ بالمقالات الثلاث التي نعتقد أن كاتبها هو رفيق جبور والتي نشرت في الأعداد السابقة على تولي جبور رئاسة تحرير « الحساب » ، ونعتقد أن هذه المقالات تنسجم مع موقف الحزب تجاه قضية هامة في الموقف من حزب الوفد .

والمقال الأول « ما يشغلنا » كتب قبيل استقالة سعد على اثر مقتل السردار وجاء فيه « مالت كفة المعارضة عندنا للبحث عن الشئون الخارجية وتصوير ضعف سعد في محادثاته أمام بريطانيا ، بعد أن أعلن دولته الرجوع لنظرية استقلال مصر في عقر مصر ( التي هي نظريتنا ) فعلت الاصوات واشتدت الضوضاء من أجل اهمال السياسة الخارجية مؤقتا . نحن لا نلوم معارضاء على معارضته فللجميع آراؤهم . ونحن نطرب للمعارضة في حدود المصلحة البريئة ، ونحبيها ما دامت شريفة لا يدنسها غرض ولا يشوبها سوء النية » .

لكن المقال لا يكتفي بتأييد سعد بل هو ينتقده أيضا .. بل هو يلمح الى خطأ سعد في توجيه الضربات للحزب فيقول : « ولقد عارضنا سعدا في تصرفاته يوم أن افتتح جهاده في داخلية البلاد بما افتتحه . وقلنا له خير من هذا أن تلم شمل قومك . وتعرف متى يومك ، وعارضنا الوافد

---

١ - الحساب ١٠ - ٤ - ١٩٢٥

على سكوته أمام حوادث السودان ، والتزام الصمت : فليس الصمت فى مثل هذا الظرف لغة لأمة » .

.. ويمضى المقال « عارضنا ومازلنا نعارض فى كل عمل لا يتفق مع المصلحة التى عاهدنا النفس على احترامها والفناء فيها .. ولكننا لا نرى من المصلحة إن نقابل سعدا بألفاظ السخرية والتشفى على مسمع من العدو الرابض فى منزلك مما يضر بقضيتنا .. وذلك مايريده أعداؤنا »(١)

وهكذا فان أسابيع قليلة لم تكن قد مضت على الاحكام القاسية التى أصدرتها محكمة جنايات الاسكندرية ضد قادة الحزب . ومع ذلك فان الحزب كان قادرا على أن ينتهج سياسة موضوعية تماما تجاه الوفد وزعيمه .

ويستقيل سعد .. وتبدأ معارك كلامية حامية على صفحات الجرائد ، بينما يواصل الانجليز انتهاكهم الصارخ لاستقلال مصر .. ويدعو الحزب الى نبذ الخلافات والى توحيد الصفوف الوطنية كلها ضد الاستعمار ، لكن الدعوة للوحدة تاتى من باب النقد المر والعنيف والتهكم الصارخ على المتاجرة بالكلمات .. وتحت عنوان « الأحزاب والشقاق » كتبت «الحساب» تقول : « لا نعرف ولا المنجم يعرف ما هى مهمة الاحزاب فى مصر ! ولا الى أية ناحية يقصد أعضاؤها ! انها لحيرة كبيرة .. نعرف مصر كثيرة الجمعيات كثيرة الهيئات ، ثم نستعرض برامج احزاب مصر ، وهيئات مصر ، وجمعيات مصر فنجد العجب العجاب ! نجد كل هيئة فتشت فى جسم البد تفتيشا دقيقا فعرفت مواضع الضعف فيها وجعلت اصلاحها أول مقاصدها وصدر برنامجها ! الا اننا مع الاسف نبحث عن العمل ونتحدث عن التنفيذ فلا نجد له أثرا ولا خبرا ، كأنما تلك البرامج انما جعلت أحابيل وشباك لكسب الجمهور » .

وختام المقال « والآن فقد خسرنا كل شىء تقريبا ، ولم يبق أمامنا غير خيط من خيوط الرجاء ، وهو خيط ايمان الشعب بحقوقه وتقديسه لبلاده ، ولا يزال زعماء الاحزاب ولا تزال صحف الاحزاب تشن الغارات بعضها على بعض ويكدح كتابها ويجهدون قرائحهم فى التبارى فى السب والشتم والنقد البارد ، وكل واحد يتكلم باسم الامة ، ويدعى المحافظة على حقوق الأمة ، وأغرب من كل هذا أن يكون هذا لسان الصحف فى الوقت الذى يدعو فيه بعض أعضاء الاحزاب للاتحاد »(١) ..

---

١ ــ الحساب ، ١٦ ــ ١٢ ــ ١٩٢٤ .

والحقيقة أن الموقف تجاه حزب الوفد كان بالغ التعقيد ، بل كان يتعين عليه أن يكون كذلك ، فسعد زعيم وطنى ما فى ذلك شك ، وكان يتعرض لهجمات الاحتلال والسراى وأعوان الاحتلال والسراى ، لكن للوفد ولسعد نفسه أخطاء كثيرة - من وجهة نظر الحزب على الاقل - وهكذا كتبوا يقولون « لم يخطر ببالنا أن نعيد على أذهان النواب حديث مسئولية الوزراء ، وأن نطالبوم بعقد محكمة المحاسبة من ضحوا بمصلحة الامة فى عهد دستورها ، وفى عهد أول نواب دستوريين من أبنائها ، لم نشأ ذلك ولم نشأ أن نثير جيفته ، لان مصر كما قدمنا عجيبة فى تكوينها ونظامها .. فحديث مسئولية الوزراء الذى كان يلذ للكاتب أن يكتب فيه أمس ويلذ للنواب أن يسمعوه فى ابان عهد وزارة زغلول باشا ، أصبح اليوم ممقوتا عندنا ، وثقيلا على الآذان لأن المسئولية القضائية ، ولان المحكمة النيابية اذا وجدت بالفعل فلا بد أن تتناول سعدا كغيره بتهمة التقصير فى الواجب الوطنى المقدس ، لانه كغيره لم يسلم من التقصير »(١) .

وفى نفس الوقت تنشر « الحساب » تعليقا قصيرا بعنوان « هنيئا للورد » يقول « قامت اليوم حرب بين صحف الوفد وصحف المعارضة حول الزيارات الخفية التى كثر التحدث عنها اليوم ، فصحف المعارضة تقول ان الوفد أرسل رسله خفية لترضية اللورد اللنبى ، على أن يعود الوفد للحكم بشرط أن يسلم البضاعة ، وصحف الوفد تقول أن الدستوريين والوطنيين هم الذين تحالفوا على تسليم البضاعة نكاية فى الوفد . وسواء صحت الدعوى الأولى أو الثانية فالبضاعة مسلمة لا محالة ، ولهذا فلا نجد من نهنئه بذلك غير فخامة اللورد »(٢) .

والشعر العامى يستخدم أيضا لتأكيد نفس الخط السياسى . وعندما يذهب برلمان الوفد وتبدأ الانتخابات لبرلمان جديد تنشر « الحساب » قصيدة بعنوان « بين البرلمانيين » بتوقيع فلاح .. والمعتقد أن صاحبها هو الشاعر محمود رمزى نظيم ، الذى كان الوحيد من القادرين على ابداع مثل هذا المستوى الفنى وله علاقة مباشرة بالحزب ..

---

١ - الحساب ، ٢٣ - ١٢ - ١٩٢٤ .
٢ - المرجع السابق .

وتقول القصيدة .. (١) .

| | |
|---|---|
| دوشــتوني ولا شيء جـــديد | فــلا غلب ولا حــال سـعيد |
| جمستى شركة العمـدة وجحشى | بتـاع الشـيخ والغفـرا شهود |
| وزعبـوطى المقطـع من زمـان | هو الزعبـوط والزفـت العتيـد |

ثم يوجه كلامه لنواب الوفد قائلا :

| | |
|---|---|
| آدى حلتـى مطينـة تبكـى | غايـه اللـى عملتـوه يفيـد |
| خشـشتوا البرلـان فكـان حربا | على كـم قرشـا ياخـذها العميد |
| خنقتـونا وزودتوعـا هبـابا | على الفـلاح هـل عـذا حميد ؟ |

* * *

| | |
|---|---|
| ودنتـم قـد وقعتـم تحت ايـدنا | وللايـام تصـريف مجيـد |
| وأنتـم يا جـداد اذا انتخبتـم | فمـاذا تعملوا ؟ ماذا تريـدو |
| شـفونا يا خـلايق احنـا منكـم | ومن مصـر وما احنـاش هنـود |

ويبدو أن هذا الحـديث المستمر عن الاحزاب البرجوازية والاقطـاعية وعن فشلهـا فى التعبير عن ارادة الشعب أو تحقيق مطـالبه كان تمهيدا لا بد منه لاثارة قضية أكثر أهمية ، هى قضية الحاجة المـاسة الى تأسيس حـزب للطبقـة العاملة .

واذا ما بدأت « الحساب » معالجة موضوع كهذا ، فقـد كان يتعين عليها أن تبدأه بحـذر شديد ، - وكالعادة - يبدأ الأمر بنشر رسالة يقال أنهـا وردت من قارىء اسمه « محمد صديق عنتر » ( وقد اتهمت النيابة رفيـق جبور بانه كاتب هذا الخطاب ) (٢) . وتقول هذه الرسالة « ان جهودنا ستبقى ناقصة وغير مثمرة ما دام لا يوجـد حزب يتدرج ويقـوى مع الزمن ويستلم بيديه الحديدتين حقـوق ومطالب العمال . . » .

---

١ - الحساب ، ٦ - ٣ - ١٩٢٥ .

٢ - كذلك اتهم رفيق جبور بترجمة « كتاب فى الشيوعية » باسم محمد عنتر المصرى « الأهرام » ١٧ - ٦ - ١٩٢٥ نقـلا عن تحقيقـات النيابة العامة .
وتشير النيابة العـامة هنا الى كتاب مترجم عن الفرنسية بعنوان : المبادىء الاشتراكية - ترجمة محمد صديق عنتر ( ابريل ١٩٢٥ ) - المطبعـة العربية - القـاهرة .

ولمزيد من التفاصيل راجع : د. رفعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الاول - ١٩٠٠ - ١٩٤٠ - المرجع السابق - ص ٤٨٨

وترد « الحساب » بسلسلة من المقالات كتبها رفيق جبور . وكان لا يبدو في هذه المقالات من الاشارة الى دور الوفد وعجزه عن تمثيل ارادة ومصالح جماهير العمال والفلاحين .

« ان زعماء الحركة الوطنية انفسهم لم يحسنوا التصرف عندما هبت هذه الامة النشيطة مطالبة بحقوقها ، مدافعة عن استقلالها وحريتها . فهم اغتنموا فرصة نهوضها ليضعوا انفسهم في مقدمة الصفوف وعلى رأس القيادة . ولكن اين الخطط التي وضعوها لاستمرار الجهاد والتقدم شيئا فشيئا في سبيل الغاية القصوى وهي الاستقلال التام ؟ واين ما وعدوا به الفلاح الذي حمل عبء النهضة المصرية على كتفيه القويتين ، واين وعودهم للعامل الذي قذف بنفسه في اتون ثورة ١٩١٩ فالتهمته نيرانها . ؟ »

وتمضي « الحساب » قائلة « ولولا جبن الوفد وجبنه ، ولولا معرفة الانجليز بجبنه وخوفه لما تجاسروا قط بل لما فكروا قط بامتهان حقوق مصر بعدما وجدوا من عملها المثمر عام ١٩١٩ »(١) .

لكن ماذا كان الهدف الاساسي الذي حددته « الحساب » لنفسها ؟

نعتقد ان الهدف الاول كان تاكيد اهمية تواجد حزب يمثل الطبقة العاملة المصرية ، وحق العمال في ان يمارسوا نشاطهم الطبقي من خلال حزب يملي ارادتهم .

وفي افتتاحية العدد الاول ( ١١ بالترقيم الاصلي ) تتحدث « الحساب » عن الطبقة العاملة قائلة « لأجل الطبقة العاملة من فلاحين وعمال انشأنا هذه الصحيفة . لاجل اسماع السلطات الحاكمة وباقي الطبقات في مصر صوت هذه الطبقة البائسة المظلومة . اقدمنا على هذا العمل الشاق الذي طالما عللت النفس الى خوض امواجه المتلاطمة فصدتنا العقبات والموانع . فاقدمت تارة بضع خطوات الى الامام . وتراجعت طورا الى الوراء بضع خطوات .. لان الطبقة العاملة في مصر هي اكثر الطبقات عددا وبؤسا وشقاء ، واقلها نصيبا من اعتناء الحكومة والعمل على رفع مستواها وازالة المظالم عنها » .

ثم تمضي (الحساب) في دراسة ممتعة للطبقات في مصر والظروف الاجتماعية التي تعيشها كل منها .. مدافعة في ذلك كله عن الفقراء مركزة هجومها على الأغنياء وعلى أصحاب الأعمال الذين لو أن الواحد منهم « طحن الذهب وعجنه بدل الدقيق ، واكله خبزا ابريزا لما تمكن ان يأكل هو وآله واقاربه وخدمه وحشمه ورفيقاته وسراريه عشر دخله اليومي » .

ومنذ البداية فان ( الحساب ) لا تخفي وجهها ، بل هي تلمح في المقال الافتتاحي الى انها امتداد لنضال حزبي قديم « .. كنا ممن اندمج في حركة العمال منذ تجديد نهضتهم الى الآن ، وجاهدنا معهم وتمشينا واياهم درجة درجة فاختبرناهم واختبرونا » .

وأيضا تؤكد ( الحساب ) « ستخصص جريدتنا هذه الجريدة خدمة العمال لتكون ( صوت العمال ) فلا يسمع من على صفحاتها صوت آخر ، ولا تخدم هيئة غير هيئاتهم ، ولا شخصا غير أشخاصهم وأشخاص الذين يعطفون عليهم ويسعون في منفعتهم وفي سبيل الوصول الى حقوقهم . . »(١) .

ومع خط التأكيد على ضرورة قيام حزب سياسي للطبقة العاملة المصرية ، يمضي عبر أعداد المجلة خط آخر هو تقديم خبرة العمل النقابي للعمال المصريين . فعبر أعداد « الحساب » كانت تمضي سلسلة مقالات حول حزب الطبقة العاملة . . وسلسلة أخرى بعنوان « كيف يجب أن تكون نقاباتنا . » وهي تتحدث تفصيلا عن النقابات ودورها كمنابر نضالية للطبقة العاملة . وكيفية تأسيسها وممارسة العمل النقابي . وأساليب ادارته بما في ذلك تبسيط الاجراءات الادارية والمالية والقانونية الواجب اتباعها .

وبين هذين الخطين الرئيسيين تمضي ( الحساب ) لتدافع في كل سطر من أسطرها عن حقوق العمال والفلاحين . وخاصة حقهم في المشاركة النشطة في المعركة الانتخابية التي كانت تجرى في ذلك الحين لانتخاب برلمان جديد .

وهي تنشر « بيان لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين » وهو برنامج مرحلي تقدم به الحزب للمرشحين والناخبين . . وهي توجه نداءها في نهاية البرنامج الى الفلاحين والعمال قائلة « لا تعطوا أصواتكم لأي شخص لا يقبل هذا البرنامج ويعد بتنفيذه »(٢) .

وعندما تضع الحكومة العقبات أمام مشاركة العمال والفلاحين في الانتخاب في محاولة لقصر منح حق الانتخاب على دافعي الضرائب العقارية وحملة الشهادات تنشر « الحساب » التعليق التالي موقعا باسم رفيق جبور « الوزارات تريد ٠٠٠ر٩٠٠ جنيه من أموال العمال والفلاحين لزيادة مرتبات كبار موظفيها ، ثم تفكر الحكومة في حرمان الطبقة العاملة من الانتخاب . . » ويقول التعليق « قد يظن اننا مبالغون . اذا قلنا أن الخفير اذا قتل وهو يقوم بوظيفته في الدفاع عن الارواح والامن العام لا تجد الحكومة لديها مائة قرش كل شهر تدفعها معاشا لأرملته أو – أرملاته – ولأولاده العديدين . ولكنها تجد في كل ساعة ودقيقة ١٢٠ جنيها معاشا لاحد كبار موظفيها متى أراد سعادته أو معاليه أن يتقاعد عن العمل .

---

١ – الحساب ، ٦ – ٣ – ١٩٢٥ .

(٢) الحساب ، ٦ – ٣ – ١٩٢٥ .

٢ – راجع النص الكامل للبرنامج ، د. رفعت السعيد – المرجع السابق – ص ٥٧٢ .

والآن تريد الحكومة ٩٠٠٠٠ جنيه لتزيد مرتبات حضرات كبار الموظفين زيادة أخرى .. ثم تفكر الوزارة بسن قانون انتخاب جديد يحرم الطبقة العاملة من حق الانتخاب ، هذا الحق المقدس لا توجد حكومة دستورية في العالم يمكنها أن تفكر بحرمان دافع الضرائب منه ، والطبقة العاملة في مصر ٩٥ بالمئة من مجموع السكان ، وكل الضرائب تجبى من عرق جبين الفلاح وثمرة انتاج يمين العامل والفلاح المسكين »(١) .

وشعرا تشن ( الحساب ) ـ أيضا ـ حملتها دفاعا عن حقوق العمال والفلاحين في الانتخاب .. وفي قصيدة رائعة من شعر محمود رمزي نظيم تدعو ( الحساب ) الفلاحين الى ( لم عزالهم ) والهجرة من مصر :

| | |
|---|---|
| « وسيبوا مصر للملاك تسكنها | يجندوا جيشها من خير شجعان |
| وسيبوا النيل للاسياد تحرسه | وقت العلو وقد أضحى كطوفان |
| ودوروا لنا على العمال اخوتنا | م اسكندرية لدمياط لاصوان |
| يسيبوا الشغل للملاك تعمله | فيصبحوا بين نجار وسنان |
| وساعدوهم على لم العزال ونا | سايق حميركم وحاطط ذيلي غسناني |

والشاعر يدعو العمال والفلاحين الى ترك مصر للأغنياء طالما أنهم وحدهم أصحاب الحقوق فيها .. وطالما انهم يريدون حرمان العمال والفلاحين حتى من حق الانتخاب ثم يقول :

| | |
|---|---|
| يكفي بقى غلبنا يكفي فضيحتنا | واللى جرى ينكتب في كل جرنان |
| قال يتركونا وعن صحة سلامتنا | لايسألوا فى انتخاب جاى من تاني |
| والاغنيا بس مندوبون ينتخبوا | للبرلمان فهم أرباب سلطان |
| والحاملين شهادات مقلوظة | كالاغنياء فهم أصحاب عرفان |
| سبعة وتسعين فى الميه مكممة | عن الكلام وان كانوا كسحبان |
| أما الثلاثه فى الميه فانابهم | أهل الرياسة فى انس وفي جان |
| فان يقولو فمصر كلها نطقت | ومن بمصر سواهم غير جدعان »(٢) |

ولسنا نريد أن نطيل في استعراض مقالات وكتابات « الحساب » فليس هذا هو هدفنا الاساسى ، لكننا فقط نريد أن نشير الى مقال هام .. حديث فيه « الحساب » ـ وربما كانت أول من تنبه الى ذلك ـ موقفا واضحا من المشكلة الفلسطينية ، ومن زحف الصهيونية على فلسطين ، فهى تنشر مقالا بعنوان « بلفور يزور ضحيته وفلسطين تقابله بالاضراب العام »(٣) .

---

١ ـ الحساب ، ١٧ ـ ٤ ـ ١٩٢٥ .
٢ ـ الحساب ، ١٨ ـ ٥ ـ ١٩٢٥ .
٣ ـ المرجع السابق .

والمقال هجوم على الصهيونية وعلى محاولتها لاغتصاب فلسطين من أصحابها . وتصف بلفور بأنه « صاحب التصريح المشهور الذى أصدره باسم الحكومة الانجليزية .. والذى بموجبه أعطت فلسطين لليهود والصهيونية رغم ارادة سكانها وضد كل شرع وعرف وقانون » وتقول « انه عندما زار بلفور فلسطين فى أول ابريل ١٩٢٥ بدعوة من الجامعة العبرية قابله السكان فى كل مكان حل فيه بجميع الوسائل التى تعبر عن سخطهم وغضبهم واشمئزازهم من زيارته التى تشبه زيارة القاتل لآل القتيل ، والمعتدى لضحيته » .

وتختتم « الحساب » مقالها « اننا نحيى هذه النهضة البديعة فى فلسطين . ونأمل أن يواظب الفلسطينيون الكرام على أمجادهم وجهادهم فى سبيل استقلال بلادهم . وهم كمظلومين مرهقين عليهم أن يضعوا أيديهم فى أيدى كل طبقة من طبقات العمال فى أى بلد من البلدان . فالطبقة العاملة مظلومة فى كل مكان وكل مظلوم للمظلوم نسيب » .

وتمضى « الحساب » سائرة على الشوك .. متعرضة للاضطهاد والمطاردة ، لكنها تواصل اصرارها العنيد على ضرورة الاعتراف بحق العمال والفلاحين فى تأسيس حزبهم السياسى مؤكدة « ان العمود الفقرى للحزب ودماغه المفكر وقلبه النابض يجب أن يكون من العمال . وعلى قانون الحزب الاحتياط الشديد لعدم تمكين بعض أفراد الطبقات الاخرى التى تندمج فى الحزب من السيطرة عليه والتلاعب بمصالحه بل يجب أن يكون الحزب حزب عمال للعمال ومن العمال ، أما من ينضم اليه من أبناء الطبقات الغريبة عن ـ الطبقة العاملة فيجب أن يبقى دائما تابعا للحزب الى حد ما ، لكن على كل حال يجب أن تكون وتبقى السيطرة فى الحزب للعمال وحدهم .

ماهى مرامى الحزب وأغراضه ؟

ما هى مبادئه وما هو برنامجه ؟

هذا ما سنتكلم عنه فى العدد التالى »(١) .

لكنه لم يكن هناك عدد تال ، فقد أسكت الارهاب صوت مجلة « الحساب » بتحريض سافر ـ أو بالدقة ـ بأوامر سافرة من سلطات الاحتلال .

فبعد ان نشرت « الديلى ميل » تقول « حدثت ضجة عظيمة من جراء عصبة شيوعية كبيرة فى مصر » .

---

(١) الحساب ١٨ـ٥ـ١٩٢٥ .

ونشرت الديلى كرونيكل » تلغرافا لراسلها فى القاهرة قال فيه : « قامت الدلائل على وجود مؤامرة بلشفية واسعة النطاق لتدبير ثورة شيوعية فى مصر تكون جزءا من مشروع يرمى الى اثارة افريقيا كلها فى وجه الدول الاستعمارية »(١) .

بعد ذلك التحريض السافر كان لابد من القبض على هؤلاء الرجال الشجعان الذين تحدوا الشوك وساروا فوقه .

وبعد رحلة شاقة لم تستغرق سوى تسعة اسابيع فقط صدر خلالها ثمانية اعداد توقفت « الحساب » عن الصدور فقد سجن رئيس تحريرها ومحرروها ومندوبوها بالاقاليم .

(١) نقلا عن الاهرام ، ٣-٦-١٩٢٥ .

الجمعة ١٤ فبراير سنة ١٩٣٠ ثمن النسخة خمسة مليمات –
السنة الأولى

– العــدد ١ –

الاشتراكات ٢٥٠ مليما عن سنة داخل القطر

الادارة : ٨١ شارع محمد على بمصر

# روح العصر

جريدة اشتراكية سياسية اسبوعية

في هــذا العــدد

ما هى الاشـــتراكية ؟
**للاستاذ عصام الدين ناصف**

تاريخ النقابات فى انجلترا
**للاســـتاذ العــرابى**

دسائس الرجعيين
**للدكتور القــاضى**

**فى دوائر العمل**
**من هو بنـــايتى سـتراتى**

**حــــديث ...**
**الخ ... الخ .. الخ .**

**المطبعة الاهلية الكبرى بشارع محمد على بمصر**

. ولم تكن « روح العصر » مجـرد جـريدة أو مجلة تتحـدث عن الاشتراكية بل كانت فى الاساس محاولة لتأكيد نظرية نادى بها أحد كوادر الحزب . تدعو الى التمسك بالعلنية ، على اساس ان الحزب ظل بعيداً عن المطاردة طالما كان « اشتراكيا » وليس « شيوعيا » ، وطالما تباعد عن اية علاقة مع الكومنترن .

ومحمود حسنى العرابى صاحب هذه النظرية ، حاول جاهدا ان يضع افكاره موضع التطبيق ، وانسحب من الحزب الذى كان يوما ما اول سكرتير عام له ، وخاض ميدان العلنية .

وفى خطة مبيتة فتحت له كل الصحف صدرها ليكتب آراء « مخففة » وليست « حمراء تمـاما » ، وليتحـدث عن الاشـتراكية « بمرونة » و « اعتـدال » .

وكانت المصيدة معدة باحكام ففى وقت واحد كانت مقالات العرابى تظهـر فى « الهـلال » و « الحيـاة الجـديدة » و « الرقيب » وحتى « المقتطف » (١) .

ولم تكن الكتـابة فى الصحف لتنـوير الاذهان وشرح المبـادىء الاشتراكية المعتدلة هى كل اهداف الرجل .

فعلى اثر انسحابه من الحزب تتلقى الصحف بيانا موقعـا باسم « اللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكى المصرى » والسكرتير هو ( عصام ناصف )صديق العرابى وزميله فى موكب العلنية . ولقد كان العرابى وناصف على علاقات وثيقة فى هذه الفترة . ثم كتمت أنفاس المحاولة وأشبعتهـا الصحف هجوما وتهكما ووصفت « كوكب الشرق » هذا الحزب بانه « حزب البقلة الحمراء » وأنه « لم يستمع به أحد ونبت نبتا شيطانيا »(٢) .

ثم انضم الى الموكب د . عبد الفتاح القاضى ـ طبيب اطفال تعلم فى جامعات المـانيا ، واجتذبته هناك رياح الفكر الاشتراكى فانتقلت به

---

(١) الهلال عـددا يوليـو واغسطس ١٩٢٧ ، الحيـاة الجديدة ١٨ ـ ١ ـ ١٩٢٨ و ١٥ ـ ٨ ـ ١٩٢٨ و ٢٩ ـ ١٠ ـ ١٩٢٨ ، والرقيب ١٩ـ٢ـ١٩٢٨ ، والمقتطف مارس ١٩٢٩ .
(٢) كوكب الشرق ، ٨ـ١ـ١٩٢٧ .

من موقع « عضو الحزب الوطني الشديد العداء للانجليز » أو موقع « الاشتراكى فكرا » ثم « موقع الاشتراكى عملا » كما قال هو نفسه ..

* * *

و « عملت كطبيب أطفال واحسست بحقيقة الفقر وبشاعته ، كنت أقول للأم اشترى دواء لطفلك أو غذاء لطفلك وأشعر انها لا تملك قرشا ٠٠ واقتنعت انه لا فائدة من الطب ولا فائدة من أى مجهود يبذل الا اذا تغير المجتمع ٠ وأدركت ان الواجب الأساسى للانسان هو العمل لبناء الاشتراكية »(١) .

وكان هناك شخصان فى الانتظار العرابى وناصف ، أضناهما السعى الى ميدان العمل القانونى ، فأغلقت الصحف بابها فى وجهيهما ، ثم فشلت محاولة تأسيس حزب علنى باسم الحزب الاشتراكى المصرى ٠٠ على أساس انه حزب اشتراكى وليس شيوعى فقد كانت حمى العداء للشيوعية شاملة وكاسحة الى حد رفض حتى الاتجاهات الاصلاحية والمعتدلة ٠٠ ولم يعد أمامهما لمواصلة السعى فى طريق الدعوة القانونية الاشتراكية سوى اصدار مجلة ٠٠

يقول ناصف « وبعد ذلك فى سنة ١٩٣٠ كان لى صديق هو د٠ عبد الفتاح القاضى واجتمعنا نحن الثلاثة لاصدار مجلة ٠ وأنا كنت معروف انى شيوعى ، وكذلك حسنى العرابى ولا يمكن منحنا رخصة للمجلة ، ولهذا طلبنا الرخصة باسم د. عبد الفتاح القاضى »(٢) ٠

ويقول القاضى : « عندما اتصل بى عصام الدين حفنى ناصف وعرفنى بحسنى العرابى وعرض على فكرة اصدار جريدة اشتراكية سياسية اسبوعية صادف ذلك هوى فى نفسى »(٣) ٠

وهكذا أمكن ايجاد حل للمشكلة المستعصية التى كانت تواجه الصحافة اليسارية أو أية صحافة للرأى فى مصر ٠٠ وهى الحصول على ترخيص ٠

فقد حصلت المجموعة على ترخيص باسم د٠ القاضى الوحيد من بين الثلاثة الذى لم تكن أضواء البحث البوليسى مسلطة عليه بصورة أساسية ٠ وبدأت الاستعدادات لاصدار المجلة .

---

(١) راجع النص الكامل لمحضر النقاش معه ــ د٠ رفعت السعيد ــ تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ــ الجزء الاول ــ دار الفارابى ــ ص ٢٧٠

(٢) راجع النص الكامل لمحضر النقاش معه ــ المرجع السابق ٠ ص ٢٧٧ ٠

(٣) المرجع السابق ص ٢٧٤ .

« وجعلت عيادتى بشارع محمد على ، بعد اجزاخانة راتب والبيت موجود حتى الآن ـ دارا للجريدة ، وألقيت اليها بكل ما أملك من نقود . وكذلك حسنى العرابى وعصام »(١) .

* * *

وبدأت المعركة .. معركة اصدار مجلة اشتراكية فى أحلك أعوام تاريخ مصر الحديث عام ١٩٣٠ ، حيث تسلط على مقاعد الحكم فى مصر الطاغية اسماعيل صدقى فارضا جوا من الارهاب الخانق ، ضد أى خصومه ، فما بالك بخصوم ينادون بالاشتراكية . حتى ولو كانت معتدلة .

ويجتمع حول « روح العصر » أفراد ممن انسحبوا من الحزب الشيوعى مع حسنى العرابى سالكين معه طريق الكفاح القانونى ، أهمهم « الهامى أمين » وكان موظفا بالسكة الحديد ثم فصل بسبب نشاطه الشيوعى ، والتصق بحسنى العرابى وجمع مقالاته وأصدرها فى كتيب بعنوان : « مقالات العرابى » كتب فى مقدمته « أعتقد عن يقين أن من ابلغ ، وأقوى ، وأمتن ما كتب بالعربية فى تقويض الرجعية ونشر الثقافة الجديدة . ورفع لواء التجديد سواء أكان ذلك فى الادب ، أم الاجتماع ، أم التاريخ ، أم الاقتصاد ما كتبه صديقى الاستاذ محمود حسنى العرابى ، ولا أكون مغرقا اذا قلت ان غير محمود حسنى العرابى فى مصر لا يقوى على صراحته الجريئة »(٢) .

وفى روح العصر كان الهامى أمين مدير الادارة .

وحول « روح العصر » تجمع ايضا عدد من النقابيين المرموقين أمثال « سيد قنديل » الذى كان متحمسا لفكرة المجلة الى حد انه كان يحرر فيها نثرا وشعرا عاميا ويوجه على صفحاتها نداءات حارة للعمال ثم « يحمل الاعداد على كتفه ليوزعها بنفسه »(٣) .

ومنذ البداية كانت المشكلة التى تواجه المجلة هى مشكلة التوزيع . فقد وضعت نفسها كعادة كل المجلات فى زمنها بين فكى متعهد توزيع الصحف « على الفهلوى » وتضطر روح العصر الى تملق « الفهلوى » معلنة على صفحات عددها الاول ان متعهد توزيعها هو ( حضرة الفاضل المعلم على الفهلوى متعهد عموم الجرائد والمجلات الاسبوعية بالقطر ) .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٧٤ .

(٢) محمود حسنى العربى ـ مقالات العرابى ـ عنى بجمعها وترتيبها ونشرها الهامى أمين . المطبعة الاميرية الكبرى ـ ص ٢

(٣) د. رفعت السعيد ، تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ـ المرجع السابق ص ٢٧٧ .

« .. وتآمر ضدنا متعهد توزيع الجرائد فكان يخزن الاعداد ولا يوزعها »(١) .

واضطرت المجلة الى أن تشن فى اعدادها الاخيرة حملة عنيفة على الفهلوى متهمة اياه بأنه يمالىء البوليس ويمتنع عن توزيع نسخها . وتطالب محافظ القاهرة بالتدخل لمنع تسلط هذا « المعلم » على عملية توزيع الصحف .

لكن « روح العصر » تجد من يصل بها الى قرائها ، طلابا ومناضلين نقابيين التفوا حولها وكانوا يقومون بتوزيعها بأنفسهم .

* * *

ولم تكن مشكلة التوزيع هى المشكلة الوحيدة .

فقد كانت هناك مشكلات سياسية أساسية .

يقول القاضى « كان همنا أنا وحسنى العرابى ألا نعطى لاسماعيل صدقى حجة قانونية لاغلاق المجلة . كان هدفنا ان تستمر المجلة أطول مدة ممكنة ، أما عصام ناصف فقد كان متطرفا وكان رأيه ان نهاجم ونستفز اسماعيل صدقى »(٢) .

كذلك فان فتح الباب أمام المنهج القانونى كان بغير حدود من جانب البعض على الاقل ، بحيث انحرفت المجلة فى بعض ما نشرته من مقالات عن المنهج الذى يتقبله أشد الاشتراكيين اعتدالا واصلاحية .. ففى العدد الثالث تنشر مقالا لاحمد المصرى بعنوان « اشتراكية الدولة ـ حكومة مصر تسير على نظام اشتراكى »(٣) . ولنفس الكاتب مقال آخر بعنوان « محمد على باشا يطبق النظام الاشتراكى فى مصر »(٤) .

وفى العدد الرابع تنشر فصلا عن كتاب « الحركة الاشتراكية » لرامزى ماكدونلد تعريب الاستاذ العرابى والفصل بعنوان « الفوضوية والشيوعية ليست من الاشتراكية »(٥) .

---

(١) د. رفعت السعيد ـ عصام الدين حفنى ناصف ـ سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى . دار الثقافة الجديدة ـ ص ٨٤ .

(٢) د. رفعت السعيد تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ـ المرجع السابق ـ ص ٢٧٤ .

(٣) روح العصر ، ٢٨-٢-١٩٣٠ .

(٤) روح العصر ، ١٤-٣-١٩٣٠ .

(٥) روح العصر ، ٧-٣-١٩٣٠ .

ولكننا وفى نفس الوقت نجد دراسات ماركسية ذات مستوى رفيع مثل العرض الذى قدمه د. القاضى لتاريخ مشاهير الاشتراكيين ، ودراسة للدكتور القاضى أيضا عن المذاهب الاشتراكية (١) ، ومقالات لعصام الدين حفنى ناصف والتى افتتحها بمقال بالغ الاهمية نشره فى العدد الاول بعنوان « ما هى الاشتراكية »(٢) والترجمة التى نشرها د. القاضى لكتاب كارل ماركس (العمل المأجور ورأس المال) وكتابات ماركس عن المادية التاريخية وغيرها من الكتابات الاخرى . ثم ذلك العدد التاريخى الذى صدر بمناسبة عيد أول مايو ١٩٣٠ ، وهو العدد ١٢ ففى صدر الصفحة الاولى من المجلة شعار ( يا عمال العالم اتحدوا ـ ليحيا أول مايو ) ثم صورة كبيرة لكارل ماركس وتحتها العبارة التالية « رأينا أن نحلى صدر هذ العدد فى هذا اليوم العظيم بصورة أبى الاشتراكية العلمية كارل ماركس وهى أول صورة تنشر لمعلمنا الاكبر فى مصر »(٣) والتوقيع « ح » وهو توقيع مستعار لحسنى العرابى .

واذا كان القول بأن هذه هى المرة الاولى التى تنشر فيها صورة كارل ماركس فى مصر ـ ليس دقيقا تماما ، فان الاشارة الى أن كارل ماركس هو « معلمنا الاكبر » كانت تمثل نقلة كبيرة فى الافكار المعلنة « لروح العصر » .

والعدد ١٢ ليس تاريخيا لهذا السبب فحسب ، وانما لانه شهد محاولة جديدة لتحويل « روح العصر » من مجرد مجلة .. أو منبر اشتراكى الى تنظيم اشتراكى ..

ففى الصفحة السابعة من هذا العدد ينشر نداء بعنوان : « نداء العمال المصريين الى رفاقهم الاوربيين » جاء فيه « تتوجه طليعة الطبقة المصرية العاملة الى رفاقها الاوربيين بمناسبة أول مايو على لسان « روح العصر » ( الجريدة الاشتراكية الوحيدة فى الشرق ) بهذا البيان :

١ ـ نعلن تضامننا مع رفاقنا الاوربيين فى جهادهم ضد الرأسمالية الدوليــــة .

٢ ـ نلفت نظر رفاقنا الى آلام واستعباد الجماعات العاملة فى الشرق بواسطة الاوروبيين . ولذا فنحن عمال الشرق ننتظر من روح التضامن

---

(١) روح العصر ، ١١ـ٤ـ١٩٣٠ .
(٢) روح العصر ، ١٤ـ٣ـ١٩٣٠ .
(٣) روح العصر ، ٢ـ٥ـ١٩٣٠ .

التى تسود رفاقنا الاوروبيين أن تدفع بهم الى تلبية نداءنا بأيجاد صلات صداقة وعطف بيننا وبينهم »(١) .

واذا كان البيان يمثل فى حد ذاته نقطة تحول هامة فى منهج « روح العصر » ـ ( الجريدة الاشتراكية الوحيدة فى الشرق ) كما صمم أصحابها على وصفها من حيث التوجه لايجاد صلات « أممية » مع عمال أوروبا ومن حيث استخدامها للفظ « رفاقنا » ومن حيث ابرازها أهمية الوحدة فى المعركة ضد « الرأسمالية الدولية » .. فان الشىء الاكثر أهمية هو أن البيان قد وقع كما يلى :( عن العمال المصريين ـ الكتلة الاشتراكية ) .

وكانت ( الكتلة الاشتراكية ) واحدة من المحاولات المضنية التى بذلتها المجموعة التى أصدرت ( روح العصر ) لتأسيس تنظيم اشتراكى علنى . لكنها كغيرها من المحاولات التى سبقتها والتى تلتها فيما بعد جوبهت بمقاومة حازمة من سلطات الامن .

وبما أن مجلة « روح العصر » لم تكن مجرد صحيفة تصدر لتقول كلاما عن الاشتراكية . وانما كانت ـ فى تصور أصحابها ـ خطوة نحو اقامة تنظيم سياسى للعمال والفلاحين ينادى بالاشتراكية .. فان محاولة تأسيس « الكتلة الاشتراكية » ـ تلك المحاولة التى احبطت على الفور ـ قد تلتها على الفور ، وفى العدد التالى مباشرة وهو العدد ١٣ ، محاولة أخرى للالتقاء مع مشروع اسماعيل مظهر لتأسيس حزب للعمال والفلاحين .

والامر يستحق وقفه :.

فاسماعيل مظهر قد بدأ محاولته لتأسيس حزب اصلاحى بحت باسم « حزب الفلاح المصرى » . وفى مشروع تأسيس الحزب الذى وجهه اسماعيل مظهر الى مصطفى النحاس قائلا « بالصفة العليا التى لكم فى هذه البلاد كرئيس للوفد المصرى وخليفة للزعيم الاكبر المغفور له سعد زغلول باشا ، والمدافع الطبيعى عن الديمقراطية الحقيقية ، وبحكم انكم الزعيم الاول للاغلبية الساحقة من المصريين أتقدم اليكم بهذا المشروع .. » والتوقيع « خادمكم المطيع » (٢) . ويوضح اسماعيل مظهر فى مشروعه أن الهدف « هو تكوين حزب اجتماعى يكون أساس الاصلاح فيه فلاح مصر باعتباره الاكثرية العظمى ، وانه أصل الثروة ، كما أنه لا يجب أن يغيب عن أذهاننا ان اعمال تكوينه سوف يكون عما قريب أساس القلق الاجتماعى » .

---

١ ـ المرجع السابق .

٢ ـ العصور ـ الشهرية ـ أكتوبر ١٩٢٩ .

ثم يمضى اسماعيل مظهر قائلا بوضوح أكثر « لهذا وجب علينا أن نبحث فى أمثل الطرق والوسائل التى تحمينا من الانقلابات الفجائية والتى تصد عنا سيل الافكار المتطرفة الحديثة التى تفيض علينا بها دوليات أوروبا الشيوعية .. وانى لشديد الاقتناع بأن تنفيذ مشروع حزب الفلاح المصرى على القواعد التى وضعتها فى مبادئه كفيلة بان تحمينا من هذه الشرور » .

وبالرغم من كل هذا التأكيد الواضح ، وبالرغم من أن البرنامج كان اصلاحيا بحتا ، وان أقصى تطرف لجأ اليه كان حديثا عن تحديد الحد الاقصى للملكية الزراعية بخمسمائة فدان .. وبشرط أن يتم ذلك دون أى تدخل قانونى أو حكومى وانما بمجرد الانتظار لان تفعل أحكام المواريث فعلها الطبيعى .

برغم ذلك كله فقد وقفت الرجعية المصرية ـ التى اشتهرت برفض أية نزعات اصلاحية ـ من محاولة اسماعيل مظهر موقف الرفض التام ، بل والادانة الكاملة .. ولم يبق أمام اسماعيل مظهر الا أن يتجه الى احضان اليسار ...

وكانت البداية اشارة عابرة فى العدد ١٣ من « روح العصر » الى أنه طبع « بدار العصور للطبع والنشر بشارع الخليج المصرى بميدان الظاهر »(١)

واذا كان غريبا أن يلتقى اسماعيل مظهر ـ بموقفه المعروف من الاشتراكية ـ بمجلة « روح العصر » ، فان الاغرب هو أن يتم هذا اللقاء فى العدد التالى مباشرة للعدد ١٢ وهو العدد الذى صدر وفى صفحته الاولى صورة « معلمنا الأكبر » كارل ماركس ، والذى تميز بانعطاف حاسم فى توجهه نحو اليسار السافر .

وتتطور العلاقة لنقرأ اعلانا فى العدد ١٥ يقول « اقرأ مجلة « العصور » تحرر فكرك »(٢) .

ثم يصدر العدد ١٧ من « روح العصر » متضمنا النص الكامل لبرنامج « حزب العمال والفلاحين » ويوقعه نيابة عن اللجنة التحضيرية لحزب العمال والفلاحين اسماعيل مظهر (٣) .

وبطبيعة الحال فان البرنامج كان يمثل تطورا هاما فى فكر اسماعيل

---

١ ـ روح العصر ، ٩ـ٥ـ١٩٣٠ .
٢ ـ روح العصر ، ٢٣ـ٥ـ١٩٣٠ .
٣ ـ روح العصر ، ٦ـ٦ـ١٩٣٠ .

مظهر ومواقفه وتبدو بصمات الفكر الماركسى واضحة تماما فى أغلب مواده ·

ثم يبدو الالتحام بين المجلتين « روح العصر » و « العصور » أكثر فأكثر حين تبدأ « روح العصر » ابتداء من العدد ١٨ فى اعادة نشر مقالات كاملة عن العصور ولعله من الملفت للنظر أن يكون أول مقال تنشره « روح العصر » نقلا عن العصور هو مقال بعنوان « حياة لينين »(١) .

* * *

وبطبيعة الحال فان « روح العصر » قد تعرضت لهجمات سياسية عنيفة وخاصة من جانب « جريدة السياسة » · التى اتهمت « روح العصر » بأنها تروج للشيوعية داعية السلطات الى اتخاذ موقف حازم تجاهها · ·

وتتصدى صحف عديدة للدفاع عن « روح العصر » وعن حقها فى التعبير عن رأيها ·· وتنشر « روح العصر » باعتزاز ظاهر « دفاعا تقدمت به زميلتنا اليقظة البيروتية بعنوان جريدة السياسة « وزميلتنا » روح العصر ننقلها فيما يأتى » ·· « لا تزال جريدة « السياسة » لسان حال حزب الديكتاتور المصرى الهابط محمد محمود باشا تثير حملة على جريدة « روح العصر » المصرية الراقية داعية الحكومة الى البطش بها ، فنحن نستغرب هذا التهجم اللئيم وهذه المحاولة السخيفة من صحيفة يرأس تحريرها أديب كمحمد حسين هيكل ونرجو من نقاباتنا وجميع النقابات المنظمة أن تتآزر فى الاحتجاج على ذلك الدس غير المتوقع من صحيفة جدير بها أن تبقى بين سطورها بقية احترام لها فى نفوس القراء ·

ان روح العصر يجب أن يؤيدها العمال وأن يستعيدوا قواهم من الضعفاء ويردوا الضعف الى أسبابه » ·

وتعلق « روح العصر » على هذا الدفاع الذى تفهم جيدا انه قادم من حزب شقيق ان « روح العصر » تشكر للزميلة روح التضامن والعطف ، وتناشد جميع عمال وفلاحى الشرق على أن لا تحيد عن الخطة التى سارت عليها مهما أصابها من افتآت الموتورين »(٢) ·

ولعل هذا النهج فى الرد على « السياسة » كان أفضل بكثير من المنهج الذى اتبعه د· القاضى محاولا التنصل من اتهامات « السياسة » مؤكدا انهم « اشتراكيون » وليسوا « شيوعيين » ·· وتحت عنوان « جهل أم تجاهل . . كشف النقاب عن وجه السياسة » كتب الدكتور القاضى يقول . ·

---

١ ـ روح العصر ، ١٣ ـ ٦ ـ ١٩٣٠ .
٢ ـ روح العصر ، ٩ ـ ٥ ـ ١٩٣٠ ·

« لا نريد أن نناقش « السياسة » فى هذا المقال دعاويها الباطلة واختلاقاتها المألوفة ، لا نريد بذلك البتة أن نبرىء أنفسنا مما ترمينا به افتئاتا ، نحن مرتاحو الضمير بأننا اذ نعتنق المذهب الاشتراكى لا نأتى أمرا ادا » .

ويحاول د. القاضى جاهدا أن يؤكد أنه ومجلته اشتراكيون وليسوا شيوعيين « كما أننا موقنون كل اليقين أن جهلها أو تجاهلها المتعمد للفرق ما بين الاشتراكية والشيوعية وخلطها خلطا معيبا بين الاثنين لن يحدث الأثر الذى تطلبه »(١) .

وقد يبدو الأمر غريبا من رجل كان يعتبر نفسه بالفعل ـ ومنذ أمد ليس بالقريب شيوعيا ، بل انه وبعد أن انفرط عقد جماعة «العمل القانونى» ما لبث أن انضم دون أى تحفظ الى تنظيم شيوعى .

ويقودنا ذلك الى التناقض الخطير الذى أقض مضاجع أصحاب «روح العصر» كانوا شيوعيين لكن القانون يحرم الشيوعية ، وهم يتمسكون بالقانون والعلنية ، فلا بأس اذا من بعض التسامح أو بالدقة « التنصل » من اسم « الشيوعية » . الامر الذى أدى الى تناقض خطير سواء فى مواد المجلة . أو فيما بين مؤسسيها الثلاثة .

ومع ذلك ـ وبرغم التناقضات بين الثالوث المسئول عن المجلة ، استطاعت روح العصر أن تكون بالفعل ـ وفى ظل فترة من أحلك فترات التاريخ المصرى منبرا تتردد من فوقه شعارات ومبادىء الاشتراكية . ربما ترددت فى غير وضوح أحيانا ، وربما لم تكن الخطوط واضحة تمام الوضوح ، لكن الشىء الهام هو ان «روح العصر» كانت برغم كل ما شاب تحريرها من نواقص منبرا يقول كلمة الاشتراكية . ويواجه طغيان صدقى وارهابه ويواجه مناورات الاحتلال وعملاء الاحتلال بمنطلقات طبقية تنتمى بوضوح الى العمال والفلاحين ، وتدين الاستغلال وتربط المعركة ضده . ربطا محكما ووثيقا . بالمعركة الوطنية ضد الاحتلال البريطانى .

كذلك كانت « روح العصر » أولا وأخيرا درسا قاسى الملامح لاشخاص حاولوا أن يشقوا بأظافرهم طريقا علنيا وقانونيا للعمل الاشتراكى فى صخر رجعى صلد يرفض حتى أية نزعات اصلاحية ..

كانت مرحلة ضرورية حتى ينتقل عصام ناصف والقاضى وأمثالهما

---

١ ـ روح العصر ، ٢٨ ـ ٣ ـ ١٩٣٠ .

الدرس ، ثم ينهضا بعد عشر سنوات ليواصلا المسيرة فى طريق « غير قانونى » .

* * *

بعد ذلك يمكننا أن نشرع فى تقليب صفحات المجلة ..

فاذا ما بدأنا بالقضية الوطنية وهى المحور الاساسى لاى عمل كفاحى فى ذلك الحين فان « روح العصر » كانت منبرا ملتهبا للعداء ضد الاستعمار .. ولفهم المغزى الاقتصادى للاستعمار .. ودعوة للعمال والفلاحين لكى يكون لهم موقف طبقى ومتميز فى معركة الاستقلال الوطنى .

وفى العدد الاول نقرأ موضوعا بعنوان « حديث » والتوقيع « خرافة » وينم الاسلوب عن أن صاحبه هو عصام ناصف .. « ويقول الاحرار الدستوريون انهم حزب البيوتات العريقة فى المجد والثروة والطبقة الارستقراطية المصرية .. ويقول الوفديون انهم رجالات الشعب فى طلب الاستقلال التام لوادى النيل ، ويقول الحزب الوطنى زيلع .. مصوع .. أوغندا .. الى آخر السورة غير المحفوظة ، فاذا غرضنا وتمت المعاهدة على ما يرام فماذا تقول أنت أيها العامل وأنت أيها الفلاح ؟ فكر الان فيمن سوف يتكلم باسمك . ويعمل على تنفيذ رغباتك وارادتك .. فكر وحياة أبوك .. الله يهديك » (١) .

لكن المعاهدة لم توقع .. المفاوضات تتقطع ، وتصيح « روح العصر » فى افتتاحية العدد ١٤ « قطعت المفاوضات فماذا نحن فاعلون ؟ » وبعد أن يستعرض الكاتب مواقف الساسة البرجوازيين يمضى سريعا الى موقف طبقى واضح فيقول « .. لندع تصريحات الساسة جانبا ولننظر الى المستقبل بعين التفاؤل ، ان من يمعن النظر فى تطور المذاهب السياسية فى العالم فى السنين الاخيرة لا بد وأن يعترف معنا بأن المذهب الاشتراكى يكسب أنصارا ويزداد قوة اليوم بعد اليوم ، وان العالم كله صائر الى الاشتراكية لا محالة ..

وهنا سيتحقق ما تراه الانسانية اليوم حلما تصبو اليه فتستعيد الامم جميعا حريتها واستقلالها ، وتحل المعاهدات الاقتصادية محل القيود الاستعمارية » .

وهنا يبدو الامر واضحا فالكاتب يقول للجماهير اذ أردتم استقلالا حقيقيا وكاملا لوطنكم تعالوا معنا فى طريق الاشتراكية .

---

١ ـ روح العصر ، ١٤ ـ ٢ ـ ١٩٣٠ .

بل انه يعرض بحكم البرجوازية المصرية وينظر الى توليها السلطة الشكلية نظرة طبقية صرفة « .. لم نر فى السنوات التى أعقبت الاحتلال البريطانى حتى اليوم ، أحدا ممن تولوا الحكم فى مصر يوجه اهتمامه الى انتشال البلاد من هذا التأخر المعترف به من الجميع ، فهذه السنون تنقضى سراعا .. والفلاحون ما زالوا أسرى جهلهم وسذاجتهم والعمال طعمة سائغة لأصحاب الاعمال يأكلونهم لحما ويرمونهم عظاما »(١) .

وهنا يتعين علينا أن نتوقف لنتأمل هذا الموقف الجديد من التضحية الوطنية ، فهنا نلمس أن النضال ضد الاستعمار يتخذ طابعا طبقيا صرفا ورأس الحربة موجهة ضد الاستعمار الاجنبى والاستغلال المحلى معا وجنبا الى جنب ودون أى تفرقة .

ورسام الكاريكاتير فى المجلة يصور مصر كبقرة يحلبها أقطاعى وجون بول ينتظار نصيبه من الغنيمة وتحت الرسم ( عبارة ) « البقرة الحلوب بين الاقطاعيين المصريين والمستعمرين الانجليز »(٢) .

ولكى نفهم هذا الموقف يتعين علينا أن نعود بالذاكرة الى موقف اليسار العالمى فى هذه الفترة . فمنذ عام ١٩٢٨ اتخذ الكومنترن فى مؤتمره السادس موقفا يعلن أن البرجوازية الوطنية الصينية قد انتقلت وبصورة نهائية الى معسكر الثورة المعادية . وبصورة تلقائية إنتقل تحليل الوضع فى الصين الى مصر . وعومل الوفد معاملة الكومنتانج .

وهكذا فسر الصراع بين الوفد وصدقى وبين الوفد ومحمد محمود بانه مجرد مسرحية وان « هذه المسرحية ذات الخصائص الفريدة تجرى من أجل متفرج واحد هو المندوب السامى البريطانى اللورد لويد . فان كلا من محمد محمود والنحاس باشا يحاول أن يقنع المندوب السامى البريطانى بان حكم مصر ممكن فقط بواسطته هو شخصيا » . ويؤكد هذا الرأى أن انجلترا « باهمالها لنداءات الجماهير العريضة فى مصر تعتمد أساسا على اعتقاد راسخ مؤداه أنه ما من جماعة من الجماعات السياسية المصرية تعارض معارضة حقيقية فى استمرار السيطرة البريطانية »(٣) .

فاذا كانت « البرجوازية الوطنية » كلها قد ألقت بعلم الوطنية وارتمت فى أحضان الاستعمار فليس أمام الشيوعيين سوى الصراع الوطنى

---

١ ـ روح العصر ، ١٩ ـ ٥ ـ ١٩٣٠
٢ ـ روح العصر ، ١٨ ـ ٣ ـ ١٩٣٠ .
٣ ـ ا. الجبالى ـ مقال بلا مخرج ـ مجلة ريفولوسيونى فوستوك ( الشرق الثورى ) عدد ١ عام ١٩٣٢ ـ ص ١٤٦ ـ ( مترجم عن النص الروسى ) .

من خلال الكتلة الثورية من العمال والفلاحين وحدها ٠٠

وتنهج « روح العصر » هذا النهج ٠٠

وتحت عنوان « دعونا من مهازل المفاوضات ، وتقدموا الى ميدان الكفاح » يكتب محمود حسنى العرابى قائلا « ٠٠ فلنبدأ باعلان رفضنا للاستعمار ، واعلان الخصومة معه ، ثم نعمل على لم الصفوف وتوحيد الجهود الشتيتة فتعمل مصر مجتمعة وموحدة ضد العدو » ٠

لكن « مصر » التى يريد العرابى توحيدها ضد الاستعمار هى مصر العمال والفلاحين وحدهم ، فهو يمضى فى مقاله مطالبا بمطلبين اثنين :

« ـ أن تنتظم الكتلة العاملة فى مصر ، فتقراء الفلاحين فى حقولهم ٠ والعمال الاجراء فى نقاباتهم وتجمع النقابات فى اتحادات ، وتجعل صلة بين اتحاد العمال واتحاد الفلاحين . وتبث عن طريق الاتحادات بين أفراد الشعب روح البغضاء للاستعمار ، وتعمل على الهابها واذكائها حتى تخلق فى الشعب الوعى والاحساس ، ويومئذ يعرف الشعب أن يختار طريقه للخلاص ٠

٢ ـ أن نمد يدنا الى الشعوب المستعبدة والتى مدت الينا يدها غير مرة ٠ ونقف معها جبهة موحدة ضد الاستعمار . ومتى تم تأسيس عصبة شريفة قوية من البلاد المهضومة تبدلت الحال غير الحال ٠٠

٠٠ أما سياسة المفاوضة ، وسياسة حسن التفاهم ، أو سياسة الخنوع وسياسة الموت ، فسياسة جربناها فأساءت الينا ٠

٠٠ وواجب كل مصرى مخلص ، ذى كرامة ، أن يعلن التحول عنها الى سياسة الاقدام والعمل ، فالى الميدان »(١) ٠

وفى عدد تال يكتب العرابى أيضا تحت عنوان « سياسة الوائد لا تجدى لتكن سياستنا سياسة الاستعداد والتحفز »(٢) ٠

لكن الموقف من القضية الوطنية ، ومن الاحزاب السياسية المتصارعة فى الحقل الوطنى يتضح تماما من تعليق « روح العصر » على مجزرة المنصورة « كان أمس الاول موعد زيارة النحاس باشا للمنصورة ، فوضعت الحكومة العقبات فى سبيل رحيله ٠ فتحداها الباشا ، وكان أن التحم الشعب والبوليس والجيش فى معركة انجلت عن ٦ قتلى و ١٤٥ جريحا ٠ والوفد

---

١ ـ روح العصر ، ٣٠ ـ ٥ ـ ١٩٣٠ .
٢ ـ روح العصر ، ٦ ـ ٦ ـ ١٩٣٠ .

ومعه الاغلبية الساحقة يلقى تبعة هذه المجزرة على سلوك الحكومة ، وتلقى الحكومة ومعها الجيش والبوليس التبعة على سلوك الزعماء .
شبوات حزبية تسال فيها الدماء البريئة ، والمسئولون آمنون مطمئنون
وتلك غمة نرجو أن تنكشف عن هذا الشعب قريبا »(١) .

انه موقف شبيه بذلك الموقف الذى انتقده الكومنترن فيما بعد عندما دعا الحزب الشيوعى عمال العنابر المضربين ضد أعمال صدقى التعسفية الى أن « يدعو البرجوازيين يتصارعون فيما بينهم » متجاهلا بذلك المغزى الثورى لحركة ألوف العمال المضربين ضد القهر والديكتاتورية .

وعلى أية حال فان موقف « روح العصر » لم يكن سوى امتداد لخطأ عام وقع فيه اليسار العالمى كله عندما عمم تجربة الصين وخيانة الكومنتانج فيها على كل البرجوازيات الوطنية ومن ثم فقد حدد واجب الشيوعيين فى المستعمرات من الدرجة الثانية مثل الصين ومصر « بالسعى لتأسيس كتلة ثورية من العمال والبرجوازية الصغيرة ( صغار ومتوسطى الفلاحين ) »(٢) متجاهلا بذلك الدور الوطنى لقطاعات عامة من البرجوازية الوطنية .

* * *

وبطبيعة الحال فقد اقترن النظر للقضية الوطنية من خلال فكرة تقول بخيانة كل البرجوازيات وتخليها عن القضية الوطنية ، بحملة طبقية ضارية ضد الاغنياء وضد الرأسماليين والاقطاعيين المصريين والاجانب على السواء .

ولقد أعلنت « روح العصر » منذ اليوم الاول موقفا صريحا ضد الاغنياء .. والى جانب العمال والفلاحين ...

ولنتأمل افتتاحية العدد الاول ... « امنية طالما جالت بخاطر الكثيرين ممن أتيحت لهم أن يروا بلادا غير هذا البلد ، تعيش حقا فى سؤدد ، بالغة من الرقى ذراه ، أن يكون لهم صحيفة يصارحون فيها مصر وأهلها القول من غير مداهنة أو خداع ولو بدافع عامل المنفعة الذاتية التى تملى على الأقلام ما لا تؤمن به القلوب فى أعماقها ، ولا سعيا وراء ارضاء طبقة قوية ذات سلطان أو استغلال فئة أخرى عديمة العون .

تلك أمنية آن لها أن تخرج من حيز التمنى الى حقيقة الوجود . ولذا ،

---

١ ـ روح العصر ، ١١ ـ ٧ ـ ١٩٣٠ ـ ع

فاننا نتقدم بصحيفتنا « روح العصر » الى الشعب المصرى ، وقد اتخذت لها من الأسس ما سلف ذكره :

على هذه الاسس ستسير هذه الصحيفة محاولة أن تبين الطريق السوى نحو الرفعة الحقيقية لمصر وأهلها .

ان من الحقائق الثابتة ان حظ أى بلد ما من الرقى ، يتعلق تعلقا كليا بما عليه حال سواده الاعظم من رغد العيش والتهذيب والثقافة .. فليس يكفي أن يكون ثمة بضع آلاف من المصريين يسكنون القصور ، ويقتنون السيارات الفخمة ، ويرتدون الحلى وبهيج الثياب ، ويجيدون التكلم بالفرنسية أو بأية لغة أجنبية أخرى ، ثم هم بعد ذلك قد يكونون على علم وفهم ببعض الفنون الجميلة ... ليس يكفي هذا لكى يقال عن مصر انها بلد متحضر .. لن تكون مصر بلدا محترما له مكانته حتى يختفى من بين سكانها حفاة الاقدام ، خاوو البطون ، رثو الثياب ، متوسدوا الارض وملتحفوا السماء ، قاطنوا الاكواخ الطين ومواشيهم صحبة ، الاميون الجاهلون الباقون على سذاجة الفطرة وقسوتها » .

هكذا تمضى « روح العصر » على نفس الخط السابق فاذا كان الاستقلال الوطنى يتعين النظر اليه من خلال منظار طبقى ، محتواه الاساسى العمال والفلاحين فان « كرامة مصر واحترامها » يتطلبان أولا وقبل كل شئ الدفاع عن العمال والفلاحين ومنحهم حقوقهم .

وتمضى الافتتاحية « أجل لن تصبح مصر بلدا ذا مكانة محترمة .. ما لم يقل فلاحوها وعمالها من وهدتهم السحيقة الى صفوف البشر ، فلا فقر مدقع ولا جهل مطبق ، ولا استغلال يبلغ حد الاستعباد ..

هذا هو برنامجنا الذى جعلنا « روح العصر » داعية له . نعاهد أن نثبت عليه راجين أن لا يطول بنا العهد حتى نراه محققا »(١) .

وفى مقال بعنوان « هل الفقر ضرورى ؟ » يقتحم الغرابى ميدان الحقيقة قائلا : « إن كان العقل يسمح بافتقار تلك الأكثرية لهذه الاقلية فما لا يمكن لعقل أن يتصوره أو يقول به حالة واحدة يجوز فيها ذلك المنطق المقلوب وهى تنطبق على حالنا ؟ .. وتلك هى عندما تحتكر الاقلية موارد الثروة بأية وسيلة من الوسائل فيصير الانتاج غاية فى نفسه أو وسيلة للنفوذ السياسى بدلا من أن يكون وسيلة للتقويت ، أو بعبارة أوضح عندما يكون الانتاج للسوق لا لسد حاجات الجمعية عندئذ نفهم جميعا أن الفقر

---

١ — روح العصر ، ١٤ — ٢ — ١٩٣٠ .

ضرورى لاشباع المحتكرين »(١) :

ومن الحديث عن الفقر . وتحليل أسبابه الموضوعية . الى الدعوة صراحة للاشتراكية ومحاولة شرحها وشرح مبادئها الاساسية .

والحقيقة أن « روح العصر » التى كانت تستمتع عادة بتسمية نفسها « الصحيفة الاشتراكية الوحيدة فى الشرق » قد جعلت من نفسها مدرسة لشرح وتقديم المبادىء الاساسية للفكر الاشتراكى .

ومنذ العدد الأول يتقدم عصام ناصف بمقاله الشهير « ما هى الاشتراكية ؟ ويقدم اجابة مباشرة ومحددة :

« الاشتراكية هى نظام اقتصادى واجتماعى يراد به :

١ ـ منع الانسان من استعباد الاخرين أو استغلال مجهوداتهم ، فلا يسمح لرجل أن يملك مصنعا يستخدم مئات العمال يتحكم فى أرزاقهم ولكن يسمح له بامتلاك منزل صغير لسكناه .

٢ ـ منع الافراد والشركات الرأسمالية من التحكم فى كمية المحاصيل الزراعية والصناعية وفى تقرير ثمنها ـ وقد رأينا فى مصر كيف كانت شركات زيت البترول ترفع ثمنه مدة الحرب وما بعدها بدون مسوغ كما أن شركات الدخان والادوية الطبية وغيرها تتحد لتكون نوعا من الاحتكار حتى تستطيع ان تفرض ارادتها على الجمهور وذلك لا يتأتى الا بجعل وسائل الانتاج ملكا للامة تديرها الحكومة أو المجالس البلدية أو النقابات التعاونية .

٣ ـ منع الاستعمار والحروب التى تنشأ من الرغبة فى الاستعمار . ان الشركات تنتج من المحاصيل كميات هائلة جدا ، ثم لا تجد لها شاريا فتكدسها فى مخازنها ثم تأخذ فى عمل الوسائل الفعالة لحمل حكوماتها على استعمار قطر ضعيف كمصر والسودان ، ثم تستعمل الحكومة الانجليزية نفوذها لحمل حكومتنا على شراء معظم مشترواتها ( كالفحم وعربات السكة الجديدية والأسلحة وأدوات الكتابة ) من المعامل الانجليزية رغم ارتفاع الأثمان التى تبيع بها . لقد خسرت مصر عشرات الملايين من الجنيهات فى هذا السبيل ، وهو مبلغ ضخم كنا نستطيع توفيره لو كان النظام الاشتراكى متبعا فى انتاج البضائع الانجليزية .

٤ ـ منع الحروب التى تنشأ من التنافس التجارى ، فان الحروب

---

١ ـ روح العصر ، ٢٨ ـ ٢ ـ ١٩٣٠

٢ ـ روح العصر ، ١٤ ـ ٢ ـ ١٩٣٠ .

العظمى التى تقتل فيهـا ملايين الشبان ممن لا ذنب لهم والتى صرفت فيهـا الدول الوف الملايين من الجنيهـات ، هذه الحرب نشأت بسبب التنـافس التجارى بين الدول ..

٥ ـ تقليل تكـاليف الانتاج . فاذا كانت الاراضى الزراعية التى فى مصر تستثمر كلها على الطريقـة الاشتراكية فان وابورات الحرث وماكينات الدراس وغيرهـا تحل محل المحراث البلدى والنورج فتقل تكـاليف حرث الفدان فى المرة الواحـدة من ٧٩ قرشا الى ١٥ أو ٢٠ قرشا فقط .

وينشأ من ذلك أنه يمكن للزراعة أن تستغنى عن عدد من عمالها فيشتغل بعضهم فى بنـاء منازل صحية للفـلاحين وانشاء طرقات جميلة فى القـرى ومسارح للتمثيل ومدارس ومستشفيات ودور للكتب وغير ذلك مما تجعل الاقـامة فى القـرى سارة ، هنية ، ويعمل البعض فى المصانع لانتاج كمية عظيمة من الادوات الضرورية والكمالية حتى لا يحرم منها عامل ولا فلاح » .

وهكذا تمضى محاولة « ناصف » الذكية فى تناول الفكر الاشتراكى من منطلقـات تهم المواطن المصرى وترتبط ارتباطا وثيقـا بمصالحه وبمشاكل حياته اليومية ..

والى جانب العـديد من المقـالات المماثلة قـدمت « روح العصر » شرحا دقيقـا وجيدا لافكـار « مشاهير الاشتراكيين » لاسال ، أوين ، سان سيمون ، فورييه ، كارل ماركس .

وقـد نشرت هذه المقـالات بتوقيع « مؤرخ اشتراكى » ووفقـا لرواية القاضى ، فى محضر النقاش معه ، فانه كاتب هذه السلسلة من الدارسـات .

وابتداء من العدد ١٤ بدأت « روح العصر » فى نشر الترجمـة الكـاملة لكتـاب ماركس « العمل المؤجر ورأس المـال » وقـد ترجمه د. القاضى ، ونشر فى خمس أعداد متتالية : ما الذى يحدد ثمن البضاعة ( العدد ١٥ ) ، ما هى نفقـات انتاج العمل نفسه ( العدد ١٦ ) ، ما هو نمو رأس المـال المنتج ( العدد ١٧ ) ، كيف يؤثر نمو رأس المـال المنتج فى أجـر العـامل ( العدد ١٩ ) .

وفى العـدد ١٨ مقـال هام عن حياة لينين(١) ، كـذلك نشرت المجلة دراسة لمـاركس بعنوان « المـادية التاريخية »(٢) . وفتحت صفحاتها أمام اجتهادات شابة فى مجال الدراسة النظرية ، فنشرت فى باب رسائل القراء

---

١ ـ روح العصر ، ١٣ ـ ٦ ـ ١٩٣٠

٢ ـ روح العصر ، ٩ ـ ٥ ـ ١٩٣٠

مقالا بعنوان « الاشتراكية من الطوبى الى الحقائق المادية » بتوقيع « حسن جاد » قال فيه مما تقدم نرى أن تطور الاشتراكية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين وانتشارها في العالم ترتكز على حقائق مادية وليست آراء خيالية كما يتصورها البعض في مصر .. وخصوصا بعد التحليل المادي والاقتصادي اللذين قام بهما أقطاب الحركة الاشتراكية أمثال كارل ماركس وفريدريك انجلس وغيرهما فانهم وضعوا الاراء الاشتراكية في صيغتها العلمية وأثبتوا للعالم أن النظام الرأسمالي لا يناسب العصر الحاضر ، كما وأن النظام الاقطاعي والملكية المطلقة لا تناسب عصر الرأسمالية .. هذا وسنبين في مقال آخر آراء هؤلاء الزعماء »(١) ..

[illegible]

وفي عددها الأخير تقدم « روح العصر » بابا جديدا بعنوان « كيف صرت اشتراكيا ؟ » تقول في مقدمته انها سوف توجه هذا السؤال للمفكرين والناضلين الاشتراكيين المصريين وتطلب اليهم أن يحددوا على صفحاتها الدوافع التي وجهتهم نحو النضال الاشتراكي ..

والمتحدث الاول - والأخير - في هذا الباب وقع حديثه بكلمة « دون » لكن سياق السرد يوحي بانه محمود حسني العرابي ..

كيف أصبح « دون » أو « محمود حسني العرابي » اشتراكيا ؟

انه يروي كيف عاش في ريف مصر ورأى « ان أصحاب الاملاك كلهم يستحلون عرق هؤلاء الفلاحين ويسخرونهم كالماشية لخدمتهم وانهم يستنفدون دماءهم قطرة قطرة وعرقهم نقطة نقطة على مر الايام .

وانتهت العطلة المدرسية وانتقلت الى الاسكندرية وكان عام ١٩١٤ ، وفي أواخر هذا العام تعرفت بجندي انجليزي اسمه فكتور شتن ، وكان شتن هذا اديبا ضليعا واشتراكيا متمكنا .. وعلمني أن أرد الحوادث مهما اختلفت الى الاصول الاقتصادية لا الى الاصول الروحية كالاديان وجاءني بعدة رسائل في الموضوع ، وتدرج معي فأمدني بكتب مختلفة »(٢)

وهكذا يمكن القول بأن ما قاله د. القاضي في محضر النقاش معه أن « روح العصر » كانت مدرسة للفكر الاشتراكي لم يكن بعيداً عن الصواب .

وقد حرصت « روح العصر » أن تربط معركتها بمعركة كل القوى الاشتراكية والديمقراطية في العالم مبرزة بصورة واضحة أهمية « التضامن الأممي » في المعارك ضد الاستعمار ورأس المال والخطر الفاشستي .

---

١ - روح العصر ، ١٤ - ٣ - ١٩٣٠ .

٢ - روح العصر ، ٨ - ٨ - ١٩٣٠ .

بنداءات الاشتراكيين الفرنسيين بمناسبة عيد أول مايو ١٩٣٠ ، وقرار مؤتمر مكتبى دولية العمال الاشتراكيين ودولية النقابات الذى صدر بباريس فى اجتماع ٧ مارس ١٩٣٠ وبيان سكرتارية اتحاد النقابات الدولى بأمستردام بمناسبة أول مايو . وقرارات مؤتمر الطلبة الاشتراكيين بستراسبورج . ومقالات جان جوريس عن اشتراكية المستقبل القريب .. تجد جميعها - هى والكثير غيرها - مكانا متاحا لها على صفحات « روح العصر » .

.. وعندما توجه « روح العصر » نداءها لعمال مصر بمناسبة عيد مايو فانها تبدأه قائلة « أيها العمال : لقد آن لكم أن تترسموا خطوات اخوانكم العمال فى أوربا وامريكا فتستريحوا من أعمالكم فى أول مايو عيد العمال الدولى ..

أيها العمال : اجتمعوا فى هذا العيد العظيم وقرروا كما قرر اخوانكم العمال فى كل العالم مطالبة الحكومة بحمايتكم من ارهاق أصحاب الاعمال .

وليعلم الجميع ان فى مصر عمالا يشعرون بما يشعر به كل عمال العالم من أن لهم كل الحق فى أن يعيشوا وكرامتهم موفورة ، وجانبهم عزيزا وحقهم مؤيدا منصورا .

ليحيا أول مايو - ليحيا عيد العمال الدولى »(١)

وفى برنامج حزب العمال والفلاحين الذى نشرته « روح العصر » نجد فقرة تقول « القيام بنشر الدعوة لانهيار بشاعة الحروب الاستعمارية ، وغرس روح الاخاء الشعوبى بين الامم »(٢)

كذلك اهتمت « روح العصر » بالدفاع عن التجربة السوفيتية وابراز نجاحاتها وانجازاتها . وفى مقاله الشهير « ما هى الاشتراكية ؟ » نلاحظ حرص « عصام الدين ناصف » على أن يقارن دوما بين العمال فى مصر وتدهور أحوال معيشتهم وبين المنجزات التى تحققت من أجل العمال فى الاتحاد السوفيتى .

وعندما اشتدت حملة العداء للاتحاد السوفيتى متسترة خلف ما أسمته بالاضطهاد الدينى تكتب « روح العصر » قائلة « أفاضت التلغرافات العامة فى ذكر الاضطهاد الدينى فى روسيا السوفيتية تشتمنا رائحة الدعاية السياسية بين سطور هذه البرقيات ، ولم نشأ أن نعلق حتى جاءنا البريد الأوروبى فرأيناه صحف الاحرار والعمال طافحة بالرد على هذه الدعاية »(٣)

---

١ - روح العصر ، ٢ - ٥ - ١٩٣٠

٢ - روح العصر ، ٦ - ٦ - ١٩٣٠

٣ - روح العصر ، ١٤ - ٣ - ١٩٣٠

وكانت صفحة القصة فى « روح العصر » مخصصة فى اغلب الاحيان لنشر قصص من نوع « أنشودة الصقر » للكاتب الروسى الاشهر مكسيم جوركى ، عن الشيطان لمكسيم جوركى ، عيد ميلاد وحفلة زفاف بقلم القصصى الروسى الكبير فيدور ديستوفسكى اضراب فى نابولى لمكسيم جوركى .. الخ » .

على أنه يتعين علينا أن نشير عنا الى بعض الملامح « التروتسكية » التى برزت سريعا ثم اختفت سريعا أيضا على صفحات « روح العصر » .

ودليلنا على ذلك مقال وحيد نشر فى العدد الاول بغير توقيع بعنوان « من هو بنايتى استراتى ؟ » جاء فيه « كان بنايتى استراتى اذ ذاك من اشد أنصار الحركة الشيوعية فى روسيا والعالم فهو بطبيعته الشعرية ميال للتطرف ونزاع للمثل الاعلى فى الاصلاحات الاجتماعية وله فى ذلك مقالات ملتهبة نشرتها مجلة « أوربا » الفرنسية .

هذا الرجل الذى قضى حياته محترفا شتى المهن مختبرا الجوع والفاقة والعمل ، لم يطق ان يرى النظام الديكتاتورى يقوم فى روسيا ولو فى سبيل تأييد الشيوعية التى ينادى بها ، ورغبة منه فى تعرف جو الحال هناك سافر بنفسه ودرس أحوالها وعاد منها ناقما على سلطة البيروقراطية التى جعلت من الحزب الشيوعى الحكم الوحيد فى روسيا ، وكتب فى ذلك سلسلة كتب عنيفة يؤيد فيها نزعة تروتسكى المتطرفة فهو ليس كما قالت « الاهرام » كاتبا كان شيوعيا فيما مضى ، ولكنه على النقيض شيوعى كامل الايمان بفكرته لا يعرف الحل الوسط .. وأنا متى ادركنا ان النظام فى روسيا يسير شيئا فشيئا وفق تعاليم تروتسكى ، ورغبة فى تنفيذها مع مرور الزمن لا يمكننا الا ان نقول إن أولئك الناس جميعا انما تجمعهم فكرة واحدة وغاية واحدة والايمان واحد . مهما اختلفت السبل وتنوعت الوسائل »(١) .

ولقد لفت هذا المقال نظرى ، كما لفت نظرى انه كان من بين المضبوطات التى أدرجتها النيابة فى قرار اتهام لقضية اتهم فيها عصام الدين حفنى ناصف أصول مقالات لتروتسكى مترجمة الى العربية (٢) .

وأدرت حوارا ممتدا مع عصام ناصف — قبل وفاته بقليل — حول هذه المسألة ونفى عصام عن نفسه اية نزعة تروتسكية « حقيقية » وقال « ربما استهوانا الامر لبعض الوقت — وربما كانت لدينا مجرد الرغبة فى تعرف أسرار وحقائق هذا الخلاف ، لكننى لم اكن تروتسكيا مطلقا » .

---

(١) روح العصر ، ١٤-٢-١٩٣٠ .

(٢) ملف القضية رقم ٣٤٤ كلى ١٩٣١ جنايات الاسكندرية .

كذلك يتعين علينا ان نشير الي ان « روح العصر » كانت أول صحيفة مصرية تحذر من خطر الفاشية وتدعو للنضال ضدها .. وعلى صفحاتها تجد مقالات عديدة ضد الفاشية مثل « من هو نوردن شهيد الفاشيستية »(١) و « ديكتاتورية الفاشزم وما جرته على ايطاليا من البلاوى »(٢) ٠

* * *

وكانت « روح العصر » تعتبر ان قضية العمال هى المحور الاساسى لكفاحها ومن هنا فقد خصصت الكثير من صفحاتها للحديث عن مشاكلهم وحثهم على النضال من اجل تحقيق ظروف افضل لمعيشتهم، واهم من هذا كله حثهم على ضرورة اتخاذ مواقف طبقية متميزة فى مختلف المسائل ، وتأكيدها الدائب على ضرورة قيام حزب اشتراكى يدافع عن مطالب العمال والفلاحين ..

واذا القينا نظرة على العدد الاول من « روح العصر » نجد الموضوعات العمالية التالية : تاريخ النقابات فى انجلترا ، نقابة عمال الحوذية ، نقابة عمال المطابع ، عمال السجاير ، التعريفة الجمركية ، تشريع العمال فى مصر ٠٠ فى يونيو القادم يقطع اربعة أعوام فى البرلمان ، فى دوائر العمل ، اضراب عمال العنابر ، نقابة عمال وسائقى السيارات تقيم حفلتها السنوية الاولى ٠٠٠ الخ »(٣) ٠

ويمكن القول باطمئنان الى ان كل اعداد « روح العصر » قد نهجت هذا النهج فى التركيز على المطالب والنشاطات العمالية .

كذلك فقد افسحت « روح العصر » صفحاتها امام النقابيين المصريين ٠٠ مثل سيد قنديل الذى كتب عديدا من المقالات والازجال ، وطلبة محمد طلبة ، واحمد اسماعيل ومحمد ابراهيم زين الدين الذى كتب مقالا بعنوان « صور مؤلمة ــ العمال المظلومون فى مصر ، حياتهم وكيف يعيشون »(٤) ٠

والحقيقة ان العمال المصريين قد أثبتوا على صفحات « روح العصر » وعيا طبقيا وفكريا راقيا ٠٠٠ وشجاعة نادرة فى الدفاع عن الاشتراكية وفى التأكيد على انها السبيل الوحيد لنيل مطالبهم العادلة .

فسيد بدوى قنديل يكتب مقالا ممتازا بعنوان « الانسانية يجب أن تسود العالم ــ نريد حياة غير هذه »(٥) ٠ وفى مقال آخر يروى لنا سيد قنديل

---

(١) روح العصر ، ٢١ــ٢ــ١٩٣٠ ٠
(٢) روح العصر ، ٨ــ٨ــ١٩٣٠ ٠
(٣) روح العصر ، ١٤ــ٢ــ١٩٣٠ ٠
(٤) روح العصر ، ٢٥ــ٧ــ١٩٣٠ ٠
(٥) روح العصر ، ٣٠ــ٥ــ١٩٣٠ ٠

محنة المناضل العمالي الاشتراكي عندما يحاول ان يقول كلمته دفاعا عن طبقته ومبادئه .

« كيف تكون اشتراكيا .. ولماذا ؟ » هذا هو عنوان المقال اما الاجابة فهي تصوير للمعاناة التي عاناها الكاتب وهو ينتقى الكلمات خوفا لا على نفسه وانما على الجريدة من ان تغلق . ولنتأمل تصوير سيد قنديل لمعاناته فهي جديرة بالمتابعة لانها توضح لنا طبيعة المعركة التي كانت تخوضها حركة اليسار في ذلك الحين .. يقول العامل المناضل سيد قنديل « سؤال وجهته الى نفسي حينما كنت اكتب في جريدتي ( الاخبار ) و ( النظام ) مقالات متتالية خصصت كثيرا منها عن العمال في مصر ، ولكني ما كنت ابيح لقلمي الصغير ان يطالع القراء ـ خصوصا ساداتنا الحاقدين على ما يظنونه ( ضارا بمصالحهم ) ! بكل ما كان يجيش في صدري من كلمات كنت اعتقدها حقا وصراحة .. في حين كانوا يعتقدونها هم ثورة ! وخروج على الأنظمة ! واشتراكية ، بل وليست فقط اشتراكية وانما اشتراكية ( ثائرة ) .

ولطالما كنت اكتب وأمزق .. وهكذا ساعات دون ان انتهي الى ما اريد ان اكتب في اسلوب لا يشتم منه رائحة يتمسكون بها حجة على تطرفي ـ حسب اعتقادهم ـ وما ذلك رهبة ولا فزعا ، وانما ضنا على الجريدة من ان تساق من اجل مقال هو على الرغم من ان ما يجيء به حق ، فهو في عرف ( سادتنا ) خروجا على شريعتهم التي سنوها لانفسهم ـ ونحن زاعمين انها خروج على انظمتهم التي نحن بها مضطهدين » .

ثم يمضي سيد قنديل داعيا العمال والفلاحين الى الوحدة ذلك ان الوحدة « عنوان اشتراكيتنا » وحيث تكلمنا عن الاشتراكية ـ وهذا وقتها ـ فليكن منا اشخاص عاملين لها بكل قواهم باذلين في سبيلها جميع جهودهم . لا يرعبهم غير صوت الحق ولا يقعد بهم ما يلاقوه من عسف وجور » ثم هو يطالب بعدد من المطالب العاجلة من بينها :

« ضم صوتنا لصوت اخواننا الاشتراكيين في بلدان العالم ، وعلى الاخص العاطلين وعلينا منهم في الشرق ـ مطالبة الحكومة بسرعة سن وطبع تشريع العمال وضرورة سن تشريعات تحمينا من عسف المولين واصحاب الاعمال خصوصا وان غالبهم من الاجانب »(١) .

وفي النداء الذي وجهته « روح العصر » الى العمال المصريين قالت « انكم في حاجة ماسة الى اسماع اولي الامر واصحاب الاعمال ظلامتكم ،

---

(١) روح العصر ، ١٦ـ٥ـ١٩٣٠م .

وكلما كان هذا الصوت قويا واجماعيا سينتبهون اليكم ويقرون انفسهم امام اجماعكم انكم على حق فى مطالبكم العادلة .

ايها العمال .. طالبوا بحقكم فى ان لا تعملوا اكثر من ثمانى ساعات .. طالبوا بحقكم فى زيادة الاجور .. طالبوا بحقكم فى ضمان العجز والعطل . وطالبوا بحقكم فى بناء مساكن تؤويكم ومدارس تتعلمون فيها انتم واولادكم ومستشفيات تعالجكم »(١) .

وتعليقا على كتاب « حركات العمال بمصر فى ربع قرن » لاحمد افندى اسماعيل تكتب « روح العصر » : « وتناولنا الجزء الثانى فوجدنا المؤلف قد ركب رأسه فى تاريخ حركة النقابات فى مصر فاغفل الدور الذى لعبته النقابات فى القطر المصرى سنى ١٩٢١ ـ ١٩٢٤ فى الاسكندرية .. وتكلم كثيرا عن عبد الرحمن بك فهمى ونسب اليه افضالا لا نعرف لها اصلا بل هى على خلاف ما هو متداول عن البك وحرام على المؤلف ان يسجل فى تاريخ العمال المصريين زعامة هذا البك وقد كانت زعامة صورية خلعها عليه بعد باشا لامور معلومة فى دوائر العمال » .

كذلك حاولت « روح العصر » ان تناقش اوضاع الحركة النقابية وآفاقها وامكانيات تأسيس اتحاد عام للعمال .. وأيضا امكانيات تأسيس حزب عمالى اشتراكى .. من خلال مقابلات صحفية اجراها حسنى العرابى مع مستشارى نقابات العمال .. تحت عنوان « آراء مستشارى النقابات فى نهضة العمال المصريين » .

وفى حديث مع « حسن افندى نافع رئيس لجنة تشريع العمال فى البرلمان ومستشار بعض النقابات » .

يسأل العرابى : « ألا تلاحظون معى ان العمال عندما يتولى الوفد الحكومة ينشطون فى لم شملهم ثم لا تطول هذه الحال ويأخذون فى الاضمحلال ؟ فهل تعللون لنا سبب ذلك ، وهل سيتجدد هذا فى عهد الوزارة الحاضرة ؟

والجواب : يعتبر العمال الوزارات الوفدية كأب لهم يقدر على كل مطالبهم فعندما تتألف وزارة وفدية دستورية ( لأن الوفد لم يؤلف وزارة غير دستورية ) يزحمونه بمطالبهم الممكنة وغير الممكنة .. ثم لا يطول العهد بالوزارة الوفدية فلا يتحقق للعمال مطلب ... » .

---

(١) روح العصر ، ٢-٥-١٩٣٠ .

وبعد « تجربة » دور الوفد تجاه الطبقة العاملة ومطالبهـا .. يأتي سؤال حاسـم ..

« س : هل ترون من الصالح تأليف حزب اشتراكي في مصر ، وان شئت فسمه حزب عمال ؟ وإذا كان كذلك فمتى يحسن القيام بهذه الدعوة ؟

ج : عندي انه لو حل ما بيننا وبين الانجليز من المشاكل بامضـاء المعاهدة وبقي المجلس النيابي خمسة أعوام لابد وانه ستنشأ احزاب اجتماعية بطبيعة الحال ، واما الان فكل حزب يتألف يفت في القضية الوطنية وتتوجه اليه الشبهـة »(١) .

لكن هذه الإجابة « الوفدية » لم تمنع العرابي من أن يوجه نفس السؤال لمستشار نقابي آخر هو زعيم صبري .

« س : متى يحسن الدعوة لانشاء حزب عمال في مصر ؟

ج : هذا يتوقف على الوقت السياسي ، ولا استطيع ان اتكهن بالزمان غير انى استطيع ان اقول ان روح الحزب موجودة اليوم . وأفضل ما اشير به الان السعي في تقوية النقابات »(٢) .

غير ان الوقت لا يطول بروح العصر ، فان مثل هذه الاسئلة لم تكن سوى مقدمة لعمل تعد له المجموعة التي تصـدرها .. وهو تأسيس حـزب للعمال والفلاحين ..

وفي العدد ١٧ تنشر « روح العصر » برنامجا لحزب العمال والفلاحين وتنشر مقدمة له بقلم اسماعيل مظهر .

« جاءنا من اللجنة التحضـيرية لحزب العمـال والفلاحين ما يأتي : اعلنت منذ بضعة اسـابيع عن ضرورة انشـاء حزب للاخذ بناصر الفلاح المصري واقترحت له برنامجا نشرته في مجلة « العصور » وفي بعض الصحف اليومية ، فكتب لى الكثيرون يحبذون تكوين هذا الحزب ويقترحون تعديل بعض مواده . ثم ناقشت الكثير من المفكرين والمهتمين بشئون الطبقة العاملة في هذه التعديلات ، وانتهينا الى وضع هذا البرنامج الذى نذيعه الان لنعطى فرصة اخرى لكل من يود ان يقترح تعديلا جديدا ونأمل من كل من يهمه امر العمال والفلاحين ان يبدي لنا ما يعن له من الآراء في هذا الشأن .. حتى نبحثها قبل التكوين النهائي للحزب في أواخر هذا الشهر » .

---

(١) روح العصر ، ٢١-٢-١٩٣٠ .

(٢) روح العصر ، ٢٨-٢-١٩٣٠ .

وواضح من استقراء بنود البرنامج ان بصمات عصام ناصف قد غيرت تماما من البرنامج الذى اقترحه اسماعيل مظهر وحولته من برنامج متخلف الى برنامج تقدمى تماما ..

وتمضى بنود البرنامج المقترح ..

« **الاغـــراض :**

١ ـ الاستقلال التام لمصر والسودان وأن تكون قناة السويس مصرية .

٢ ـ القضاء على الاستعمار البريطانى ، وكافة النزعات الاستعمارية فى جميع بلدان العالم .

٣ ـ تحرير الطبقات العاملة فى مصر من عمال وفلاحين ، مع تقليل الفوارق بين الطبقات الاجتماعية ، وجعل هذه الفوارق قائمة على اســـاس الاجتهاد والمنفعة للمجتمع ..

٤ ـ بث الافكار الديمقراطية وروح المساواة العامة فى الشعب » .

ثم بعد ذلك المبادىء وعددها ثلاثون بندا .. من بينها التكاتف مع الامم المستعبدة ولا سيما الامم الشرقية والعربية على محاربة الاســتعمار ـ الغاء الامتيازات الاجنبيـــة بدون قيـد ولا شرط ـ سن قوانين لتحديد هجرة الاجانب الى مصر ـ فرض ضرائب جمركية خاصة على الكماليات ومواد الزخرف والرفاهية ـ نشر الثقافة ومحاربة الامية وفتح مدارس ليلية للطبقات العاملة ـ قيام الحكومة باصلاح اراضيها البور وتوزيعها على صغار المزارعين ـ فرض ضرائب متدرجة على الدخل والميراث ـ المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق السياسية والاجتماعية .. الغاء الرتب والنياشين ـ جعل التعليم مجانيا بجميع درجاته ـ منع تعدد الزوجات ـ تحديد الملكية الزراعية .. الخ »(١) .

* * *

وتستمر « روح العصر » فى معركة متصلة .. وتعانى من مؤامرات عديدة ، اشدها خطرا تآمر متعهـد التوزيع مع البوليس لمنع توزيعهـا فى الاســـواق ..

وتوجه « روح العصر » نداءات صارخة لقرائها « الاشتراك فى جريدة « روح العصر » هو الوسيلة الوحيدة لضمان وصولها ، وواجب الشـــباب

(١) روح العصر ، ٦ـ٦ـ١٩٣٠ .

الاشتراكي ترويجها بكل الوسائل بين اهله ورفاقه »(١)
وتعاني « روح العصر » من ازمة مالية خطيرة استنفذت كل مدخرات الثالوث فافلسوا جميعا ..

لكن التوقف عن الصدور كارثة .. وقاوم الثلاثة قدر استطاعتهم حتى آخر قرش يملكونه ولا زال المازق قائما ..

واقترح عصام الدين ناصف التوقف عن الصدور على طريقة « الهارى كارى » وذلك بتحدى السلطة تحديا شديدا والهجوم عليها بكل القسوة الممكنة ، وذلك لاجبارها على اصدار قرار باغلاق المجلة .

ويصدر العدد ٣٤ .. آخر أعداد « روح العصر » بمقال عنيف بعنوان « الوزارة الطاغية » قالت فيه :

« كل يوم تزيننا الليالى .. خلقا من اتى ستشهد جديدا »

في كل يوم يزيح صاحب الدولة صدقي باشا بيديه القناع عن وجهه شيئا فشيئا .. حتى انكشف وجه الباشا من تحت ذلك البرقع المبلل أو كاد ، فانكشف عن سحنة متنمرة مرسوم عليها البطش والغضب .

وها هو اليوم يقف امام الشعب وجها لوجه يسومه كل انواع الاضطهادات ، ويتجني عليه الاثام ، ويرميه بكل نكراء ، ويسوط ظهوره على ذنوب لا وجود لها الا في مخيلة الباشا فهل تطول هذه الحال وهل في الطاقة الصبر عليها .

ثم يمضى المقال أو « الهارى كارى » قائلا « .. هذه الوزارة يشتد طغيانها يوما عن يوم ، ولو طال عمرها فستخلق نظاما في مصر يشبه نظام الفاشست في ايطاليا . نظاما يقوم على العسكرية أو الميليشيا فتقتل الكفايات وتخنق الحريات وتفشي الجاسوسية ، فلابد من مكافحتها في المهد حتى تقصى اظافرها وتقل حدتها .. فمسايرتها في خطتها اجرام ليس بعده اجرام ، ونقدها وتعديد أخطائها واجب على الافراد والجماعات فلتتعاون كل القوى في مصر على خضد شوكتها قبل ان يتمكن لها في البلاد فيستعصى الداء ويعز الدواء :

---

(١) روح العصر ، ١١-٤-١٩٣٠ .

وإذا اتحدت قوى البلاد على امر تلبيتى فى العالم قوة يمكنها ان تقف فى طريقهما »(١)

والتوقيع « م ح ع » وهو محمود حسنى العرابى ..

وفكرة « الهارى كارى » ليست مستنتجة من عنف المقال فى العدد الاخير .. ولكنها وردت فى مناقشة مع عصام الدين ناصف :

« واحسسنا اننا نفلس وأفلسنا فعلا ، وبدلا من ان نغلق المجلة بايدينا هاجمنا الحكومة بشدة وعنف .. فاجتمع مجلس الوزراء وأصدر قرارا باغلاق المجلة »(٢)

ويقول د. عبد الفتاح القاضى « لما أغلق اسماعيل صدقى المجلة .. كنا افلسنا فى الحقيقة ، أنا أفلست وحسنى العرابى أفلس .. حتى انى اضطررت الى الاقتراض لاسافر للخارج للعلاج . وبعد اغلاق المجلة ظل البوليس يطارد حسنى العرابى ويستجوب كل شخص يقابله حتى اضطره الى الهجرة من مصر »(٣) .

واما كانت « الهارى كارى » محاولة غير مضمونة النتائج .. فقد احتاطت الجماعة كى لا تضطر سريعا لاصدار عدد تال .. وهى لا تملك مليما واتخذا لاصداره .. فكتبت فى العدد الاخير :

« روح العصر » تصدر مرة فى كل أسبوعين طوال شهرى أغسطس وسبتمبر نظرا لسفر بعض المحررين الى مصايف القطر لاشتداد الحر فى العاصمة . وسنعوض القراء ما يفوتهم فى هذه المرة فى الاعداد المقبلة » .

لكن مفعول المقال الحاد كان حادا كذلك .. واجتمع مجلس الوزراء ووقع صدقى الماكر فى الفخ وأصدر قرارا باغلاق جريدة لم تكن تستطيع مواصلة الصدور ..

وهكذا ماتت « روح العصر » كما عاشت طوال حياتها .. بأسلوب درامى ..

* * *

وسافر د. القاضى الى المانيا للعلاج .

---

١ ـ روح العصر ، ٨ ـ ٨ ـ ١٩٣٠ .

٢ ـ د. رفعت السعيد ـ تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ـ المرجع السابق ص ٢٧٨

٣ ـ المرجع السابق ص ٢٧٤ .

وحاصرت المراقبة المشددة العرابى .. ومضى وحيدا يتجول فى شوارع الاسكندرية التى شهدت يوما وقفات تاريخية مشهودة تردد فيها اسمه لامعا كالشهاب ويقول العرابى متحدثا عن آخر جولة فى شوارع الاسكندرية « أحب بلاد مصر الى ، فيها قضيت زهرة شبابى ، فيها ادرست فى العباسية الثانوية فيها ضاربت فى البورصة وجمعت عشرات الالوف من الجنيهات . فيها بدأت حياتى السياسية وخطبت فى آلاف العمال .. طفت فى شوارعها ساعات ، فكان جوابها صريحا ، لا .. لا ، الشوارع نظيفة ، والعمارات جددت شبابها ، والشمس مشرقة ضاحكة .. والناس رائحون غادون وعلى وجوههم مظاهر المرح والمسرة - أما أنا فأسير وحدى كسير القلب ، مهيض الجناح ، لا يأبه لى مار ولا مارة كان لم يكن لى فيها دولة ، أغريب أنا »(١) .

وهاجر هو أيضا ..

* * *

وبقى رجل صلب .

صلب الى الحد الذى لم يشعر فيه بالوحدة ، واثق من نفسه ومن مبادئه ومن شعبه الى الحد الذى لم يكن ممكنا معه أن يشعر أبدا أنه وحيد أو أنه كسير القلب أو مهيض الجناح .. أو غريب عن بلده .. رجل صمم أن يقاوم حتى آخر لحظة ..

* * *

واغلاق الجريدة لم يكن سوى بداية ..

فسرعان ما أطبقت يد الجلاد على الرجل الوحيد الباقى من الثالوث ..

وواجه عصام الدين حفنى ناصف محكمة الجنايات بتهمة الترويج للشيوعية .. وكانت مقالاته فى « روح العصر » أحد أدلة الاتهام ..

ودافع الرجل عن نفسه ، بل دافعت عنه مصر كلها ..

فقد عزت قضيته مشاعر الكثيرين وتطوع للدفاع عنه أكبر المحامين ، وكانت قضيته قضية تاريخية انتهت بحكم تاريخى .. البراءة ..

ونشرت معظم الصحف النص الكامل لحيثيات الحكم باعتباره تأكيدا لحرية الرأى والعقيدة فى مصر .. وهزيمة لاسماعيل صدقى وأسلوبه فى الحكم ..

---

١ - محمود حسنى العرابى - ٨٩ شهرا فى المنفى - ص ٨٠ .

وفيما يتعلق بمقالاته فى « روح العصر » ·· قالت الحيثيات ·.

« ·· وحيث أنه فيما يختص بمقاله الاشتراكية من الوجهة العلمية والمقالة التى نشرها فى مجلة « روح العصر » وهى كلها متعلقة بالكلام عن الاشتراكية وبعض نظرياتها ، فان المتهم يقول فى شانها انها دراسة علمية يريد بها توضيح معنى الاشتراكية للناس لانه يلتبس عليهم معناها وهو لا ينكر ان نشر مبادىء الاشتراكية قد يترتب عليه قلب نظام الملكية الفردية ، كما تقضى به مبادىء المذهب الا أن وسائل هذا المذهب فى تنفيذ برامجه ليست وسائل العنف والقوة ·· وعمدة هذا المذهب كارل ماركس يرى أن تطور الظروف الاقتصادية وتغير ظروف الانتاج هى التى تؤدى الى التغيير » ·

« ··· فلهذه الاسباب وبعد الاطلاع على المادة «٥٠» من قانون تشكيل محاكم الجنايات حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم »(١) ·



وكان الرجل يمتلك من الاصرار ما يكفيه لكى يحاول من جديد ·

---

١ ــ الجهاد ، ٣٠ ــ ١١ ــ ١٩٣١ ·

جريدة سياسية اجتماعية أسبوعية

٢٦ أغسطس ١٩٣٧

صاحب الجريدة ورئيس التحرير المسئول

محمد عبد الحميد عبد الله الجامي — جريدة شبرا

مدير الادارة — لسان العمال

محمد بيومى — على مبادئ الزعيم

سكرتير التحرير — عباس حليم •

السيد محمود القصرى

ادارة الجريدة

٢٣ ش• الخلفاء شيكولانى

جريدة شبرا هى جريدة العمال ••

فهى ترحب بما يرد لها من العمال وأنصار العمال

٦٤/٦

.. بعض الناس يستهويهم المستحيل ..

والمستحيل عند « عصام الدين حفنى ناصف » يصل الى حد محاولة الوصول الى القمر بسيارة عادية .. فقد حاول – أو حلم – بتأسيس حزب عمالى « مستخدما » لافتة عباس حليم .

قد يدفع ذلك الاسم بالبعض الى الاشمئزاز ، ورفض التجربة وطوى الصفحة دون حتى قراءة عدد من سطورها ..

لكن الامر يتطلب فى اعتقادنا بعضا من التانى ..

* * *

رجل وحيد محاصر ..

كانوا ثلاثة هاجر منهم اثنان .. وبقى رجل واحد ..

لم يكن يؤمن بالعمل السرى فى ذلك الحين وهذه خطيئة .. لكنها لا تنفى عن محاولته صفة الجدية ، وعن اصراره العنيد صفة التحدى ..

كان الشيوعيون قلة محاصرة تجاهد كى تستمر فى التواجد . أما هو فقد قرر أن يستنفد كل امكانيات العمل القانونى حتى الثمالة .

وشرب الكأس المريرة حتى نهايتها الاشد مرارة ..

وفشل مرة وثانية وثالثة .. وعاشرة لكنه كان يمتلك قدرا كبيرا من الاصرار .

* * *

وفى نقاش معه قلت له .. كيف كنت تفكر فى تأسيس حزب عمالى حقيقى بزعامة النبيل عباس حليم ؟ أليس ذلك وهما يجرد العمل من مضمونه الثورى ؟

وقال : « كنت أعرف أنه نبيل واقطاعى ورجعى ، لكنه فى وسط هذا الظلام كان يقود بالفعل جموعا عمالية . لماذا أترك له العمال . دخلت ، وتسللت ونجحت فى أن أجر النبيل فى معركة تلو أخرى .. أن أستخدم نفوذه للكتابة فى مجلات عديدة مدافعا عن العمال مهاجما البرجوازية ، مطالبا بحزب طبقى عمالى ، كان النبيل يخدع أحيانا ويتصور أنها أصول اللعبة ، وكان يتذمر فى أحيان أخرى ويقول لى فى سخرية « عصام .. لا تنسى اننى نبيل » .

– وأعتقد أن الذى كسب أنا ولينين هو ، التقدم وليس الرجعية .. اليسار وليس اليمين » .

هكذا تصور الرجل دوره ، لكنه حذرني منذ البداية . لا تخدع بالظاهر ولكن تأمل الكلمات وحاول أن تضعها في اطارها التاريخي وتخيل كم كان مفيدا لقضية الاشتراكية أن تقال هذه الكلمات وفي هذا الوقت بالذات ..

* * *

وأقلب صفحات جريدة « شبرا » فهي تجسيد للتجربة .. محاولة الوصول التي تتعثر بتيارات عادية ، والشيء الغريب في التجربة أن صاحبها كان يعرف جيدا انه لن يصل الى هدفه بهذه الوسيلة ، لكنه لم يجد وسيلة أخرى ، فاستخدم المتاح أمامه .. واستنفذه وتبدد هو فيه أحيانا ، لكنه ظل على الدوام يردد كلمة الاشتراكية ويتحايل كي يسمح لنا أن تقال ..

كان يعرف أن المعركة طويلة .. طويلة . وكان يقول لي في أواخر أيامه ها أنا أموت وكل حصيلتي هذه الكومة من الكتابات . لكنها تكفيني كي أموت مستريحا ..

.. كان يدرك أن الكلمة سلاح ، وان السلاح قد يصدأ اذا لم يستخدم واذا غاب طويلا عن أذهان الجماهير ، فلنشرعه في كل وقت لامعا أو غير لامع ، حادا أو مثلوما .. مجديا أو مجدبا .. وصمم الرجل على أن يظل يردد كلمة الاشتراكية في كل وقت وفي كل مجال متاح ..

وهكذا فرض هو على « المؤرخ » أن يعتبر مجلة « شبرا » مجلة يسارية لا لانها كانت في محتواها الاساسي مجلة يسارية ، وانما لان صوت عصام ناصف الجمهوري دوما كان دائما قادرا على أن يطغى على كل صوت عداه .. كان عصام ظاهرة مهيمنة تظهر فتلمع سريعا ثم تطغى كل ما عداها .

ومضت فترة كانت فيها « مجلة شبرا » بالفعل مسرحا لمقالات وتيارات يسارية حقا .

وقد يبدو ذلك غريبا في مجلة تقول انها « لسان العمال على مبادئ الزعيم عباس حليم » .

لكن الرجل علمني ألا أخدع بالظواهر وأن أتأمل كلماته بالتفصيل .. وأن أضعها في اطارها الحقيقي .. والتاريخي ..

فلنحاول ..

* * *

والقصة بدايتان ..

بداية مع النبيل عباس حليم .. عندما كان عصام يسعى — في طريق العمل النقابي — محاولا تأسيس حزب للعمال والفلاحين ، حاول ذلك عام ١٩٢٧ ( اللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكي المصري ) ثم حاول مرة

أخرى عام ١٩٣٠ ، مع بعض العناصر اليسارية من الحزب الوطني تأسيس ( حزب العمال والفلاحين )(١) .

ثم مرة ثالثة فى نفس العـام مع اسماعيل مظهر ، ثم مرة رابعـة فى ١٩٣٢ ( الكتلة الاشتراكية ) (٢) .

ثم يجـىء الدور على عباس حليم وكان يسعى لتأسيس اتحاد للعمال يسيطر هو عليه . ووقـع خلاف بين عباس حليم وبين الوفـد حول مدى سيطرة كل منهما على الحركة العمالية . ويشن عصام ناصف هجوما على كلا المعسكرين قائلا « لقـد أعلن أنصار الوفـد عن انشقاق حزبهم على اتحـاد العمـال الذى يرأسه الشريف عباس حليم وأعربوا عن آراء مرتبكة تدل على نهـاية الجهـل المشرب بسوء النيه .. اذ يزعم الوفـد أن الوطنية البرجوازية الفاشلة التى يرفع هو لواءها لا تسمح بافساح المجـال لحـركة عمالية يقـوم بهـا العمال لجمع صفوفهم وتكوين جبهـة موحـدة للعمـل على تحرير أنفسهم من تحكم أصحاب الاعمال .

وترى جريـدة العمال ( عباس حليم ) أن تقسم شئون الامة الى قسمين قسم يتولاه مصطفى النحاس وقسم يتولاه عباس حليم وينبغى على العمال فى رأيهـا أن يمتنعوا عن معالجة المسائل السياسية التى لا تختص بشئون العمـال » .

ويهاجم عصـام كلا المعسكرين ، « فكل من هذين الزعمين لا يقـل عن الاخر بعـدا عن محجـة الصواب . والعمال يجب أن يعنوا ببحث جميـع الشئون السياسية على أن ينظروا اليهـا من وجهة نظرهم الخاصة دون تبعية للاحزاب البرجوازية »(٣) .

لكن « البرجوازى الصغير » المحاصر وحيـدا فى ميدان الملتية ، والذى سعى وفشل ثم فشل مرات عديدة . لا يجـد مناصا من أن يلجـأ بمحاولته الى أحضان « النبيل عباس حليم » ربما فى محاولة للاحتماء به ، وربمـا فى حالة فقـدان للثقة والصبر ، وربما باعتبارها منفـذا وحيدا متاحا أمام انسان يقـاوم التيـار وحـده .

لكن عصام يقتحم معسكر عباس حليم شاهرا سيفه معلنـا الحـرب على النقابيين النفعيين فيكتب فى صراحة « كنت مضطرا للذهاب الى النبيـل

---

١ ـ د. رفعت السعيد ـ عصام الدين حفنى ناصف ـ سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى فى مصر ـ دار الثقافة الجـديدة ـ القـاهرة ـ ص ٦٦ .
٢ ـ الوادى ، ٣٠ ـ ٤ ـ ١٩٣٢ .
٣ ـ صندوق الدنيـا ، ٢٩ ـ ٨ ـ ١٩٣٣ .

عباس حليم . فقد كان جميع العمال تحت زعامته ، وهو رجل مخلص حسن النية ، ولكنه قليل الخبرة بهذه الشئون . وقد وجدته وقد ترك الامر فى أيدى عدد من العمال معظمهم غير مخلص للحركة وانما كان انضمامهم لاستغلالها والافادة منها أدبيا وماديا »(١) .

ويحاول عصام الدين ناصف اقناع عباس حليم بتاسيس حزب عمالى وليس مجرد اتحاد للعمال ، ويرفع عصام شعاره الشهير « حزب عمال لا اتحاد نقابات فقط » .

وتنشر جريدة « شبرا » : « اقترح الاستاذ عصام الدين على الشريف عباس حليم أن يؤسس حزبا للعمال الى جانب اتحاد العمال ، لان للحزب وظيفة غير وظيفة النقابات واقتنع الشريف بصواب الفكرة ودعا الاستاذ عصام الى وضع مبادىء هذا الحزب »(٢) .

***

وفى ٢٥ مارس ١٩٣٧ يصدر العدد الاول من مجلة « شبرا » كمجلة متخصصة فى مشاكل حى شبرا ، وصاحب الجريدة ورئيس تحريرها محمد عبد الحميد عبد الله المحامي ومدير الادارة محمد بيومى وسكرتير التحرير السيد محمود التصرى – وادارة الجريدة ٢٣ شارع الخلفاء – شيكولانى شبرا .

ولم يكن فى محتوى العدد الاول ولا فى أسماء المسئولين الثلاثة عن المجلة أى شيء يمكن أن يوحى بمسحة من اليسار وحتى بالاهتمام بأية مشاكل عامة .

ثم فجأة يظهر عصام الدين حفنى ناصف على صفحات العدد الثانى مباشرة وتحت عنوان « الاستاذ عصام الدين حفنى ناصف يحدثنا عن حركة العمال – حزب العمال والفلاحين تصادره النيابة » . وتقدم « شبرا » لقرائها عصام ناصف متذرعة بحجة بسيطة وهى انه « نشأ وترعرع فى حى شبرا » .

« يعرف قراؤنا الافاضل الاستاذ عصام الدين حفنى ناصف الذى نشأ وترعرع فى شبرا ، فان له ماضيا عظيما فى الجهاد الوطنى والجهاد فى سبيل الطبقة العاملة وقد قضى فى السجون مددا تزيد عن عام ونصف ، وقدم لمحكمة الجنايات ثلاث مرات وذلك بسبب صلابته واصراره على خدمة الوطن

---

١ – شبرا ، ١ – ٤ – ١٩٣٧ .

٢ – شبرا ، ١ – ٤ – ١٩٣٧ .

عموما والطبقة العاملة خصوصا . وهو الآن يشغل منصب مساعد فنى بدار الكتب ، ولكنه ما زال يوالى التأليف والكتابة والبكم رأيه فى الحركة العاملية فى الوقت الحاضر »(١) .

وهكذا تبدأ قصة محاولة لتحويل مسار جريدة ، من أن تكون مجرد لسان يتحدث عن مشاكل حى من أحياء القاهرة ، الى لسان يتحدث عن مشاكل العمال والفلاحين ومنبرا للدعوة الملحة لتأسيس حزب لهم .

ولقد كتب عصام كثيرا فى مجلة « شبرا » وأفسح صفحاتها أمام كتاب آخرين أمثال سلامة موسى وغيرهم ، واستفاد من تكتلات عمال الترام فى شبرا ليحول المجلة للاهتمام بمشاكلهم .. ونشر على صفحات شبرا مقالات عديدة عن الاشتراكية داعيا الى اقامة نظام اشتراكى على أنقاض النظام الرأسمالى القائم ..

ومع تحفظات كثيرة ـ قد يثيرها البعض ـ حول امكانية ادراج « شبرا » وغيرها من المجلات المماثلة ضمن قائمة « الصحف اليسارية » الا انها تمثل مرحلة هامة من تاريخ المحاولات اليسارية للتعبير ، ليس من خلال صحيفة يسارية تماما أو خاضعة لنفوذهم تماما ، وانما من خلال التسلل عبر منحنيات تتيحها الامكانيات المحدودة ..

وعلى أية حال فان « شبرا » قد ظلت ابتداء من العدد الثانى الصادر فى ١ ـ ٤ ـ ١٩٣٧ ، وحتى العدد ٢٥ الصادر فى ١٦ سبتمبر ١٩٣٧ منبرا ترددت الافكار اليسارية والاشتراكية على صفحاته بصراحة ووضوح بحيث كانت هذه الافكار هى السمة الاساسية والمميزة لهذه الصحيفة فى ذلك الحين . وبحيث يمكن الاطمئنان الى نسبتها الى قوائم « صحف اليسار » أما بعد ذلك وابتداء من العدد ٢٦ الصادر فى ١٦ ـ ١٢ ـ ١٩٣٧ فقد تحولت «شبرا» الى مسار جديد واختفت من صفحاتها أية مسحة يسارية ..

لكن هذه هى نهاية القصة .

فلنبدأ من البداية .. من العدد الثانى من مجلة « شبرا » ..

***

وكعادة « عصام ناصف » كانت البداية عنيفة فقد كتب مقالا طويلا حلل فيه تجربة النبيل عباس حليم ومحتواها وردود فعلها على حركة الطبقة العاملة ، مهاجما فى ذلك كله العناصر النقابية الصفراء التى التفت حول

---

(١) شبرا ، ١ ـ ٤ ـ ١٩٣٧ .

« عباس حليم » سعيا وراء كسب شخصي ..

وهو يلخص كل شيء في أول كلمة من مقالة « ان حركة العمال متجهة الى الوراء وذلك لانها ينقصها زعماء مخلصون متقفون ثقافة عاملية ولان الروح المعنوية للعمال أنفسهم قد أصبحت في حالة تفكك وانهيار عقب الفشل المتوالي الذي أصيبوا به الى الان » ..

ثم يحكي قصة كفاحه الطويل .. مع « روح العصر » « وكنا فيها نسعى الى فصل الحركة العاملية عن الحركة الوطنية واعطائها شخصية مستقلة وقد أصدر مجلس الوزراء برئاسة اسماعيل صدقي قراره بالغاء هذه الجريدة بتهمة التمهيد للشيوعية ..»

فالتجأت بعد ذلك الى الاستاذ اسماعيل مظهر وعاونته في تحرير مجلة « العصور » بشكل مجلة خاصة بالعمال والحركة الاشتراكية واصدرنا برنامجا لحزب العمال والفلاحين فصادرته النيابة .. » .

ثم تبدأ قصته مع المحاولة الجديدة .. مع عباس حليم :

« .. وكنت مضطرا للذهاب الى النبيل عباس حليم فقد كان جميع العمال تحت زعامته في ذلك الوقت ، وهو رجل مخلص حسن النية ولكنه قليل الخبرة بهذه الشئون . وقد وجدته ترك الامر في أيدي عدد من العمال معظمهم غير مخلص للحركة وانما كان انضمامهم اليها لاستغلالها والافادة منها أدبيا وماديا فكانوا يركبون سيارات النبيل ، ويفتخرون بأنهم زاروه في قصره أو زارهم في منازلهم ، وكان البعض منهم يختلس ما تصل اليه يده من أموال العمال المساكين ، ثم وهناك ما هو أدهى وأمر . كان الكثيرون منهم يتطلعون بادارة الامن العام وقد ثبت أن عددا منهم قد تآمر على خلع النبيل عن زعامتهم طمعا في الحصول على أموال المصاريف السرية .. » .

ثم يمضي مجددا موقفا أكثر وضوحا ..

« تلت ان معظم العمال « المتزعمين » الذين كانوا يجتمعون حول النبيل عباس حليم كانوا جهلة أدعياء في الحركة .. كانوا من الاصناف التي تعيش في ظلال الاغنياء وتتمتع بكرم الاغنياء فلا يمكن مقارنتهم بالعمال الذين يشتغلون في مصانع السكر أو محالج القطن .

ولقد كانت حالة هؤلاء العمال مثيرة للاشمئزاز ، ولذلك بادرت بالانفصال عنهم واعتقد أن هؤلاء الافراد يجب أن لا يعهد اليهم بأمور العمال مره أخرى ..

واني آمل أن تنمو الحركة العمالية من جديد ، ولابد لذلك من انفصالها

عن الحركة الوطنية واستقلالها عن الاحزاب . وطرد كل من كان له ماض سيء من صفوف زعامتها »(١) .

وهكذا أملى الرجل شروطه ، وطالب عباس حليم أن يختار بينه وبين كل كوادره القديمة الذين كانت « حالتهم مثيرة للاشمئزاز » .

وطالبه بألا يقتصر على تأسيس اتحاد عمال وانما يجب أن يسعى الى تأسيس « حزب عمال » .. والغريب أن عباس حليم قد رضخ لكل هذه الشروط .. « واقتنع الشريف ( عباس حليم ) بصواب الفكرة ودعا الاستاذ عصام الى وضع مبادىء هذا الحزب » (٢) .

وربما كان عباس حليم يخشى من تطرف عصام ناصف ، وربما كان يخشى من ضغوط قاعدته القديمة من العمال الذين اعتادوا أن « يعيشوا فى ظلال الاغنياء » وربما أراد أن يتباعد عن الامر كله ليعطى لنفسه فرصة الانسحاب فى المستقبل اذا ما كان الانسحاب ضروريا ..

المهم أن النبيل عباس حليم وافق مبدئيا على تأسيس حزب للعمال .. وكلف عصام ناصف بوضع برنامجه ، ثم غادر البلاد الى أوربا فى رحلة لدراسة أحوال العمال فيها .

وانفتح المجال واسعا امام عصام ناصف ليقول ما يريد .. ونسى - أو ربما تناسى - ان الامور تجرى تحت مظلة « النبيل » واضطر عباس حليم أن يذكره « لا تنسى اننى نبيل » .

وبسفر عباس حليم كانت الفرصة أرحب أمام عصام ليعبر عن مراهقته اليسارية سواء فى محاولة تأسيس الحزب ، أو على صفحات « شبرا » .

وفى العدد الثالث من « شبرا » يأتى ضيف جديد « سلامة موسى » وتقدمه « شبرا » ككاتب « له جولات كبيرة فى محيط العمال ، وقد اشتغل بحركتهم سنوات طوال اشتهر فيها بآرائه ومذاهبه الاشتراكية » .. وهكذا اختلف جواز المرور الى العدد الثالث كان يكفى أن يكون الكاتب اشتراكيا ..

ويكتب سلامة موسى مقالا بعنوان « حزب العمال والحكم الديمقراطى » أكد فيه ضرورة أن يناضل العمال من أجل فرض قواعد ديمقراطية للحكم « .. والواقع ان جميع عمالنا يعترفون أن مصلحتهم تقتضى سيادة الحكم الديمقراطى . لا بل رسوخه حتى يتعوده الناس ، وحتى يصبح من الجبلة

---

١ - شبرا ، ١ - ٤ - ١٩٣٧ .
٢ - المرجع السابق .

أن يفكر أحد المستبدين فى الوثوب الى الحكم »(١) .

وفى نفس العدد يكتب عصام ناصف مقالا بعنوان « الوطنية الحمقاء » يعلق فيه على قصة نشرتها جريدة « الثغر » لبسان حال « مصر الفتاة » زعمت انها وقعت فى اليابان ، وقد ضربتها مثلا للوطنية العالية ، وملخص القصة أن يابانيا أراد التطوع فى الجيش الذاهب الى الحرب فلم يتقبلوه لانه كان وحيد أمه والقانون هناك يحرم الاشتراك فى الحرب على أمثاله كى يتفرغوا لاعالة أمهاتهم ، فلما قص ذلك على أمه قتلت نفسها وبذلك أصبح يحق له أن يلتحق بالجيش » .

وقد التحق به فعلا ومات فى ميدان القتال » .

ويجدها عصام فرصة سانحة للهجوم على الحرب الاستعمارية مقدما مفهوما « طبقيا » لفكرة الوطنية ... فيقول « وانا لست أرى فى عمل هذه الام هى وابنها وطنية بل حمقا وغباء فالمفهوم من القصة أن هذه الحرب التى مات فيها هذا اليابانى الاحمق هى حرب استعمارية .. لقد مات ذلك الجندى فى حالة اعتداء على شعب مسكين سىء الاحوال .. أجل يجب أن يحب الانسان وطنه ولكنه لا يجب أن يكره أوطان الاخرين ، وليس من الوطنية الحقة أن يجر الانسان بلاده الى حرب كالحرب التى تستعد أوربا لخوض غمارها قريبا .. وليس من الوطنية الحقة أن يموت الانسان فى حرب لن يجنى من وراء الظفر فيها شيئا . ولا يستفيد منها الا طبقة مخصوصة من تجار الاسلحة وكبار الرأسماليين وانما الوطنية الحقة أن يخدم المرء كتلة الشعب ويعمل على رفع شأنها وزيادة رفاهيتهم » .

وهكذا يقدم عصام ناصف مفهوما طبقيا واضح المعالم للوطنية .. بل انه يسوق الاتهام للجميع بأنهم ليسوا وطنيين بما فيهم الكتابة لانهم لا يدافعون عن حقوق العمال والفلاحين فيختم مقاله قائلا « وليس فى مصر من يستطيع أن يزعم أنه قائم بفروض الوطنية .. فاننا جميعا مقصرين فى حق العمال والفلاحين » .

وفى العدد أيضا تقديم لقصة « البترول » لابتون سينكلر وقد ترجمها عصام ناصف ونشرها مختصرة فى كتاب ... ويقول التقديم أنها « قصة اجتماعية قيمة تدور حول النزاع بين العمال وأصحاب الاعمال فى أمريكا .. ونحن ندعو قرائنا الافاضل الى المبادرة باقتناء هذه القصة الخالدة . وكنا نتمنى لو أن الاستاذ عصام طبع منها أكثر من الالف نسخة التى طبعها فان هذه القصة جديرة بأن توجد فى مكتبة كل مثقف وكل عامل وكل من يعنى

---

١ ــ شبرا ، ٨ ــ ٤ ــ ١٩٣٧

بحركة العمال » .

وفى العدد الرابع يكون عصام ناصف قد قلب فى أوراقه القديمة فينتزع من ملف قضية قديمة مقالا كانت النيابة صادرت « مخطوطه » وقدمت عصام للمحاكمة على أساسه والمقال بعنوان « الاشتراكية والاسلام » ثم عنوان فرعى مفرط فى التحدى « أنما القوانين والأخلاق والدين بالنسبه للطبقات العاملة أستار تخفى وراءها مصالح الاغنياء — بيان ماركس وانجلز — وكان الاقتباس فى المخطوط المضبوط منسوبا الى البيان الشيوعى (١) لكن عصام وهو يحاول نشر المقال يتحاشى كلمة « الشيوعى » ويكتفى بنسبة « البيان » الى كاتبه ماركس وانجلز »(٢) .

ويمضى عصام محاولا أن يميز بين الدين والاشتراكية « فالدين فى الاصل ينظم العلاقة بين الانسان وخالقه ، بينما تعمل الاشتراكية لتنظيم العلاقة بين الانسان والانسان ، وأذا فلا علاقة لهذا بتلك ، وعلى أيه حال فالانسان لا يستغنى عن تنظيم معاملاته الاقتصادية مع أبناء جنسه ولذا وجب عليه أن يفكر وأن يبحث وأن يطيل البحث والاختيار حتى اذا ما وثق من صحة النتيجة كان عليه أن يعمل . وهذا هو الوضع الصحيح فيما يختص بجميع الاديان .. » .

ثم يحاول بعد هذا التحذير الصارم أن يبرز نوعا من التقارب بين الاسلام والاشتراكية « فاذا قارنا بين ما أورده الاسلام فى شئون المعاملات وما قررته الاشتراكية ازاءها وجدنا بينهما أشياء متماثلة فى الغاية ولكنها تختلف قليلا من حيث طريقة تنفيذها كالزكاة التى فرضها الاسلام وضريبة الدخل التى أتت بها الاشتراكية .

وأما الربا فقد حرمه الاسلام اذ به يستبد صاحب المال بمن يقع فى ورطة مالية ويستغل ضيقه .. وأما الاشتراكية فتقول بمنعه أيضا ولكن لان النقود يجب أن ينظر اليها دائما على أعتبار انها « مالا » تشترى به الحاجيات لا « رأس المال » يستعبد به الفرد أبناء جلدته ويستغل جهودهم فالعمل وحده هو الذى ينتج الدخل أما النقود فلا يصح أن تنتج شيئا » .

لكنه يفضل الضريبة على الزكاة ، لان قيام الدولة بجميع الضريبة يمكنها من « صرف المتحصل منها فى انشاء المدارس وشق الترع واقامة المساكن للعمال وغير ذلك من مرافق التعمير الانشائى وعدم الاكتفاء بتوزيع

---

١ — ملف القضية رقم ٧٥٣ المنشية — ٣٤٤ — كلى عام ١٩٣١ جنايات الاسكندرية ص ٤١٦ .

٢ — شبرا ، ١٥ — ٤ — ١٩٣٧ .

مال الزكاة على الفقراء نقودا أو مأكولات أو غيرها مما يتمخض أثره بعد بضعة أيام ويظل الفقراء على فقرهم .

كذلك تشعر الطبقة الفقيرة التى تنتفع بالضريبة بأنها تحصل على حقها لا أنها تتلقى احسانا من الاغنياء وكذلك عدم السماح لدافعى الضريبة بأن يشعروا أنهم كرماء وانهم يتبرعون بما يستطيعون الامتناع عن دفعه » .

وتدخل مجلة « شبرا » فى اشتباك عنيف مع البرجوازية المصرية .. اذ يكتب على اسلام باشا مقالا فى « المجلة الجديدة » ينعى فيها على العمال كثرة مطالبهم مما يهدد تقدم الصناعة .

ويرد عليه « سلامة موسى » على صفحات « شبرا » بمقال عنيف يذكره فيه بأن « شركة كوم امبو وغيرها من الشركات تتراوح أرباحها السنوية بين ٣٠ و ٦٠ بالمئة من رأس المال » .

ويضرب مثالا محددا « فشركة المياه اتضح أنها فى العام الماضى قد أنفقت نحو ٥٠٠ ألف جنيه فكان ربحها من هذا المبلغ يزيد على ٣٣٠ ألف جنيه ، فأى غبن عليها ان هى أدت الاجور لعمالها »(١) .

واشتباك آخر أكثر عنفا دخلته « شبرا » مع « بنت الشاطىء » عندما هاجمت الحركة العمالية .. واستخدم عصام ناصف « بنت الشاطىء » مجرد مدخل لحملة هجوم عنيف على خصوم الحركة العمالية .. وتحت عنوان « عدو جديد للعمال والفلاحين ـ الانسة بنت الشاطىء » يشن عصام الدين ناصف هجومه على الجميع ..

« ما تزال حركة العمال فى مصر منذ نشأتها تواجه عداء بعض الجهات والافراد ، وما يزال بعض الافراد يصرحون تصريحات تدل على عدم تفهمهم للحركة كتصريح معالى عبد السلام فهمى جمعة باشا وزير التجارة والصناعة بانه يعمل لحماية أصحاب الاعمال من العمال .. وتصريح رفعة النحاس باشا الاخير ضد النبيل عباس حليم وعمله لانشاء حزب العمال .

ولا تزال حركة العمال تواجه منذ نشأتها أنواعا أخرى من المحاربة خالية من الصراحة والرجولة . فالبعض يتجسس لصلحة التلم السياسى ، والبعض يتصل علانية بمصلحة العمل على زعم أنه يستعين بها لخدمة العمال والحقيقة أنه لا يعمل الا لنفسه وقد ظهر خصم جديد لحركة العمال ولكنه فى هذه المرة من الجنس اللطيف وهى الانسة عائشة عبد الرحمن .. وهى تنشر مقالاتها فى جريدة « الأهرام » بامضاء « بنت الشاطىء » .

---

١ ـ شبرا ، ٢٢ ـ ٤ ـ ١٩٣٧ .

ثم يسدد عصام ناصف هجماته فى عنف « قرأت الكثير من مقالات هذه الآنسة ولا أذكر انى وجدت بينها مقالة واحدة خالية من حملة موجهة ضد الفلاحين والعمال . وقد كنت فيما مضى أسند ذلك الى جهلها بالمسائل العاملية والى رغبة فى ارضاء الجريدة التى تدفع لها أجر مقالاتها . ولكن ما نشرته فى « أهرام » الثلاثاء ٧ سبتمبر الماضى يدل على أن الامر أسوأ من ذلك . وقد بدأت مقالها بالديباجة المملة التى تكتبها فى جميع مقالاتها والتى تزعم فيها أنها ما كانت تود العودة الى هذا الموضوع لولا شعورها العميق ... الخ . ثم ذكرت أن قضية العمال « قضية غريبة المنشأ والنزعة » ولا أعرف شيئا أغرب فى المنشأ والنزعة من خلط هذه الآنسة فى مسائل العمال والفلاحين ثم قالت ما نصه « وهل فكر أحد فى مغزى حركة العمال من حيث كونها تطبيقا حرفيا للنظم الغربية ؟ أرجو أن تكون هذه النقطة بالذات قد ظفرت باهتمام متزعمى حركة العمال . فهى كفيلة بان تسلحهم ببعض الحذر ، حتى نأمن الاندفاع فى التطبيق الحرفى لنظم بلاد ليس لنا مثل ظروفها . ان تحقيق مطالب العمال فيما يتعلق بارتفاع الاجور وتحديد ساعات العمل من شأنه حتما أن يزيد فى نفقات الانتاج » .

ويمضى عصام ناصف فى عنفه المعروف به . ردا على الفقرة السابقة قائلا « وما نظن هذه الآراء فى حاجة الى اظهار سخفها ، ولكن استمرار نشر هذه الاراء التخريفية فى جريدة واسعة الانتشار قد يهوش بعض الذين لا علم لهم بحركة العمال ولذلك نذكر فى منتهى الايجاز :

١ ـ ان تطبيقنا لبعض النظم الغربية تطبيقا حرفيا ليس مما يصح التنصل منه ، فان ذلك يكون فى كثير من الاحيان خيرا من التخبط فى تجارب ونظم يخترعها لنا أناس قليلوا الخبرة والتجربة .

٢ ـ ومع ذلك فاننا لا نطبق النظم الغربية تطبيقا حرفيا ، وليس أدل على ذلك من البرنامج العمالى الذى سننشره فى الاسبوع القادم .

٣ ـ ان رفع أجور العمال وتحديد ساعات عملهم لا يزيد من نفقات الانتاج زيادة محسوسة فان أجور العمال فى مصر لا تكون الا نسبة ضئيلة جدا جدا جدا من نفقات الانتاج »(١) .

لكن عصام لا يكتفى بتسديد هجماته الى « بنت الشاطىء » وأمثالها ، وانما يوجه الهجوم عنيفا ومباشرا الى النظام الرأسمالى ذاته . وتحت عنوان « فشل النظام الاقتصادى الحاضر » يقول « فى مصر ملايين القناطير من القطن مكدسة لاشار لها لانخفاض سعر محصول القطن ، وفى مصر ملايين

---

١ ـ شبرا ، ٩ ـ ٩ ـ ١٩٣٧ .

من العرايا الذين تعوزهم الألبسة المنسوجة من القطن وغير القطن . ولكن القطن باق بلا غزل أو نسج ، وفي مصر وانجلترا وأمريكا وغيرها ملايين من العمال عاطلين تنتهى عطلتهم ومسغبتهم اذا هم اشتغلوا في غزل القطن ونسجه ..

فما معنى كل هذا ؟ معناه أن هنالك خللا جوهريا في نظام الانتاج والتوزيع . وأى نظام هذا الذى ينشر العطلة والفقر والعرى سدا لنهم فريق من رجال الصناعة »(١) .

وهو يدين النظام الرأسمالى العالمى ككل باعتباره مصدرا للاستعمار ومصدرا للحرب الوشيكة الوقوع وذلك فى مقال بعنوان « العالم يتخبط فى بحران من الخوف — عصر المدنية أم عصر الاستعمار — احصاء المستعمرات التى تمتلكها الدول الكبرى »(٢) .

وينشر عصام مقالا بالغ الأهمية يشرح فيه بالتفصيل وبتبسيط مدهش « المذهب الاشتراكى وتطبيقاته والفرق بين المرحلة الاشتراكية والمرحلة الشيوعية . » والمقال بعنوان « علاقة الاشتراكية بالمذاهب الاجتماعية الأخرى » .

ولكى يحمى نفسه من هجوم متوقع فانه يسكت أعداءه بان يضع فى صدر المقال العبارة التالية « حكمت محكمة جنايات الاسكندرية فى نوفمبر ١٩٣١ بان هذا الموضوع لا يحوى شيئا يعاقب عليه القانون »(٣) .

والمقال طويل وهام لكننى ساكتفى بايراد فقرة واحدة منه يشرح فيها عصام طبيعة النظام الاشتراكى : « .. أما النظام الاشتراكى للانتاج فانه يجعل المعامل ملكا للدولة تديرها لصلحة الشعب بواسطة موظفيها .. وكذلك الحال فى الانتاج الزراعى فتصير جميع الحقول ملكا للدولة يديرها موظفون بأحدث الآلات وعلى أحدث الطرق الاقتصادية مع اراحة عمالها بتحسين مرتباتهم وتقليل ساعات عملهم .. واعطاءهم امتيازات كثيرة كمجانية التعليم والمعالجة ودخول المسارح . والسكن فى بيوت مستقلة ذات حدائق .. » .

وهو لا يكتفى بالكتابة بل يترجم كثيرا من المقالات وخاصة مقالات المفكرين الشيوعيين الألمان ، أمثال كارل ديل وكمفمساير ليبنخت ولودفيج كنيل ..

---

١ — شبرا ، ٩ — ٥ — ١٩٣٤ .
٢ — شبرا ، ٢٠ — ٥ — ١٩٣٧ .
٣ — شبرا ، ٢٩ — ٤ — ١٩٣٧ .

وثمة مقال هام بوجه خاص ترجمة عصام لجريدة « شبرا » بعنوان « موقف الاشتراكية إزاء الدين والزواج . من محاضرات كارل دين » (١) .

وتكمن أهمية هذا المقال في أنه يدحض افتراءات أعداء الاشتراكية والماركسية حول قضايا الدين والزواج .

وتفسح « شبرا » صدرها لشكاوى العمال وندائاتهم ومطالبهم ومقالاتهم أيضا .

وثمة نداء تنشره « شبرا » موجه « الى عمال الترام – أيها الزملاء العمال أنتم الآن في غاية الضعف ، ولستم أحرارا . وليس في استطاعتكم أن ترقوا سلم التقدم والوصول الى تحقيق مطالبكم إذ يقتضي ذلك وسائل جمة لا تتوفر لديكم . إن حالة النقابة التي عليها الآن محزنة للغاية . وكان الواجب أن نتعاون جميعا على تحسين حالها . وليس لدينا الآن نقابة بالمعنى الصحيح : والتوقيع – نقابي حر – عامل بالترام »(٢) .

وتشن « شبرا » هجومها على المجلس الاستشاري الاعلى للعمل والعمال الذي أسسه الوفد وتقول « إنه ليس محل تقدير العمال ولا موضع ثقتهم »(٣) .

* * *

لكن ذلك كله لم يكن الا مجرد تمهيد للمعركة الاساسية وهي معركة تأسيس حزب العمال .. المعركة التي خاضها عصام ضد قوى عديدة أهمها الوفد الذي ألقى بكل ثقل زعامته وجماهيريته ضد هذه الفكرة ، والسراي التي تدخلت باسم « جلالة الملك » طالبة تعديل البرنامج الذي أعده عصام ، والنقابيين الصفر الذين كانوا يتحلقون حول « النبيل » ليبتزوا أموال النقابات ، وقوى الأمن والبوليس السياسي التي كانت تتابع بحذر بالغ كل حركة لعصام وفوق هؤلاء جميعا سلطات الاحتلال ..

ومع ذلك استطاع عصام أن يناور بين هذه القوى جميعا ليخرج الى حيز التنفيذ بالفكرة التي سيطرت على وجدانه لأمد طويل ..

وكانت « شبرا » منبره الاساسي في هذه المعركة .

ويكتب عصام بنفسه على صفحاتها قائلا :

---

١ – شبرا ، ٩ – ٨ – ١٩٣٧ .
٢ – شبرا ، ١٣ – ٥ – ١٩٣٧ .
٣ – شبرا ، ١٣–٥–١٩٣٧ .

وهنا تشعر السلطة الحاكمة بخطورة موقفها ، فاتها الم يتمكن من تحطيم محاولة عصام ناصيف ...

ويشن الوفد والنحاس باشا شخصيا حملة عنيفة على المحاولة .. ويسخر عصام معظم صفحات « شبرا » للرد على الحملة الوفدية .

وتحت عنوان « حزب عمال لا اتحاد نقابات » قال « لقد كانت الضربة التي نزلت على ام رأس الوفد باعلان النبيل عباس حليم انه يعتزم العمل لانشاء حزب العمال بمجرد عودته من رحلته الدراسية فى اوربا — كانت تلك الضربة قوية الى حد افقد الوفد رشده . فسارع النحاس باشا رئيس ذلك الحزب ورئيس الحكومة يخطب فى الاسكندرية متهما عمل النبيل عباس حليم بانه دس للوفد ولكن انشودة الدس والدسائس والدساسين قد اصبحت ممجوجة ...

لكن الخطر لا يأتى من مجرد هجوم النحاس . بل من الضغوط التى تعرض لها « النبيل » وهو فى لندن حتى اعلن من هناك انه لا يعتزم تأسيس حزب عمالى وانما اتحاد عمال فقط ...

لكن عصام ناصيف لا يتراجع بسهولة ..

فهو يذكر الجميع بل ويذكر « النبيل » نفسه انه قد صرح « بلهجة قاطعة واذاع فى الصحف انه يعتزم انشاء حزب عمالى ... ومن الواضح ان النبيل لم يكن هازلا حين قال ذلك بل كان يعنى تماما ما يقول ولذلك فقد دهشنا اكبر دهشة حين قرأنا ما نشره « الاهرام » فى ١٠ سبتمبر الماضى لمراسله فى لندن من ان النبيل سيكتفى ( على الارجح ) بتكوين اتحاد نقابات » ...

... ويمضى عصام محاولا التخلص من المأزق الذى وضعه فيه النبيل ... مؤكدا اصراره واصرار العمال على تأسيس حزب لهم حتى رغم انف النبيل ... « اذن فليخفف السياسيون من فرحهم وشماتتهم وزعمهم انهم انتصروا ... وقضوا على الحزب فى مهده ... ولا يفوتنا هنا ان نلفت نظرهم الى الفارق الكبير بيننا وبينهم ، فنحن لا نؤمن مثلهم بنظرية الايمان الاعمى بالزعامة .. وعدم التفكير الا بعقل الزعيم بل نحن نفكر بعقولنا نحن . ونعمل ما نعتقد نحن به وهذا ما يجعل الزعيم عباس حليم يشعر بالفخار لانه يتزعم حركتنا . ولا يتزعم جماعة مثل جماعتكم ... » (٢)

ثم يمضى عصام ليقول كلمته الاخيرة ..

---

« فاذا فرضنا مثلا ( وهذا ما نكتبه على سبيل الجدل لا ... ) ان النبيل عباس حليم رأى ان يتخلى عن الحركة ... فهل معنى هذا ان

العمال يمتنعون عن انشاء حزب العمال . كلا ثم ألف كلا فالعمال سينشئون حزب العمال لا لان الزعيم عباس حليم يرى ذلك فقط . بل لانهم هم يرون ذلك »(١) .

.. ولكى لا يدع الفرصة امام أى تراجع يسارع عصام بنشر « مبادئ حزب العمال » وهى نفس البرنامج الذى كان عصام قد أعده خلال محاولته السابقة لتأسيس حزب للعمال والفلاحين هو واسماعيل مظهر .. وقد نشر هذا البرنامج فى مجلة « العصور »(٢) ثم فى مجلة « روح العصر » وقد أشرنا اليه فى الفصل الخاص بمجلة « روح العصر » ..

لكن عصام يدرك ان هذا البرنامج أكثر من متطرف بالنسبة للنبيل هو لا يريد أن يخسر النبيل ..

لكنه أيضا لا يريد أن يبدو « معتدلا » أكثر من اللازم أمام العمال الذين سارع بتكتيلهم دفاعا عن هذا البرنامج ..

ولهذا أمسك بالعصا من منتصفها فنشر البرنامج داعيا العمال للتكتل حوله والدفاع عنه حتى فى وجه النبيل نفسه ، وان كان قد أتاح الفرصة أمام النبيل أيضا ليقول كلمته ..

« نحن ننشر هذا البرنامج ليكون القارئ فكرة عن حزب العمال الذى سيتكون فى القريب العاجل والذى سوف يكون برنامجه مشابها لهذا البرنامج بعد ادخال التعديلات التى هى نتيجة دراسات الزعيم حليم فى أوروبا الان .. »(٣) .

لكن عصام لا يكتفى بالنشر .. بل هو يكتل العمال خلف البرنامج ويعقد مؤتمرات للعمال ليناقشوا البرنامج ، ثم ينشر على أعداد متوالية توقيعاتهم تأييدا لبرنامجه .. واضعا النبيل فى مأزق شديد الحرج ..

وعصام لا يكتفى باعلان برنامج يسارى لحزبه بل هو يعلن باعلى صوته فى مقال عنيف رفضه لكل الاحزاب الاخرى لانها تمثل طبقات معادية « حزب العمال يقوم على انقاض الاحزاب الاخرى » (٤) .

***

١ ـ شبرا ، ١٦ ـ ٩ ـ ١٩٣٧ .
٢ ـ العصور ، يونيو ١٩٣٠ .
٣ ـ شبرا ، ١٦ ـ ٩ ـ ١٩٣٧ .
٤ ـ شبرا ، ١٦ ـ ٩ ـ ١٩٣٧ .

ولأن القصة غريبة فقد كانت لها بدايتان .. وأيضا كانت لها نهايتان .

الأولى نهاية محاولة تأسيس الحزب . فعندما وصلت الامور الى هذا الحد ، وعندما أوشك حزب العمال أن يكون حقيقة واقعة ، وعقدت سلسلة المؤتمرات العمالية لمناقشة البرنامج والموافقة عليه ، وانهالت التأييدات والتوقيعات لتغمر معظم صفحات مجلة « شبرا » . عندئذ أدرك الجميع أن الامر جد لا هزل .. واستدعى النبيل عباس حليم على عجل الى القاهرة ، وتدخل الملك شخصيا فى الامر ، وتنشر « شبرا » الخبر « وقد علمنا أن عددا كبيرا من العمال البارزين فى صفوف الحركة العمالية قد اجتمعوا مع بعض المثقفين المعروفين بآرائهم وثقافتهم العمالية ودرسوا مشروع اعلان الحزب وقرروا :

١ ـ انشاء حزب العمال المصرى .

٢ ـ اعتماد المبادىء الاقتصادية والاجتماعية التى وضعها الأستاذ عصام الدين حفنى ناصف ونشرت فى جريدة « شبرا » بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٣٧ .

٣ ـ الاستغناء عن برنامج سياسى للحزب وذلك نزولا على نصيحة حضرة صاحب الجلالة الملك بعدم الاشتغال بالمسائل السياسية » .

وهكذا كان تدخل الملك ضروريا كى تهزم محاولة عصام ناصف ..

واحس الرجل أن الحزب الذى يزمعون انشاءه بعد تجريده من حقه فى الاشتغال بالسياسة ليس هو الحزب الذى يريد ولا الحزب الذى كان يؤمل أن يبنيه .. وانسحب . لكنه انسحب ليحارب فى جبهة أخرى .. ويشن الحملة على الجميع .. بما فى ذلك عباس حليم نفسه .

وفى مقال عنيف نشره فى جريدة « الشعاع » وهو مقال كان نهاية العهد لعصام بميدان العلنية ذلك أنه تحول بعد ذلك الى العمل السرى : مقتنعا بعد كل هذه التجارب أنه لا مجال لمساومة « البرجوازية » على علانية النضال من أجل حقوق الطبقة العاملة .. ومن أجل الاشتراكية .. يقول عصام :

« عمال قبل كل شىء .. حذار من تضليل البرجوازية » هذا هو عنوان المقال الذى جاء فيه « ليس هناك أشد ضلالا ممن يزعم أن هناك نزاع بين الوطنية المصرية والعاملية المصرية .. ما امهر احزاب البرجوازية فى التهويش والتضليل ، انها تعطى للعامل خنجرا مسموما ليطعن به طبقته وتدعوه باسم

الدين أو الوطن أن ينتحر فيفعل .. ويقولون له ابق مكانك لا تتقدم الى الامام حتى ننتهى نحن من اجلاء المحتلين فيجيب سمعا وطاعة سابقى قابعا فى الاوحال القذرة الى أن يصدر أمركم بالتحرك فاتحرك فى الطريق الذى سارت فيها أحزاب العمال والاشتراكية فى سائر بلاد العالم » ..

ويمضى عصام قائلا « اننا نسعى لتحسين حالة أغلبية الامة من عمال المدن والارياف وهذا أمر لا يعوق الحركة الاستقلالية ، بل هو حرى أن يقدمها ويقويها فاذا زعمت هذه الهيئات أن حركة العمال تعرقل جهادكم ، فالامر سهل ، فليتخلوا للعمل عن الجهاد لتحرير الوطن . ان العمال يستطيعون النهوض بالحركتين معا : الاستقلالية والعمالية » ولقد أثبتت الحوادث فى الصين وغيرها ان احزاب العمال هى التى تستمر الى النهاية فى الجهاد ضد الاحتلال الأجنبى على نقيض الاحزاب البرجوازية فهى مرتشية ، تساوم العدو على حقوق بلادها ، وتضحى بالمصلحة العامة فى سبيل المصلحة الحزبية والشخصية . »(١)

ولم تكن هذه مجرد نهاية لمحاولة مستميتة سعيا وراء المستحيل بل كانت بداية لاقتناع الزجل بان « العلانية والقانونية » ليسا هدفا بذاتهما وانما الهدف هو « الاشتراكية » .. واذا استحال السعى للاشتراكية علنا .. فلنسع اليها « سرا » .

وانضم عصام الدين ناصف الى موكب الحركة الشيوعية التى كانت تتبلور فى ذلك الحين .

* * *

والنهاية الثانية للقصة .. متعلقة بالمنبر الذى خاض عصام معركته من فوقه جريدة « شبرا » التى « احتلها » عصام « احتلالا » واستخدمها بفاعلية وكفاءة كمنبر يسارى يدافع به عن فكرته .

ولم تكن « شبرا » مجرد منبر للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين ، أو للدعوة الى حقهم فى تأسيس حزب لهم ، بل فتحت صفحاتها أمام الدراسات الاشتراكية العلمية وأمام المعارك التى خاضتها الإنسانية ضد الفاشية وخطرها ، وعلى صفحاتها ترددت نداءات اليسار العالمى ضد الحرب .. وضد الفاشية وضد الاستعمار .

وقد نظمت « شبرا » حملة شعبية ضد الغزو الايطالى للحبشة بدأتها بنشر نداء صادر عن الاتحاد الدولى للسلم والجمعية الدولية للهيئات التابعة

---

١ ـ الشماع ، ٢٣ ـ ٥ ـ ١٩٣٨ .

لعصبة الامم والمؤتمر الدولى للشباب بعنوان « نداء إلى جميع الساخطين على غزو الحبشة »(١) .

إن الأعداد التى صدرت من مجلة « شبرا » خلال فترة سيطرة عصام ناصف عليها كانت وبحق نموذجا فريدا لكفاح الحركة اليسارية عندما تستخدم منبرا غريبا عنها ، ثم تتحكم فيه ، وتلوى عنقه ليخدم مصالحها لكن ذلك ـ بالضرورة ـ لا يمكن أن يستمر طويلا ..

والنهايتان متواكبتان ..

فما أن تجهض محاولة عصام لتأسيس الحزب بناء على تدخل من الملك .. وما أن ينسحب عصام من حزب لا يمثل أحلامه ، حتى تنسحب « شبرا » أيضا من المعركة وتنحاز الى الوفد ..

لقد فقدت الملهم .. الذى كان يبث فيها روح الشجاعة ..

وانسحاب « شبرا » من المعركة تم تحت ضغط وارهاب السلطة ، ففى أعقاب محاولة فاشلة لاغتيال النحاس باشا شملت الاعتقالات محمد عبد الحميد عبد الله صاحب « شبرا » ورئيس تحريرها .

وهو يشير الى حادث القبض عليه « فى مساء اليوم الثالث لعيد الفطر » ثم الافراج عنه « مقدما شكره للعدالة والاخوان » .

ويبدو أن الافراج لم يكن بغير ثمن .

فقد غيرت « شبرا » موقفها تماما ، حتى القطع غيرته .. وصدرت فى قطع صغير ، وحذفت من صدرها عبارة « لسان حال العمال » واكتفت بأنها « جريدة سياسية أسبوعية » ثم دفاع عن النحاس باشا « زعيم البلاد »(٢) .

والباقى يمكن تخيله .. مقالات عادية بغير اتجاه ..

لقد تخلت « شبرا » عن مسارها اليسارى وعادت مجلة « عادية » من جديد ..

***

ولم تكن « شبرا » النموذج الوحيد لمحاولة عصام ناصف لتحويل منشار جريدة والنشر بها فى اتجاه اليسار فلقد كانت هناك محاولات أخرى عديدة ، صندوق الدنيا عام ١٩٣٣ ، الأدب الحى عام ١٩٣٧ ، الشعاع ١٩٣٨ ... لكنها لم ترتق سواء من حيث العمق فى الاتجاه اليسارى أو من حيث القدرة فى التحكم الى المرتبة التى وصلت اليها « شبرا » ..

فقط ، أردنا أن نشير إلى هذه المحاولات استكمالا للصورة العامة .

---

١ ـ شبرا ، ١٦ ـ ٩ ـ ١٩٣٧ .

٢ ـ شبرا ، ١٦ ـ ١٢ ـ ١٩٣٧ .

# التطور

في هذا العـدد

اتجـاه جديد ..
ذلك الفقر الأزلى ..
جولة فى الأحيـاء الفقيرة ..
دعوة للتفكير فى حالة المجتمع المصرى ..
مستقبل الثقـافة فى مصر ..
الفكر فى خدمة المجتمع ..
حول الغـاء البغـاء ..
سيجموند فرويـد ..
مباعث النيران ..
بين ابليس وامرأة ..
الى أصحاب الأبراج العـاجية ..
نحـو فن حـر ..
شاعر العيون الخصبة « بول ايلوار » ..
شعر ورسوم حرة ..
قصة شعبية : قتل الحلاق امرأته ..

العدد الأول ـ يناير ١٩٤٠ الثمن قرشان

« غلاف خارجى من ورق مقوى يتغير لونه فى كل عدد »

# التطور

مجلة شهرية تصدرها جماعة الفن والحرية

العدد الأول يناير ١٩٤٠

الادارة شارع المدابغ
رقم ٢٨ بالقاهرة
الاشتراك ٣٠ قرشا عن سنة
و ١٥ قرشا عن نصف سنة

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
أنور كامل

## اتجاه جديد

« نحن نؤمن بالتطور الدائم والتغير المستمر ..
نحن نقاوم الاساطير والخرافات ونكافح القيم المتوارثة .. التى وضعت لاستغلال قوى الفرد فى حياته المادية » .

« غلاف داخلى من ورق عادى »

« ... فى البداية اتصلت بجماعة « المحاولين » Essayistes ولكن صلتى بهذه الجماعة كانت ضعيفة جدا ولم نتعد زيارتين او ثلاثة لكننى لم أشعر بالقدرة على الاندماج معهم .

وفى عام ١٩٣٦ أصدرت كتابا اسمه « الكتاب المنبوذ » وقد صدر عن دار نشر كان يملكها أحمد الصاوى محمد وهى دار « مجلتى » (١) . وعن طريق هذا الكتاب تعرف بى كامل التلمسانى وتدعمت العلاقات بيننا بشكل وثيق ومستمر ..

« ... وعن طريق التلمسانى تعرفت بجورج حنين ، وتوثقت علاقتى به . وكان يرتب فى ذلك الحين هو وعدد من المصريين للانفصال عن جماعة « المحاولين » . وبعدها اتصلنا بالنادى الديمقراطى لكن لم نشعر بالارتياح معهم . وهكذا انفصلنا أنا وجورج حنين وكونا « جماعة الفن والحرية » .

« وأصدرنا سلسلة من النشرات وأذكر بأن أول نشراتنا كانت عنيفة جدا بعنوان « يحيا الفن المنحط » وكان الاتجاه العام للبيان معاد للفاشية ودفاع عن حرية الرأى ، وبعدها أصدرنا نشرة ثانية وكانت دراسة لأندريه جيد أعتقد أن عنوانها كان « دفاع عن الثقافة » .

وعقب ذلك تجمع حولنا عدد من الشبان وأحسست أنه لا بد أن تكون لنا مجلة تحصلت على ترخيص مجلة « التطور » وكنت رئيس التحرير وصدر العدد الاول فى يناير ١٩٤٠ »(٢) .

هكذا صدرت « التطور » لتفتح صفحة جديدة من صفحات الصحافة اليسارية فى مصر . فقد سبقتها محاولات لتأسيس صحافة حزبية

---

١ ـ أصدر مجلس الوزراء فى ١٩ اغسطس ١٩٣٦ قرارا بمصادرة هذا الكتاب ومنع تداوله فى الدولة المصرية لانه « يدعو الى الاباحية والتجرد عن الاديان والتخلى عن الفضيلة والضمير فى سبيل ارضاء الشهوات الجسدية ـ راجع أنور كامل ـ مقال تيارات رجعية ـ مجلة التطور ـ مارس ١٩٤٠ .

٢ ـ راجع النص الكامل لمحضر النقاش مع أنور كامل فى د. رفعت السعيد ـ اليسار المصرى ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠ ـ دار الطليعة بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ص ٢٥٢ .

لليسار ، ومحاولات أخرى لاستخدام « الجريدة » منبرا لبث الدعوة الاشتراكية من أجل توثيق النشاط العلني للفكر الاشتراكي ومحاولة تأسيس منبر اشتراكي علني ..

وتأتي « التطور » لتبدأ مرحلة جديدة ، انها جريدة تحاول أن تجمع حولها تيارا من المثقفين اليساريين ليفكروا معا في الطريق الذي يجب أن يسلكوه .

ـ نحو ماذا ؟ ـ

هنا يثور الخلاف بين الرواة ..

يقول أنور كامل أنه اشترك في تأسيس جماعة « الفن والحرية » مع « جورج حنين » .. « وحول مجلة التطور تجمع عدد كبير من الشبان المصريين المتحمسين للاصلاح وبدأت أشعر أننا بحاجة الى حركة أكثر ارتباطا بمشاكل الجماهير .. وهكذا تزعمت مجموعة من أعضاء « الفن والحرية » لنكون ناديا جديدا أسميناه « الخبز والحرية »(١) .

لكن مارسيل اسرائيل مؤسس التنظيم الشيوعي السري « تحرير الشعب » يقدم لنا رواية أخرى : « كما قام أعضاء « تحرير الشعب » بوضع أيديهم على مجلة « التطور » وأصدروها باسم الفن والحياة وحولوها من مجلة فوضوية وسريالية الى مجلة عمالية . لكنها لسوء الحظ لم يتسع أمامها الوقت لتدعيم تأثيرها فقد منعتها الرقابة بعد صدور عدة أعداد منها .. وبعد أن فقدت « تحرير الشعب » كل من « الاتحاد الديمقراطي » و « الفن والحرية » كمنابر علنية كونت بدلا منها منبرين علنيين آخرين هما « الخبز والحرية » والذي اختير اسمه بوحي من معارضة المثقفين الفوضويين في اختيارهم لاسم « الفن والحرية » ، أما التجمع الثاني فسمي « ثقافة وفراغ »(٢) .

ويستكمل مارسيل اسرائيل المعلومات الخاصة .. « بالخبز والحرية » في تقرير خاص كتبه في عام ١٩٧٣ وسلمه لي فيتول « وبالرغم من أن قيادة

---

(١) ـ د. رفعت السعيد . المرجع السابق ص ٢٥٣ .

(٢) ـ من تقرير مكتوب على الآلة الكاتبة باللغة الفرنسية وهو محاولة لتاريخ حركة اليسار المصري ودور مارسيل اسرائيل فيها مرفوعة الى قيادة الحزب الشيوعي الايطالي وقد كتب مارسيل اسرائيل هذا التقرير عام ١٩٥٠ بعد ابعاده من مصر الى ايطاليا متقدما به نفسه الى الحزب الشيوعي الايطالي .. راجع النص الكامل للتقرير ـ المرجع السابق ص ٢٥٨ .

« تحرير الشعب » هي التي كانت مسئولة عن جمعية « الخبز والحرية » الا اننى لم أظهر مرة واحدة في مقر هذه الجمعية حفاظا على مصريتها »(١) .

لكن أنور كامل يرفض ذلك كله .. مؤكدا باصرار « لم يكن معنا أجانب مطلقا » وأواجهه بما كتبه مارسيل اسرائيل فيقول « لا جدال في أن مارسيل اتصل بنا . وحاول أن يؤثر فينا ، لكننى وزملائي جميعا صممنا على أن تكون « الخبز والحرية » حركة مصرية مائة بالمائة » .

والجأ الى مصدر آخر للمعلومات عن أسعد حليم أحد مؤسسي « الخبز والحرية » وأسأله يقول مارسيل أنه مؤسس « الخبز والحرية » ويؤكد أنور كامل أنه مؤسسها فما هي الحقيقة ؟ » .

ويرد أسعد حليم « كلاهما صادق » « نحن ( تحرير الشعب ) أسهمنا مساهمة ايجابية في انشاء « الخبز والحرية » وكان مارسيل يوجهنا ويقودنا ، وأنور كامل كان الرئيس الرسمي . وكان مجلس ادارة الجمعية مكونا من أنور كامل ( رئيسا ) ودكتور عبد العزيز هيكل ـ أسعد حليم ـ فتحي الرملي ـ صالح عرابي . وبعد مدة ضممنا عبد العزيز هيكل الى « تحرير الشعب » وهكذا كان مارسيل اسرائيل برغم أنه لم يضم اسمه كعضو في مجلس ادارة « الخبز والحرية » الا أنه كان مسئولا عن ثلاثة أشخاص من مجلس الادارة »(٢) .

وهكذا يمكننا أن نفهم الامر كالآتي ..

أنور كامل حاول استخدام « التطور » كمنبر يتبلور حوله اتجاه «مصرى» يساري . وأتاه مصريون لكنهم كانوا منضمين سرا الى تنظيم آخر هو « تحرير الشعب » الذى كان كان يرأسه مارسيل اسرائيل .

* * *

وثمة رواية أخرى أحاطت بتأسيس وتمويل « التطور » فعبد المغنى سعيد أحمد محررى « التطور » روى في مذكرات له نشرها في مجلة « الثقافة العمالية » مؤخرا أن أنور كامل كان في ذلك الوقت على علاقة بمحاولات هنرى كورييل لتأسيس تنظيم الحركة المصرية للتحرر الوطنى ..

وقد نفى كورييل ذلك في مقابلة معه .. ونفاها أنور كامل أيضا .

---

١ ـ مارسيل اسرائيل ـ تقرير مكتوب بخط اليد باللغة العربية يروى فيه الكاتب ذكرياته بناء على طلب المؤلف .

٢ ـ المرجع السابق ص ٢٧٥ .

وليس أدل على عدم صدق هذه الرواية من أن « التطور » قد توقفت عن الصدور بمجرد أن « جورج حنين » سحب الضمان المالى منها .. ولو كانت « التطور » على علاقة بهنرى كورييل فى ذلك الحين أو حتى على علاقة مباشرة بمارستيل اسرائيل لأمكن لأى منهما تدبير ضمان مالى آخر .

* * *

بقيت بعض « الشبهات » التى أحاطت « بالتطور » .

فقد قال مارسيل اسرائيل فى تقريره المشار اليه سابقا أن أعضاء « تحرير الشعب » قد حولوا التطور « من مجلة فوضوية وسريالية الى مجلة عمالية »(١) .

واتهمها كثيرون بأنها كانت منبرا تروتسكيا ..

لكن استقراء الاعداد الخمسة التى صدرت من مجلة « التطور » يوضح لنا انه لم تظهر فيها أية مواقف فوضوية اللهم الا بعض ملامح توحى بالاقتراب من الفكر الفوضوى ، برزت خلال عرض جورج حنين لكتاب « متاعب النيران » لنقولا كالاس(٢) .

وبعض كتابات كنترونيتش وبعض الشعارات التى يمكن أن تندرج تحت نفس النمط الذى سارت عليه هذه المجموعة منذ نشأتها عندما أصدرت الكتاب « المنبوذ » وبيان « يحيا الفن المنحط » وشعارات مثل تلك التى ظهرت على الغلاف الاخير للعدد الاول « هل تريد أن تقتل كل الادب والفن الحر فى مصر وأن تقضى على كل اصلاح وتجديد يتطلبه المجتمع ؟ اذن فلا تشتر هذا العدد ، فستقتصد قرشين .» ..

وكانت مثل هذه الرموز تفسر فى المحيط الثقافى المصرى فى ذلك الحين على أنها انتماءات فوضوية .. لكنه يصعب علينا أن نصم التجربة كلها بالفوضوية أو حتى نصل الى حد القول بأن بصمات الفكر الفوضوى كانت واضحة المعالم فى مجلة « التطور » ..

كذلك فاننا نود أن نؤكد أنه باستقراء كافة أعداد التطور الخمس لم نجد بها أية دعاوى تروتسكية .. لكن ذلك لا ينفى مطلقا أن بعض مؤسسيها « جورج حنين مثلا » كان تروتسكيا .

---

١ ـ المرجع السابق ص ٢٦٨ .

٢ ـ التطور ، العدد الاول ـ يناير ١٩٤٠ .

لكنه ... وهذه مسألة ذات أهمية خاصة – أن أسم

لكنه قد استاغت نظرنا – ... مطلقا . فى كل أعداد التطور لا بالسلب ولا .

الاتحاد السوفييتى لم يرد ... أن الموقف منه كان محل خلاف . وذلك برغم

بالايجاب . مما يوضح ... بحكم تطورات الاوضاع الدولية فى ذلك الحين

أن كل صحف هذه الفترة كانت ...د السوفييتى .

زاخرة بالحديث عن الاتحا...

...ت النظر أن « التطور » لم تشر من قريب أو بعيد

.. كذلك فانه ... أو الى الحرب العالمية الثانية ، أو الى الدعاوى

الى الخطر الفاشى أيضا بأن هذه المسألة كانت موضع خلاف ( واضعين

البطرية .. ...تروتسكيين كانت لهم مواقف متناقضة مع مواقف الحركة

فى الاعتـ... هذه المسألة .. فى ذلك الحين ) .

الثغرة يمكننا أن نقول أن استقراء أعداد التطور يوضح لنا أنها

...ر...حا لصراعات بين قوى مختلفة ..

جورج حنين وأنور كامل كونا معا اتجاها « يسارى معتدل » لم تبرؤه منه على صفحات التطور – على الأقل – أية لمحات تروتسكيا ، وان كانا قد اتخذا فى مسارهما العام بعد ذلك موقفا تروتسكيا ، وقد انفصل الاثنان ابتداء من العدد الخامس والاخير وذلك أثر انفصال أنور كامل عن « جماعة الفن والحرية » مؤسسا « الخبز والحرية » داعيا الى الابتعاد عن الاجانب وذوى الثقافة الاجنبية والالتحام بالمصريين ( وسوف نرى أن جورج حنين ظل لصيقا بالاجانب .. كان يكتب أشعاره بالفرنسية .. ثم هاجر من مصر وأقام فى فرنسا حتى مات فى أغسطس ١٩٧٣ ) .

وكان هناك موقف اصلاحي بحت عبر عنه عبد الغنى سعيد ..

.. وهناك أيضا موقف راديكالى يعبر فى عنفه عن رفضه للنظام الرأسمالى ويدعو الى الاشتراكية ويتزعم هذا التيار عصام الدين حفنى ناصف .. على كامل ، رمسيس يونان وفيصل شهبندر ويفترض أن يكون ضمن هذا التيار عبد العزيز ميكل ( عضو تحرير الشعب ) لكن اسمه لم يظهر الا فى العددين الاخيرين وكانت كل مساهمته نشر مسرحية من فصل واحد فى كل منهما ..

وهناك موقف يسارى ركز كل حديثه عن الفن وعن دور الفنان فى معركة التطوير وكان محور هذا التيار كامل التلمسانى ..

وتيار كان يعتقد أن محور التقدم فى مصر هو حل قضية المرأة وتحريرها ومناقشة موضوع الجنس مناقشة صريحة .. عبد الحميد الحديدى .. رمسيس يونان .

وعلى وجه الاجمال يمكن القول بأن مجلة « التطور » كانت نقطة تجمع يسارية للمثقفين التقدميين القليلين من مصر الثلاثينيات نحو مصر الأربعينيات .

كانت المجلة تدور بهم يسارا ، وظروف مصر ... اليسار لكنهم كانوا على العتبات الأولى للطريق .. معالم تتقدم نحو ... الحين ـ مجرد مثقفين منعزلين كل ما يميزهم هو رفض ... كانوا ـ حتى ذلك ... قاطعا أما تطلعهم الى المستقبل فانه متفاوت الدرجات متعثر القسمات رفضا

وباستثناء شخص واحد هو عصام ناصف فانهم لم يكن ... ذلك الحين ـ أية علاقات بالحركة المخضرمة لليسار المصرى والتى ... متأججة أحيانا وخابية فى أحيان أخرى عبر العشرينيات والثلاثينيات .

بقيت علامة استفهام وحيدة ... أنور كامل فى كل محاولاته لتفسير هذا الماضى يؤكد أن كل بواعثه كانت تمصير الحركة . وكانت رفضا لفكرة أن يلعب الاجانب أو المتمصرين أى دور فى تأسيس التنظيم الشيوعى المرتقب .. فلماذا فتح صفحات كل أعداد التطور بغير استثناء أمام أجنبى هو جورج كنتزمنتيش وأمام أجنبى آخر هو ألبير قصيرى الذى كان يكتب قصصه بالفرنسية ليترجمها محررو التطور الى العربية ؟ .. ذلك سؤال لم أجد له جوابا ، ولعله يلقى ظلالا من الشك حول دعاوى التمصير التى يتشبث بها أنور كامل الآن مبررا كل مواقفه السابقة .. أو ـ على الاقل ـ يقلل من قيمة هذه الدعاوى .

* * *

بعد هذه المقدمة .. نعود الى قصة مجلة « التطور » .

« جماعة الفن والحرية » التى تأسست فى ٩ يناير ١٩٣٩ والتى اتخذت مقرا لها بشارع المدابغ رقم ٢٨ بالقاهرة والتى حدد قانونها الأساسى أغراض الجماعة بما يلى :

« أ ـ الدفاع عن حرية الفن والثقافة .

ب ـ نشر المؤلفات الحديثة والقاء محاضرات وكتابة خلاصات عن كبار المفكرين فى العصر الحديث .

جـ ـ ايقاف الشباب المصرى على الحركات الادبية والفنية والاجتماعية فى العالم »(١) .

---

١ ـ التطور ، يناير ١٩٤٠ .

. هذه الجماعة قررت اصدار مجلة ... رأس تحريرها أنور كامل وقدم ضمانها المالى جورج حنين ..

وصدر من المجلة ثلاثة أعداد .. ثم نلحظ آثار الازمة ابتداء من العدد الرابع عندما قرر أنور كامل الانفصال عن « الفن والحرية » وتأسيس « الخبز والحرية » فقرر جورج حنين « كف تمويله عن العدد الرابع . فظهر على الغلاف الداخلى لهذا العدد الاعتذار التالى « لظروف فوق ارادتنا تأخر صدور هذا العدد كما ظهر فى نصف حجمه المعتاد » ، ونلاحظ أن الثمن قد خفض أيضا الى النصف فأصبح عشرة مليمات .»(١)

لكن جورج حنين يكتب فى هذا العدد .. أما العدد الخامس فيظهر فى نصف الحجم المعتاد أيضا والثمن أيضا عشرة مليمات وهو العدد الوحيد الذى لا يشارك فى تحريره جورج حنين .

ثم توقفت « التطور » عن الصدور .

يقول مارسيل اسرائيل فى تقريره « ان الرقابة قد منعت « التطور » من الصدور(٢) وثمة دليل قد يشجعنا على قبول هذا الرأى وهو افتتاحية العدد الخامس والاخير التى كتبها أنور كامل بعنوان « نحن ودعاة الرجعية » والتى قال فيها « قامت بعض الجمعيات بحملات متعددة ضد مجلة «التطور» ولقد رفعت احدى هذه الجمعيات الى رئيس مجلس الوزراء كتابا تشير فيه الى خطورة الدعوى التى تنادى بها هذه المجلة والى انها تعمل على نشر الاباحية وهدم الفضيلة والدين وتقويض أركان النظامين الاجتماعى والدستورى اللذين تسير بمقتضاهما البلاد .. »

ويحاول أنور كامل أن يشرح باعتدال شديد أفكار ومواقف مجلته لكنه يختتم دفاعه قائلا « ان كان فى تحرير العقول من الخرافات والاساطير الرجعية افساد ، وان كان فى تحرير الناس من الرق والعبودية افساد ، فنحن نعلن من هنا بان لنا رسالة فى هذه الحياة : هى افساد عقول الناس »(٣) .

وهذا يوضح أن « التطور » كانت تتعرض لهجمات ومؤامرات شديدة .. ويزيد من مظنة أنها قد توقفت عن الصدور بقرار من الرقابة .

---

١ – التطور ، ابريل ١٩٤٠ .
٢ – د. رفعت السعيد – المرجع السابق ص ٢٦٩ .
٣ – التطور – مايو ١٩٤٠ .

لكننا بفحص الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية الصادرة خلال شهرى مايو ويونيو سنة ١٩٤٠ لم نعثر على اية اشارة لصدور مثل هذا القرار ، وكانت العادة أن تنشر الصحف مثل هذه القرارات وتعلق عليها — تاييدا أو معارضة .

ويقوى الاعتقاد بأن رواية مارسيل اسرائيل ليست صحيحة ما يؤكده صاحب الشأن أنور كامل من أن المجلة قد توقفت عن الصدور لان جورج حنين — وكان الضامن المالى للمجلة « سحب الضمان فسحب الترخيص فتوقفت المجلة عن الصدور » (١) .

يقوى هذا الرأى أن جورج حنين قد امتنع بالفعل عن المشاركة فى تحرير العدد الأخير .

* * *

وقبل أن ندخل فى دراسة متأنية لأعداد مجلة « التطور » الخمس نود أن نشير الى بعض الموضوعات التى تميزت بها « التطور » عن غيرها من مجلات اليسار السابقة والتى اعتبرت « التطور » بسببها نقطة تحول فى الصحافة اليسارية المصرية .

هناك أولا : الشعارات التى نثرت فى كل أعداد « التطور » لملء الفراغات فى نهاية المقالات .. مثل « مجلة التطور تحارب الرجعية وتثور على القديم ، تدافع عن حقوق الافراد ، وتنادى بحق المرأة فى الحرية والحياة » — وخلقت العراقيل لتكتسح » — « فلتأخذ المرأة حريتها بنفسها ولا تنتظر من أحد أن يمنحها هذه الحرية » — المرأة التى تخدم الرجل ، والرجل الذى يخدم الرئيس كلاهما من طبقة واحدة طبقة العبيد » — « سنكون أقوى فى الغد .. وأنت ؟ » (٢) .

« نحن لا نريد منك أن تتبعنا وانما نريد أن تشق معنا الطريق »(٣) الدولة التى لا عدالة فيها خير لها الا تكون » — لكل فرد فى الدولة الحق فى أن يعيش حرا ٢٤ ساعة فى اليوم »(٤) .

« نحن نريد ونعرف ما نريد » — « أيها الزميل تذكر دائما أن كل قرش تدفعه لهذه المجلة معول هدم فى صرح الاستغلال » — « ويجب وضع حد

---

١ — د. رفعت السعيد — المرجع السابق ص ٢٥٤ .
٢ — التطور — يناير ١٩٤٠ .
٣ — التطور — فبراير ١٩٤٠ .
٤ — التطور — أبريل ١٩٤٠ .

أدنى للاجور وحد أنصى لساعات العمل » ـ « كل قرش فى غير موضعه اعدار لحقوق الفقير » ـ الموت خير من الحيـاة فى عالم لا يقترن فيه الحلم بالعمل » ـ لسنا أحرارا ما دامت هناك سجون » ـ « أيها الزميل لا تنس أن تترك هذه المجلـة فى مكـان ما حتى يقـرأها غـيرك » ـ « انى أتهم الخـونة واللصوص »(١) .

كذلك كانت « التطور » أول مجلة يسارية تركز تركيزا خاصا وفى كل عدد من أعدادها على مشكلة تحرير المرأة وعلى ضرورة تناول قضايا الجنس تناولا عصريا متحررا ..

وينبع ذلك الاهتمام من ايمان بعض محرريها بأن تحرير المرأة وتناول قضية الجنس تناولا حرا هما عنصران أساسيان فى تقـدم الأمم ..

ولنلق نظرة سريعـة على أعداد المجلة لنجـد أن الشعارات تتنـاول فى كثير من الاحيـان مسألة تحرير المرأة .. أما المقـالات فهى عديدة وفى كـل عدد « بين ابليس والمرأة » ـ أنور كامل ـ « حول البغـاء البغاء .. مشـكلة تستوجب الصراحة »(٢) ـ « كيف تكون لنـا ثقـافة جنسية ـ عبد الحميـد الحديدى » ـ « البغاء مشكلة لهـا جذور ـ رمسيس يونان » (٣) ، « حرية المرأة ـ أنور كامل ـ « ذكور واناث ـ عبد الحميد الحديدى »(٤) ـ « دولة الاجرام الأبيض ـ زاهر غالى » ـ « الحب والجنس ـ عبد الحميد الحديدى » « المرأة المحاربة من أجل حقها فى الانتخاب ـ كريستابل بانكبرست »(٥) .

وفى البرنامج السياسى الهـام الذى قـدمه زاهر غالى على صـفحات « التطور » بعنوان « ثورة على التقـاليد » نجـد أن البنـد الاول فى هذا البرنامج بعنوان المرأة وينص على أن « للمرأة الحق فى الحياة والحـرية والمساواة فى كافة الحقوق والالتزامات قبل الرجل وقبل المجتمع . ـ لهـا الحق فى كافة الحقوق السياسية العامة كالانتخاب والوظائف ـ لها الحق فى تشريع مدنى يتلاءم مع نظم المدنية الحـديثة ـ يمنع تعدد الزوجات ويقيـد الطلاق تقييـدا يتفق مع كرامة المرأة الانسانية »(٦) .

---

١ ـ التطور ـ مايو ١٩٤٠ .
٢ ـ التطور ـ يناير ١٩٤٠ .
٣ ـ التطور ـ فبراير ١٩٤٠ .
٤ ـ التطور ـ مارس ١٩٤٠ .
٥ ـ التطور ـ أبريل ١٩٤٠ .
٦ ـ التطور ـ مارس ١٩٤٠ .

وهكذا لفتت « التطور » انظار اليسار وأنظار كل دعاة التقدم في مصر الى ضرورة معالجة قضايا تحرير المرأة معالجة حاسمة وصريحة كمنطلق أولي لتحرير المجتمع ككل .

كذلك فقد كانت « التطور » أول مجلة يسارية تركز تركيزا كبيرا على دور الفن والفنان في تطوير المجتمع ، وعلى واجبات الفنان تجاه قضايا مجتمعه . وهذه مسألة طبيعية ذلك أن « التطور » كانت أولا وأخيرا منبرا لجماعة « الفن والحرية » .

وفي العدد الاول توجه « التطور » الكلمة التالية « الى أصحاب الأبراج العاجية » تقول « ولن نجد كلمة نوجهها الى الفنانين والادباء الذين يعيشون على هامش المجتمع خيرا من الكلمة التى القاها بول الوار في لندن في ٢٤ يونيو ١٩٣٦ بمناسبة المعرض الدولي لحركة السيرياليزم ونحن نقتطف منها هنا بعض فقرات لعلها تجد لديهم آذانا صاغية »(١)

وتحت عنوان « نحو فن حر » يكتب كامل التلمساني مقالا يضع في مقدمته عبارة اقتبسها من برنارد هولاندر تقول « كل راحة ونعمة في الحياة الجديدة ولدت في أذهان رجال شذوا عن العرف والمألوف المصطلح عليه . وأوجدوا بالرغم من الاضطهاد والمعارضة ترتيبا جديدا أصلح للاشياء . ينسى العالم عبيد التقاليد المتوارثة .. لكنه يشيد هياكل الخلود لهادمي التقاليد الناجحين »(٢)

وفي العدد الاول أيضا قصيدة « عايدة » كتبتها بالفرنسية الشاعرة مارى كفاديا .. وذراسة عن « شاعر العيون الخصبة بول الوار » وقصيدة أخرى « العبقرى » كتبها بالفرنسية أيضا جورج حنين :

« غابة شقوقها من المرجان
مفتوح للعابرين المتخفين
الواصلين من نهاية السماء
الحب الذى يلعب
فوق سفوح الضوء المجبولة
وفوق عزلة جبينك التى يمكن التعبير عنها
يتردد في الاختيار
بين مذاهب الغواية المختلفة

١ ـ التطور ـ يناير ١٩٤٠ .
٢ ـ المرجع السابق .

التى يقدمها له مع ابتسامة من رصاص ..
شباب متهور
حياته لا تقوم الا على صلابة هذه الإبتسامة..

وفوق ذلك قصة رائعة بعنوان « قتل الحلاق امرأته » كتبها بالفرنسية أيضا البير قصيرى وترجمها الى العربية على كامل ..

وتقدم « التطور » القصة الاولى لالبير قصيرى بالعبارة التالية « البير قصيرى » كاتب مصرى ، يكتب بالفرنسية ، وهو يعبر فى كتاباته عن روح الشعب والطبقات الفقيرة ، ونحن ننقل له هنا هذه القصة كمثال للاتجاه الحديث فى القصة المصرية » .

وقصة البير قصيرى تستحق الاعجاب بالفعل . فانت تشعر انه بلمسات رقيقة غاية فى الرقة يضع يدك على الحقيقة المباشرة .

« .. كان الطفل قذرا . ولكنه كان جميلا ، كان عاريا تحت ردائه الملون بلون الارض ، كان يحمل حزنه فى كل جوانب جسمه » ..

ويجرى الحوار بين الحداد وابنه :

« ان العيد ليس لنا يا ولدى فنحن فقراء ..

— ولم نحن فقراء ؟
— اسمع يا ولدى اذهب واجلس فى ركن ودعنى أشتغل . اذا كنا فقراء فذلك لان الله قد نسينا .

— ولكن متى سيذكرنا الله يا أبى ؟
— عندما ينسى الله انسانا ، ينساه الى الابد يا ولدى » .

ويصف حى الاغنياء فى القاهرة قائلا « كانت المدينة الاوروبية تبدو فريسة ملل حزين لا ينتهى ، هو وليد الشك وتفاهة اللذات .. كان المرء يحس أن المدينة تريد أن تفعل شيئا من أجل أن تحيا . ولكن نوعا من اليم الباطنى الذى لا يشفق كان يشل حركتها باصواتها القوية .. » أما الفقراء فقد ... « كانوا لا عدد لهم حول المطاعم وكل الاماكن التى يمكن أن ياكل فيها المرء . كان تناول الطعام بالنسبة لهم هو كل شىء . كانوا لا يرغبون فى أى شىء آخر . منذ أجيال لم تكن لهم لذات أخرى . كانوا أجساما بغيضة لا حياة فيها . كانت المدينة تتعذب برؤيتهم . كانوا أشبه ما يكونون بوخزات الضمير . وخزات ضمير متأصلة فى أعماق الارض . ورغم كل ذلك لم يكونوا يريدون الموت . كان استجداء قطعة من الخبز من الذين انتزعوا منهم كل شىء هو بالنسبة لهم فرصة للحياة » ..

كل جزء فى عدد واحد هو العدد الاول ..

وبامكاننا بدون افاضة أن نلمح الجديد والثورى فى كل أشكال التداول الأدبى والدرامى التى قدمتها التطور بل وأعطتها مكانا مبالغا فيه على صفحاتها ..

وفى الأعداد التالية نلمح نفس الشيء .. وبنفس الكم .

على كامل يكتب فى العدد الثانى « الثقافة والرجل المثقف » يدعو فيه الى ثقافة جديدة .. أساس هذه الثقافة الجديدة هو أن تكون شعبية بالنسبة للوطن ، انسانية بالنسبة للاوطان الاخرى . ذلك أن الثقافة الحقة هى تلك التى تنظر الى أبناء الوطن جميعا ككتلة واحدة دون تمييز . هى تلك التى لا تسمح لطبقة خاصة من الامة بأن تفوز بامتياز حق التثقيف فتأخذ بيدها زمام الامور لتفرض أهوائها ومصالحها على الشعب ..

الثقافة الحقة هى تلك التى تسعى لتكوين الفرد وتجعل منه انسانا واعيا يعرف ماهيته ، يدرك علاقته بالمجتمع وعلاقة المجتمع به »(١) .

وفى نفس العدد يكتب التلمسانى « الانسانية والفن والحديث » فيقول « الشعور بالانسانية وما تعانيه فى وقتنا الحاضر من أزمات هو أحد المشاكل التى يتناولها الفن الحديث وفى اعتقادى انه أهمها جميعا وأحقها بالدرس والمعالجة » .

والشعر أخذ مكانا كبيرا - هو أيضا - على صفحات « التطور » لكن معظم القصائد كانت مكتوبة بالفرنسية اما لجورج حنين أو كنتروفتش أو ماريا كفاديا . لكن ثمة أشعار مصرية صميمة كتبها أحمد رشدى .. وهى أشعار تعبر عن التمرد ورفض الاستعباد .. لعلها كانت ارهاصات مدرسة جديدة فى الشعر تطورت بعد ذلك على صفحات الفجر الجديد وأم درمان والجماهير .. بأقلام كمال عبد الحليم ومحمد خليل قاسم ومحمود توفيق وغيرهم ..

وقصيدة « استعباد » لأحمد رشدى هى نموذج لهذه الارهاصات الجديدة للشعر الثورى .

« فى الحروب يستعبد القوى الضعيف
فى السلم يستعبد الغنى الفقير
نحن نعمل لنعيش

---

١ - التطور - فبراير ١٩٤٠ .

ولكنهم يمتحوننا أجرا هو العدم ..

اننا فى طريقنا الى الفناء

نحن نكدح من أجلهم طيلة اليوم

وهم يكدسون الذهب فى خزائنهم

مبل الأوان يذوى أطفالنا

وتتصلب وجوه من نحب

ويملؤها التجهم والعبوس

نحن نغرس الكروم ونسهر عليها

وغيرنا يشرب الخمر ...

نحن نزرع القمح

لتخلو منه منازلنا

اننا مقيدون بالاغلال

وان كانت مختفية عن الانظار

نحن العبيد

وان كان الناس يلقبوننا بالاحرار

اركلنى بعيدا

خذ كل ما أملك

أسلبنى دنياى

فى هذا الاهمال

فى الحرية المجردة

دعنا نصبح فى الاخاء شخصا واحدا

أسفا على هدفى الذى ضاع

أين الأمل فى المساواة »

وفى العدد الثانى أيضا قصة رائعة لالبير قصيرى بعنوان « اضطرابات فى مدرسة الشحاذين » . وهكذا تمضى « التطور » لتؤكد ـ فى مبالغة أحيانا ـ على دور الفنان والفن . وفى العدد الثالث يصرح كامل التلمسانى « الفن كالخبز والجنس ضرورة يجب أن تكفلها الدولة لكل فرد فيها »(١) .

وفى العدد الاخير يكتب التلمسانى مقالا عنيفا بعنوان « الفن المصرى والمجتمع الحاضر » يبدأه بعبارة غريبة « على الدولة أن تحقق لكل فرد نصيبه من الشعر ، ونصيبه من الخبز » ويقول « ... ان السينما المصرية والمسرح والغناء والموسيقى المصرية عبارة عن تجارة يقوم بها بضعة بقالين لسرقة أموال الشعب المسكين لانه أكثر الطبقات ترددا على الاقلام المصرية » .

---

١ ـ التطور ـ أبريل ١٩٤٠ .

ثم يركز بعـد ذلك على محمد عبد الوهاب قائلا « ان رجلا مثل محمـد عبد الوهاب ينقل كل قطعه الموسيقية عن الموسيقى الاوربية بمثل هـذه الجرأة والوقاحة ‥ ينقلهـا كما هى بدون تحريف أو تبديل هو رجل لص ‥ انى أقصد هنا بكلمة لص ما يراد بها تماما »(١) ٠

والفن التشكيلى لقى هو أيضا اهتماما كبيرا من مجلة « التطـور » ‥ وكانت رائدة فى هذا المجال أيضا ‥

وقد ابتدعت « التطور » لاول مرة فى الصحـافة المصرية فكـرة بلـورة القصيدة فى لوحة تشكيلية ‥ وبدأت بلوحـة لبيكاسو لاحـد قصـائد بـول ايلوار (٢) ثم امتدت بعـد ذلك الى لوحات عديدة مبدعة بريشة كامل التلمسانى وأنور كامل ، انجلو دى ريز ، فؤاد كامل ، فتحى البكرى ٠

ويمكن القول بانه بالنسبة للفن التشكيلى كانت « التطور » منبرا يدافع عن السيريالية ويدعو لهـا ‥

يقول رمسيس يونان « وبازاء النرويدزم فى علم النفس الحـديث ، ظهرت حركة السيرياليزم فى الفن والشعر تلك تحلل التناقض بين العقل الباطن والعقل الواعى أو بين الحلم والحقيقـة أو بين الشهوة والواقع ‥ وهذه تبرز أسراره الشديدة وتقابل بين أطرافه المتباعدة فى صورة واحدة ، داخل إطار واحد أى مثالية واحدة ، وفلسفة جامعة متكاملة فى الحياة »(٣) ٠

‥ وهكذا كانت « التطور » منبرا لعب فيه الفن والدعوة اليه والتركيز على موقف الفنان من قضية تطوير مجتمعه دورا أساسيا ‥ ولعل ذلك كان أمرا مقبولا من مجلة تصدرها جماعة « الفن والحرية » ‥

ولسنا نريد ان ننتقل من هذه النقطة دون أن نشير الى أهمية هـذا الدور الذى لعبته « التطور » تجـاه مستقبل الحـركة الفنية فى مصر ‥ وتجـاه اهتمام الحركة اليسارية المصرية بالفنان ودوره ‥

* * *

بعد هذه الملاحظات العامة ، يمكننا ان نستقرئ أعداد مجلة « التطور »

‥ تقول افتتاحية العدد الاول « نحن نعتقـد أن المجتمع المصرى بحـالته الراهنة مجتمع فاقـد للاتزان : فمقاييسـه الخلقيـة وأوضاعه الاجتمـاعية

---

١ ـ التطور ـ مايو ١٩٤٠ ٠
٢ ـ التطور ـ يناير ١٩٤٠ ٠
٣ ـ التطور ـ مارس ١٩٤٠ ٠

والاقتصادية مختلة . وأثر هذا الاختلال نراه واضحا فى أعراض الانحلال المتفشية فى عناصر القوة فيه : فالشباب المتعلم من جهة يقضى وقته فى الأحلام المريضة نتيجة لما يعانيه من كبت لميوله ونزعاته ، وسواد الشعب من جهة أخرى يعيش فى أبشع حالات الفقر والبؤس والمرض نتيجة لانعدام روح العدالة فى النظم التى يخضع لها ....

ونحن باصدار هذه المجلة نمهد للحوافز الكامنة فى نفسية هذا الجيل طريقا يخلق فى جو المجتمع الذى نعيش فيه جديدا من أطوار الصراع الفكرى وحركة حرة تناوئ الخرافات والاساطير وتكافح القيم المتوارثة التى وضعت لاستغلال قوى الافراد فى حياتهم المادية والروحية . لقد كان لابد لهذا المجتمع أن تنشأ فيه حركة فكرية جديدة كالحركة التى ندعو اليها ونحن وان كنا لم نتقدم للنادى برنامجا معينا لحل مشاكله المختلفة فقد مهدنا للطليعة المتوثبة من أبناء هذا الجيل مكانا صالحا تلتقى فيه أفكارهم الجبارة ونزعاتهم الاصلاحية لتنمو وتنضج وتهيىء أسباب التطور لهذه البلاد(١) ..

ولقد تعمدت أن أورد الافتتاحية كاملة فهى بالفعل تعبر بشكل دقيق عن مهمة مجلة « التطور » كما فهمها أصحابها .

لكننى أود أن ألاحظ أولا كلمة « نزعاتهم الاصلاحية » فلقد كانت « التطور » بالفعل مجلة اصلاحية قبل أن يقتحمها كتاب من أمثال عصام ناصف وفيضل شهبندر وغيرهما .

كذلك ألاحظ أن التوجه الى « الشباب » و « الجيل الجديد » كان اللهجة السائدة فى العدد الاول حتى جاء عصام ناصف وغيره فى العدد الثانى وما بعده ليتحدثوا عن « الشعب » و « العمال والفلاحين » ..

ويمكن القول أن « التطور » كانت مزعلة من جانب مؤسسيها « جورج حنين — أنور كامل — التلمسانى » لان تقف على الهامش الدقيق الشديد الدقة الذى يمكن أن يقف عليه الوطنى الرافض للاحتلال ، والماركسى الراغب فى اقامة الاشتراكية ، والتروتسكى المعادى للنموذج السوفييتى ، والمتحرر الرافض لقيود وأغلال التقاليد القديمة . الفنان الحر .. والمطالب بحرية المرأة ... والمطالب بحرية العقيدة وحرية رفض العقيدة ..

.. هذا الهامش الدقيق كان محل صراع مستمر .. فظهرت تيارات اصلاحية وتيارات ماركسية وتروتسكية .. وأخرى متحررة .. ولنحاول أن نتتبع ذلك كله .

* * *

١ — التطور — يناير ١٩٤٠ .

.. وكان عبد الغني سعيد أستاذ « الإصلاحية » في مجلة « التطور » وكان يرقع « ع . سعيد » وقد كتب موضوعا من حلقتين بعنوان « ذلك الفقر الأزلي » وقال في الحلقة الاولى « .. لا يكفي في نظرى أن يقول بعض كتابنا الافاضل أن خمسة وسبعون في المائة من أبناء هذا البلد يعيشون في فقر مدقع ليقنعوا أنفسهم ، وليحاولوا اقناع الناس بانهم أتوا بالجديد وعبوا لأداء رسالة انسانية سامية .. لا يكفي أن يصبح صائح ويغو واغفا على تساطىء المشكلة لاثارة العواطف الانسانية وايقاظ الضمائر النائمة » .

.. .. نعم لم تعد مسألة اصلاح محدود منعزل ولم يعد من الممكن انقاذ ملايين المصريين من هوة الفقر الاسود الشائن بملاجىء لا تتسع للمئات أو بصناديق احسان لن تعرف على سعتها رقم الالوف مهما حشدنا لها من نداءات حارة ومقالات قوية صاخبة . فما هذه الاساليب الممكنة وأمثالها الا حلول مرتجلة وعلاجات مؤقتة لا يمكن أن تأتى بنتيجة الا في علاج الفقر العرضي .. أما الفقر الأزلي فلا يجدى معه اصلاح ولا بد لعلاجه من ثورة شاملة جارفة » .

لكن كيف فهم « أستاذ » الاصلاحية « الثورة الشاملة الجارفة » :

« ولست أعني بالثورة معناها السطحي كتظاهر وهياج في الميادين والطرق فما كان الهياج ليحل المشاكل الاجتماعية العويصة المعقدة فهو ان قضى على حكومة مستبدة فانما يأتى مكانها بحكومة أخرى مسيطرة ! وانما أعنى بالثورة معناها البعيد . أعنى بها التنظيم الجرىء والاصلاح المتطرف الشامل ذلك الاصلاح الذى لا يقطع الداء وانما يجتثه من جذوره » .

وهكذا أدان الاصلاح .. ليطالب بالاصلاح الشامل .. وفي طريقة بين « الاصلاح » و « الاصلاح الشامل » أدان الثورة وعرض بها ملمحا الى أنها تنتج حكومات مسيطرة ..

وكل شيء في نظر « ع . سعيد » يجب أن يتم بالرضاء التام من جانب الطبقات الاستغلالية ..

« .. فمتى أدرك أصحاب المصانع أنه لا سبيل لتقدم صناعتهم ورواج منتجاتهم الا برفع مستوى معيشة العمال عن طريق زيادة أجورهم . ومتى أدرك أصحاب المؤسسات التجارية والصناعية أن ما يدفعونه الى الدولة من ضرائب مباشرة وغير مباشرة ينفق منهما على رفع مستوى معيشة الفلاحين والعمال ومن ثم يعود اليهم باتساع سوقهم ! ومتى أدرك رجال الحكم أن لا سبيل لتدعيم مركزها السياسي والحزبي الا برفع مستوى المعيشة والقضاء على الجهل كان طريق الاصلاح أمامهم ممهدا » .

ثم ماذا بعد أن يضنخ طريق الاصلاح ممهداً ؟

يقول « ع. سعيد » : « ... واستطاعوا بشيء من الروتين الحكومي القيام بذلك الاصلاح المتطرف الشامل أو الثورة المنظمة »(١) .

واذا كانت « الاصلاحية » أحد ملامح مجلة « التطور » فقد كان « الرفض المجرد » و « السخط غير المثمر » علامة أخرى من علاماتها .. ولعل هذا ما حدا بمارسيل اسرائيل الى اتهامها بالفوضوية .. ولعل كلمات مثل « الفن معمل بارود » والتى قدم بها جورج حنين دراسته لكتاب « نقولا كالاس » « مباعث النيران » كانت أحد أدلة مارسيل اسرائيل على اتهامه هذا ..

يقول جورج حنين نقلا عن نقولا كالاس. « أخطر موقف يمكن أن يقفه الانسان فى حياته أو فى تفكيره هو موقف الرضى سواء أكان هذا الرضى بنفسه أو بالعالم » .

« ونقولا كالاس ينادى بايقاظ صفات الفرد الهجرمية . وبوضع قواته الباطنية فى خدمة ديوله المضطهدة . وذلك بلغة قاسية جافة تزيد كلامه ودلائله « اقناعا » . ونحن نعتقد أن تلك النيران التى يبعثها قلمه سوف تنير طريق المستقبل الانسانى »(٢) .

وعلى نفس النسق يعلو صوت « ن. ل. ح » ( وقال أنور كامل أنه د. نظمى لوقا ) صائحا « انى أتهم » .

« آن لهذه الامة أن تكف عن غطيطها وأن تستيقظ على الصوت الداوى .. انى أتهم » .

« انى أتهم .. فليس فى هذا البلد المسكين انسان فى مكانه الطبيعى . ولا شيء فى وضعه الطبيعى ولا فهم طبيعى للانسان والاشياء .

انى أتهم .. فقد آن للحق فى هذا البلد الذى يعيش فى سواد العماية وحلكة الضلال والرياء أن يظهر بعد طول غياب ، وأن يسيطر على كل شيء . وعلى كل انسان ، كما ينبغى له أن يسيطر حتى لا يظلم أحد ولا يستغل أحد ولا يشعر فى ظله أحد بعنت ولا ارهاق .

أيها الأيقاظ كالنيام .

أيها الأحياء كالموتى .

---

١ ــ التطور ــ يناير ١٩٤٠ .
٢ ــ التطور ــ يناير ١٩٤٠ .

انى اتهمكم ! انى أصرخ فيكم وأبدد عنكم عمايتكم وأبعث أرواحكم من محابسها بصرخة الحق الصريحة المخلصة السامية التى تشق كل أذن ولا يغلق دونها قلب ولا يصمد أمامها رتاج .

أيها الحق انا نريد لك أن تنتصر .

أيها النير انا نريد لك أن تسقط عن كل عنق وأن يتلاشى عن كل نفس .

أيها القيد انا نريدك أن تنفرج عن كل عنق وأن تتلاشى عن كل جسد .

أيها القيد انا نريدك أن تنفرج عن كل روح وأن تطلق كل جسد .

أيها الشعب .

انا نريدك أن تحيا .

انى أتهم ولصحيفة الاتهام قانون واحد : الحق .

ولها غاية واحدة : الحياة .

ووسيلة واحدة : الحرية وشجاعة الايمان »(١) .

وهكذا رنين عال للكلمات الصاخبة دون مضمون طبقى . صراخ واتهامات دون أن يكون هناك تحديد لمن الجانى ومن المجنى عليه . الوعى الطبقى غائب تماما ، فقط هناك « سخط » و « رفض » .

بل أن أحد كتاب « التطور » وهو توفيق حنا الله طالب بانشاء « مدرسة للسخط » « أولى بنا أن تنشىء مدرسة لكى تعلم فيها هذا الشعب كيف يسخط وعلام يسخط . على هذه القيود .. على هذه القيم الجامدة ، فالسخط هو الناحية السلبية للمطالبة بالحرية .. والحياة »(٢) .

غير أن بعض هؤلاء الرافضين يتلمس الطريق نحو شحن « سخط » بالوعى الطبقى .

« لقد آن لحقوق الافراد أن تتجدد فى دولة الاجرام الابيض ، ولقد آن لهذه الامة أن تخلع نقاب التقاليد الاسود ، ثم لقد آن للشباب الجرىء والفكر الحر أن يعلو منصة الحكم فى البلاد » ...

هكذا يقول زاهر غالى فى محاورته « دولة الاجرام الأبيض » وهو يقول على لسان الزعيم فى هذه المحاورة « تقوم العلاقة بين الفرد والدولة على أساس

---

١ ـ التطور ـ مايو ١٩٤٠ .

٢ ـ التطور ـ مارس ١٩٤٠ .

خضوع الفرد لسيادة الدولة التشريعية والقضائية · فعلى الدولة أن تكفل للفرد العمل والحرية وتحسين ظروف الحياة بتخفيف الفوارق الاجتماعية وتحقيق الانسجام الاقتصادي · ان المشكلة التى يعانيها العالم الان ليست مشكلة وجود الانتاج وليس وجود الثروة وانما حسن توزيع الثروة » ·

وربما كان كنتروفتش أكثر وضوحا من غيره من هؤلاء « الساخطين » فتحت عنوان « دنيا بلا عيب » يكتب « يقدمون كماليات الاغنياء على ضروريات الفقراء الاولية ويسمونها مدنية ·· جواهر تتلالئ فى الفترينات ثم تغطى جلد امرأة اصطناعية لا انسانية فيها · ملذات غاية فى الدقة وفى التفاصيل تخترع من أجل الفئة القليلة المحترمة ·

اذا كان مصير العالم أن تحول جميع منتجاته فى سبيل ارضاء النفوس التى لا تعرف الا الاستغلال فالافضل ألا يكون العلم والافضل العودة الى كهوف ما قبل التاريخ ·

من جيل لآخر يتنازلون عن ذرة من سلطتهم يسمون هذه إنسانية وتطورا اجتماعيا »(١) .

وهو يقول تحت عنوان « الحلول المباشرة » « ان استمرار المساوىء والمظالم مائة عام لا يبرر استمرارها مائة سنة أخرى ، ولا يبرر تقليد المتحذلقة فى التقدم نحو المراحل الجديدة » لكننا نلمح بالفعل اتجاها فوضويا فى عبارة لعلها أفلتت من كنتروفتش « كثيرا ما تكون الدراسات الفلسفية والاقتصادية العويصة للمشاكل وسيلة للتهرب من الاصلاح اللازم اتخاذه فى الحال »(٢) ·

واذا كانت الكلمات السابقة جميعا تقف « بالتطور » عند حدود « السخط » غير الواعى ، و « الرفض » الخالى من أى مضمون طبقى · فان كلمات أخرى كانت أكثر وعيا وأكثر التصاقا بحقائق الواقع ·

وفى محاولة لتلمس الواقع ومشاكله ، وربما فى محاولة لاستثارة المثقفين ودفعهم الى التفكير فى مشاكل المجتمع توجه « التطور » دعوة للتفكير فى حالة المجتمع المصرى » تقول « ·· ونحن نتوجه الى كل من يعنيهم أمر هذا المجتمع بهذين السؤالين :

١ ــ تعيش الايدى العاملة وهى سواد الشعب ومصدر الثروة فى البلاد فى أشنع حالات الفقر والبؤس والمرض · والوزارات المتعاقبة تعلن

---

١ ــ التطور ــ مايو ١٩٤٠ ·
٢ ــ التطور ــ مارس ١٩٤٠ .

أنها منيتمة بتحسين حياة هذه الأغلبية المهضومة الحق . فما هى الوسائل التى تراها لحل هذه المشكلة الاجتماعية التى قد تؤدى الى أشد الأخطار ؟

ما رأيك فى التوزيع الحالى للثروة فى المجتمع المصرى وفى وسائل تنمية هذه الثروة ؟ ما رأيك فى طرق مكافحة الفقر والمرض والبطالة ؟ ما رأيك فى نظام العمل وأجور العمال ؟ ما رأيك فى نظام الضرائب ؟ . .

٢ ــ تشيع روح الضعف والتشاؤم وفقدان الثقة والحوافز الشخصية فى نفسية هذا الجيل وهى ظاهرة من ظواهر الانحلال تناولها بالبحث والتحليل أكثر من كاتب . الا أن أغلب ما كتب فى هذا الموضوع لم يخرج عن نطاق البحوث السطحية التى لا تستند على حقائق علم النفس الحديث .

فما هى الأسباب التى تعتقد أنها أدت الى هذه الحالة ؟ وما العلاج الذى تقترحه لتلافى أضرارها فى المستقبل . . . »(١) .

وكان استمرار نشر هذين السؤالين فى ثلاث أعداد متتالية تأكيداً من المجلة على اهتمامها بتلقى آراء القراء حولهما أو دعوتهم للتفكير فيهما . . وهو موقف متقدم يتجاوز السخط غير الواعى والرفض غير الملتزم بموقف طبقى . فالسؤال الاول واضح ومحدد الهدف وهو فى ذاته يوحى بأن بعض أصحاب التطور كانت تؤرقهم مسألة البحث فى نظام العمل . . وأجور العمال . . وتوزيع الثروة . . الخ .

ويسير على نفس النمط مقال لعلى كامل بعنوان « الفكر فى خدمة المجتمع » يقول فيه « . . فالمفروض أن الفكر يجب أن يتطور بتطور المجامع الانسانى » . يعبر عن آماله وأحلامه . يفضح عيوبه ونقائصه . يكون صدى لمطالبه ورغباته . يحمل العلم ليسير فى الطليعة ويشق الطريق الذى لا مناص منه دون تردد أو خوف . . . لقد تحطمت الان الفكرة الرجعية القديمة القائلة بأن الجماهير لا تعى وانها عبارة عن قطيع ينساق وراء الابطال ، ان الأبطال لا يبنون التاريخ بل التاريخ هو الذى يبنى الابطال . الابطال لا يغيرون التاريخ . بل ان تغير التاريخ وتطور الامم اجتماعيا واقتصاديا تطورا لا يمكن أن يقف سيره المتواصل مهما حاولت جهود الجامدين هو الذى يغير مبادئ الأبطال » . .

هل كان « على كامل » يتصدى بكلامه هذا للنزعات الفوضوية ؟ ربما . . ويمضى على كامل قائلا « . . ان الفكر الذى لا يكون صدى للاغلبية العظمى من الشعب فيه منعكس أحلامه وآماله وأوجاعه فى وقت واحد ، هو فكر خائن غريب عن الوطن الذى نشأ فيه .

---

١ ــ التطور ــ يناير ــ فبراير ــ مارس ١٩٤٠ .

.. أن ثمانين فى المائة من شعبنا المصرى تعيش فى الجوع أو ما يشبه الجوع فأين هو الفكر الذى يبحث فى مشاكلهم ويجد لها علاجا حاسما مثمرنا ... تدل الاحصاءات الرسمية على ان الفقر ينشر تعاسته فى مصر بشكل افظع مما كانت عليه البلاد منذ عشر سنوات أو أكثر ، وان الثروات تزداد تركزا فى أيدى عدد محدود جدا من الأفراد » .

« ... ان لتطور المجتمع الانسانى قانونا علميا لا يستطيع ايقاف سيره انسان ولقد اصطدم هذا القانون فى كل مصر وفى كل أمة بمقاومة فيالق الرجعية والجمود .. ولقد كان دور رجال الفكر حاسما فى فترة من فترات التطور الاجتماعى للانسانية ، وكل أملنا الا يكون مفكرونا أقل فضلا من نظرائهم فى الامم الاخرى فى تطوير المجتمع المصرى والسير به نحو تحقيق العدالة الاجتماعية » (١) ويواصل على كامل ادانته للمجتمع الرأسمالى . فيكتب فى مقال بعنوان « الثقافة والرجل المثقف » « أدرك المفكرون الأحرار بعد الحرب الماضية انها حرب على الشعوب وليست لصالحها أو لخيرها . أدركوا انها كانت حربا أشعل نارها رجال البنوك وتجار المدافع وأصحاب المصانع الكبرى رغبة فى تقسيم العالم من جديد . بعد ان تطورت حال الصناعة فى الامم الاوربية بشكل جعل أصحاب رؤوس الأموال فيها يفكرون فى الخروج من المأزق الذى أوجدهم فيه التناقض العجيب فى تركيب المجتمع الذى يعيشون فيه ونظم انتاجه . ذلك ان تطور الصناعة والاندفاع جعلهم لا يجدون علاجا لتوزيع منتجاتهم والحصول على المواد الخام لمصانعهم الا بالغزو والفتح على حساب الشعوب البريئة المسالمة » (٢) .

هنا تبدو الكلمات واضحة .. والموقف الطبقى يشع بين السطور . ان الفارق بين . ل . ج أو كنتروفتش ، وبين على كامل هو الفارق بين الإبقاء على هامش السخط والرفض الخالى من الوعى وبين الفهم الماركسى لحقائق المجتمع الرأسمالى ..

ويكتب جورج حنين بعنوان « اختراق المراحل » « .. ان مسائل الحرية والسلام والخبز مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا فلا قيمة للحرية عند الرجل الذى ينقصه العيش والسلم . ولا قيمة للخبز اذا اختلط بالاستعباد. ولا قيمة للسلم لرجل فقد الخبز والحرية . وعلى الشباب أن يوفق بين هذه العناصر الثلاثة الثمينة ، عليه أن يجعلها أساسا قويا لبناء المجتمع فى المستقبل.

---

١ ـ التطور ـ يناير ١٩٤٠ .
٢ ـ التطور ـ فبراير ١٩٤٠ .

ولئن تعذر عليه بعد المسافة فله أن يخترق المراحل بالحصافة وبسراغة اندفاعه »(١) .

ولئن كان جورج حنين قد ركز دعوته على « الشباب » متجاهلا الاساس الطبقى للصراع الاجتماعى فان ثمة كتاب آخرين أدركوا أن أداة أى تغيير هى « العمال والفلاحين .. » هكذا أكد فى مقالاته عصام الدين حفنى ناصف ..

« ... وقد جرى الاغنياء على مطالبة الفقراء بالتضحية كلما ظنوا أن الأمر فى حاجة الى تضحية ، فاذا رابط جيش أجنبى على الحدود كان على كل عامل أو فلاح مصرى أن يتقدم للقاء الموت دون أن تغمز عينيه أو يختلج صدره أو تهجس نفسه بالسؤال عما قدمه له الوطن من المتع والخيرات .. وإنما قدمه للوطن أولئك الذين قدم لهم الوطن كل شىء . أما اذا كان الأمر ضرائب زهيدة ولا تبلغ ربع نظائرها فى البلدان الاجنبية فهنا يثور السادة الاغنياء .. »(٢) .

. وتحت عنوان « صحافتهم » يكتب عصام ناصف « كتبنا نحسب أن ثورة البرجوازيين الرجعيين ( نلاحظ أنها المرة الوحيدة التى استخدم فيها لفظ برجوازية فى مجلة التطور ) ضد التعليم الالتزامى قد خمدت الى الأبد ، ولكن قاضيا رقيق الشعور هو الاستاذ يوسف يعقوب رأى فى بعض القضايا التى نظرها أن هناك آباء يبلغ بهم الفقر حدا لا يستغنون فيه عن أستغلال أطفالهم .. وهناك برق آخر من أبواق الرجعية هو الاستاذ محمد زكى عبد القادر أعجبه هذا الرأى الخطير فكتب فى « الأهرام » يقول « ان المسألة التى يتعين بحثها فيما يختص بقانون التعليم الالزامى هى : هل التعليم مقدم على الخبز أو الخبز مقدم على التعليم ؟ هل يجب أن يعطى الطفل لقمة ليأكل أو قلما ليكتب ؟ ان هذا القانون فى حاجة الى تعديل كبير بل لعله فى حاجة الى الالغاء . ولا بد من بحث المسألة كلها بشىء من الجرأة والفهم الصحيح » ولسنا ندرى ما هى الحاجة الى « الجرأة هنا » ، فان الدفاع عن وجهة النظر الرجعية ليس الان ولم يكن فى أى عهد من عهودنا محتاجا الى الجرأة .. ان الخبز والتعليم كلاهما ضرورى ، ولكن هذا لا يسوغ للاستاذ أن يضع سؤاليه فى هذه الصيغة المضللة فان فى وسع الدولة أن تعطى كل طفل لقمة ليأكل وقلما ليكتب ومن واجب الدولة أن تقدم الخبز والتعليم معا الى هذا الشعب الجائع البطن والرأس .. أما محاربة الفقر بالجهل فلا يؤدى الا الى نتيجة عكسية » .

---

١ ــ المرجع السابق .
٢ ــ المرجع السابق .

ثم يختتم عصام مقـاله العنيف قائلا « .. ونحن نطمئن حضرته .. سيجد الفلاحون والعمـال والصعاليك دائما ما يقرأونه ونحن سنزودهم بمـا يقرأون »(١) وفى مقال آخر يقول عصام ناصف « . قررت أن أنشر التعاليم الاشتراكية وأدعو اليهـا » ( ونلاحظ أنهـا المرة الأولى والأخيرة التى ترد فيها كلمة الاشتراكية فى مجلة « التطور » وكانت كلمة الاشتراكية فى ذلك الحين تثير الدهشة المقرونة بالاستخفاف عندما يدور الحديث عنها باعتبارها مسألة ذات علاقة بمصر ) .

. « وقـد نصحنى بعضهم بعـد محاكمتى على كتـابى « الاشـتراكية الجديدة » و « التجديد الاجتماعى » أن أتحاشى التعرض للخطر بتحاشى ذكر كلمة « الاشتراكية » والاكتفـاء فى كتاباتى بعرض ما لا يتعذر الان من المطالب الخاصة بتحسين حال الطبقـة العاملة فى مصر . ولكنى رفضت الاصاخة الى هذه النصيحة وأجبت محدثى انى أعنى بغرس كلمة الاشتراكية فى أذهـان المصريين ونشرها وجعلهـا مألوفة فى مصر أكثر مما أعنى ببعض اصلاحات معينة ، وقـد عقبت القـول بالعمل فأخرجت كتاب « حركة العمال والاشتراكية الديمقراطية » و « مبادىء الاشتراكية » و « المسألة الاشتراكية » وقـد بلغت مصر فى النهـاية بعض ما رجوناه لهـا فكثرت فيهـا الدعوات الى الاصـلاح الاجتماعى وظهر الاتجـاه الاشتراكى فى أبحاث الباحثين ودعوات المصلحين » .

ثم يوجه عصام كعـادته لطمة عنيفة لشركائه فى المجلة من السـاخطين والاصلاحيين قائلا « .. ومع أن هذه الدعوات ليست فى الصميم ، ومع أن معظمهـا ليس جـديا ، ومع أن الكثير منهـا لا يعدو الندب والعويل ، ومع أن الكثير منهـا يدعو الى انقـاذ كبار الزارعين وأصحاب المصانع فى طيات الدعوة الى انقـاذ الفـلاحين والعمال ، فاننـا نسجل مع الاغتباط أن جهودنـا قـد أصابت بعض النجـاح فهى على الاقل قـد نجحت الى حـد أن الكثيرين من المرتزقة والمهرجين قـد أصبحوا يتطفلون عليها »(٢) .

وهكذا يمضى عصام ناصف مهاجما « المنحرفين » بكل العنف الممكن ، ومهاجمـا أيضا الرجعيين من كبار الملاك العقـاريين والبرجوازيين .. وعنـدما تثور ثائرة أعضاء مجلس النواب على « مشروع قانون يمنع الحجز على بعض حاجيـات الفـلاحين » ويصيح أحمد بك عبد الغفـار فى البرلمـان قائلا : « أنا أعترض على هذه القوانين التى تقـدمها لنـا الحكومة لانهـا قائمة على مبادىء ثورية بلشفية .. » يواجه عصام ناصف مجلس النواب بمقال عنيف يقـول

---

١ ـ التطور ـ مارس ١٩٤٠ .
٢ ـ التطور ـ ابريل ١٩٤٠ .

فيه « ان النواب ليسوا سوى جماعة من أصحاب الأملاك أو ممن يطمعون أن يصبحوا كذلك ذات يوم ، وان الأغلبية الساحقة من الشعب المصرى أى الفلاحين ليس لهم من يمثلهم فى هذا المجلس ، وان رجال الاحزاب السياسية المختلفة وان اختلفوا فى المسائل الثانوية وتنازعوا على الحكم .. فانهم يؤلفون صفا واحدا عندما يتعلق الأمر بطبقتهم » ..

ثم يمضى عصام فى هجومه على النواب متهما اياهم بالكذب والتهريج والخداع .. ويقول « والواقع أن اتهام المصلحين بالترويج للبلشفية ( نلاحظ أنها المرة الاولى التى ترد فيها كلمة البلشفية على صفحات « التطور » ) ليس الا الطراز الحديث من سلاح الرجعيين الابدى ، فقد كان السادة فى العهد القديم يتهمون المصلحين بالاباحية وبهذه التهمة ارغم سقراط العظيم على تناول السم . ولكن هذه التهمة لم تعد صالحة للاستعمال لان السادة أنفسهم اباحيون . وكانوا فى القرون الوسطى يتهمون المصلحين بالالحاد ولكن هذه التهمة لم تعد صالحة للاستعمال لان الدول المتمدينة تحمى الالحاد ولأن الالحاد لا يغضب أحدا غير الطائفة التى لا يهم غضبها أحدا ! اذن فالبلشفية ! » .

ثم يوجه حديثه الى الأغنياء قائلا « ولعل السادة الأغنياء والنواب المحترمين يفهمون قبل فوات الوقت أن الترويج للمبادىء البلشفية وتحبيبها الى قلوب الشعب لا يكون بالمطالبة بهذه الاصلاحات الطفيفة التى اذا نحن رحبنا بها فليس ذلك على أنها اصلاحات حقيقية بل على أنها دلالة على اتجاه التفكير نحو الاصلاح ليس الا .. وانما يكون هذا الترويج بمحاربة هذه الاصلاحات وافهام البائسين الذين يحسون مسيس الحاجة الى الاصلاح . ان الاصلاح قرين البلشفية ، وان فرض الايلولة على تركات الاغنياء بلشفية . وان نشر التعليم الالزامى بلشفية . وان تعليم البنات بلشفية ، وان محاربة البذخ والتبذير بلشفية . وان المطالبة بترقية أحوال العمال والفلاحين والجنود بلشفية . وان الدعوة الى تخفيض رواتب كبار الموظفين وزيادة رواتب صغار الموظفين بلشفية وان المطالبة بتشريع يحمى الفلاحين من استبداد الملاك بهم بلشفية .. وعلى ذلك فان حضرات النواب المحترمين لا يخدمون أنفسهم ولا طبقتهم حين يكثرون من ترديد الاتهام بالبلشفية »(1) .

.. ويكتب عصام مقالا عنيفا آخر بعنوان « نحو أمة عديمة الطبقات » يشن فيه هجوما شديدا على الرأسماليين فيقول « تمتاز الرأسمالية فى مصر بأنها حديثة العهد ، ولذلك نرى فى بعض أصحاب رؤوس الاموال عندنا

---

1 ـ التطور ـ مايو ١٩٤٠ .

صفات « المحدثين » فى الثراء ، فهم يلتـون الكـلام على عواهنه دون أن يحاولوا التضليل والتمويه ، وهم يفترضون – مبدئيا – أن الله هو الذى وضع نظـام الطبقـات . فمن كان يكـد ويكدح فقـد سخره الله للكـد والكـدح ومن كـان يستمتع ويتأمر فقـد خلقه الله للامارة والاستمتاع ، وهم يزعمون أن الثـراء – فى حد نفسه – دليل على الكفـاية وعنوان للاستحقاق ، فمن كان ثريا فجدير بالدولة أن تمـد له فى أسباب الثراء ، ومن كان فقيرا فحقيق به أن يزداد فقرا ومسغبة ، وهم يعتقدون أن الديمقراطية هى نظـام سيادة أصحاب رؤوس الأموال ، وليس البرلمـان الا نقابة لهم يبحثون فيها شئون طبقتهم »(١) .

.. وضمن نفس التيار يمكن وضع بعض مقـالات رمسيس يونان ..

وقد كتب رمسيس يونان عددا من المقـالات لعل أهمها تعليقه المبدع على كتـاب « مستقبل الثقـافة فى مصر » للدكتور طه حسين .. وفى البداية يقول رمسيس « يزعم قوم أن الدكتور طه حسين مجدد متطرف ، وانه ثورى التفكير . بل ويزعمون أنه ملحـد ، ونبحث عن هذه الصفات الخـلابة فى طه حسين وعما يشابههـا ممـا يكـال له بغير حساب . فنعجب ولا نعرف أى المقاييس يصطنع هؤلاء القوم فيما يزعمون » .

ويمضى رمسيس منتقدا آراء طه حسين فيقـول « ليس يكفى أن يكفـل الدستور حرية الافراد ليصبحوا أحرارا حقا ، فلابد من أن نمارس الحرية لنتعلم الحرية . ولا بد أن يعتمد الفكر الحر على خبرة وتجربة حرة ليتقـوم وينضج ويثمر .. » .

ثم يقـول « خلاصة هذا أن تسعة أعشار فتيان وفتيات مصر لا يسمح لهم الآن بنصيب من التعليم ، اذا استثنينا هذا الهزل الذى يعلم فى المكاتب الالزامية ولا يصيب مع ذلك الا اقلية من أبناء الفقراء . هذا بينما تفتح أبواب التعليم على مصراعيها أمام أبناء الطبقتين الغنية والمتوسطة – سواء منهم الأذكيـاء أو الأغبياء – ما داموا يدفعون مصروفات هذا التعليم . ونحن نخدع أنفسنا عندما نقـول ان الاغنياء يدفعون مصروفات تعليم أبنائهم ، فمن المعلوم أولا أن هذه المصروفات لا تصل الى نصف ما يتكلفه الطـالب فعلا . أما النصف الآخر فان الأمة هى التى تدفعه . واذا ذكرنا الامة فقـد ذكرنا ذلك الرجل البائس الذى هو مصدر كل ثروة فى مصر – نعنى الفلاح . ومن المعلوم ثانيـا أن ثروة الاغنيـاء فى مصر ليست نتيجة مجهودهم المستقل وانما هى فى نهـاية الأمر نتيجة مجموع مكدس من التضحيات يبذلهـا الفـلاح المصرى فى كـل دقيقـة من حياته وبكل قطـرة من دمه . فلماذا لا نعلن الحق ونقول ان الفقراء هم الذين ينفقون على تعليم أبناء الاغنياء » .

---

١ – التطور – أبريل ١٩٤٠ .

... ثم يمضي رمسيس يونان ليطالب ليس فقط بحق أبناء الفقراء في التعليم المجاني وانما « لا بد - فوق التعليم المجاني - من اعانة أبناء الفقراء على نفقات معيشتهم من ملبس وغذاء » .

ويطالب بفرض ضريبة على الاغنياء « تسمى ضريبة التعليم يعفى منها من لا يزيد دخله عن ١٠٠ جنيه في العام على أن تكون ضريبة تصاعدية ... ومثل هذه الضريبة لن تميت الاغنياء جوعا ولن تسيرهم حفاه الاقدام ولن تضطرهم الى أكل المش وشرب الماء الملوث والنوم في حظائر البهائم .. بل ستتركهم كما هم في نعيم مقيم »(١) .

ويجدر بنا قبل أن ننتقل الى موضوع آخر أن نشير الى أن « التطور » قد دافعت عن طه حسين بقدر ما هاجمته . فعندما يتقدم خمسة من أعضاء مجلس النواب باستجواب الى وزير المعارف « بشأن الاسباب التي حدت بالوزارة الى اسناد وظيفة مراقب الثقافة العامة الى رجل كطه حسين عرف بنزعات وآراء ضد تقاليد البلاد وأخلاقها ودينها » .

تعلن « التطور » « نحن مع طه حسين » وتقول « لقد انتقدنا طه حسين على صفحات هذه المجلة . لا لهذه التهم التي يلصقونها به وانما لروح المحافظة الظاهرة في علاجه لمستقبل الثقافة في مصر وفي طريقة توجيهه لهذه الثقافة بما لا يلائم اتجاهات العصر .. ولكن اذا كانت عوامل الرجعية قد شاءت أن ترفع رأسها من جديد لتقضى على الخطوة التي اجتازتها البلاد على يد مفكرين كطه حسين وغيره ممن لا نؤمن نحن بهم تمام الايمان كمعبر صادق عن حقيقة النزعات المتوثبة في نفسية هذا الجيل .. فنحن نصرخ في وجه دعاة الرجعية هؤلاء . نحن مع طه حسين الى أن نقضى على كل القوى التي تحاول أن تخلق لنا في القرن العشرين « عصور وسطى جديدة »(١) .

.. أما رابع الأربعة أصحاب التيار الراديكالي في « التطور » فهو « فيض عبد الرحمن شهبندر » وهو يكتب تحت عنوان « الحدود والقيود » مناقشا طبيعة النظام المصري .. والحدود التي يقوم الدستور المصري على أساسها ثم يقول « .. جاء الدستور ناطقا بأن الامة مصدر السلطات ولكن الدستور فيما نص عليه قد أقر الاسس النظرية لسلطات الامة فحسب ، بينما الامر الواقع من ناحية أخرى يدلنا دلالة لا ريب فيها على أن الشعب عنصر لا شأن له في تسيير دفة الدولة .. شيد الدستور الاركان النظرية لحكم الشعب ، ولكن فاته أن ثمة عوامل اقتصادية واجتماعية تقلب الاوضاع رأسا على عقب

---

١ - التطور - يناير ١٩٤٠ .

٢ - التطور - مارس ١٩٤٠ .

نتنقل مقاليد السلطة من يد الى أخرى ... وتجعل من السيد مسودا ومن الرئيس مرؤوسا فكيف لامة ينهش في أضلاعها الجوع ويطبق على أبنائها الجهل أن تقيم من نفسها رقيبا على أناس تفردوا بالمال والعلم والسلطة وامتلكوا ما على الارض وما في باطنها وأقاموا الانظمة القانونية التى تجعل قوام السلطة وقفا عليهم وعلى ذريتهم من بعدهم »(١) .

* * *

والدين .. كان واحدة من المعارك الهامة التى تصدت لها « التطور » ، واذا كان « زكى سلامة » قد وجد الجراة لكى يكتب مقالة « نشوء فكرة الله وتطورها »(٢) فان الاخرين قد اكتفوا بمناقشة الدور الذى يلعبه رجال الدين تجاه عملية تطوير المجتمع ..

وفى مقال عاصف بعنوان « تيارات رجعية » يعلن أنور كامل « نحن نرفض هذه السجون التى تضعها على عقولنا فئة ضئيلة جاءتها القوة عفوا . ان كان المجتمع الحاضر لا يكفل الحرية لارواحنا وأجسادنا فلا أقل من أن نحيا أحرارا بتفكيرنا وخيالنا » . ثم يبدأ المقال بهجوم مباشر وعنيف « لرجال الدين فى التاريخ صفحة سوداء . وليس يجهل أحد أطوار الصراع الذى نشأ بينهم وبين رجال الفكر الحر من قديم الزمن حتى بلغ أشده فى القرون الوسطى وحتى انتهى بانتهاء سلطتهم المباشرة بانتشار الافكار الجديدة » .. ثم يتجه بهجومه ضد « جماعة الاخوان المسلمين » دون أن يذكر اسمها صراحة صراحة وانما يكتفى بالقول « جمعيات نشأت فى مصر فى السنوات الاخيرة وعملت على مزج الدين بالسياسة من جديد مستغلة فى هذا اسم الدين فى الخصومات السياسية والمنازعات الحزبية الرخيصة .. واذا كانت هذه الحركات الرجعية قد اتخذت لنفسها هذا الشكل الهستيرى الحاد فقد كان طبيعيا أن تضع فى مقدمة أهدافها العمل على خنق حرية الفكر » .

ثم يندد بلجوء أعضاء هذه الجماعة الى استخدام القوة ضد خصومهم « لو كان القائمون بهذه الحركات مخلصون فى عقيدتهم لما رفعوا السيف فى وجه القلم ، فالدين القوى يستطيع أن يصمد للنقد دون أن يتطرق الشك اليه .. ان استعمال القوة المادية ضد الفكر وهو قوة معنوية دلالة على العجز والقصور »(٣) .

---

١ ـ التطور ـ فبراير ١٩٤٠ .
٢ ـ التطور ـ فبراير ١٩٤٠ .
٣ ـ التطور ـ مارس ١٩٤٠ .

ويلتقط الكرة عصام ناصيف ـ كعادته ـ ليشن هجوما عنيفا على الشيخ المراغى قائلا « لا شك أن جماعة رجال الدين فى مصر من أنشط الجماعات ، والمسائل الدينية تعتبر فى مصر ـ دون مسوغ ـ من المسائل الشائكة ولذلك يتحاشاها الكثيرون ، ولكن هذا الاعتبار يجعلها فى نظرى أجدر بوضعها على منضدة التشريح ٠٠ » ثم يقول « يسرنا لو خفف رجال الدين من نشاطهم فان البلاد مرتبكة ومشغولة بمسائل أهم من مسائلهم »(١) ٠

وفى مقال بعنوان « بين الجامعة والازهر » يطالب أنور كامل بادماجها فى معهد واحد حتى لا يبقى الجيل الجديد نهبا للانقسام بين « الجامعة التى تمثل العقلية الجديدة والازهر الذى يمثل العقلية المحافظة »(٢) ٠

* * *

واذا كانت « التطور » قد أعلنت فى افتتاحية عددها الاول انها « لا تقدم للناس برنامجا معينا لحل المشاكل المختلفة » ٠

واذا كانت قد حاولت أن تستطلع الرأى وأن تتحسس الطريق نحو فهم المشاكل المحددة ٠٠ بتوجيهها الى قرائها « دعوة للتفكير فى حالة المجتمع المصرى » ٠

واذا كان أنور كامل قد نعى على الاحزاب الاخرى تسرعها فى اعداد البرامج « التى لا تستغرق من كاتب مواضيع الانشاء أكثر من ساعة أو نصف ساعة » والتى تكتفى « بالدجل والتهريج والشعوذة حتى أصبح من العادى جدا أن نقرأ فى الصحف السياسية والاجتماعية نفس الكلمات التى تكتب للدعاية عن بعض العقاقير التى تشفى جميع الامراض »(٣) ٠

فان « التطور » قد وجدت الجرأة بعد ذلك لتقدم برنامجا ٠٠ بل برنامجين ٠ الاول تقدم به زاهر غالى تحت عنوان « ثورة على التقاليد » أشرنا فيما سبق الى فقرته الاولى الخاصة بالمرأة ٠ اما الفقرة الثانية فعنوانها « التضامن الاجتماعى » وتقول « يجب الاخذ بمبادىء النظام والتضامن الاجتماعى والتى بمقتضاها على كل فرد شبه التزام طبيعى قبل الغير هو الواجب الاجتماعى ـ ان ابسط مبادى الانسانية تملى بتحسين حالة الطبقات الفقيرة من الامة وبتخفيف آلامهم ، وذلك باصلاح نظام توزيع الثروة بين الافراد ٠ على الحكومة أولا تنمية الثروة الاهلية ـ قوة الانتاج ـ وذلك بادخال

١ ـ التطور ـ مارس ١٩٤٠ ٠
٢ ـ التطور ـ فبراير ١٩٤٠ ٠
٣ ـ التطور ـ مارس ١٩٤٠ ٠

الآلات والنظم الحديثة فى الزراعة وانهاض الصناعة الوطنية واكتشاف موارد الثروة الطبيعية فى البلاد ... ثم لا قيمة لزيادة كفاية الانتاج ان لم تقترن بتوزيع عادل للثروة وبارتفاع مستوى المعيشة حتى يقترن الانتاج بالاستهلاك - يجب على المشرع اذن ان يتدخل ، عملا بنظام توزيع أصلح . مطبقا مبدأ تصاعد الضريبة بنسبة اعلى من النسبة الحالية . ويرفع فئة ضريبة التركات ، وبتحديد الملكيات العقارية الكبيرة - ويجب على المشرع ايضا ، اخذا بسياسة انتاج أصلح ، ان يتدخل بالاستيلاء على بعض فروع الانتاج الكبير لتخفف مظالم المنافسة ولاستغلالها بوجه أقدر ماليا . ثم اخيرا : على المشرع ان يتدخل لحماية العامل الضعيف امام صاحب العمل بتعيين حد أدنى وحد أعلى لساعات العمل ..

ثالثا - الدين والدولة : يجب فصل الدين عن الحياة المدنية تشريعا - كما يجب ايجاد تشريع وضعى لمسائل الاحوال الشخصية وغيرها حتى يتكيف مع ملابسات الحياة الجديدة ..

رابعا - الرتب : يجب الغاء الرتب الفخرية تحقيقا للمساواة الاجتماعية .

خامسا - الوقف : يجب الغاء الوقف حتى لا يستولى بعض الافراد على دخل دون ان يؤدوا عملا .. »(١)

ويكفى لابراز اهمية هذا البرنامج انه كان يطالب بتحديد الملكيات العقارية الكبيرة وباستيلاء الدولة على بعض فروع الانتاج الكبير ..

ويقدم أنور كامل برنامجا آخر ، لكننا يتعين علينا ان ندرك انه كان يقدمه وهو يتراجع امام ضغط شديد من بعض الجمعيات التى طالبت رئيس الوزراء بايقاف مجلة « التطور » على اساس انها « تعمل على نشر الاباحية وعدم الفضيلة والدين وتقويض اركان النظامين الاجتماعى والدستورى » .

وفى مواجهة ذلك يحاول أنور كامل ان يعلن برنامجا معتدلا .

١ - تدافع مجلة « التطور » عن حقوق الافراد وتطالب بتحسين حالة الطبقات العاملة التى هى مصدر الثروة فى هذه البلاد وهى لا ترى فى هذا هدما للنظام القائم وانما ترى فيه تحقيقا لابسط مبادىء العدالة الاجتماعية .

٢ - تدافع مجلة « التطور » عن حرية المرأة وتنادى بحقها فى المساواة فى كافة الحقوق والالتزامات قبل الرجل وقبل المجتمع .

---

(١) التطور - مايو ١٩٤٠ .

٣ ـ تدافع مجلة « التطور » عن حرية الفكر بصفة عامة .. وهو امر يتضمن مبدأ حق الفرد في حرية الاعتقاد الديني ، وفي حرية التصريح بهذا الاعتقاد . وهي تحارب في نفس الوقت التعصب وترى فيه عامل من عوامل التفرقة يمس الحرية الشخصية ويضر بمبدأ التضامن الاجتماعي . كما انها تعارض بشدة كل تدخل من الهيئات الدينية في الشئون المدنية . ولا توافق على استغلال الشعور الديني الذى تقوم به بعض الاحزاب لتحقيق اغراضها الحزبية »(١) .

والحقيقة ان « التطور » قد حاولت في كثير من الاحيان ان تتلمس مواقف محددة ازاء المشاكل الاساسية في المجتمع . يمكن ان نستخلص منها محاولة « لبرمجة » مواقف متناثرة تبحث لنفسها عن طريق اكثر تحديدا واكثر وضوحا ..

وتحت عنوان « في سبيل سياسة انشائية » يعلق جورج حنين على تقرير مكتب العمل عن عام ١٩٣٩ ويطالب « باسبوع الساعات الاربعين » ويقول انه « بمثابة كابوس للرأسمالية » . ويطالب « بالحد الادنى للاجر » وكذلك « لابد من القيام بعمل اساسي مباشر . لابد من ازاحة مركز ثقل الثروة الاهلية . ويتحتم ايجاد تنظيم جديد للاجور ينتهي برفع المرتبات الشهرية التي تتراوح بين ٢ جنيه و٢٥ جنيه رفعا تنازليا وانقاص المرتبات الشهرية التي تتعدى ٥٠ جنيه انقاصا تصاعديا » ويطالب ايضا « بتكوين خزانة دائمة للتعمير الوطني عن طريق فرض ضريبة تصاعدية على التركات وكذلك بالاستيلاء على ارباح الشركات التي تقوم باعمال عامة متى تعدت هذه الارباح ١٠ بالمئة من رأس المال »(٢) .

ويقدم محمد صادق دراج دراسة جيدة عن اجور العمال يستخلص خلالها من الاحصاءات الرسمية « ان متوسط الاجر الذى يتناوله العامل ليعول اسرة مكونة من ثلاثة اشخاص هو سبعة قروش . وان حوالى ٧٠ بالمئة على الاقل من العمال يعيشون دون الكفاف »(٣) .

وتحتفل « التطور » بعيد اول مايو ـ عيد العمال الدولي وتطالب العمال المصريين بالاحتفال به . وتقول « وقد احتفل بعيد اول مايو في مصر لاول مرة في مدينة المحلة الكبرى في اواخر سني الحرب الفائتة ، ثم احتفل به

---

(١) التطور ـ ابريل ١٩٤٠ .
(٢) التطور ـ مارس ١٩٤٠ .
(٣) التطور ـ مايو ١٩٤٠ .

بعد ذلك فى مدينة بورتوفيق ، ولا يزال عمال البحر الأحمر يحتفلون به كل عام »(١) .

ويقدم أنور شنتا صورة نثرية درامية لعمال الفحم فى ميناء بورسعيد بعنوان « حاضر يا ريس » يوضح فيها تدنى الاستغلال الذى يتعرضـــون له .. (٢) .

وتحت عنوان « فوضى النظام الاجتماعى » تقول « التطور » فى احدى الشركات الكبيرة يعمل ما يزيد على عشرين ألف عامل وعاملة بأجور يومية تتراوح بين ثلاثة قروش وخمسة ليوم عمل يبلغ احدى عشرة ســاعة يوميـــا »(٣) .

***

وهكذا كانت « التطور » معبرا ضروريا لجماعات المثقفين كى يتحولوا من السخط المجرد والرفض اللاواعى الى الفهم الطبقى والماركسى لحقـائق العصر ..

البعض وعى التجربة فاستقام أمامه الطريق وخاض غمار المعركة ..

والبعض اكتفى بالسخط والرفض الفوضوى .. فغاب من ذاكرة التاريخ سريعــــا ..

وبين المحاولات العنيفة لتخطى الهامش التحديدى الذى يرفض الانتماء والذى رسمه جورج حنين بدقة ، والرغبة الجامحة لدى البعض فى الخلاص من اسار المثقفين المنعزلين والالتقاء مع حركة الجماهير المصرية العارمة .. .

انقسمت « الفن والحرية » .. وقامت جماعة « الخبز والحرية » .. وكانت هناك تنظيمات ماركسية سرية تتكون سريعا لتلبى حاجات التطور وتعبر عن مرحلة جديدة تمر بها مصر .. « تحرير الشعب » و « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » وتواكب المثقفون اليساريون نحوها .

ولم يعد « الهامش المشترك » مقبولا من أى من أطرافه ، وصار التمايز أساس كل فهم سليم ..

وسحب جورج حنين الضمان المالى .. وتوقفت « التطـور » عن الصــــدور ..

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) التطور – أبريل ١٩٤٠ .

# الفجر الجديد

كنت أتصور ان الرجل برلوغني .. فقد اشتهر دوما بالتحفظ والحذر الشديد الذي يصل الى حد الانغلاق والحلقية ..

يروي لي قصة اهتمامه بالشعب المصري ، وبالفكر الماركسي ، وكيف أسس اتحاد أنصار السلام فرع في القاهرة وآخر في الاسكندرية ، كيف ساعدوا الجمهوريين الاسبان ، كيف رتب لقاءا بين نهرو ومصطفى النحاس ، كيف تجمع حوله عديد من الشخصيات التقدمية في اتحاد انصار السلام ، وكيف حاول هذا البعض ( جورج حنين ، راؤول كوربيل وغيرهما ) أن ينشطوا نشاطا واسعا » وأنا خشيت ان يهدد نشاطهم كيان الجمعية وأن يكشفنا للبوليس المصري »(١)

ويروي كيف أنه « في عام ١٩٣٩ وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية لم يكن من الممكن استمرار جمعية السلام في العمل فتحولت الى جماعة باسم « مجموعة الدراسات » وبدأنا في اعداد دراسيات عن الواقع المصري والفلاحين .. »

لكنني كنت أحاول دائما وخلال جلستين امتدتا الى ما يزيد عن عشر ساعات احداهما في القاهرة والاخرى في باريس .. كنت أحاول ان اتجه بالحديث نحو عملية تأسيس التنظيم الشيوعي الذي عرف بعد ذلك باسماء عديدة « طليعة العمال » « الفجر الجديد » « د . ش » « العمال والفلاحين » الخ .. ويتهرب بول جاكو دي كومب متبرما .. « أنا مصمم على انني لم أؤسس تنظيما . أنا وضعت البذور ثم تركتها لتنمو .. انا كنت من الناحية المبدئية ضد ان يقوم اجنبي بتأسيس تنظيم .. انني أقرر بوضوح ان تاريخ الحركة الشيوعية قد بدأ بعد ان تنحيت انا عن العمل .. لقد عملت في مصر عشر سنوات من النضال الديمقراطي والماركسي بهدف نقل الفكر الماركسي الى عدد من المصريين وهذا هو كل دوري .. وبعد ذلك تركتهم يفعلون ما يشاءون »(٢)

---

(١) راجع النص الكامل لمحضر النقاش مع بول جاكو دي كومب ، د. رفعت السعيد ــ اليسار المصري ١٩٢٥ ــ ١٩٤٠ ، دار الطليعة بيروت ، ص ٢٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

وعندما الححت بالسؤال تبرم الرجل من جديد قائلا « أولا أود أن أؤكد أننى منذ ١٩٤٠ قد شعرت شعورا قويا بأن دورنا قد انتهى . كنا قد وضعنا البذور .ويكفى هذا بالنسبة لاجانب . وكان رأينا أن نترك الأمر للمصريين وحدهم واذا احتاجوا الى بعض المعلومات .أو المساعدات مثل الترجمة وما الى ذلك فاننا نقدمها لهم . لكن قيامنا نحن الأجانب بتأسيس منظمة شيوعية مصرية كان أمرا مرفوضا » .

وعندما سألته فى ختام حديثى معه « هل تريد ان تضيف شيئا حول النشاط فى الاربعينيات ؟ أجاب بشكل قاطع « اسأل أصحاب هذا النشاط، أما أنا فكان دورى قد انتهى تماما »(١) .

* * *

واتجهت الى أصحاب هذا النشاط .. وأجريت مناقشات ممتدة مع اثنين منهم يوسف درويش وصادق سعد وأدركت ساعتها ان بول جاكوب دى كومب لم يكن يراوغنى وانما كان يقول الحقيقة ، ومن مناقشاتى معهما أمكننى أن أصل الى الحقائق التالية :

بعد حل اتحاد أنصار السلام تكونت « مجموعة الدراسات » .. وفى داخل مجموعة الدراسات كمنبر علنى كانت هناك مجموعة ضيقة جدا تدرس الماركسية وتعتنقها .. ويمكن التأكيد بأن تواجد هذه المجموعة الماركسية يمتد حتى ايام اتحاد انصار السلام .

وهذه المجموعة الضيقة كانت تتكون اساسا من الاجانب ، ولكن بول جاكوب حاول ان يصل بأفكاره ونشاطه الى المصريين باعتبار ان ذلك هو الواجب الاساسى ..

ومن الاجانب الذين كان معظمهم من اصل يهودى الى مصريين ذوى اصل يهودى وذوى ثقافة اجنبية .

فالمجتمع الاجنبى كان فى ذلك الحين مجتمعا معزولا له ثقافته وتقاليده ولغته ، بل وصحافته وأشعاره وفنونه واهتماماته الخاصة المميزة عن ثقافة وتقاليد ولغة الشعب المصرى ..

كان الاجانب مجموعة كبيرة العدد متعددة الجنسيات لكنها متقاربة التفكير والثقافة والمستوى الاجتماعى ، وكانت فى مجموعها متعالية على الشعب المصرى ترفضه وترفض أفكاره وتقاليده وتراثه ولغته ولا تربطها بمصر سوى رابطة الاقامة ، التى لا تنظر الى مصر الا كبلد يسهل استغلاله واستغلال ابنائه والاستمتاع فى رحابه بالامتيازات الاجنبية .

بعد

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

كانوا يحتقرون الشعب المصرى واللغة العربية ويرفضون استخدامها أو التحدث بها .

وكان البعض منهم يتحدث عن الحريات والديمقراطية ويحلمون بمجتمعات أفضل ولكن ليس للمصريين وانما لشعوبهم الأصلية ...

ولكن الأجانب الماركسيين كانوا يمثلون مرحلة جديدة حاولت جاهدة أن تربط عقيدتها بكفاح يومى من أجل الشعب . غير أن الوصول الى الشعب المصرى كان بعيد المنال فثمة حواجز حقيقية .. اللغة ، التقاليد ، كراهية الاجانب الخ . وهكذا كانت الحلقات الماركسية الاجنبية تبقى حبيسة التجمعات الاجنبية عاجزة عن اقتحام حواجز العزلة ..

وبول جاكو دى كومب رجل حريص ، لا يعرف القفز ولا السرعة ، انه يخشى أى خطوة متسرعة ، أو حتى معتدلة ، أنه يتلفت عشر مرات قبل ان يخطو خطوة واحدة . وظل يعمل حوالى ست سنوات كاملة فى نشاط علنى وسرى متصل ليكون مجموعة صغيرة جدا معظمها من الاجانب وليس فيها من يمكن القول بانهم مصريون سوى ثلاثة من اصل يهودى وذوى ثقافة اجنبية هم ريمون دويك ــ يوسف درويش ــ صادق سعد .

وكان هذا الكسب المتواضع كافيا لبول جاكو فدفع هؤلاء الثلاثة الى الابتعاد عن المجموعة الاجنبية . كان يصدهم عنها ليعملوا مستقلين . كان ــ كما قال لى صادق سعد فى نقاش معه ــ يصرخ فيهم : لستم اطفالا لقد بلغتم سن الفطام .

وفى ١٩٤١ وجد الثالوث ( صادق سعد ــ ريمون دويك ــ يوسف درويش ) سبيله للعمل المستقل .

* * *

واتفق الثلاثة على العمل فى شعبتين منفصلتين .

ريمون دويك وصادق سعد ليعملا وسط المثقفين ...

ويوسف درويش باعتباره محاميا عماليا يعمل وسط العمال . على أن يكون صادق سعد مسئولا للاتصال بين الشعبتين .

ولنمسك الآن بالخيط الاول .. مرجئين نشاط يوسف درويش الى فصل قادم نتحدث فيه عن مجلة الضمير ...

ريمون دويك وصادق سعد اتصلا بسعيد خيال ومصطفى كامل منيب واشتراكا معهما فى تأسيس جماعة نشر الثقافة الحديثة لكنهما كعادتهما ووفقا لتعليمات الحذر الشديد التى أحاطت بكل تصرفاتهما لم يفاتحا

الاثنين فى أى شئ ، وحاولا مجرد استخدام « جماعة نشر الثقافة الحديثة » كمنبر علنى لهما دون أن يشعروا أحدا من شركائهما بذلك ..

وقد أدى ذلك الى تردى الوضع وطردهما من هذه الجماعة .. ويروى سعيد خيال القصة فى مناقشة أجريتها معه فيقول : « حضر شخص من الحزب الشيوعى الفلسطينى اسمه « الحسينى » ولا اذكر بقية اسمه ، وقابل مصطفى كامل منيب وخلال الحديث معه قال له ان لديهم معلومات ان مؤسس « جماعة نشر الثقافة الحديثة » هو بول جاكو دى كومب فلما نفى مصطفى كامل منيب ذلك ، اكد له « الحسينى » ان جاكو كان فى فلسطين وأبلغ الحزب الفلسطينى بذلك .. ولم يبلغنى مصطفى كامل منيب بذلك لانه كان يعلم انتى عنيف فى تصرفاتى فى مثل هذه الحالات ، واكتفى بان اقترح على ابعاد صادق سعد وريمون دويك من الجماعة على اساس انهم من صلة شبه اجنبى وانهم ليسوا مصريين تماما .. ووافقت على ذلك وتم ابعادهما .. وبعدها شرعا فى تأسيس « الفجر الجديد » .

* * *

ويروى صادق سعد انه خلال تواجده مع ريمون فى « جماعة نشر الثقافة الحديثة » كانا قد تعرفا « الى عدد من المثقفين المصريين منهم أحمد رشدى صالح ، عبد الرحمن الشرقاوى ، نعمان عاشور ، سعد مكاوى ، محمد اسماعيل محمد ..

وتعرفنا بأبو سيف يوسف عن طريق محمد اسماعيل وبعلى الراعى عن طريق أحمد رشدى صالح » .

وهكذا فان الماركسيين الاجانب توصلوا الى أنصاف المصريين وانصاف المصريين تلاحموا مع عدد من المثقفين المصريين .. وأصبح من الممكن بالرغم من ابعادهم عن « جماعة نشر الثقافة الحديثة » ان يلعبوا دورا مستقلا .. وتأسست مجلة « الفجر الجديد » .

* * *

.. ويكمل صادق سعد روايته ...

.. « كان أحمد رشدى صالح اكثرنا قدرة على الحصول على ترخيص لاصدار مجلة ، فقد كان والد زوجته على علاقة ما بوزارة الداخلية وسهل له الحصول على ترخيص باصدار مجلة « الفجر الجديد » باسمه .

لكن الحصول على ترخيص كان مجرد تخط للعقبة الاولى وظلت عقبات اساسية اخرى من التمويل ...

ويمضى صادق سعد « وفى جلسة لمناقشة كيفية اصدار المجلة اثار أحمد رشدى صالح مسالة التمويل ، وأبلغنا انتا سنحاول حل هذه المشكلة ، وأصر

رشدي صالح على معرفة مصدر التمويل .. واضطررنا الى أن نشرح له الأمر وعلاقتنا بالمجموعة الاجنبية السرية التى تعمل خلف « مجموعة الدراسات » . وكيف إن هذه المجموعة هي التى ستمول اصدار المجلة .. ووافق رشدى صالح على الانضمام الى مجموعتنا الضيقة » ..

وهكذا وتحت الضغط .. تحول الثلاثة الى اربعة .. فقد أجبروا على مفاتحة رشدى صالح .. لكنهم ظلوا كما هم اربعة .. دون اية زيادة ..

وظلت العلاقات مع العناصر الاخرى على أساس انها مجرد عناصر صديقة ولم تجر مفاتحة أى منها .. ويقول صادق سعد « انا كنت مسئول المجموعة التى تعمل وسط المثقفين وفى نفس الوقت كنت حلقة الاتصال مع يوسف درويش ونشاطه وسط العمال » ..

وظللنا كذلك حتى أواخر ١٩٤٦ .. ولم نفكر فى مفاتحة الاصدقاء والتحول الى العمل التنظيمي الا بعد ان أغلق صدقى المنابر العلنية بقراره الشهير فى ١١ يوليو ١٩٤٦ .. » ✻ ✻ ✻

✻ ✻ ✻

وفى ١٦ مايو ١٩٤٥ صدر العدد الاول من مجلة « الفجر الجديد » وكانت فى البداية نصف شهرية واستمرت كذلك حتى العدد الثانى عشر الصادر فى ١ نوفمبر ١٩٤٥ عندما أعلنت « الفجر الجديد » انها ستوف تصدر بعد ذلك إسبوعية وتعلن فى رسالة حماسية توجهها لقرائها « تعمل لجنة التحرير الان لاعداد « الفجر الجديد » لان تصدر اسبوعية اجتماعية ثقافية .. وهى إذ تتقدم على هذه المسئولية الضخمة تثق بكم وتتوجه اليكم .. ايها الاصدقاء اننا نكافح لنخلص حياتنا جميعا من كل ما يسىء الانسان ويحد من حريته .. ونحن مؤمنون باننا سننجح فى مهمتنا لاننا نؤمن بمهمتنا وأهدافنا ونؤمن بشعبنا وبالشعوب الاخرى » .

والغريب ان العدد التالى لهذا الإعلان وهو العدد رقم ١٣ قد صدر بدون تاريخ .. وبعده يصدر العدد الرابع عشر وتاريخه ٦ ديسمبر ١٩٤٥ .. وهكذا كانت هناك فجوة لا نعرف لها سببا ونلاحظ بعد ذلك ان العدد الخامس عشر يصدر يوم ١٦ ديسمبر أى بعد عشرة ايام من العدد السابق عليه وفى هذا العدد نجد الاعلان التالى « تصدر « الفجر الجديد » مجلة التحرر القومى والفكرى اسبوعية ابتداء من ٤ يناير ١٩٤٦ » ثم انتظم المجلة بعد ذلك اسبوعية كل اربعاء .. وتستمر فى الصدور حتى يلغى ترخيصها فى ١١ يوليو ١٩٤٦ فى تلك المذبحة الجماعية التى نظمها الطاغية صدقى لكل الصحف التقدمية فى ذلك الحين ..

✻ ✻ ✻

والشعار الذى اتخذته « الفجر الجديد » لنفسها ابتداء من العدد الأول كان « مجلة الثقافة الحرة » ... وفى العدد السابع الصادر فى ١١ أغسطس ١٩٤٥ ، يبقى الغلاف الخارجي كما هو مع إضافة غلاف داخلى يحمل نفس الشعار « الفجر الجديد – مجلة الثقافة الحرة » لكنها تضيف شعارا جديدا « نحن نجاهد لكى لا ينعدم احد على الحياة » .

وفى العدد ١٣ يتغير شكل الغلاف فتظهر عليه لوحة تشكيلية بعنوان « الثورة المصرية – بريشة جورج دموس » كذلك يتغير شعار المجلة التى « الفجر الجديد – مجلة التحرر القومى والفكرى » .

ويشهد العدد ١٤ وهو فى اعتقادنا اول الاعداد الاسبوعية تطورا جديدا فلون الغلاف ثابت وكان يتغير فى الاعداد السابقة ، واللون الثابت هو اللون الاحمر ويضم الغلاف لوحة تشكيلية بتوقيع نصر . وكذلك العدد ١٥ . وابتداء من العدد ١٦ يتغير رسام الغلاف ليصبح « الزميل عمر » .

وابتداء من العدد ٢٤ الصادر فى ٦ مارس ١٩٤٦ تطبع أحرف الصفحة الاخيرة بالحبر الاحمر وتخصص لباب ثابت بعنوان « إلى زميل » وفى العدد ٢٤ ايضا برواز فى الصفحة الثالثة بعنوان « الى اصدقاء « الفجر الجديد » تعلن فيه المجلة ان الزميل ابو سيف يوسف قد انضم الى اسرة التحرير » وابتداء من العدد ٢٦ يرد اسم ابو سيف كسكرتير لتحرير المجلة .

* * *

وكان مقر إدارة المجلة ٣٢ شارع ابراهيم باشا وابتداء من العدد الثالث يتغير المقر الى ٣٥ شارع شريف باشا . وفى العدد ٢٤ يتغير العنوان من جديد الى شارع البنك الوطنى لكن « الفجر الجديد » تطلب الى قرائها مراسلتها على صندوق بريد ١٩٢٤ القاهرة . ونلاحظ ان هناك بروازا فى العدد ٢٦ يقول « عنوان المجلة الوحيد ص . ب . ١٩٢٤ » .

* * *

ورويدا رويدا بدأت « الفجر الجديد » ترفع شعارات عنيفة وتتحول من مجرد مجلة ثقافية الى مجلة سياسية وبرزت فيها المعالم الماركسية بشكل واضح تماما ، ومع تفجر الحركة الوطنية فى مطلع عام ١٩٤٦ تزداد جرعة الحماس فى « الفجر الجديد » « نحن نقول الحقيقة ولكننا لا نستطيع ان نقولها كاملة (١) « أيدوا » « الفجر الجديد » مجلة النضال الوطنى الديمقراطى

---

(١) الفجر الجديد ، ٢٧–٢–١٩٤٦ .

- اكتبوا لها وزعوها ... اتصلوا بها فهي لسانكم الناطق بآلامكم وأهدافكم »(١)
« ليكن اتحاد الطلبة والعمال بداية اتحاد المثقفين بالطبقات الشعبية »(٢)
« الفجر الجديد مجلة التحرر الوطني والنضال الديمقراطي ... » « مع العاملين المخلصين من اجل مصر حرة مستقلة ديمقراطية »(٣) « يا اصدقاء « الفجر الجديد » . اكتبوا الينا . ابعثوا بكلماتكم وانتقاداتكم وتوجيهاتكم .. انكم بهذا تساهمون في حركة التحرر الوطني القومي والفكري وتنطلقون معنا الى تحقيق غايات شعبنا الحر المناضل »(٤) .

*****

وكانت « الفجر الجديد » ككل المجلات اليسارية والتقدمية تعاني من نقص مواردها المالية وقد توجهت الى قرائها بنداء تقول فيه « الى اصدقاء « الفجر الجديد » » ان مجلتكم تعاني ازمة مالية حادة ، فقد اصبحت الآن امام امرين اما ان تتغلب عليها فتظل تصدر في نفس الحجم ، وبنفس العدد . واما ان تعجز فينخفض الحجم وعدد المطبوع . وانتم ايها الزملاء ايدتم « الفجر الجديد » وما تزالون فاصبح اسبوعيا بعد ان كان نصف شهري وتضاعف عدد الموزع منه ... واليوم نواجه معكم هذه الازمة ولابد لنا من ان نجوزها ظافرين ... ابعثوا الى الادارة بتبرعاتكم .. خفضوا مصروفاتكم الكمالية وابعثوا بقروشكم وجنيهاتكم صحيفتكم التي تؤمنون بنضالها .. ادعوا اصدقائكم الى التبرع .. سيروا معنا صفا نتغلب على هذه الازمة المالية الحادة »(٥) .

وفي العدد التالي نداء آخر يقول « كان للنداء الذي وجهته « الفجر الجديد » الى قرائها اثر كبير .. نشط له الكثيرون من الاصدقاء يساهمون في تدعيم الفجر الجديد وايصاله الى زملائهم ...

.. على ان ارتفاع اثمان الورق وعدم تمكننا من الحصول على الكمية الكافية من التموين قد اضطرنا الى تخفيض عدد المطبوع من « الفجر الجديد » .. ولذلك أصبح من الاهمية بمكان ان يتعاون جميع الاصدقاء على توزيعه بأيديهم لان المعروض في السوق سيقل حتما . »(٦) .

---

(١) الفجر الجديد ، ٦-٣-١٩٤٦ .
(٢) الفجر الجديد ، ١٣-٣-١٩٤٦ .
(٣) الفجر الجديد ، ٢٧-٣-١٩٤٦ .
(٤) الفجر الجديد ، ٢٧-٣-١٩٤٦ .
(٥) الفجر الجديد ، ٢٠-٣-١٩٤٦ .
(٦) الفجر الجديد ، ٢٧-٣-١٩٤٦ .

وفى عدد تال توجه « الفجر الجديد » الى اصدقاء « الفجر الجديد » بالجامعة والمعاهد تقديرا على مساهمة الزملاء موزعى « الفجر الجديد » الذين واظبوا وما زالوا على توسيع انتشاره ، وترجو بمناسبة قرب انتهاء العام الدراسى أن يبذل اصدقاء وموزعوا « الفجر الجديد » بالجامعة والمعاهد أقصى جهدهم حتى يبلغ « الفجر » قراءة الطلبة أثناء العطلة الصيفية ... »(١)

وكان من الطبيعى أن تحاول « الفجر الجديد » الاعتماد على توزيع أصدقائها . ليس فقط لان ذلك يوفر عمولة التوزيع المالية المجلة ولا لان ذلك كان وسيلة لتجميع الاصدقاء والانصار وربطهم بعمل شبه منتظم ولنما أيضا لان السلطة كانت تطارد عملية توزيعها .. وتحت عنوان « يحاربون « الفجر الجديد » بوسائل دنيئة » تكتب « الفجر » « يشاء البوليس السياسى أن يوالى « الفجر الجديد » بمضايقاته - وأن يعطيها فى كل يوم دليلا على أنه آلة فى يد الاستعمار - فبالامس أوحى الى حرس الجامعة بأن يطردوا بائع الصحف لانه ينادى على « الفجر الجديد » وأجبروه على ألا يعرضه أمام باب الجامعة ضمن ما يعرضه من صحف ... »(٢)

وعلى أية حال فان التبرعات التى جمعت لم تكن كافية الامر الذى يوحى بانها كانت مثلها مثل قيام القراء بالتوزيع مجرد خطة لربط القراء بمجلتهم لأهداف سياسية ففى عدد لاحق نلاحظ برواز بعنوان « تدعيم الفجر الجديد » يقول « بلغت التبرعات لتدعيم « الفجر الجديد » حتى الان خمسة جنيهات .. أيها الاصدقاء نحن نريد أن يكون « الفجر الجديد » لسانكم القوى - وأنتم لستم أفرادا لستم عشرات أو مئات .. وانما أنتم ملايين ، أنتم يا من تؤمنون بحق شعبنا فى الحياة الحرة الكريمة .. قفوا صفا واحدا .. أيدوا « الفجر الجديد »(٣) .

والذى يؤكد أن حملة التبرعات كانت سياسية فى جوهرها برواز آخر فى عدد آخر « ما يزال تاييد أصدقاء « الفجر الجديد » والمؤمنين بكفاحه يتوالى - حتى بلغت التبرعات داخل القطر أكثر من ثلاثين جنيها - ونحن نعلم ان هذه الجنيهات جمعت بالقرش من قراء « الفجر الجديد » فهى تمثل تاييد جماهير لا تاييد أفراد - وهى عنوان لنضال الطبقات الشعبية التى تثق بخطتنا السياسية . فقد أرسل الينا عشرون عاملا مثلا عشرين قرشا .. وأرسل الينا أصدقاء « الفجر الجديد » بدمياط خمسين قرشا .. ودفع الزملاء بالمنيا خمسين قرشا ... » .

---

١ - الفجر الجديد ، ١٠ - ٤ - ١٩٤٦ .
٢ - الفجر الجديد ، ١٧ - ٤ - ١٩٤٦ .
٣ - الفجر الجديد ، ٦ - ٢ - ١٩٤٦ .

وامتدت الحملة الى الاقطار العربية « فارسل لنا زميل بالعراق ستة شلنات وساهمت أسرة مجلة « الغد » بفلسطين بخمسة جنيهات وجمع العمال وطلاب الحقوق بالكاظمية بالعراق ستة جنيهات ونصف »(١) .

ويبدو أن هذه الحملة السياسية سواء فى جمع التبرعات أو التوزيع قد حققت نجاحا هاما « فالفجر الجديد » توجه تحية الى أصدقائها تقول فيها « ها نحن نعود فنصدر « الفجر الجديد » فى ٢٤ صفحة والفضل فى ذلك لكم أنتم أيها الزملاء فقد شجعتم « الفجر » واضطررتم بنشاطكم فى التوزيع وزارة التموين أن تزيد الكمية التى كانت تصرفها لنا . وقد أبرهنتم بنضالكم ومضاعفة جهودكم لنشر « الفجر الجديد » ان شعبنا مجيد التقدير ذائق الحيوية فيما قد عقد توزيع « الفجر » عن طريق شركة التوزيع الى ستة أضعاف ما ابتدأ به ، وسيسير نضاله معكم قدما ، وسيبلغ كل وطنى مخلص والى غد سعيد قريب »(٢) .

لكن هذا الانتشار كان يواجه عقبات واضطهادات مستمرة . فلقد أشرنا من قبل الى محاربة موزعى المجلة ، ونلاحظ أن « الفجر الجديد تعود لتشكو مرة أخرى من الحملة الموجهة ضدها . وثمة باب ثابت بعنوان « يحاربون « الفجر الجديد » بوسائل دنيئة » يرد فيها بعض مما واجهته المجلة من اضطهاد « علمنا أن موظفا كبيرا فى شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى كلف من قبل الشركة بجمع كل ما يصل الى المحلة من نسخ « الفجر الجديد » وتشترى الشركة النسخة بخمسة قروش أى بما يعادل ٢٥٠ فى المائة من ثمن النسخة الاساسى ثم علمنا أن الشركة تعدم هذه النسخ . وواضح أن أولى الامر فى الشركة يريدون ألا تصل توجيهات « الفجر » الى العمال . ولكن هذا لن يحول أبدا بين العمال وبين المفكرين الديمقراطيين الاحرار فهم جميعا طليعة شعبنا الباسل المناضل فى سبيل حرياته »

« ثم علمنا أن بعض أصدقاء « الفجر الجديد » القائمين بتوزيعه قد اكتشفوا أن عناصر فاشية تسرق نسخ « الفجر الجديد » وتدمرها تماما »(٣) .

لكن الامر لم يقف عند هذا الحد . فقد بدأت المطاردة الفعلية

---

١ ــ الفجر الجديد ، ١٧ ــ ٤ ــ ١٩٤٦ .
٢ ــ الفجر الجديد ، ١ ــ ٥ ــ ١٩٤٦ .
٣ ــ الفجر الجديد ، ٧ ــ ٥ ١٩٤٦ .

بالقبض على ثلاثة من محررى « الفجر الجديد » هم احمد رشدى صالح ـ صادق سعد ـ نعمان عاشور .

لكن النيابة « أفرجت عنهم بكفالة عشرة جنيهات لكل منهم . ولكن لم ينته التحقيق الى الآن » .

وعقب الافراج توجه « الفجر الجديد » بتحية « الفجر الجديد يشكر الزملاء الذين كتبوا اليه مهنئين باطلاق سراح الاساتذة احمد رشدى صالح وصادق سعد ونعمان عاشور ، ويكرر عهده لهم بانه سيواصل نضاله التحررى بعزيمة لا تكل ويحيى الاقلام المخلصة التى هزتها موجة الارهاب فكتبت مدافعة عن الحرية ومؤيدة نظامنا الديمقراطى . »(١)

وتحية أخرى الى أحمد رشدى صالح يوقعها « صديق » بعنوان « أخى رشدى » لعليا توضح جو الارهاب الذى أحاط بالمناخ الثقافى فى ذلك الحين فهى تقول « عندما ألقى القبض عليك لم تساورنى الدهشة ولكننى تألمت كل الالم . لم تساورنى الدهشة لاننى اعلم ـ كما تعلم ـ ان ديمقراطيتنا لم تزل بعد ناقصة عرجاء ولكنى تألمت حين تذكرت أن الملايين الذين أزهقوا أرواحهم وأسالوا دماءهم لم يستطيعوا رغم هذه التضحية أن يلقوا بذور الحرية فى كل بلاد الارض . وعندما طالعتنا صحف الصباح بخلطها وجهلها وبأنبائها واتهاماتها الهوجاء صدمت صدمات مذهلة . وعندما لقيت « بعض » من كانوا يسمون أنفسهم أصدقاء انتابنى فزع شديد فقد علت وجوههم ابتسامات دنيئة شوهاء »(٢) .

لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد . فان محررى « الفجر الجديد » يروون وقائع أخرى تحت عنوان « اذن فهذه هى الديمقراطية ؟ » « ... لم يكتف البوليس السياسى ، هذه الآلة الغاشمة الخارجة على كل مبادىء الديمقراطية بتعقب بعض محررى « الفجر الجديد » شهورا كاملة ، ولم يكتف بتقديمهم للمحاكمة وارسالهم الى السجن بل راح يطاردهم حتى فى السجن نفسه وفى التحقيق ذاته ! بل ما كاد يفرج عن محرر « الفجر الجديد » وزميليه حتى راح البوليس السياسى يضغط على المطبعة كى ترفض طبع « الفجر الجديد » وأرسل من زعانفه نفرا يتلصصون ويسرقون بروفات المقالات ، فهل هذه هى حرية النشر يا وزير الداخلية ؟ »(٣)

---

١ ـ الفجر الجديد ، ١١ ـ ١ ـ ١٩٤٦ .
٢ ـ المرجع السابق .
٣ ـ المرجع السابق .

وكانت « الفجر الجديد » قد أسست داراً للنشر باسم « دار القرن العشرين للنشر » كانت تتخذ لنفسها عنوانا هو نفس مقر المجلة بشارع البنك الوطنى ونفس صندوق البريد ١٩٢٤ القاهرة ..

وقد أصدرت هذه الدار عددا من الكتب « الاستعمار البريطانى فى مصر » تاليف الينور بيرنز ترجمة أحمد رشدى صالح ، الفلسفة المادية الجدلية تاليف دافيد جيست ترجمة محمد اسماعيل ، حول الفلسفة الماركسية ( رد على العقاد ) تاليف أبو سيف يوسف ، كرومر فى مصر تاليف أحمد رشدى صالح ، مأساة التموين صادق سعد .. الخ »(١)

ولم تسلم « دار القرن العشرين » من هجمات البوليس هى الاخرى .. وعندما وقعت حادثة اغتيال أمين عثمان كانت فرصة متاحة أمام البوليس لمهاجمة منازل العديدين بحثا عن « قنابل » ..

وتنشر « الفجر الجديد » نص عديد من البرقيات أرسلت الى رئيس الوزراء ..

« هاجم البوليس منزلى بحجة البحث عن قنابل وانى واثق انه ليس لدى الحكومة أدنى شك فى براءتى من هذه التهمة واعتقد ان ذلك عن تدبير بسبب عملى فى منشأة وطنية ديمقراطية هى دار القرن العشرين للنشر . احتج على هذا الأسلوب الارهابى ـ ابراهيم دويك »(٢)

وبرقية أخرى :

« فتش البوليس منزلى امس بحجة البحث عن قنابل برغم وثوقه من براءتى من تلك التهمة الجائرة التى يبرأ منها كل مواطن ديمقراطى . أحتج على هذا التدبير الارهابى من جانب البوليس السياسى وأطلب وقفه ـ نعمان عاشور » .

وبرقية ثالثة :

« الى وزير الداخلية .. فتش بوليس بولاق منزلى اليوم الساعة ٣ صباحا دون أمر من النيابة أحتج بشدة على هذا الاجراء الخارج عن القانون وأطالب بالتحقيق ـ صادق سعد »

---

١ ـ الفجر الجديد ، ١ ـ ٥ ـ ١٩٤٦ .

٢ ـ الارجح أن صحة التوقيع هو ريمون ابراهيم دويك فهو الوحيد الذى كان يعمل فى دار القرن العشرين بهذا الاسم .

كذلك أرسل أحمد رشدى صالح برقية تقول « الساعة الثانية صباح الثلاثاء فتش البوليس منزلى بامر نيابة جنوب القاهرة بدعوى البحث عن قنابل أحتج على هذا الخلط المقصود الذى يراد به تشويه كفاحى الوطنى باظهارى وزملائى الديمقراطيين بمظاهر مرتكبى وسائل الارهاب من الفاشيين خدم الاستعمار »(١) .

وقد اثارت هذه المطاردة المستمرة حملات استنكار انعكست على صفحات بعض الصحف اليومية والاسبوعية الصادرة فى مصر فى هذه الفترة .. وانعكست أيضا – وهذا أمر له دلالته – على صفحات المجلات التقدمية العربية . وتنشر « الفجر الجديد » مقتبسات من حملات التاييد نقلا عن جريدة « النضال » البيروتية و « الغد » الفلسطينية و « صوت الشعب » السورية .. و « الشعب » العراقية .. الخ(٢) .

لكن الاضطهاد لا يتوقف .. ويتواصل متصاعدا حتى تاتى الذبحة الجماعية التى نظمها الطاغية صدقى فى ١١ يوليو ١٩٤٦ لكل الصحف والمجلات التقدمية والوطنية .

.. ويساق معظم محررى « الفجر الجديد » الى السجن ..

*** 

ولان عدد محررى « الفجر الجديد » كان فى بداية الامر محدودا جدا فقد اضطروا الى ان يكتب الواحد منهم أكثر من مقال فى العدد الواحد ، واضطرهم ذلك الى التوقيع فى أحيان كثيرة باسماء مستعارة ..

وكان لا بد من البحث عن أصحاب هذه الاسماء حتى يمكن للدارس أن يعرف الكاتب الحقيقى لكل مقال ..

وبعد جهد .. أمكن أن حدد أصحاب هذه الاسماء المستعارة ، نوردها هنا حتى يسهل علينا فيما بعد المضى فى نسبة المقالات الى كتابها وحتى يسهل على الدارسين متابعة اية دراسة مستقبلة لاعداد « الفجر الجديد » ..

| | |
|---|---|
| جهاد | أحمد رشدى صالح |
| أحمد سعيد | |
| نهاد | صادق سعد |
| حسين زاهر | |
| على الكاتب | |
| رأفت .. | على الراعى .. |

---

١ – الفجر الجديد ، ٧ – ٥ – ١٩٤٦

٢ – الفجر الجديد ، ١١ – ١ – ١٩٤٦ ، ٣٠ – ١ – ١٩٤٦ .

| | |
|---|---|
| رأفت يوسف | أبو سيف يوسف |
| أ. يوسف | |
| ابراهيم الكاشف | ريمون دويك |
| محمد أمين | |
| حسين زكى | يوسف درويش |
| اسماعيل يحيى | اسماعيل محمد |

وكان يحرر من الاسكندرية ثلاثة هم لطفى عزوز ومحمد صبحى وشخص اسمه شعلان وكثيرا ما كان كل منهم يوقع باسم « اسكندرانى » أو « من الاسكندرية » ..

وبالتدريج تكتسب « الفجر الجديد » كتابا جددا بحيث لم تعد بحاجة الى الاكثار من استخدام هذه الاسماء المستعارة الا لاسباب سياسية .. ولقد كتبت « الفجر الجديد » بعد صدور أعداد قليلة منها أقلاما تقدمية وديمقراطية عديدة منها نور الشريف ، أنور شنتا ، سعد مكاوى ، نعمان عاشور ، عبد القادر التلمسانى ، لطفى عزوز ، محمد اسماعيل محمد ، أنور المشرى ، عبد القادر القط .. الخ ..

كما انها فتحت صفحاتها أمام كتاب من مختلف المجموعات الماركسية .. فنلاحظ أن كتابا كثيرين من ايسكرا ومن الحركة المصرية للتحرر الوطنى قد شاركوا فى تحريرها أمثال محمد خليل قاسم ، كمال عبد الحليم ، أنور عبد الملك ، لطيفة الزيات ، محمد الجندى ، محمود توفيق ، زكى هاشم ، سعيد خيال ، ابراهيم سعد الدين .. الخ .

كذلك فقد فتحت « الفجر الجدد » صفحاتها للعديد من الشعراء والكتاب التقدميين العرب أمثال عبد المعين الملوحى ، رئيف خورى ، مخلص عمرو ، عدنان البنى ، وصفى البنى .. الخ .

* * *

واستعراض كل ما قدمته « الفجر الجديد » مسألة صعبة بقدر ما هى بعيدة عن هدفنا ، فلقد تواجدت طوال ١٤ شهرا صدر خلالها اثنان واربعون عددا لكننا سنحاول قدر طاقتنا أن نقدم نماذج أساسية للفكر والمواقف التى نسجت منها « الفجر الجديد » مقالاتها باعتبارها الاساس الفكرى الذى نهج عليه محرروها فيما بعد عند تأسيسهم للتنظيم الشيوعى « طليعة العمال » ..

والخيوط عديدة .. فلنحاول الامساك باكثرها اهمية ..

* * *

ولنبدأ بالفن الذى كان سلاحا هاما فى نشر الوعى الثورى ، والذى بدأ يلعب دورا هاما فى تشكيل الوجدان المصرى باتجاهات متقدمة منذ تأسيس جماعة الفن والحرية وصدور نشرتها المطبوعة بالرونيو « الفن والحرية » عام ١٩٣٩ ، ثم صدور مجلتها العلنية « التطور » .

لكن الفجر الجديد تأتى فى مرحلة النضج .. نضج الوعى والفن معا . فنلاحظ أن الاتجاهات السيريالية تختفى وتحل محلها محاولات جادة وذكية لفهم الاتجاهات والادوات الادبية والفنية على أساس المنهج الماركسى .

والشعر الذى كان يبدو على صفحات « التطور » بدائيا فى مضمونه وشكله يثمر على صفحات « الفجر الجديد » قصائد رائعة كانت إلهاما لجيوش الشباب المتدفق حماسا فى ذلك الحين .

والنماذج عديدة لا يمكن حصرها . وهكذا نضطر اضطرارا الى الاجتزاء ..

فمنذ العدد الاول يلمع عبد الرحمن الشرقاوى . بقصيدة عنوانها « الفجر الجديد » .

« يا رفاق المجد قد عشنا الى الان حيارى
فهلموا .. وضح النهج .. الى المجد .. البدارا
انها الحرية الكبرى .. جعلناها المنارا
...
والثموا فى رحلة المجد أقانيم العذارى
ودعوهن يغنين أناشيد السلام
يا عذارى .. هذه جلوة مجد وغرام
فتعالين لكى نرقص للعهد السعيد
نذكر الموتى .. وننشدو نشدوة الفجر الجديد »(١)

والشعراء العرب يجدون هم أيضا مجالا على صفحات « الفجر الجديد » فعبد المعين الملوحى ينشر قصيدته الشهيرة « ثورة الشام » :

« سكر العالم بالنصر وغنى وسكرنا
وسعى للفجر يطوى الليل طيا وسعينا
...
نحن فى معركة الحرية الكبرى اشتركنا

---

١ ـ الفجر الجديد ، ١٦ ـ ٥ ـ ١٩٤٥ .

نهزمنا وهزمنا وقتلنا وقتلنا
وعلى الظلم على النازية الحمقى انتصرنا

....

أفحتم أن نخاف السجن ان نورا رأينا
أفحتم أن نخاف القيد ان حقا نطقنا
أفحتم أن نخاف السم ان ماء شربنا
أفحتم أن نخاف النمل ان ريحا نشقنا

....

قد شربنا الماء سما وشممنا الورد نتنا
ونشقنا الريح سلا وسمعنا السوط لحنا
ورأينا النور سجنا فكفانا ما جملنا »(١)

ثم يقتحم الميدان رائدا الشعر الثورى الحديث .. محمد خليل قاسم وكمال عبد الحليم ، وفى قصيدة « الريف .. دموع فلاح » يقول محمد خليل قاسم :

« أواه قد حملوا حصيدى للقصور العالية
ومضيت أرقبهم وروحى كالذبيحة دامية
وذرفت دمعى كالأصم وقد علقت لسانيه
وقفزت أمنعهم فعاقونى بريح عاتية
بالوعد : بالقانون طورا بالامانى الواهيه
بالمنطق المأفون ، كلا بالدموع الجانيه
بالعلم بالاكبال تهوى بالعقول الواعيه

وهبتهم قوتى وسرت الى ظلام الهاوية »(٢)

أما كمال عبد الحليم فينشر قصيدته الشهيرة « صراع ودموع » :

بكل يوم يمر ليس من العمر اذا لم تقضه فى كفاح
وحرام عليك أن تبصر الشعب دماء تجمدت فى جراح
وحرام عليك أن تبصر القوم عرايا فى عاصفات الرياح
يتشاكون بالدموع فتبكى لتكتم وتكتفى بالنواح

....

---

١ ــ الفجر الجديد ، ١٦ ــ ٦ ــ ١٩٤٥ .
٢ ــ الفجر الجديد ، ١٦ ــ ٨ ــ ١٩٤٥ .

أطلق الثورة التى تسكن الصدر وجفف دموعك الماضيات
انما نخسر القيود وما القيد جميلا على أكتف الأباه
لن ينال الحقوق الا أباه يتخذون معجزات الثقاة
هى حرب الحياة اما حياة أو ممات يكن مغنى الحياة(١)

وقصيدة أخرى لكمال عبد الحليم بعنوان « هذه الثورة » :

« كتل تحمل رايات الدماء القانية
لم تعد تزهب أنغام الرصاص الداوية
لم تجد فى كفها الا سلاح التضحية
فمضت تسقط صرعى فوق أرض دامية
غير أن الراية الحمراء تبدو عالية »(٢)

ومحمود توفيق يكتب قصيدة عنوانها « غدا » :

« نضج الجرح وعاف العبد سوط السيد
فى غد نحيا فيا شوقى الى ذلك الغد »(٣)

ولم تكتف « الفجر الجديد » بأن تصبح منبرا للمدرسة الثورية الجديدة للشعر فى مصر والبلدان العربية الاخرى . لكنها حرصت على أن تقدم لقرائها نماذج من الشعر الثورى الاجنبى .

ففى دراسة ممتعة يقدمها « على الكاتب » ( على الراعى ) عن الشاعر الزنجى الأمريكى « لانجستون هيوز » يورد أمثلة رائعة من شعره منها قصيدة يتوجه فيها الى « لينين » قائلا :

« أيها الرفيق .. لينين روسيا
فى علا قبرك الرخامى
اعطنى يا رفيق لينين
مكانا الى جوارك
انا ايفان الفلاح
لقد حاربت معك يا رفيق لينين
وها قد انتهت أعمالى
....
افسح لى يا رفيق لينين

---

١ - الفجر الجديد ، ١٩ - ١ - ١٩٤٦ .
٢ - الفجر الجديد ، ٢٧ - ٢ - ١٩٤٦ .
٣ - الفجر الجديد ، ١٣ - ٣ - ١٩٤٦ .

واترك لى مكانا بجوارك
أنا شاتج من معامل الصهر
أضربت فى شوارع شنغهاى
ولأجل الثورة
أحارب ، وأجوع وأموت »(١)

ودراسة أخرى « لعلى الكاتب » أيضا عن شاعر افريقيا « بانكل أوونور ـ ربنز » يقدم فيها نماذج عديدة من أشعاره منها « الصديق الوحيد » :

« روسيا موطن العمال والاحرار
انى أنحنى أمامك أشد الانحناء
فانك تبشرين بقرب طلوع النهار
يوم تصبح الحرية ملكا لى
انى أنحنى أمامك ـ لا كعبد
فكلانا يمقت عذا ويزدريه
انما أنا جزء من الجنس البشرى
الذى أقسمت أن تذهبى بأحزانه »(٢)

ودراسة ثالثة .. لنفس الكاتب عن « شاعر الثورة الاشتراكية فلاديمير ماياكوفسكى » ويحرص على أن يقدم من بين نماذج عديدة لماياكوفسكى قصيدة بعنوان « اخوانى الكتاب » :

« ماذا عندكم اليوم تكتبون عنه ؟
ان وكيل أى محام يجد الحياة
أشوق ألف مرة مما تجدون
أيها السادة الشعراء
ألم تملوا الأوراق
والقصور
والحب
وأزهار الليلاك ؟
ان كان مثلكم الخالقون
فانى أبصق على كل فن »(٣)

---

١ ـ الفجر الجديد ، ١ ـ ٨ ـ ١٩٤٥ .
٢ ـ الفجر الجديد ، ١ ـ ١١ ـ ١٩٤٥ .
٣ ـ الفجر الجديد ، العدد ١٣ ( بدون تاريخ ) .

ولعله هو نفس الدرس . الذي حاولت « الفجر الجديد » أن تلفتنه للكتاب والادباء المصريين في هذه الفترة .. أن يلتفتوا الى مشكلات شعبهم ويتركوا الحديث عن القصور وازهار الليلاك . ولقد كانت هذه واحدة من اهم الواجبات التى شعرت « الفجر الجديد » انه يتعين عليها القيام بها .

فافتتاحية العدد الاول عنوانها « مهمة الكاتب » في مقدمتيها بروازر صغير يحاول « أحمد رشدى صالح » ان يقدم به « الفجر الجديد » فيقول « كما تتولد أشباح الفجر ، مهمومة حبية باهتة .. كذلك « الفجر الجديد » أقلام طريفة الوجود وان كانت فتية الحياة يشرعها أصحابها وقد جد بهم السعي ولا يزال يجد الى الافق الموعود » . . ثم يقول المقال « مهمة الكاتب في ان يجعل من قلمه ذروة الآلام العامة والرجاء العام واللفتة الموجهة للنضال المشرد في دروب الحياة . ونفثة المناضل المخلص لتتحرر الحياة . ان يجعله تعبيرا عن ذاته غير المنفصلة عن ذات المجتمع . عن كفاحه غير المنعزل عن كفاح المجتمع عن الانسان فيه ، غير المقطوع عن الانسان اينما كان وكيفما استوى في الحياة »(١) .

وفي نفس العدد الاول ينشر ا . ى . ابو سيف مقالا عن « الفن والطبيعة والمجتمع »(*) يقول فيه « لا ينبغي ان نعارض المثال بالحقيقة لان المثال هو التعبير الاسمى عن الحقيقة » .

واذا جئنا الى العدد الثانى فاننا نجد « أحمد رشدى صالح » يلح من جديد على دور الكاتب والفنان « اننا نحمل مشعلا قد يكون خافت الضوء ، ولكنه قبل بزوغ شمس الغد سيصبح سراجا وهاجا ... غدا ، عندما تفيق الحضارة من الجشع والانانية وعندما تكف عن الدمار ، سيكون لنا فن جديد . فن مجيد » .

وهو يؤكد ان « غاية « الفجر الجديد » ان يتيح للمفكرين والكتاب الاحرار في مصر منبرا جديدا يواصلون من فوقه جهادهم ليصلوا بثقافتنا الى مستواها الأعلى . وليصلوا بينها وبين نضال الشعب المصرى المجيد في سبيل حريته وطمأنينته الداخلية والخارجية وليصلوا بين ثقافتنا وثقافات الشعوب الاخرى

---

١ ــ الفجر الجديد ، ١٦ــ٥ــ١٩٤٥ .

(*) المقال موقع أ . ى . ابو سيف . وقد أشار أبو سيف يوسف في مناقشة معه أنه صاحب المقال وأنه مترجم وان كان تد فات على ( الفجر الجديد ) أن تشير الى ذلك عند نشرها للمقال .

... وهم بهذا يوجهون ثقافتنا وثقافات الشعوب الاخرى .. وهم بهذا يوجهون ثقافتنـــا الحاضرة الى طريق عالمى ، لم يستـــطع منزعموا الفكر قبلهم ان يبصروه »(١) .

ومقال آخر فى نفس العدد « بين الفن الصحيح والفن الزائف » لعلى الراعى وفيه يؤكد أن الفن « .. لا يمكن ان يعيش فى الابراج العاجية أو فى غيرها من حصون تقام ضد الحياة .. وهو ايضا لا يمكن ان يكون متاعا أو ميزة لفريق من الناس دون فريق بل هو متاع الانسانية كلهـا ، ومتاع كل فرد من أبنائها .. والفصل بينه وبين الحياة أو تمكين بعض الناس منه دون بعض عملية لا انسانية منافية للحياة .. وهى بعد هذا لا يمكن ان تدوم »(٢) .

وفى نفس العدد مقال ثالث بقلم جهاد (أحمد رشدى صالح) عن حافظ ابراهيم « حافظ ابراهيم فى شعره السياسى » .

وهكذا تمضى « الفجر الجديد » لتركز فى اعدادها الاولى على الدراسات الفنية وعلى تحديد مهام الاديب ودوره من وجهة نظر شعبية وتقدمية ، لكنها لا تلبث ان تزداد جرأة لتقدم دراسات ماركسية عن الفن .. بدأها « على الكاتب » ( على الراعى ) بمقال بالغ الاهمية بعنوان « الجدلية والفن الحديث » استعرض فيه مواقف عديد من المفكرين الماركسيين وخاصة ماركس وانجلز من عملية الابداع الفنى وينقل عن ماركس عبارته الشهيرة « ان الوعى لا يشكل الحياة ، ولكن الحياة تشكل الوعى .. وعلى هذا اذا اردنا ان نفهم الوعى أو أى مظهر من مظاهره كالفن مثلا ، فقد وجب ان نبدأ بالافراد الاحياء الحقيقيين أنفسهم ، كما يضطربون فى الحياة ، ونعتبر « الوعى وعيهم هم فقط » .

ثم تمضى الدراسة لتقدم رأى لينين فى تحديد معايير يمكن استخدامها لتقييم الفن « تطبق المـاركسية مقياسا ذا وجهين عندما تقيم الفن . فهى أولا تقيم العمل الفنى بالمقياس النسبى الذى يتأثر بالحقبة التى تم فيهـا العمل وبالطبقة التى يعبر عنها ، وتطبق ايضا مقياسا مطلقا على هذا العمل لترى ان كانت قيمته النسبية تحوى لبا من الحقيقة الموضوعية ام لا .. » .

ثم يختتم « على الكاتب » مقاله بعبارة وجهها لينين الى « كلارا زيتكين » يقول فيها « لا يهم مطلقا ما يعنيه الفن لنا نحن ، ولا ما يعنيه لبضع مئـات أو حتى آلاف من الناس فى أمة كأمتنا تعد بالملايين .. الفن ينتمى الى الشعب ، وجذوره يجب ان تمتد الى قلب الجموع نفسها ، وهذه الجموع يجب ان تفهم

---

(١) الفجر الجديد ، ١-٦-١٩٤٥ .

الفن وان تخبه ، وعلى الفن ان يوحد بين عواطفها وافكارها وارادتها ، وان يرتفع بها الى مستوى اعلى ... وعليه ايضا ان يوقظ الفنانين بين هاته الجموع وأن يرعاهم ويقوم على تقدمهم »(١) .

وهكذا كانت « الفجر الجديد » مدرسة رائدة للفن الثورى الذى لا يجابه فقط جمود وتعالى وانعزالية فنانى الاقطاع والرأسمالية وانما يجابه أيضا — وهذا هو الاساس — جموح عناصر « الفن والحرية » التى استخدمت رفضها لاساليب ومناهج الفن الرجعى سبيلا للسيريالية والفوضوية التى كانت تستمد جذورها ومشروعيتها من الاتجاهات التروتسكية التى كانت متشائدة فى صفوفها .

ولا تكتفى « الفجر الجديد » بتقديم نماذج من الفن التقدمى المحلى والعالمى ولا بتقديم الدراسات النظرية الماركسية حول الفن وانما هى تحاول أيضا ان تستخدم المنهج الماركسى فى دراسة تاريخ الفن فى مصر .. فنعمان عاشور يكتب دراسة ممتعة عن « القوى المنهارة والقوى النامية فى الادب المصرى »(٢) ثم يكتب دراسة مفصلة عن « معالم القصة فى الادب العربى » تنشر فى عددين متتاليين يتناول فيهما بالدراسة قصص توفيق الحكيم والعقاد وتطور كل منهما والفكر الذى يمثله والطبقة التى ينتمى اليها ..(٣) .

وثمة دراسة هامة اخرى « عن الشعر العربى فى مصر » أعدها حسن زاهر ( على الراعى ) وهى دراسة ممتازة امتدت عبر اعداد ثلاثة تناولت بالدراسة تطور الشعر المصرى وأثر ثورة ١٩١٩ كثورة وطنية برجوازية على تطور الشعر واتجاهاته ، وتتناول بالتحليل النزعات الرومانتيكية فى الشعر وعلاقاتها بالتطور السياسى فى مصر .. وهو يلح فى دراسته هذه على ربط تطور اساليب التعبير الفنى بتطوير الاساس الاقتصادى للمجتمع « هذا الإساس ينتج مظاهر اجتماعية معينة .. الادب واحد منها »(٤) .

* * *

... « عندما قررنا الاستقلال عن المجموعة الاجنبية ، وسعينا للارتباط بالواقع المصرى تمهيدا لتأسيس تنظيم شيوعى كان همنا الاول هو دراسة

---

(١) الفجر الجديد ١ـ٧ـ١٩٤٥ .

(٢) الفجر الجديد ١٦ـ٨ـ١٩٤٥ .

(٣) الفجر الجديد ٦ـ٢ ، ١٣ـ٢ـ١٩٤٦ .

(٤) الفجر الجديد ١٧ـ٤ ، ٢٤ـ٤ ، ١ـ٥ـ١٩٤٦ .

الواقع المصرى وتفهمه كمحاولة أولية لتحديد الخط السياسي لهذا التنظيم وكان على « الفجر الجديد » ان تقوم بهذه المهمة » .

هكذا قال لى صادق سعد ، وهو يحكي ذكرياته عن هذه الفترة . .

والحقيقة ان « الفجر الجديد » قد بذلت جهداً ناجحا فى هذا الصدد فقد وجدت كتابها وفتحت صفحاتها امام دراسات جادة وعامة فى مختلف المجالات كانت تتلمس أن تقول كلمة الماركسية فى مختلف المشاكل التى تواجهها مصر .

واذا القينا نظرة على العدد الاول فاننا نجد عدة مقالات تحاول كل منها ان تضع يدها على مشكلة هامة .

« مصر والسياسة الصناعية » وفيه ينادى سعد مكاوى بضرورة تدخل الدولة فى رسم سياسة التصنيع « .. ولما كانت المسألة غير قاصرة على الصناعيين انفسهم أو العمال وحدهم . بل المسألة تمس الشعب كله من قريب اذ هي تتعلق بحياته ورفاهيته . . كل هذا يوجب على الدولة أن تنحى فكرة الاقتصاد الحر جانباً ، وتتولى هى رسم سياسة انتاجية اجتماعية معينة تفرضها على الافراد . هذا مع بقاء الملكية الفردية لوسائل الانتاج محترمة مرعية » ثم يمضى مؤكدا « النتيجة التى نصل اليها اذن هى واجب الدولة الحتمى فى أن ترسم سياسة صناعية عامة على اساس مقدرتنا الانتاجية . وغرضها مصلحة الشعب ومصلحة الشعب فقط .. ثم ان عليها واجبا آخر اكثر من الاول اهمية الا وهو فرض هذه السياسة على الجميع وتنفيذها بلا هوادة مهما كانت الاعتراضات » .

وفى نفس العدد دراسة اقتصادية بعنوان « فى التموين » وهى بغير توقيع .

ونعتقد ان كاتبها هو صادق سعد الذى كتب بعد فترة وجيزة كتيبا عن « مأساة التموين » يتضمن نفس الافكار الواردة بالمقال . ويبدأ المقال « عندى ان اسباب مشكلة التموين تتلخص فى أربعة عناصر هى المضاربة بالاسعار - والاحتكار - وتأخر اقتصادنا الزراعى والصناعى - وبيروقراطية الاداة الحكومية أى انفصال هذه الاداة عن الجماهير الشعبية » .

وختام المقال « ومما لا شك فيه ان الحلول الحاسمة الناجعة لمشكلة التموين لن تأتى من القرارات « الفنية » لتلك اللجان « الفنية » بل ستأتى

بتوسيع الديمقراطية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في بلادنا .. ستأتي باستيلاء الدولة على انتاج كبار المنتجين استيلاء كاملا وبتخفيف هذا الاستيلاء على متوسطى المنتجين ثم باعفاء صغارهم من الاستيلاء إعفاء كاملا حتى نحمى هؤلاء من الشركات الاحتكارية ... وستأتى حلول المشكلة من اشتراك الجماهير الشعبية المستهلكة في لجان مراقبة التموين ، وبتوسيع الديمقراطية السياسية ، وبالغاء الاحكام العرفية والرقابة خصوصا ، حتى يتسنى لتلك الجماهير الشعبية المستهلكة ان تعبر عن مطالبها تعبيرا واضحا صريحا »(١) .

وتناقش « الفجر الجديد » أيضا قضايا التعليم وديمقراطيته باستفاضة . وبتوقيع « مدرس » تنشر مقالا عن التعليم الالزامى تناقش فيه أسباب فشل هذا النمط من التعليم وتقول « ان كل محاولة ترمى الى نجاح هذا التعليم في مصر يجب أن تكون مقرونة باصلاح شامل يتضمن النواحى المتعددة للمجتمع المصرى وأهمها رفع المستوى الاقتصادى ورفع مستوى المعيشة بين جماهير الشعب المختلفة أى اتخاذ الاساليب الصناعية في الزراعة والاتجاه نحو الصناعة ، وتعديل الملكية الزراعية بحيث يعمل هذا التعديل على زيادة ملكية صغار الفلاحين وبث الروح التعاونية بينهم .. ان الاصلاح الذى يتفق مع الديمقراطية والتطور الصناعى يتطلب تحويل التعليم الاولى في المدن الى تعليم ابتدائى مجانى مع تقديم المعاونات اللازمة للفقراء من التلاميذ »(٢) .

وفى العدد التالى مقال آخر بعنوان « مجانية التعليم الابتدائى حق اكتسبه الشعب المصرى » هو في الاساس تلخيص لمقال نشره د. طه حسين في جريدة « البلاغ » مدافعا عن مجانية التعليم وديمقراطيته .(٣) .

وتواصل « الفجر الجديد » حملتها « التعليم والديمقراطية في مصر » بقلم أمين تكلا .. وهو مقال ممتاز يربط بين الديمقراطية والحقوق الاجتماعية مبينا انه لا ديمقراطية بغير الحد من الفوارق الطبقية .. « ومما سبق نرى ان الديمقراطية في دورها الحالى تتجه نحو الحد من الفوارق الطبقية بحيث يكون التعليم في مدرسة واحدة لابناء الشعب جميعا ... ان وجود نوعين من المدارس : مدارس لأبناء عامة الشعب ومدارس خاصة لغيرهم من أبناء المثقفين والطبقات الوسطى والغنية أمر يتنافى مع الديمقراطية ورجعة الى الوراء لا تقرها تطورات العصر ولا تستند الى اساس قومى » ..

---

(١) المرجع السابق .
(٢) الفجر الجديد ، ١-٦-١٩٤٥ .
(٣) الفجر الجديد ، ١٦-٦-١٩٤٦ .

ويطالب المقال فى نهايته بتحويل التعليم الالزامى فى الريف الى تعليم ابتدائى مجانى حتى يفتح أمامه طلابه قنوات التعليم الاخرى ويطالب كذلك بمجانية التعليم الثانوى (١).

ولم تكن هذه سوى محاولة لتقديم نموذج متكامل لاسلوب معالجة « الفجر الجديد » للقضايا الاجتماعية ، ولنحاول ان نقدم نموذجا آخر ... وهو موقف « الفجر الجديد » من قضايا الريف المصرى :

فقد حاولت « الفجر الجديد » ان تتابع النزعات الاصلاحية التى تكاثرت فى ذلك الحين وان تقول فيها رأيا متميزا :

وتعليقا على مشروع خطاب بك المقدم لمجلس الشيوخ يكتب أحمد سعيد ( صادق سعد ) « ملاحظات على تحديد الملكية » وصادق سعد يسارع باعلان ان « البرجوازية » ترى فى التفاوت فى الملكية ضررا مزدوجا لمصالحها المباشرة لان تركز الارض الزراعية تركزا احتكاريا يسبب غلاءها وارتفاع الايجار ومن ثم يسبب غلاء المنتجات الزراعية ، ونتيجة هذا الغلاء ان الرأسماليين يضطرون ان يدفعوا أجورا أعلى لعمالهم ، ومن جهة اخرى فتفاوت توزيع الملكية يسبب فقر الفلاحين ، أى عجز غالبية الامة عن استهلاك البضائع المصنوعة » .

والمشروع اذن « برجوازى » فى اساسه ، وهو ايضا « غير جدى » لكنه رغم عدم جديته يمثل خطوة الى الامام ، لانه يبرهن للطبقات الشعبية المصرية ان الوضع الاحتكارى الحالى ليس وضعا منزلا من السماء ... بل على النقيض من ذلك فان فى استطاعة ممثلى الشعب ان يحددوا من حقوق الملكية المقدسة تحديدا يتفق واحتياجات الشعب نفسه » (٢)

وعندما يقدم مريت غالى مشروعا آخر فى كتيب بعنوان « الاصلاح الزراعى » يتصدى « أحمد سعيد » ايضا للرد عليه ، واصفا الكتيب بأنه « يعبر تعبيرا صادقا عن بعض المثقفين من أبناء الطبقة الوسطى بيننا ازاء المأزق الظاهر الذى وصلنا اليه فى شئوننا العامة » ، وينتقد صادق سعد الكتيب انتقادا مرا موضحا المأزق الذى وضع الكاتب نفسه فيه عندما تجاهل الجوهر الطبقى للمشكلة وذلك لانه « نظر الى الحالة الحاضرة لتوزيع الارض على انها توزيع سيئ للملكية وليس احتكارا لوسيلة من وسائل الانتاج ، ولانه صمم

---

(١) الفجر الجديد ، ١٦-٧-١٩٤٥ .
(٢) المرجع السابق .

على « عدم التحيز لمذهب اجتماعي بذاته » ... وهكذا « جاء الكتيب هزيلا نحيفا ينقصه حب الشعب العميق وقد دفعه عدم التحيز لمذهب اجتماعي بذاته الى عدم التحيز للديمقراطية نفسها فقد بحث القارىء عن هذه الكلمة طوال الصفحات المئة للكتاب ، ولكن عبثا ودون جدوى »(١).

وحول مشكلة فلاحية أخرى هي مشكلة العمد تكتب « الفجر الجديد » « نظام العمد لا يساير نهضتنا الوطنية ويعوق تقدمنا الديمقراطي » وهي دراسة جيدة كتبها أحمد رشدي صالح وقد أوضح فيها أن « الأسس التي يقوم عليها نظام العمد غير ديمقراطية فالاساس الاول فيه انه نظام طبقي .. الاساس الثاني هو اساس استبداد الاقلية ، والثالث انه نظام شبه اقطاعي .. » .

ثم يقدم الكاتب مشروعا متكاملا يطالب فيه « ١ ـ العمل على الغاء الاساس الطبقي الحالي بالغاء شرط الاحتياز ـ ٢ ـ العمل على الغاء استبداد الاقلية في القرية بالاكثرية ـ ٣ ـ انتخاب العمدة انتخابا مباشرا ـ ٤ ـ ان يقام الى جانب العمدة مجلس قرية منتخب »(٢) .

وثمة دراسات جادة للمشكلات الاساسية في الاقتصاد المصري منها دراسة عن « البنوك في مصر » وفي هذه الدراسة يلاحظ « أحمد سعيد » ( صادق سعد ) الطابع الاحتكاري للنظام البنكي في مصر » ويلاحظ أيضا بالاضافة الى الصفة الاحتكارية صفة أخرى أسماها « الاتحاد الشخصي » « .. وأعني بالاتحاد الشخصي وجود شخصيات قليلة تدير مؤسسات صناعية وتجارية ومالية مختلفة في آن واحد متفرض علينا جميعا خطة واحدة واتجاها واحدا . فهناك مثلا حافظ عفيفي باشا وهو عضو مجلس ادارة ٣٣ شركة منها بنك مصر . وهناك ايضا عبد المقصود احمد بك وهو عضو مجلس ادارة ٢٧ شركة منها شركات بنك مصر والبنك الاهلي . وهكذا يرتبط بنك مصر بالبنك الاهلي ارتباطا يمكننا ان نسميه شخصيا لانه ينشط خلال الشخصيات الكبرى المتقاربة » .

وبعد هذه اللمحة الذكية ، لا يفوت الكاتب أن يذكر في ختام مقاله بان هذا التركيز القوى « يوسع امام الدولة فرصة فرض اشرافها ـ اشراف الشعب المصري ـ على تلك المجموعة الصغيرة من الاحتكارات المالية »(٣) .

---

(١) الفجر الجديد ، ١٦ـ٨ـ١٩٤٥ .
(٢) الفجر الجديد ، ١ـ٨ـ١٩٤٥ .
(٣) الفجر الجديد ، ١٦ـ٦ـ١٩٤٥ .

وثمة دراسات أخرى عن الواقع المصرى ذات أهمية لا بأس بها مثل «الآلات البشرية والصناعة المصرية» بقلم «ا. ش. الاسكندرية» و «التشريعات العمالية فى مصر» بقلم حسن زكى (يوسف درويش)، «مشكلة التغذية فى مصر» «لطفى عزوز» «النهضة الصناعية والضرائب الثقيلة» أحمد رشدى صالح، «ملاحظات عابرة على التقرير السنوى لاتحاد الصناعات» م.ص وهو فى الغالب محمد صبحى من الاسكندرية وكلها دراسات عامة توحى بجدية الجماعة فى دراسة الواقع المصرى، وأن كان يتعين علينا ان نتوقف عند بعضها للاشارة الى ملاحظات سريعة :

فصادق سعد يكتب مقالاً بعنوان «يجب أن نقبل الرأس مال الاجنبى بشروط»(١)

ثم يعود فيصحح نفسه فى عدد تال قائلا انه «قد اتضح من المناقشة التى جرت مع بعض الزملاء ان العنوان لم يكن يحمل المعنى المقصود، وقد اتفق على ان العنوان الذى يؤدى الفكرة المقصودة : يجب ان نفرض شروطا على الرأسمالى الاجنبى»(٢)

ويتعين علينا ان نشير كذلك الى ان صادق سعد قد قدم لقراء «الفجر الجديد» دراسة ممتازة بعنوان «تطور مصر الرأسمالى ١٩١٩-١٩٤٥»(٣) لعلنا لا نغالى اذا قلنا أنها تمثل وصول الماركسيين المصريين الى مرحلة متقدمة فى فهم التطور الاقتصادى والاجتماعى لبلادهم.

وثمة مقال آخر بالغ الاهمية نشرته «الفجر الجديد» بدون توقيع وعنوانه «يجب ان نصلح الجيش على اساس وطنى ديمقراطى» وفيه يتقدم الكاتب ببرنامج من ست نقاط :

١ - جعل الخدمة العسكرية اجبارية

٢ - تخفيض مدة الخدمة

٣ - رفع مستوى المعيشة للجنود وضباط الصف

٤ - تسهيل الترقية من الجندية الى رتب الضباط مع تحسين أحوال صغار الضباط

---

(١) الفجر الجديد، ١-١١-١٩٤٥

(٢) الفجر الجديد، ٦-١٢-١٩٤٥

(٣) الفجر الجديد، العدد ١٣ بدون تاريخ

٥ ـ الغاء البعثة العسكرية البريطانية . واذا اقتضت الضرورة فيجب الاستعانة ببعثة عسكرية تنتمى الى منظمة الامم المتحدة .

٦ ـ تطهير هيئة أركان الحرب وكبار الضباط من العناصر الفاشية »(١) .

.. ومع تصاعد المد الثورى . تتحول الدراسات الأكاديمية الى حملات اثارة . وبدلا من العناوين البائسة نجد عناوين مثل « شعب يموت وحكومة عاجزة »(٢) .

« ماذا تصنع بنا السينما ـ يصنع الاغنياء الافلام ليراها الفقراء »(٣) .

« افتح الراديو تجد الرأسماليين »(٤) .. « الاستعمار الذى يقول : هنا القاهرة . الاستعمار البريطانى + الرجعية ـ الشعب المصرى = محطة الاذاعة »(٥) .

* * *

وحول الديمقراطية السياسية وحرية الفكر وحرية الصحافة وضرورة الغاء الاحكام العرفية .. كتبت « الفجر الجديد » عديدا من المقالات . كذلك سلطت كثيرا من الاضواء على نشاطات الاحزاب السياسية الاخرى .. وقد شددت الهجوم على جماعة مصر الفتاة والاخوان المسلمين بالذات .. ولسنا نعتقد أن فى ذلك شيئا ملفتا للنظر فهو مسالة طبيعية ، لكن الامر الذى اهتمت بالتدقيق فيه هو موقف جماعة « الفجر الجديد » من حزب الوفد .

ذلك ان كثيرا من الكلام قد قيل حول علاقة ما .. بين هذه الجماعة وبعض ساسة الوفد أو بعض أجنحته ، وقيل ان هدف هذه الجماعة قد تركز فى وقت ما ، ليس من أجل تأسيس تنظيم شيوعى وانما من أجل خلق تيار يسارى فى صفوف حزب الوفد ..

غير ان الاقاويل ليست غذاء صالحا لكتب التاريخ ، ولهذا كان من الضرورى البحث عن الحقيقة من خلال مقالات ودراسات قادة هذه المجموعة . ونعتقد

---

(١) الفجر الجديد ، ٣٠ـ١ـ١٩٤٦ .
(٢) الفجر الجديد ، ١٣ـ٢ـ١٩٤٦ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) الفجر الجديد ، ٢٧ـ٢ـ١٩٤٦ .
(٥) الفجر الجديد ، ١٢ـ٣ـ١٩٤٦

انه من المفيد القاء حزمة مكثفة من الضوء حول هذه المسألة ذلك انها تمس صميم التكوين الفكرى والنضالى لجماعة «الفجر الجديد» وهى تمثل حقيقة اساسية وضرورية لكل باحث فى تاريخ التنظيمات الشيوعية المصرية .

ماذا قالت الفجر الجديد عن الوفد ؟ وماذا كان موقفها الحقيقى منه ؟

لنحاول البحث عن اجابة متكاملة لهذا السؤال ..

ثمة مقال بالغ الاهمية كاتبه هو « محمد امين » ( ريمون دويك ) والعنوان « الديمقراطية المصرية بين انصارها واعدائها » .. ويتطرق الكاتب كثيرا لحزب الوفد وللدور الذى لعبه فى الحياة السياسية فى مصر . «كان الوفد منذ نشأته التأييد للكفاح الوطني الديمقراطي . فالوفد هو الذى تزعم - تحت قيادة سعد زغلول - النهضة الوطنية الديمقراطية عام ١٩١٩ وهو الذى انطلق بعد ذلك يقود الحركة الوطنية ويدعم الديمقراطية فى الستة والعشرين سنة الاخيرة . وقد استهدف الوفد طوال هذه المدة لحملات الاستعمار الاجنبى تارة ، ولحملات اعداء الديمقراطية من الاجانب والمصريين تارة اخرى .. » .

.. ثم هناك «جماعات وهيئات رجعية كان عمادها الشباب المضلل المعزز تحت قيادة العناصر الفاشية المنافرة وغير المنافرة .. ولم يكن لهم عمدة الجماعات والهيئات غير محاربة الوفد لحساب خصومه من الاجانب والرجعيين» .

ثم يبدأ الكاتب فى تمجيد مواقف الوفد الوطنية والديمقراطية «ويبدو عمل الوفد فى الكفاح الوطنى الديمقراطى ممثلا فى جانبين : أولهما الحرص على الدستور والنظام البرلمانى ومحاولة تدعيم قواعدهما . وايضا فى سلسلة المشروعات الديمقراطية الاصلاحية التى حققها الوفد فى فترات حكمه لمصر . ولعل الاصلاحات التى قام بها فى فترة حكمه الاخير هى اهم الاعمال الديمقراطية التى حاول القيام بها فى الميدان الاقتصادى والاجتماعى منذ ايام نهضته الاولى » .

وبعد ان يعدد الكاتب هذه الاعمال فانه يجد ضرورة لعودة التركيز على ديمقراطية الوفد « ولئن كانت هذه الاعمال جميعها يرجع حدوثها - الى حد ما - لظفر الديمقراطية وتصاعد قواها واشتداد ساعدها فى فترة انجازها الا انه يتحتم الا يغيب عن ذهننا ان ديمقراطية الوفد هى صاحبة الدور الاول فى وجودها » .

وبرغم ما نلمحه من مبالغة فى تركيز الكاتب على « ديمقراطية الوفد » فاننا نلاحظ انه يعود ليوضح انه « اذا امعنا النظر فى ديمقراطية الوفد بوجه

عام نجد انها تقف عند حدود معينة ابعدت عن الحدود التي تتطلبها الديمقراطية في الوقت الراهن . ويعزى ذلك الى سببين اولهما تحديد طبيعة ديمقراطية الوفد بطبيعة تكوين الحزب نفسه . فعلى الرغم من ان الوفد تؤيده غالبية الشعب الا ان قيادته لا تمثل تمثيلا حقيقيا صادقا بين الطبقات والطوائف ونخص بالذكر طبقة العمال والفلاحين الاجراء وطائفة طليعة الديمقراطيين من المثقفين المصريين . والسبب الثاني هو وجود عناصر بصفوف الوفد يتولى قدر اقتناعها بالديمقراطية عن قدر اقتناع الاغلبية وتنعكس قلة ديمقراطيتها من حين لآخر على بعض اعمال الوفد » .

ويؤكد الكاتب ايضا ان اثر هذه الحقيقة قد ظهر مؤخرا في موقف غالبية الطبقة العاملة وطليعة الديمقراطيين من المثقفين فهم على الرغم من تاييدهم — غير المعلق على شرط — للوفد في كفاحه الديمقراطي ضد خصومه الديمقراطية ، وعلى الرغم من تقديرهم العظيم للاعمال الديمقراطية التي ينجزها الوفد . وهو في مضمار كفاحه الديمقراطي الا انهم يشعرون مع ذلك ان مصلحة بلادهم تتطلب ديمقراطية اكثر من التي يقدمها الوفد »(١) .

وعندما شكل الطاغية صدقي حكومته عام ١٩٤٦ . وحاول ان يكسب الوفد الى صفه داعيا النحاس الى المشاركة في المفاوضة ممتدحا وطنيته فوجئ الجميع برد ضعيف من الوفد يفتح باب المساومة .

ويعلق على ذلك رافت يوسف ( أبو سيف يوسف ) في مقال بالغ الأهمية لانه يحدد موقف جماعة « الفجر الجديد » من الوفد . « ومع ان الوفد كان يمثل الطبقة البرجوازية المتقدمة الا ان امكانيات هذه الطبقة قد اخذت تضعف بانعزالها شيئا فشيئا عن الشعب ، وبظهور طبقة شعبية اخرى هي الطبقة العمالية .. وكان ان تغلبت العناصر اليمينية على سياسة الوفد ووجهتها . وكانت النتيجة ان اصبح اميل من ذي قبل الى التفاهم مع المستعمر . ومنذ اقيلت الوزارة الوفدية الاخيرة وسياسة الوفد مطبوعة بطابع التردد ازاء المستعمر وازاء المشاكل الداخلية على السواء . فهو في كفاحه للمستعمر يقف عند حد ارسال مذكرة ضعيفة للسفارة البريطانية ثم تعلن صفحة بعد هذا أن الوفد قد أدى واجبه كاملا غير منقوص . ثم يصدر بيانا اقوى يوجهه الى الامة المصرية وتعلن صحيفة مرة اخرى ان الوفد قد أبرأ ذمته وأدى واجبه اما في الداخل فهو لا يعرف كيف يدافع دفاعا سليما عن حقوق الشعب وحرياته الاساسية » .

ويمضي أبو سيف يوسف لينتقد حتى من كانوا يسمونهم بالجناح

(١) الفجر الجديد ، ١٦—٧—١٩٤٥ .

اليسارى فى الوفد فيقول » وقد اعترف الدكتور مندور بشذوذ سياسة الوفد وتنكبها عن الطريق السليم فوصفها بأنها حل نصفى ، ثم عاد فوصفها بأنها تضحية للوفد فى سبيل وحدة الامة ٠٠ ولكنا من ناحيتنا نرى أنه حل انتهازى لانه ضحى بمصلحة الطبقات الشعبية فى سبيل مصلحة حزبية »(١)

ولعل فى ذلك ما يكفى لأى باحث عن الحقيقة حول موقف جماعة « الفجر الجديد » من الوفد ٠٠ وان كنا استكمالا للحقيقة — ذاتها — يتعين علينا أن نشير الى أن هذه المجموعة قد بالغت بالفعل فى الامكانيات الثورية والديمقراطية لحزب الوفد أو بالدقة لبعض جماعاته وأجنحته وقد القت كثيرا من ثقلها وجهودها فى نشاط تركز أساسا فى صفوف وغدية ، الى حد أن الكثيرين قد تصوروا فى البداية أنها مجرد « نتوء » يسارى فى حزب الوفد ٠٠

***

ولقد اهتمت « الفجر الجديد » اهتماما كبيرا بالوحدة العربية ، وكانت تشعر على الدوام أن مجال حركتها ومحط اهتماماتها ليس قاصرا على مصر وحدها ٠٠

ومنذ البداية أكدت « الفجر الجديد » أن تأسيس جامعة الدول العربية كان خطوة ايجابية ، بل انها كانت فى نظرهم أحد منجزات الوفد « الديمقراطية » ٠٠ بل انها اعتبرت تأسيس الجامعة « حدث دولى له مغزاه وله آثاره ، فبهذه الخطوة تعبر الأمم العربية عن ارادتها فى أن تتخذ مكانها الحق الى جانب سائر أعضاء الاسرة الدولية ٠ وبهذه الخطوة تتجمع الدول العربية وتتكتل فى تعاهد وثيق تصوغه وحدة شعوبها فى مصالحها الأساسية ومثلها العليا » ٠ ويمضى كاتب المقال زكى هاشم قائلا « والأثر البارز لجامعة الامم العربية هو أنها ستجرد القضايا الوطنية للشعوب العربية من الصيغة التى غلبت عليها الى الآن : صبغة التفكك والتجزؤ والانحلال » ٠

ويحدد زكى هاشم أن أول واجبات الجامعة العربية هو حل القضية الفلسطينية ٠ « وفلسطين هى التى تستسجل دون ريب أول انتصار للجامعة العربية بتحريرها من الصهيونية الاستعمارية التى ترمى الى استغلال شعبها العربى واستعباده ٠ وحينذاك سيخلد للعرب فى تاريخ التقدم الانسانى فضل القضاء على ركن قوى من أركان الاستغلال الاستعمارى فى العالم » ٠٠

---

١ — الفجر الجديد ، ١٣ — ٣ — ١٩٤٦ ٠

.. لكن الكاتب يطالب المهيمنين على الجامعة بأن « يشعروا الشعوب العربية بأن سياسة الجامعة العربية انما تجرى لصالح الجموع .. لصالح الشعوب لا لمنفعة فئات ضئيلة منها لا يعنيها إلا الاستغلال والاثراء »(١)

لكن الهجوم لا يلبث أن يبدأ ضد مسلك الجامعة العربية تجاه قضايا متعددة .

.. ويكتب صادق سعد بعنوان « جامعة الدول العربية على ضوء موقفها من مسألة سوريا ولبنان » ينعى فيه على الجامعة أنه « اتحاد دول .. أى اتحاد طبقات حاكمة وليست اتحاد شعوب »(٢) .

وتعود الفجر الجديد لتتساءل مرة أخرى « هل نسينا مسألة الشام » ؟

وتذكر الجامعة العربية بأن زمنا طويلا قد انقضى منذ اجتماعها الاخير وقد اعتبرت الجلسة مستمرة .. « ومع ذلك لم تصف مسألة الشام تصفية نهائية »(٣) .

وفى مقال بعنوان « مستقبل العلاقات الاقتصادية فى الجامعة العربية » يكتب أحمد سعيد ( صادق سعد ) .. « ولكن الجامعة العربية - جامعة الدول العربية . كما سميت بحق - تغاضت عن مطالب الشعوب العربية الاقتصادية وأغفلت تغلغل الرأسمال الاجنبى فى حياتها الاقتصادية ولم تبال بأن الاستعمار يخنق الان الطبقات الشعبية العربية ، لماذا ، لان هذه الجامعة جامعة دول وليست جامعة شعوب ، فهى تمثل الطبقات الحاكمة دون غيرها . ولان الحياة السياسية للشعوب العربية لا تزال متأخرة ، وتشكو ضغط الاستعمار الثقيل . وبهذا يتضح أن حل المسائل الاقتصادية للشعوب العربية معقود بتحرر هذه الشعوب من الاستعمار تحررا لا يأتى عن طريق الزعماء والساسة الرسميين ، بل عن طريق الكفاح الشعبى نفسه»(٤)

وفى باب « حركة العالم فى أسبوعين » وهو باب ثابت كانت تعرض فيه « الفجر الجديد » أهم الاحداث العالمية وكان دائما بغير توقيع لكن محرره كان فى أغلب الاحيان «أنور عبد الملك» نجد هجوما شديدا على جامعة الدول العربية واتهام صريح لها بأنها « أداة بريطانية » وادانة لتجاهلها لقضية فلسطين ولتباعدها عن مشكلة السودان ثم تحدد صريح « فالجامعة

---

١ - الفجر الجديد ، ١٦ - ٥ - ١٩٤٥ .
٢ - الفجر الجديد ، ١ - ٧ - ١٩٤٥ .
٣ - الفجر الجديد ، ١٦ - ٨ - ١٩٤٥ .
٤ - الفجر الجديد ، ١٦ - ٩ - ١٩٤٥ .

تنتمى فى طريقتها الخاص بهما . أما شعوب الشرق الطامحة الى الحرية فلا تنتظر منها شيئا الا اذا أصبحت جامعة للشعوب العربية تمثل فيها شعوب الشرق العربى تمثيلا صحيحا تعمل على توثيق العلاقات بينها والتضامن ضد الاستعمار »(١).

وفى تعليق حاد بعنوان « الجامعة العربية فى دورتها الحاضرة » بقلم « علوى الكاتب » ( على الزاعى ) نجد تركيزا شديدا على تراخى وتقاعس الجامعة العربية تجاه القضية الفلسطينية ، ثم « ان المجلس بتكوينه الحالى يقف حائلا بين الشعوب العربية وبين التحرر ، وتستعمل فى ذلك أساليب وفنون من التعنت والاضطهاد تقربها كثيرا من الفاشيستية التى تراها فى الصهيونية ولا تراها فى نفسها .. ان مجلس جامعة الدول العربية غير جاد فى محاربة الاستعمار كله ومتراخ فى محاربة عميلة وصنيعة الاستعمار الا وهى الصهيونية ، وهذه حقيقة بالغة تصدمنا صدمنا فى تصرفاته »(٢).

ونقلا عن جريدة « الاتحاد » الفلسطينية تنشر « الفجر الجديد » مقالا بعنوان « الأحرار العرب لا يؤيدون سياسة عزام باشا ولا خطة الجامعة العربية ازاء الاستعمار »(٣).

ومن الهجوم على الجامعة العربية الى الهجوم على أمينها العام ، وتعليقا على موقف عبد الرحمن عزام باشا أمام لجنة التحقيق البريطانية الامريكية فى مسألة فلسطين يكتب « د. سعد لبيب » « الطريف حقا أن سعادة الامين العام نسى أن هناك شيئا اسمه الاستعمار البريطانى فى فلسطين ، وان هذا الاستعمار هو الذى مكن للصهيونية فى فلسطين وانه هو الذى يسند الصهيونية دائما فى موقفها .. ما كان أغناك يا سعادة الامين العام عن هذه التصريحات والبيانات الواضحة جدا . وما كان أغنى الانجليز عن أن تكون هكذا واضحا صريحا . أما الشرق ؟ ولكن مالك أنت والشرق !؟ ان شعوبه تعمل وستنتصر بدون حاجة اليك »(٤).

واذا كان جوهر الهجوم الذى شنته « الفجر الجديد » على جامعة الدول العربية هو أنها جامعة دول - أى طبقات حاكمة - وأنه يتعين عليها لكى

---

١ - الفجر الجديد ، ١ - ١٠ - ١٩٤٥ .
٢ - الفجر الجديد ، ١٦ - ١٢ - ١٩٤٥ .
٣ - الفجر الجديد ، ٣٠ - ١ - ١٩٤٦ .
٤ - الفجر الجديد ، ١٢ - ٣ - ١٩٤٦ .

تنجح أن تكون جامعة شعوب .. كان من حق « الفجر الجديد » علينا أن نذكر لها أنها حاولت قدر طاقتها أن تقيم أوسع الروابط مع الشعوب العربية ومع طلائعها التقدمية ، وعلى صفحاتها كتب كثير من المفكرين التقدميين العرب .. ونوقشت مختلف القضايا العربية بسوريا ولبنان ، السودان الأقليات القومية ، فلسطين .. مناقشة متخصصة ومن وجهة نظر متقدمة .

***

واذا كانت قضية فلسطين واحدة من أهم قضايا الوطن العربى .. واذا كانت بعض الاوضاع الخاصة « بالفجر الجديد » والمتعلقة بمنشئيها مؤسسيها تجعل للتعرف على موقف هذا المنبر من القضية الفلسطينية أهمية خاصة ، فاننا سنحاول أن نستعرض بايجاز بعضا من الجهد الدائب الذى بذلته « الفجر الجديد » دفاعا عن عروبة فلسطين وادانة للصهيونية ..

ولقد لاحظنا أن كثيرا من هجمات « الفجر الجديد » ضد الجامعة العربية كانت بسبب تهاونها أو تفريطها فى الدفاع عن حقوق عرب فلسطين . لكن هذا لم يكن سوى بداية ، فان « الفجر الجديد » قد ركزت فى كثير من الاحيان مدعمتها بالأدلة فى هجوم عنيف مركز ضد الصهيونية ..

وتحت عنوان « كفاح فلسطين الوطنى والديمقراطى » يكتب « وطنى » « الصهيونية حركة استعمارية ليست فى الواقع سوى شكل قديم جديد لتصدير الرأسمال والاستيلاء على الاسواق واحتكار أكثر ما يمكن من منابع المواد الاولية لحساب الشركات الاستعمارية الضخمة » والصهيونية تجيد سندا قانونيا فى تصريح بلفور وغيره من الرسميين البريطانيين ويربطها هذا بالانتداب ، ويكون سببا من الاسباب التى تجعلها ضد الحركة الوطنية فى فلسطين . ولهذا يقاومها العرب .. غير أن كفاحهم المجيد ضد الصهيونية ، لا يعنى كفاح اليهود اطلاقا » (١) .

وعلى صفحات « الفجر الجديد » يكتب « مخلص عمرو » أحد القادة النقابيين الفلسطينيين مقالا يدعو فيه العمال العرب الى التوحد « لمحاربة الصهيونية بين صفوف العمال وفضحها كحركة استعمارية رأسمالية » (٢) وفى نفس العدد تشير « الفجر الجديد » فى بابها الثابت « حركة العالم فى

---

١ ــ الفجر الجديد ، ١٦ ــ ٦ ــ ١٩٤٥ .
٢ ــ الفجر الجديد ، ١ ــ ١١ ــ ١٩٤٥ .

أسبوعين ، الى أن « الولايات المتحدة تعمل كل ما في وسعها لتأييد الصهيونية · أي لتأييد دخول راسماليين مستغلين الى فلسطين العربية »(١)

واذا كان هذا العدد يصدر في ذكرى وعد بلفور فان « الفجر الجديد » تنشر نداء بتوقيع فلسطيني عنوانه « ليسقط الاستعمار والصهيونية » جاء فيه أن « الشعب العربي يعلم أن قضية حريته تفرض عليه مقاومة الصهيونية والاستعمار معا · فالصهيونية راسمالية استعمارية وليست حركة عنصرية أو دينية » ·

ويمضي النداء « نناديكم أيها المصريون الوطنيون أن قفوا معنا صفا واحدا · وناضلوا معنا ضد الاستعمار وقاوموا الصهيونية »(٢) ·

وتدين « الفجر الجديد » الصهيونية بأقوال أقطابها وصحافتها وتنقل عن جريدة « دافار » الصهيونية العبارة التالية « اننا نعتبر بان مصيرنا مرتبط بمصير الاستعمار البريطاني ونعترف بهذه الشركة »(٣) ·

ويبدو أن خلافا ما قد برز في صفوف بعض « الأحرار » في مصر حول الموقف من الهجرة اليهودية الى فلسطين مع اتفاق الجميع على ادانة الصهيونية ولهذا تنشر « الفجر الجديد » مقالا تنقله عن « الاتحاد » الفلسطينية بعنوان « يقاومون الهجرة الى فلسطين » وتقدمه الى قرائها بالمقدمة التالية « نشر المقال التالي بجريدة « الاتحاد » الغراء ، وقد رأت لجنة التحرير أن تنقل فقرات منه لقراء « الفجر الجديد » دحضا لما قد يكون شائعا بين بعض الاحرار في مصر والبلاد العربية من أن موقف الاحرار من الهجرة يجب ان يكون مختلفا عن موقفهم من الصهيونية ذاتها · ويجدر بنا أن نتذكر قرار الحزب الشيوعي ( يقصد الحزب الشيوعي الفلسطيني ) الاخير بمعارضة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين تلك القرار الذي ووفق عليه بالاجماع »(٤) ·

لكن حملة « الفجر الجديد » ضد الصهيونية لم تمنعها من استنكار الدعاوى والتحركات العنصرية ضد اليهود المصريين أو المقيمين بمصر ، وعندما قامت المظاهرات المتعصبة التي قادها الاخوان المسلمون واعضاء

١ ــ المرجع السابق ·
٢ ــ المرجع السابق ·
٣ ــ الفجر الجديد ، ٣٠ ــ ١ ــ ١٨٤٦ ·
٤ ــ الفجر الجديد ، ٢٠ ــ ٢ تـ ١٩٤٥ ·

مصر الفتـاة » ضد محلات ومساكن بعض اليهود كتب « جهاد » ( أحمد رشدى صالح ) « نؤمن بأن مكافحة الصهيونية عمل وطنى مجيد يجب أن نقوم به فى حزم وقوة . فالصهيونية حركة استعمارية رأسمالية يستخدمها الاستعماران الامريكى والبريطانى الآن لتثبيت دعائمهما فى البلاد العربية » لكن ثمة تيارات رجعية « التفت عند هدف مشترك فى تحويل حركتنا الوطنية عن مجراها الحالى ضد الاستعمار البريطانى — والاستبداد الرجعى الى حركة عنصرية . ولقد كانت قيادات اضرابات ٢ نوفمبر فى يد هذه الفئات الرجعية ولذا فهى لم تفد الطبقات الشعبية شيئا — وأفادت الاستعمار كثيرا — وثبتت أقدام الحكومة أكثر من ذى قبل » .

ويمضى « جهاد » قائلا : ولقد استفادت الصهيونية من توجيه حركتنا فى ٢ نوفمبر وجهة خاطئة .. اذ حصلت على دليل قوى ضد الشعوب العربية : انها لا تحترم الاقلية اليهودية وانه لا منجى لليهود الا اذا تجمعوا فى بلد واحد »(١) .

.. « وقد فتحت « الفجر الجديد » صفحاتها لنشر النصوص الكاملة لبيانات « عصبة مكافحة الصهيونية فى العراق » ومنها بيان بمناسبة « يوم وعد بلفور» يقول « ونحن بصفتنا يهودا وعربا بنفس الوقت نعلن استنكارنا لوعد بلفور واحتجاجنا عليه ، وندعو كل مواطن الى النضال من أجل استقلال فلسطين استقلالا تاما ، وتأليف حكومة ديمقراطية عربية فيها ، ومنع الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وايقاف انتقال الأراضى الى الصهاينة »(٢) .

وبيان آخر من نفس العصبة « الى الرأى العام العربى والديمراطيين جميعا » يحمل العناوين الفرعية التالية « يهود العراق ضد الصهيونية — الاستعمار البريطانى يؤيد الصهيونية — الارهاب الصهيونى ستار لمؤامرة الاستعمار — يجب عرض قضية فلسطين على مجلس الأمن » .

كذلك تنشر « الفجر الجديد » عددا من وثائق وبيانات « عصبة التحرر الوطنى الفلسطينية »(٣) .

واذا كنا ننظر الى « الفجر الجديد » كمنبر سياسى وليس كمجرد مجلة فاننا نلفت النظر الى دراستين هامتين قدمتا باسم « الفجر

١ — الفجر الجديد ، ٦ — ١٢ — تاريخ — .
٢ — الفجر الجديد ، العدد ١٣ — بدون تاريخ .
٣ — الفجر الجديد ، ٢٣ — ١ ، ٦ — ٣ — ١٩٤٦ .

الجديد » إلى ندوة أعدتها « دار الابحاث العلمية حول القضية الفلسطينية وقد نشرتا ضمن الدراسات المختلفة التى قدمت للندوة فى النشرة غير الدورية التى كانت تصدرها « دار الابحاث العلمية » * والدراستان مقدمتان « عن أسرة تحرير الفجر الجديد » أولاهما بعنوان « فلسطين ومناورات الاستعمار » بقلم صادق سعد ، والثانية بعنوان « الحركة الوطنية فى فلسطين » بقلم أحمد رشدى صالح .

ويقول صادق سعد فى دراسته « .. فتشريد اليهود فى أوروبا وبقايا الاضطهاد العنصرى التى تؤلمهم انما تعالج باستتباب الديمقراطية فى أوروبا ، وأن يكن بد من ايواء اليهود المشردين فى بلاد غير أوروبا نفسها ، فلم لا تتقبلهم انجلترا أو الولايات المتحدة وأرضها واسعة شاسعة ، لا أن الإستعماريين البريطانى والامريكى لا يريدان فى الحقيقة أن يقوما بعمل انسانى - بمساعدة اليهود المشردين - وانما يريدان أن يدخلا مهاجرين فى فلسطين ، أو على الأقل أن يهددا فلسطين والبلاد العربية بمهاجرين يهود حتى تثار مسألة الهجرة لا مسألة الحكم الديمقراطى المستقل فى فلسطين » .

أما رشدى صالح فيقول فى دراسته « ان الاستعمار والرأسماليين الصهيونيين والاقطاعيين العرب ، هم المسئولون عن المذابح المتكررة التى قامت بها بعض الجماهير العربية ضد اليهود .. وأما الرابح من هذه المذابح والكراهية الدينية ، فهو الاستعمار الذى نجح فى تحويل الانظار بعيداً عنه .. هو والرأسماليين الصهيونيين الذين نجحوا فى اجتذاب عطف وحماس جماهير اليهود وزجهم فى المعركة لتثبيت أقدام الاستغلال الصهيونى فى فلسطين . وهم الاقطاعيون العرب الذين ألقوا بالجماهير العربية فى المعمعة فى حين أنهم كانوا يتفاهمون مع الاستعمار ، ويبيعون أرض فلسطين للسماسرة الصهيونيين » .

ولست أعتقد أننى بحاجة الى أية اضافة أو أى تعليق .. لقد كان موقف « الفجر الجديد » من القضية الفلسطينية واضحا .. وكافيا ..

---

* النسخة التى بين أيدينا منزوعة الغلاف ومن ثم فانها مجهولة التاريخ وتبتدئ بصفحة « ٣ » وبها دراسة بعنوان كلمة تاريخية عن مشكلة فلسطين - عبد الرحمن الناصر - عن دار الأبحاث العلمية ، وتتضمن دراسات مختلفة يمثل أصحابها مختلف التيارات والتنظيمات الماركسية ومن بينها دراستان باسم « الفجر الجديد » وأخرى باسم أسرة تحرير « أم درمان » .. الخ .

لكنه يتعين علينا أن نضع في الاعتبار أن جزءا من هذا الوضوح والحماس يجب أن ينسب الى طبيعة منشأ « مؤسسي » « الفجر الجديد » وحاجتهم - أكثر من غيرهم - الى ابداء هذا القدر من الوضوح » .

***

وروينـدا رويدا بدأت الملامح الماركسية تتضح على صفحات « الفجر الجديد » فالمد الثوري العارم والحركة الجماهيرية الضخمة التي لم تشهد لها مصر مثيلا منذ ١٩١٩ وتفاقم الصراع الطبقي ، كل ذلك جعل من الضروري أن يصبح الفكر الماركسي وجبة دائمة على مائدة « الفجر الجديد »

وابتداء من العدد الرابع بدأت المحاولات الحذرة تتلمس بعض جوانب الفكر الماركسي وكان صاحب هذه المحاولة « أبو سيف يوسف » في مقاله « فلسفة أم أسطورة » والمقال مجرد استعراض فلسفي لافكار متمخضة عن فلسفة الحركة .. ولم ترد فيه مطلقا كلمة الماركسية ، لكنه كان محاولة جيدة لطرح قضايا الديالكتيك بصورة مبسطة .. ويختتم أبو سيف مقاله « فالمذهب الحركي يمكن أن يفهم فهما عقليا سليما .. وقد وجدت الفلسفة التي قدمته في صورة قبلها العقل واقرتها العلم ونعني بها « المادية الجدلية » التي استعانت بمنهجها الديالكتيكي على دراسة الطبيعة والانسان في تطورهما وخرجت من ذلك بمذهب انساني متناسق »(١) .

وفي نفس العدد نقد لكتاب الفه الدكتور مصطفى كمال فايد بعنوان « الثورات الثلاث » وكاتب النقد وهو اسماعيل محمد يبدأ بهجوم صاعق « كتاب له رأس دجاجة وجسم فيل ، ورأس الدجاجة فارغ لا خير فيه . وجسم الفيل يصلح لأن يعرض في حدائق الحيوان ومدن الملاهي ... » والكتاب هجوم على ثورة اكتوبر الاشتراكية والنقد دفاع حار عنها (٢) .

.. ويبدو أن عبارة الماركسية قد ظلت لفترة لا ترد على صفحات « الفجر الجديد » الا ردا لهجوم أو تصديا لادعاءات الخصوم .

فأسعد حليم يرد على كتاب أصدره محمد صبيح عن روسيا « لغمه بالمغالطات وحشاه بحملته الرجعية المغرضة » ويقول أسعد حليم في معرض رده « وقع الاستاذ صبيح في كتابه عن « روسيا » في عدد كبير من الأغلاط التاريخية والاحصائية ، نكتفي بأن نشير الى بعضها فان احصاءها شاملا انها يحتاج الى جهود مصلحة الاحصاء والتعداد . »

---

١ - الفجر الجديد ، ١ - ٧ - ١٩٤٥ .
٢ - المرجع السابق .

لكن أسعد حليم اكتفى بنقد الأخطاء التاريخية والاحصائية والجغرافية ولم يتعرض للسياسة فى قليل أو كثير .

ونحتاج بعد ذلك الى تقليب صفحات عديدة من اعداد المجلة .. حتى نعثر على برواز صغير بعنوان مختارة « فلسفة ماركس المادية هى الوحيدة التى أوضحت للبروليتاريا طريق الخلاص من العبودية الروحية التى كانت الطبقات المضطهدة جميعا ترزح تحت أعبائها . ونظرية ماركس الاقتصادية هى الوحيدة التى بينت موضع البروليتاريا الحقيقى من النظام العام للرأسمالية »(١) .

وهنا نلمح بداية جادة لمنعطف طريق حقيقى .. انها المرة الاولى التى يرد فيها ذكر الماركسية كنظرية قادرة على تحرير الانسان . ويبدو ان الأمر كان صعبا فى بدايته وخاصة بالنسبة لاناس كان الحذر الشديد شعارهم الاساسى ومنهجهم فى العمل .. فقد ألقيت هذه « المختارة » فى زاوية من زوايا احدى الصفحات .. دون مقدمات ودون تعليق .

ولكن أبو سيف يواصل ـ فيما بعد ـ تقديم دراساته الفلسفية « الانسان والطبيعة فى الفلسفة الجدلية » وهى دراسة جادة لكنها تظل فى اطارها الفلسفى الجاف ..

وتحتاج لجهد كبير فى تفهمها وخاصة بالنسبة لقارىء هذا الزمان .

وكما عودنا « اسماعيل محمد » فانه يكون أشد الكتاب جرأة فى التعرض لهاجمى الماركسية وتفنيد هجومهم .. وردا على كتاب العقاد « فى بيتى » كتب اسماعيل محمد مقالا كان نقطة تحول خطيرة فى تاريخ « الفجر الجديد » فمن خلال مواصلة انتقاد كتاب العقاد والرد عليه .. دخلت « الفجر الجديد » بصراحة معممة الدفاع الصريح والجاد عن الماركسية .

وفى برواز يقدم به « إسماعيل محمد » رده على العقاد يقول « ينتهز الاستاذ العقاد كل فرصة تعرض له ، بل إنه يخلق الفرص ليهاجم الآراء الحرة ويكيل للاشتراكية والشيوعية الشتائم بنفس اللهجة ونفس المستوى الذين يهاجم بهما الوفد وغيره من العناصر الديمقراطية فى مصر ... ولقد أسف الاستاذ كثيرا فى مهاجمته للاشتراكيين والشيوعيين وتفضل على الفيلسوف العالمى

---

١ ـ الفجر الجديد ، ١ـ٨ـ١٩٤٥ .

الكبير ماركس ، وعلى زميله فريدريك انجلز ولينين بالقاب وأوصاف غير علمية تغلب عليها أساليب السوق التى اشتهر بها الاستاذ العقاد مما يبعدها كثيرا عن دائرة البحث العلمى » .

ويمضى « اسماعيل محمد منفدا آراء العقاد . « وهذه نهاية المطاف التى كان حتما عليه أن يبلغها فهو قد هاجم الاشتراكيين الشيوعيين ما انفسح القرطاس أمامه . وما خلا الميدان من أقلام تنسف أباطيله ـ وهو قد عرض بالمذاهب العلمية الاجتماعية لينتهى الى هذا الحدس الرخيص والتخمين المهين لكرامة الانسان » .

ويختتم المقال هجومه بادانة أفكار العقاد الميتافيزيقية « فلست أريد أن أغالط العقاد فى معتقداته الميتافيزيقية . وانى مستريح بالا لأن العقاد انصرف بعبقريته اخيرا ـ الى عالم لا قيود فيه ولا حدود وأن عبقريته تضيق بالبحث العملى المحدود ، وتزج به فى غيوم من التيه وشبهات من الايمان بالاشباح والكفر بالقيم الحقة فكفاه من التراث العلمى هذا التيه . وكفانى من ملهلة آرائه هذا القدر » (١) .

ولم تكن مقالة اسماعيل محمد هذه سوى بداية . لهجوم عارم . . . بالدقة دفاع عارم عن الماركسية وتزخر صفحات « الفجر الجديد » بردود على العقاد ، وصاحب الرد الذى سنعرض له الآن هو أبو سيف يوسف . . « ونحن نستطيع أن ندحض اتهام الماركسية بأنها عقيدة جامدة وتبشير . بالنظر فى طبيعة هذه الفلسفة نفسها . . . على أننا قد قلنا فيما تقدم أن الماركسية تتفق مع العلم فى أنها تنظر الى الحقيقة نظرة نسبية ونرى أن الوصول اليها عمل تحققه الانسانية والاجيال المتعاقبة لا فرد واحد . ومعنى هذا أن الماركسية أسلوب لدراسة الاشياء وليست عقيدة تظهر فى فترة فاعليتها ثم تخبو عندما نحاول تطبيقها فى عصور مختلفة . . لقد بدأ اختبار الفلسفة الماركسية وقد دل الاختبار على نجاحها البين الملموس . . . ان الفلسفة الماركسية فلسفة حركة . بل لعله من الافضل أن يقال أنها الفلسفة الاولى والوحيدة للحركة العامة . حركة العقل البشرى فى محاولته أن يوافق الحقيقة موافقة وثيقة ومدللا باستمرار على هذا التوافق بنجاحه العملى » (٢) .

ويكون الرد على العقاد مناسبة للحديث فى كل شىء حتى عن « صور انسانية من كارل ماركس » وفى مقدمة لهذه الدراسة المترجمة من كتاب « الماركسية والفرد » لاستفن كندربزى تكتب « الفجر الجديد » « يتهم العقاد الماركسية بالباطل فى كل شىء . ولقد زعم أن ماركس لم يحينا

---

١ ـ المرجع السابق .

٢ ـ الفجر الجديد ، ١ ـ ١٠ ـ ١٩٤٥ .

حياة إنسان . وحقيقا أن ماركس لم يكن يتصف بالصفات الإنسانية التي تجعله انسانا في نظر العقاد وأشباهه فهو لم يكن أنانيا ولا بوقا للرأسماليين ولا دعيا يفسد كل القيم ليعيش في لين ويسر بينما الملايين من البشر مستعبدون ومضطهدون ، لقد كانت حياة ماركس وحدة كاملة من العواطف والاراء .. وكانت حياته الشعورية فياضة زاخرة لان مادتها المجتمع الإنساني كله ، وكانت غنية دافئة لان معينها العقل وكانت أرقى ما تكون الحياة الانسانية لانها جمعت الى فيض الشعور ، سيطرة الفكر والجهاد الحر الكامل لتحرير الانسانية »(١)

- ويكون الرد على العقاد ... مناسبة أيضا لتقديم دراسة عن « دور الفرد في التاريخ » وموقف الماركسية منه ... وفي مقدمة لهذه الدراسة تكتب « الفجر الجديد » قائلة « يعمد بعض أعداء الفلسفة الماركسية من الكتاب المتجورين الى محاولة نقدها وتفنيدها متظاهرين في الوقت نفسه انهم انما يدافعون عن العلم والعقل والكرامة الانسانية ـ ولما كانت الماركسية لا تعارض العلم ، بل وتحترم مناهج البحث العلمي . ولما كانت في صميمها فلسفة انسانية بكل معاني الكلمة فان هؤلاء الكتاب قد عمدوا عن قصد الى تشويه آراء ماركس بحيث تبدو على غير حقيقتها .. والى تخريج بعض أقواله تخريجا يتنافى مع مضمون الفلسفة الماركسية ومنطقها الداخلي »(٢)

ولم يقتصر الامر على مقالات عديدة أخرى لدحض هجمات العقاد وانما أصدرت « الفجر الجديد » كتيبا ترد فيه على العقاد بعنوان « من حقائق الماركسية .. رد على العقاد » وتنشر « الفجر الجديد » اعلانا عن هذا الكتيب تقول فيه « أعدت لجنة التحرير بحثا وافيا في الرد على الآراء المغرضة التي تذاع هذه الايام بقصد تشويه التيار المتقدم في مصر وغيرها من البلاد العربية ـ هذه الآراء التي ينفرد العقاد وأمثاله بالصدارة في اذاعتها بين الناس وان لجنة التحرير يهمها أن يبلغ هذا البحث كل قارئ وصديق يؤمن بجهاد شعبنا ويرغب في الاستهداء بالحقائق العلمية التي لا يستقيم كفاحنا التحريري بغيرها » (٣) .

ثم يصبح الحديث عن الماركسية مسألة معتادة .. بعد ذلك ، بل انه يجتاح حواجز الحذر ليتقدم ـ على سبيل المثال ـ مقالا لأحمد سعيد

١ ـ الفجر الجديد ، ١٦ ـ ٩ ـ ١٩٤٥
٢ ـ الفجر الجديد ، ١ ـ ١١ ـ ١٩٤٥
٣ ـ الفجر الجديد ، ٦ ـ ١٢ ـ ١٩٤٥

( صادق سعد ) بعنوان « ثورة أكتوبر ... مرحلة تحول في تاريخ البشرية ؛
ومن البداية يقول صادق سعد « بثورة أكتوبر ... مرحلة تحول في تاريخ
البشرية » ومن البداية يقول صادق سعد « بثورة أكتوبر استولت البروليتاريا
ـ طبقة العمال وطليعة الكادحين ـ على الحكم السياسي في روسيا ، وكانت
هذه هي المرة الأولى التي تتولى فيها الغالبية الشعبية الحكم السياسي .

ففي المجتمع الاشتراكي الذي أسسته ثورة أكتوبر لا تستولي طبقة
طفيلية على نتيجة جهود الكادحين بل ينتج الشعب لنفسه ، ويراقب الانتاج
الاجتماعي ويشرف عليه ، حيث أن وسائل الانتاج ملكا له » .

ويمضي المقال « ... وإذا كانت الشعوب توجه أنظارها نحو الاتحاد
السوفييتي فليس ذلك لأنها تنتظر منه أن « يدبر » لها الثورة بل أن هذه
الشعوب جميعا تعلم علم اليقين أن الحرية لن تأتي لها من الخارج بل
عليها أن تبنيها بأيديها وبكفاحها هي »(١)

وهناك أيضا عرض لكتابات ستالين عن « الثورة الاشتراكية » يقدمه
نعمان عاشور وفي نفس العدد « صور من حياة لينين بمناسبة يوم ٧ نوفمبر »
بقلم عبد العزيز فهمي ثم تتوالى الدراسات « بين الماركسية وعلم النفس »
بقلم على الكاتب ( على الراعي ) حقوق الافراد وواجباتهم في الاتحاد
السوفييتي « بقلم أبو سيف »(٢) . ثم رسالة من عامل ميكانيكي بينغداد
بعنوان « الميل للوضيح والماركسية »(٣) ودراسات أخرى عديدة من أهمها
دراسة من ثلاثة فصول بعنوان « بماذا نفسر التغيرات الاجتماعية ؟ » بقلم
اسماعيل يحيى ( اسماعيل محمد ) وهي تقديم جيد لفكرة الماركسية حول
تطور المجتمعات والقوى الفاعلة في عملية التطور هذه (٤) .

ثم تبدأ « الفجر الجديد » في تقديم أفكار ماركسية عن الاقتصاد
السياسي في باب بعنوان « قاموس الاقتصاد السياسي » وفيه تقدم تعريفا
لعلاقات الانتاج ـ السلع ـ التبادل النوعي (٥) .

---

١ ـ الفجر الجديد ، العدد ١٣ ـ بدون تاريخ ـ .
٢ ـ الفجر الجديد ، ٦ ـ ١٢ ـ ١٩٤٥ .
٣ ـ الفجر الجديد ، ٦ ـ ١٢ ـ ١٩٤٥ .
٤ ـ الفجر الجديد ، ١٩ ـ ١٠ ، ٢٣ ـ ١ ، ٦ ـ ٢ ـ ١٩٤٦
٥ ـ الفجر الجديد ، ١١ ـ ١ ـ ١٩٤٦ .

ثم هي تنقل عن جريدة « المصري » عدد ١ - ٢ - ٤٦ مقالا هاما بعنوان « لبنان والمسألة القومية »(١) .

ثم تخطو « الفجر الجديد » خطوة أخرى هامة وهي تعزيز علاقاتها مع الأحزاب الشيوعية العربية فهي توالي نشر العديد من المقالات عن « الاتحاد » و « الغد » الفلسطينيتين و « الطريق » اللبنانية .. بل وتوالي نشر اعلانات لهذه المجلات ، تصل القاهرة المجلات التقدمية العربية التالية .. الطريق - لبنان ، الغد - فلسطين ، الاتحاد - فلسطين ، الرابطة - العراق »(٢) .

وعندما تنفجر الحركة الثورية في مصر في مطلع عام ٤٦ ويتعرض التقدميون والشيوعيون المصريون للاضطهاد تحرص « الفجر الجديد » على أن تنقل لقراءها تضامن الشيوعيين العرب مع الشيوعيين والتقدميين المصريين .. « نشرت جريدة « الاتحاد » الفلسطينية الغراء في عدد ٣٠ ديسمبر ١٩٤٥ مقالا للمناضل الحر الاستاذ فؤاد نصار يقول فيه « تجتاح مصر اليوم موجة من الارهاب الاسود . لقد أفزع النشاط التحرري العناصر الرجعية مهادنة الاستعمار فراحت تضرب يمينا وشمالا تنقذ نفسها من المصير المحتوم »

، ومقال آخر من مجلة « الغد » الفلسطينية بعنوان « الاشتراكية جريمة في مصر » ودفاع حار من جريدة « الشعب » العراقية .. الخ (٣) ... ثم تنقل لقراءها كلمات من خالد بكداش « ان حوادث مصر الدامية هي اليوم على كل شفة ولسان .. بل هي في أعماق كل قلب وكل نفس في سوريا ولبنان وجميع الاقطار العربية - فكل عربي مهما كان مولده يشعر أن لمصر في عنقه دينا عليه أن يفيه ، وأحسن أشكال هذا الوفاء هو رفع الصوت عاليا بالتضامن مع الشعب المصري في نضاله لأجل الاستقلال والجلاء .

ان الشعوب العربية التي تناضل في كل قطر لأجل الاستقلال والجلاء تلتفت اليوم بأنظارها الى وادي النيل وقلوبها تزخر بعاطفة التضامن والاخاء نحو الشعب العربي الكبير الذي يرفع اليوم في الشوارع والساحات لواء النضال الشعبي في سبيل الحرية والحياة فلتحيا مصر مستقلة ديمقراطية حرة - عاش التضامن بين الشعوب العربية في سبيل الجلاء والاستقلال في سبيل الحرية والديمقراطية »(٤) .

---

١ - الفجر الجديد ، ٣٠ - ١ - ١٩٤٦ .
٢ - المرجع السابق .
٣ - الفجر الجديد ، ١٩ - ١ - ١٩٤٦ .
٤ - الفجر الجديد ، ٢٧ - ٢ - ١٩٤٦

# الضمير

.. عندما استقل الثلاثي صادق سعد – يوسف درويش – ريمون دويك عن الحلقة السرية الماركسية ( لم يكن لها اسم ) التي كانت تعمل خلف واجهة « مجموعة الدراسات » العلنية كان يستهدف كما أشرنا في فصل سابق الى العمل في شعبتين ، العمل وسط المثقفين وقد تولاه كما رأينا صادق سعد وريمون دويك وانضم اليهما أحمد رشدي صالح ، والعمل بين العمال وقد تولاه يوسف درويش وذلك باعتباره محاميا عماليا .

واذا كانت الجماعة الاولى قد انغمست في العمل وسط المثقفين وارتبط اسمها باسم مجلتها « الفجر الجديد » ..

فان يوسف درويش قد حاول قدر طاقته الانغماس في العمل النقابي العمالي ويمكن القول انه قد حقق – الى حد كبير – نتائج هامة ..

* * *

.. والبداية مجموعة من الطلاب المتحمسين ينشطون في حي السبتية لتأسيس فصل لمحو الامية ، ويلتقي بهم يوسف درويش الذي يسكن بجوارهم في حي بولاق ويلتقط المحامي الماركسي الشاب الذي يحاول جاهدا أن يجد لنفسه ركيزة يستند اليها في سعيه نحو كسب كوادر عمالية .. يلتقط هذا الخيط ..

ويتحول منزله (رقم ٧ سكة جلال الملك أمام خوش فايد ) الى مقر لجماعة جديدة « جماعة الثقافة الشعبية » وتؤسس هذه الجماعة مركزين لمحو الأمية الاول في شارع وابور النور بالسبتية والثاني في ميت عقبة(١)

« ومن خلال فصول محو الأمية التقى يوسف درويش بمحمود العسكري أما يوسف المدرك فقد كان يعمل عند بعض أقارب ريمون دويك وتعرف به ريمون ثم قدمه الى يوسف درويش »(٢) وكان هناك أيضا طه سعد

١ – من محضر نقاش أجرى مع يوسف درويش .
٢ – من محضر نقاش أجرى مع صادق سعد .

عثمان وكان هو أيضا شخصية نقابية هامة فقد ظل رئيسا للنقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكي وملحقاته بالقاهرة وضواحيها من ١٩٣٨ الى ١٩٤٢ ثم أمينا لصندوق هذه النقابة من ٤٣ الى ١٩٤٤ ثم مراقبا عاما لنفس النقابة عام ١٩٤٥ (١) والمرجح أن العسكرى هو الذى قدم طه سعد عثمان الى يوسف درويش فقد كانا ينشطان معا فى نفس النقابة ٠

وبهذا الثالوث « المدرك ـ العسكرى ـ طه عثمان » يكون يوسف درويش قد وضع يده على أحد المفاتيح الهامة للنشاط وسط قطاع عمالى أساسى .

ويكون قد حقق خطوة هامة بالالتقاء مع كوادر عمالية صرفة ومصرية صرفة واضعا بذلك أساسا هاما لمستقبل المجموعة السرية التى ينتمى اليها ٠

ويمكننا الآن أن نترك الحديث ليتولاه واحد من هذا الثالوث هو طه سعد عثمان ٠

« كنت فى ذلك الوقت مع نفر من العمال والنقابيين نقرأ بعض الكتب والكتابات الاشتراكية ، وكان المثقفون الاشتراكيون الذين اتصلوا بنا منذ فترة دائبى النقاش معنا ، وخاصة بعد اسقاط فضلى عبد الجيد فى الانتخابات حول قضية السلطة والطبقة العاملة ، وأنه لا وصول الى السلطة الا بتنظيم سياسى ٠ ومجلة تنطق باسمه وتقوم بعملية الربط بين أعضائه ٠ وبعد نقاش استمر مدة طويلة ، اتفقنا على أن نكون تنظيما سياسيا علنيا للطبقة العاملة ، وأن نصدر مجلة تنطق باسمه » .

« وفى اجتماعات طويلة تم الاتفاق على ما يأتى :

١ ـ ضرورة عمل برنامج للتنظيم السياسى يحدد مطالب كافة الفئات الشعبية وطنيا واقتصاديا واجتماعيا ، على أن تناقش بنود ذلك البرنامج من اللجنة التأسيسية مجتمعة بعد أن كلف ثلاثة بوضع مشروع البرنامج وكذلك مشروع بيان يوزع مع البرنامج .

٢ ـ أن يكون اسم التنظيم هو « لجنة العمال للتحرير القومى ـ الهيئة السياسية للطبقة العاملة » باعتبار أن هذه اللجنة فى حقيقة الامر ، ان هى الا لجنة تحضيرية لحزب الطبقة العاملة المصرية السياسى ٠ وعلى أن

---

١ ـ طه سعد عثمان ، مذكرات ووثائق من تاريخ الطبقة العاملة ـ مقال مجلة « الكاتب » يوليو ١٩٧١ ٠

يعلن اسم الحزب بعد أن تتمكن اللجنة عن طريق العمل السياسي والجماهيري من استكمال مقومات الحزب فعلا وبعد أن ترتبط فعلا بكتل العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الشعبية الاخرى التى لها مصلحة في تحقيق البرنامج .

٣ ـ اتفق على أن تستاجر اللجنة مجلة أسبوعية تنطق باسمها ، وكلف الزميل محمود محمد العسكرى لسابق خبرته في هذا المجال باتمام ذلك .

٤ ـ اتفق على أن يكون أول يوم لالغاء الاحكام العرفية في مصر هو يوم اعلان اللجنة .»(١) ..

وهكذا صدرت مجلة « الضمير » .. كمجلة عمالية تمثل منبراً علنياً هو « لجنة العمال للتحرير القومى ـ الهيئة السياسية للطبقة العاملة » .. وهو منبر تاسس باشراف مباشر من حلقة ماركسية ( بغير اسم ) تستهدف التحول من خلال نشاط جماهيرى واستقطاب أعداد من المثقفين والعمال المصريين الى تاسيس تنظيم شيوعى .

ولسنا نعتقد انه يمكننا عنا ان نتابع تطور الجهود التى بذلها يوسف درويش ومعه هذا الثالوث تاسيسا للجنة العمال للتحرير القومى ، أو اعدادا لتاسيس منبر شيوعى فان ما نريده هو متابعة مجلة « الضمير » كواحدة من الصحف اليسارية المصرية .

* * *

وصاحب المجلة الاصلى هو الدكتور عبد الكريم أحمد العسكرى ، وهو معروف كواحد من الشخصيات التقدمية .. ومن هنا فان المسالة لم تكن مجرد استئجار رخصة جريدة بقدر ما كانت مشاركة سياسية تلتقى عند حدود مبادىء متفق عليها .

ويمكن التعرف على مواقف د. العسكرى من مقالاته فى « الضمير » ذاتها فقد استمر فى الكتابة فيها حتى بعد أن استلم ادارتها محمود العسكرى ..

وفى مقال بعنوان « العمال للانتاج القومى كالعمود للجسم الانسانى » كتب الدكتور العسكرى يقول « قوام الانتاج فى محيط حلبة الاعمال المختلفة كالزراعة والصناعة والتشييد والبناء والتعمير والتجميل والطباعة وكل ما يحتاج اليه العالم الانسانى من مطالب الحياة هو العامل .. ومن هنا

١ ـ المرجع السابق ص ١٧٥ .

كان له أن يفخر بحق حين يرى نفسه الوسيلة الوحيدة للانتاج القومي .
ولكن هل يدرك المجتمع كيف استطاع هذا العامل أن يخرج هذا الانتاج وهل يستطيع المجتمع أن يتصور كم بذل من جهد وتحمل من عناء وتعرض للمخاطر وواجه الصعاب وكم أثقل كاهله واحترق · ونظن أن الزمن الآن .· يدفع الطبقة العاملة الى أن تسعى وراء حقها المهضوم ومطالبها العادلة في أن يكون لها نصيب من الحياة الرغدة يتناسب مع جهدها وتضحياتها · ولا تستطيع هيئة منصفة أن تقف أمام جهاد العمال في سبيل حقوقهم المشروعة العادلة »(١) ·

وقد كتب د· السكرى سلسلة من المقالات بعنوان « أيها العامل ·· دعني أحدثك » قال في واحد منها « أنت عامل ·· ومعنى ذلك أنك مواطن منتج ·· وعلى هذا الاساس الصحيح أرجو أن تحيي في نفسك شعور الثقة بالنفس والاعتزاز بالكرامة ··

واذا كان حقك الكريم في الحياة قيد البحث · واذا كان مجالك الحيوى ما زال ضيقا محدودا مما أصابك بهذا العسر المادى فان جهادك المشروع في المطالبة بما تراه حقا لك ·· يخفف ما تشعر به من ألم في نفسك ويسرى عنك ولو على الاقل لانك مجتهد مجاهد في سبيل مطالبك المشروعة ، وما ضاع حق وراء مطالب »(١) ··

وحتى بعد أن قبض على الثالوث ( المدرك – العسكرى – طه سعد ) في الفترة من يناير حتى مايو ١٩٤٦ صمم الدكتور السكرى على معاودة اصدار المجلة وانتقل بها الى مسقط رأسه بنى سويف وأصدرها من هناك وإن كان قد حرص على أن يبرز في رأس صفحتها الاولى أنها « لسان حال لجنة العمال للتحرير القومي – الهيئة السياسية للطبقة العاملة ·» (٢) ·

ويبقى اسم السكرى هو التوقيع الوحيد في هذه الاعداد بما يوحى أن محرريها الاصليين لم يريدوا ذكر أسمائهم لاسباب متعلقة بالامن ، وأن الدكتور السكرى هو الذى تصدى لتحمل المسئولية كاملة .

وكان لا بد له ان يشارك زملاءه في مصيرهم ·· فقبض عليه وتنشر « الضمير » « قبض البوليس السياسى في الاسبوع الماضي على أكثر من ثلاثين

١ – الضمير ، ٧ – ١١ – ١٩٤٥ ·
٢ – الضمير ، ٢٤ – ٦ – ١٩٤٦ ·
٣ – المرجع السابق ·

شخصا ـ فى جهات مختلفة .. من الزملاء ، ومنهم رئيس تحرير هذه المجلة الدكتور عبد الكريم السكرى .. واستمر حجزهم فى قسم الازبكية ليلة ٢٥ ، وليلة ٢٦ الماضى وقد تولت النيابة التحقيق فقررت الافراج عن ٢١ بالضمان الشخصى .. ومنهم الدكتور السكرى »(١) .

ويخرج السكرى من السجن ليكتب فى « الضمير » « أيها العامل دعنى أحدثك عن ليلتين على الإسفلت » فيحدث العامل قائلا « انت عامل .. وللعمال قضية هى قضية الكادحين والمرهقين وهذه القضية ليست وليدة أحداث هذا العام بل ولا أحداث هذا القرن . فقضية العمال مشكلة اجتماعية خطيرة تناولها بالدرس والبحث والتصوير منذ أكثر من ألفى عام أى منذ أن تحدث الفلاسفة الأقدمون أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو عن الطبقات وتوزيع الأعمال على الطبقات ونصيب كل طبقة من الاشتراك والمساهمة فى الأنتاج .. » .

.. ثم يروى الدكتور السكرى فى نفس المقال قصة القبض عليه « وكان من الطبيعى أن يجمع العمال شملهم وأن يتكتلوا فى نقاباتهم المشروعة وأن يعتمدوا على جهود المخلصين منهم فى مطالبة أولى الامر بالحد من هذه السيطرة ( سيطرة أصحاب المصانع ) . وبينما نحن فى نقابة من هذه النقابات نطلب أصول عدد الضمير لاصداره فى موعده أول يوليو اذ فوجئنا بحصار عسكرى من البوليس السياسى وزج بنا فى حجز بقسم الازبكية » .

وهكذا يتضح لنا أن نفس المجموعة ( المدرك ـ العسكرى ـ طه سعد عثمان ) كانت تعد أصول المجلة ثم يتسلمها الدكتور السكرى ليعود بها الى بنى سويف حتى تطبع هناك فى مطبعة العميرى ..

والقبض على الدكتور السكرى تم فى مكان تسليم الاصول .. وهو مقر أحد النقابات بدائرة قسم الازبكية .. ونعتقد انه كان مقر « لجنة العمال للتحرير القومى » وعنوانها ١ شارع الباب الشرقى بالأزبكية ..

* * *

.. ومجلة « الضمير » مجلة قديمة اصدرها الدكتور السكرى قبل سبع سنوات من اتفاقه مع محمود العسكرى على اصدارها كلسان حال « للجنة العمال للتحرير القومى » ويبدو ان الدكتور السكرى كان قد تخلى عن المجلة قبل ذلك لعدد من طلاب الجامعة ليصدروها باسمهم ..

---

(١) ـ الضمير ، ٨ ـ ٧ ـ ١٩٤٦

يقول طه سعد عثمان فى مذكراته « كان العدد الاول من مجلة « الضمير » قد طبع فى مطبعة المكتب الدولى للطبع والنشر بالجيزة وهى المطبعة التى كانت تطبع فيها عندما كان يصدرها بعض طلبة الجامعة » (١) .

وقد صدر من « الضمير » قبل ان يتولى ادارتها محمود العسكرى حوالى ٢٧٢ عددا نقول حوالى لاننا لا نعرف بالضبط موعد صـــدور أول عدد تحت اشراف العسكرى .

ومذكرات طه سعد عثمان تمدنا بالتواريخ التالية :

※ ٢٩ سبتمبر ١٩٤٥ موعد انعقاد المؤتمر العالمى للنقابات بباريس

※ حوالى ١٩ سبتمبر ١٩٤٥ عقد اجتماع فى منزل يوسف درويش استمر ثلاثة أيام وفيه ... « أقر ما اتخذه الزميل محمود محمد العسكرى من استئجار مجلة « الضمير » الاسبوعية من صاحبها ورئيس تحريرها الدكتور عبد الكريم احمد العسكرى ، وتقرر ان يصدر العدد الاول منها بعد سفر المدرك الى باريس مباشرة وفيه افتتاحية منه » .

※ ٨ أكتوبر ١٩٤٥ تاريخ صـــدور برنامج لجنة العمـــال للتحرير القومى .

※ وتشير المذكرات ايضا الى إنه فى اثناء طبع العدد الثانى من مجلة « الضمير » تم طبع برنامج لجنـــة العمـــال للتحرير القومى وبيانها فى نفس المطبعــــة .

※ وتقول المذكرات ايضا وفى « الساعة الخامسة من مســاء الخميس ٥ أكتوبر ١٩٤٥ غادر الزميل محمود العســــكرى مطبعة المكتب الدولى للطبع والنشر حاملا معه العدد الثانى لمجلة « الضمير » (٢) .

※ وفى حديث صحفى أجرته مجلة « الضمير » مع محمد يوسف المدرك بعـــد عودتـــه من باريس قال « تعلمـــون انى وصلت باريس فى مســـاء ٢٧ سبتمبر » (٣) .

ويشير طه سعد عثمان فى مذكراته الى ان المدرك قد غادر الى باريس بالطائرة .

---

١ — الكاتب ، يوليو ١٩٧١ ، ص ١٨٦ .
٢ — الكاتب ، يوليو ١٩٧١ .
٣ — الضمير ، ٧—١١—١٩٤٥ .

وتحت أيدينا عدد من « الضمير » نعتقد انه العدد الرابع من المجموعة التى صدرت باشراف العسكرى وتاريخه « الاربعـاء ١٧ اكتوبر ١٩٤٥ » ولا مجال للشك فى أى خطأ فى تاريخ العدد فالاعداد بعده مسلسلة بتـاريخ صحيح فالعدد التالى تاريخه الاربعاء ٢٤ اكتوبر ١٩٤٥ .. وهكذا .

والاربعاء السابق هو ١٠ اكتوبر وهو ما نعتقد انه تاريخ صدور العدد الثالث والاربعاء الذى يسبقه تاريخه ٣ اكتوبر وهو ما نعتقد انه موعد صدور العدد الثانى ولا بأس من ان يكون قد تم طبعه مساء الخميس فهذه مسألة طبيعية فى اطار مجلة « كالضمير » ..

نصحح اذن التواريخ التى أوردها طه سعد عثمان بفارق يوم واحد .. وهو فارق محتمل .. فالعدد الثانى تسلمه محمود العسكرى من المطبعـة مساء الخميس ٤ أكتوبر وليس ٥ اكتوبر ..

وبهذا يكون موعد صدور أول عدد من « الضمير » كمجلة يسارية باشراف مجموعة تستهدف بناء حركة عمالية يقودها تنظيم ماركسى هو الاربعـاء ٢٦ سبتمبر . وهو ما تؤكده مجلة « الضمير » ذاتها عندما قالت فى عددها الصادر فى ٢٤ يونيو ١٩٤٦ قائلة « يعرف قراء « الضمير » انها ظهرت فى ثوبها الجديد فى الاسبوع الاخير من سبتمبر ١٩٤٥ معبرة عن آمال وأهداف الطبقـة العاملة المصرية » .

ويكاد ذلك يتفق مع ما اشار اليه طه سعد عثمان فى مذكراته عندما قال « وتقرر ان يصدر العدد الاول منها بعد سفر المدرك الى باريس مباشرة » ولا بأس ان يكون العدد قد تأخر يوما .. انتظارا لسفر المدرك وحتى لا يعوق صدوره سماح السلطات له بالسفر .

* * *

.... والمجموعة التى بين أيدينا لنجرى عليها الدراسة يمكن القول بأنهـا ناقصة لكنها نادرة ..

.. فالغريب فى الامر ان فهارس الدوريات فى دار الكتب والوثائق المصريـة لا تتضمن مجموعة اعداد « الضمير » .. ولسنا نتصور أى مبرر معقـول لذلك .

لكننا أمكننـا العثور على مجموعة تضم ثمـانية أعـداد من مجلة « الضمير » .

تبتدىء بالعدد ٢٧٤ الصادر فى الاربعاء ١٧ أكتوبر ١٩٤٥ وهو العدد الذى قلنا اننا نعتقد انه العدد الرابع وتنتهي بالعدد الاخير الصادر فى ٨ يوليو ١٩٤٦ . ومن المتيقن انه العدد الاخير لانه فى ١١ يوليو ١٩٤٦ الغى ترخيص هذه المجلة ضمن حملة صدقى الارهابية الشهيرة .

ونلاحظ ان العدد ٢٧٤ قد طبع فى مطبعة المكتب الثقافى الدولى بالجيزة ، لكن الاعداد اللاحقة كانت تطبع تقريبا كل عدد في مطبعة مختلفة وربما كان ذلك بسبب ضعف الامكانيات المادية ، حيث اعتاد أصحاب المطابع تأجيل بعض تكاليف الطبع لما بعد اصدار العدد ، ويحل موعد السداد بطبيعة الحال قبل طبع العدد التالى ومن هنا يكون اللجوء الى مطبعة اخرى تخلصا من دين يتعين سداده فورا ، وربما كان السبب مطاردة البوليس للمطابع وتحذيرها من طبع امثال هذه المجلات ، المهم ان العدد ٢٧٥ مطبوع فى مطبعة دار اللواء ، و ٢٧٦ فى مطبعة الواجب وهكذا .

وعندما قبض فى أول يناير ١٩٤٦ علي المدرك والعسكري وطه سعد عثمان ثم أفرج عنهم فى مايو من نفس العام نلاحظ ان المجلة تعاود الصدور ولكنها تصدر هذه المرة من بنى سويف وكانت تطبع فى مطبعة العميرى ، التى تعرض أصحابها هم ايضا للقبض عليهم كما تشير مجلة « الضمير » « هاجم البوليس في بنى سويف تحت رئاسة رجال المباحث منزل رئيس تحرير هذه المجلة فى الساعة الثانية بعد منتصف ليل الثلاثاء ٢٥ الماضى واجرى تفتيشا دقيقا ولم يعثر على شىء . كما أجرى تفتيش منازل اصحاب مطبعة العميرى ببنى سويف فى نفس الوقت ، وبالرغم من انه لم يعثر فى المنازل على شىء مطلقا فقد سيق اصحابها الى بندر البوليس حيث ظلوا حتى مطلع الشمس »(١) .

كذلك نلاحظ ان العدد ٢٧٥ الصادر فى ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥ وبرغم ان تاريخه لا يتضمن أى ايماء بتأخر صدوره يتضمن فى صفحته السابعة اعتذارا يقول « تأسف مجلة « الضمير » عن تأخير ظهور هذا العدد فى موعده وذلك لاسباب خارجة اطلاقا عن ارادتها . وتأمل الا توضع فى سبيلها عقبات كالتى وضعت هذا الاسبوع » .

كذلك نلاحظ ان العدد التالى ورقمه ٢٧٦ قد صدر متأخرا اسبوعا كاملا حتى ان موعد صدوره كان الاربعاء ٣١ اكتوبر ١٩٤٥ فانه قد صدر فى الاربعاء التالى أى فى ٧ نوفمبر دون اية اشارة الى تأخر صدوره .

---

١ ـ الضمير ، ٨-٧-١٩٤٦ .

اما العدد ٢٧٧ الصادر في ١٤ نوفمبر ١٩٤٥ فيتضمن خطأ مطبعيا في رقم العدد .. اذ يبقى ٢٧٦ .. وهو خطأ واضح .

والمجموعة التي بين أيدينا ينقصها العدد ٢٨٠ وموعد صدوره ١٢ ديسمبر ١٩٤٥ وثمة دلائل تؤكد صدور هذا العدد في موعده اهمها ما يشير اليه طه سعد عثمان في مذكراته من ان محمود امين قد كتب « أول مقال نشر له في مجلة « الضمير » بعنوان سلطان الضمير اجدى على المجتمع من سلطان القانون ونشرت بالعدد ٢٨٠ الصادر في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٥ »(١) .

وعندما قبض على محرري المجلة في الفترة من ٢ يناير ١٩٤٦ وحتى ٣٠ مايو ١٩٤٦ (٢) توقفت عن الصدور لفترة طويلة ولم تعاود الصدور الا في ٢٤ يونيـــو .

وقد صدر من المجلة بهذه الكيفية ثلاثة اعداد اولها اشير اليه على انه « العدد التاسع من السنة الثامنة يوم الاثنين ٢٤ رجب — ٢٤ يونيو » .

ونلاحظ ان الترقيم القديم المسلسل قد اختفى . وان الاسم الوحيد الذي ظهر في هذه المجلة كان اسم الدكتور عبد الكريم العسكري ..

وفي رأس الصفحة الاولى اختفى اسم محمود العسكري كمدير الادارة .. وان كان قد ابرز في نفس المكان ان الضمير هي « لسان حال لجنة العمال للتحرير القومي — الهيئة السياسية للطبقة العاملة — القاهرة — شارع الباب الشرقي — الازبكية وفي الصفحة الاخيرة من نفس العدد اشارة الى ان جميع المراسلات والمقالات ترسل باسم محمود العسكري ، مكتب الطبقة العاملة للبحث والنشر — ١ — شارع الباب الشرقي » .

ونلاحظ انه لم يشر الى محمود العسكري كمدير للادارة — كذلك لم يذكر اسم طه سعد عثمان كسكرتير للتحرير . واستمر الامر كذلك حتى العـــدد الاخـــير .

وهكذا فان مجلة « الضمير » كمنبر يساري قد صـــدرت في الأسبوع الاخير من سبتمبر ١٩٤٥ واستمرت حتى ١٩ ديسمبر ١٩٤٥ ( وفقا للمجموعة التي بين أيدينا ) صدر خلالها ثمانية أعداد .. ومن المؤكد ان المجلة قد توقفت عقب القبض على محرريها في ٢ يناير ١٩٤٦ واستمرت متوقفة حتى عاودت الصدور يوم ٢٤ يونيو ١٩٤٦ لتصدر كل اثنين بدلا من كل اربعاء .

---

١ — الكاتب : يناير ١٩٧٢ . ص ١٣٩ .

٢ — الكاتب ، فبراير ١٩٧٢ . ص ٣٩ ..

والذى يقوى لدينا الاعتقاد بأن المجلة قد توقفت فى ١٩٤٠ ديسمبر وان مجموع ما صدر منها فى هذه المرحلة هو ثمانية أعداد فقط ، ان المجلة عندما عاودت الصدور والغت الترقيم المسلسل أشارت الى ترقيم جديد هو « العدد التاسع من السنة الثامنة » .

وعلى أية حال فلم يصدر من المجلة بعد ذلك إلا ثلاثة إعداد آخرها هو العدد « الحادى عشر من السنة الثامنة بتاريخ الاثنين ٨ يوليو ١٩٤٦ » .

ولدينا فى المجموعة التى تحت أيدينا عددان من الاعداد الثلاثة هما العدد التاسع والعدد الحادى عشر .

وهكذا فان دراستنا لمجلة « الضمير » كلسان حال للجنة العمال للتحرير القومى – الهيئة السياسية للطبقة العاملة سوف تتناول كل الاعداد التى صدرت منها بهذه الصفة باستثناء عددين مفقودين من المجموعة هما : العدد ٢٨٠ والصادر فى ١٢ ديسمبر ١٩٤٥ والعدد العاشر من السنة الثامنة ويفترض ان تاريخه أول يوليو ١٩٤٦ . وباستثناء الاعداد الثلاثة الاولى .

* * *

ثمة ملاحظة أخرى وهى أن الاعداد الثلاثة الاخيرة التى طبعت بمطبعة العميرى ببنى سويف كانت تختلف من حيث الشكل والتوضيب والاكلشيهات عن الاعداد السابقة .. كذلك فانها اكثر بدائية فتاريخ العدد التاسع يذكر اليوم والشهر دون ذكر السنة .. كذلك كانت صفحات العدد الاخير غير مرقمة .

وثمة تغير آخر لم يطرأ الا فى آخر عدد .. وهو اضافة شعار فى رأس الصفحة الاولى يقول « الحق لا يقهر .. والحرية لا تقهر » . وثمة اضـافة أخرى هى بدء المجلة فى نشر شعارات حماسية .. ففى الصفحة السادسـة ( وهى غير مرقمة ) برواز يقول « الضمير مجلة الجهاد الشريف لتدعيم وسائل العدالة الاجتماعية والتحرير القومى .. مجلة النضال المشروع المنظم لتأييد حقوق الطبقة العاملة وحب العمل » .

ثم الغى ترخيص المجلة .. وتوقفت عن الصدور .

* * *

وقد كان القبض على محررى « الضمير » فى يناير ١٩٤٦ مثارا لموجة استياء وسط صفوف العمال .. وتشير وثائق عديدة الى ذلك .

ففى الخطاب الدورى رقم ٣ لمؤتمر نقابات عمال القطر المصرى تدعو اللجنة التحضيرية النقابات الى الاحتفال بعيد أول مايو وتدعوهم ايضا الى أن

يتذكروا » ان زملاءكم محمد يوسف المدرك ومحمود محمد العسكرى .. وطه عثمان مودعون منذ اكثر من ثلاثة اشهر تحت كلمة الحبس الاحتياطى لانهم دافعوا عن القضية الحركة النقابية والعمالية ..»(١)

..... كذلك لجأت اللجنة التحضيرية الى تنظيم حملة عالمية وطالبت الاتحاد العالمى للنقابات بالتدخل للمطالبة بالافراج عن العمال الثلاثة المعتقلين . . .

.. وبالفعل أرسل مصطفى العريس ممثل عمال الشرقين الادنى والاوسط فى اللجنة التنفيذية لاتحاد النقابات العالمى برقية الى اسماعيل صدقى رئيس الوزراء يقول فيها :

« منذ أكثر من ثلاثة اشهر القت السلطات المصرية القبض على بعض المناضلين النقابيين منهم محمد يوسف المدرك ومحمود محمد العسكرى وطه سعد عثمان بسبب نشاطهم النقابى ودفاعهم عن مصالح العمال والشغيلة المصريين – وبالرغم من عدم وجود أى مسئولية عليهم تستدعى توقيفهم أو محاكمتهم فانهم ما زالوا فى السجن يتساموون انواع العذاب والشقاء .. احتج اشد الاحتجاج على المعاملة السيئة التى يعامل بها الموقوفين فى السجن .. وأطلب الافراج عنهم واعادة الحرية اليهم ليعودوا الى ميدان النضال الى جانب الشعب المصرى العزيز فى سبيل حرية مصر وكرامتها .. وفى تسبيل استقلالها وجلاء الجيوش الاجنبية عنها »(٢) .

كذلك أرسل ابراهيم بكرى باسم عمال سوريا برقية احتجاج مماثلة .

واضرب المعتقلون عن الطعام فى ٥ مايو ١٩٤٦ . وأثار اضرابهم موجة استياء فى صفوف العمال .. وانتهى الامر بالافراج عنهم فى ٣ مايو ١٩٤٦ .

والذى يهمنا من ذلك كله ان هذه القضية كانت متعلقة بمجلة « الضمير » .. فقد أسميت « قضية مجلة الضمير » وقد حكم فيها ببراءة المدرك والعسكرى وحبس طه سعد عثمان ثلاثة اشهر مع الشغل وتغريم الدكتور عبد الكريم العسكرى عشرين جنيها (٣) وكانت التهمة كتابة مقالات فى مجلة « الضمير » تحض على كراهية النظام القائم وطبقة الرأسماليين .

ولم تكن هذه هى عملية الارهاب الوحيدة التى تعرض لها محررو مجلة « الضمير » .

---

١ – نص خطاب مؤرخ ٢٨ أبريل ١٩٤٦ – ورد بمذكرات طه سعد عثمان – مجلة الكاتب – فبراير ١٩٧٢ . ص ٤١ .

٢ – المرجع السابق ، ص ٥١ .

٣ – الكاتب ، يوليو ١٩٧٢ . ص ١٤٥ .

... فقد شاهدنا كيف اعيد القبض عليهم فى ٢٥٠ يونيو ١٩٤٦ ومعهم هذه المرة الدكتور السكرى • كذلك تبض فى نفس الوقت على أصحاب مطبعة العميرى ببنى سويف التى كانت تطبع المجلة .

ويشير العدد الاخير من « الضمير » الى مطاردة أخرى «استدعى حضرة الاستاذ محمد أمين حماد وكيل نيابة الصحافة والنشر الدكتور السكرى وحقق معه فى نشرة ( قرار مؤتمر العمال ) » وبعد التحقيق كلف أن يدفع كفالة قدرها عشرة جنيهات دفعها واخلى سبيله »(١)

وفى ذلك الحين كان محمود العسكرى وطه سعد عثمان مودعين فى السجن هما وعدد آخر من النقابيين منهم حسين كاظم ومراد التليوبى وغيرهما وتشير ( الضمير ) الى انهم قد تقدموا معارضة فى حبسهم فى ٢٩ يونيو وتقرر رفض المعارضة واستمرار حبسهم اربعة عشر يوما (٢) •

* * *

كذلك نود أن نشير الى ان مجلة « الضمير » كانت تعتمد الى حد كبير فى توزيعها على العمال والنقابات •

وقد اكد ذلك كثيرون من معاصريها الذين اتيحت لى فرصة الحديث اليهم .. ويؤكده ايضا ان معظم اعداد المجلة تتضمن الرجاء التالى فى بروار فى الصفحة الاولى « ترجو إدارة المجلة من جميع الزملاء الذين وصلت اليهم الاعداد السابقة سواء أكانت لهم للتوزيع أو لنقاباتهم أن يبادروا بارسال ثمنها للادارة مع الشكر » •

* * *

وأخيرا نود أن نشير الى ملاحظتين عامتين :

الاولى أن « الضمير » بالرغم من انها تأسست مثلها مثل « الفجر الجديد » نتيجة لجهود مجموعة ماركسية ( مكونة من ثلاثة اشخاص : صادق سعد — ريمن دويك — يوسف درويش وانضم اليهم رابع هو أحمد رشدى صالح ) الا أن المساهمين فيها ظلوا بعيدين تماما عن أية معلومات متعلقة بالنشاط السرى أو عن النظرية الماركسية • فان أسلوب الامن الصارم والحلقى الشديد الحلقية قد اغلق الحلقة الرباعية على نفسها تماما ، وظلت رغم صلاتها

---

١ — المرجع السابق •

٢ — الضمير ، ٨—٧—١٩٤٦ •

عن طريق « الضمير » و « لجنة العمال للتحرير القومى » : تخشى تماما الاشارة من قريب أو بعيد الى إمكانيات توسيع الحلقة الرباعية وتحويلها الى تنظيم .

ولم يصبح متاحا أمام المبرك وطه سعد عثمان والعسكرى أن يعرفوا شيئا عن التنظيم السرى الماركسى وان ينضموا إليه إلا بعد ضربة صدقى فى ١١ يوليو ١٩٤٦ التى أغلقت كل المنافذ العلنية والقانونية . ولعل هذه الهزة كانت ضرورية لايقاظ المجموعة الرباعية واجبارها على الانفتاح على رجالها ومناقشتهم وضمهم الى الحلقة للتحول الى تنظيم .

ويؤكد ذلك كل من صادق سعد ويوسف درويش فى مناقشات أجريتها معهما ويؤكده طه سعد عثمان فى مذكراته التى نشرت فى مجلة « الكاتب » والتى قال فيها « ولعله من المستغرب ( رغم انه حقيقة ) – انني حتى خروجى من السجن فى آخر مايو ١٩٤٦ لم تكن لى صلة تنظيمية »(١) .

وكان لابد لهذا الموقف المتسم بالحرص والإمعان المبالغ فيهما والذى يصل الى حد الحلقية ( اربعة اشخاص ظلوا كما هم اربعة اشخاص دون اية زيادة ولمدة سنوات اتسمت بالتفجر الثورى والمد الوطنى والديمقراطى والماركسى العارم ) كان لابد لهذا الموقف من أن ينعكس بالضرورة على اسلوب تناول « الضمير » للمشكلات والقضايا فهى برغم كونها صحيفة يسارية – ما فى ذلك شك – الا انها كانت تكتفى بمسحة ديمقراطية ونقابية ذات طابع يسارى فى هذه الحدود فقط دون أى تطرق لقضايا تتعلق بالصراع الطبقى او بالعمل الماركسى .

والملاحظة الثانية هى انه فى وقت سابق على صدور « الضمير » وعلى تأسيس « لجنة العمال للتحرير القومى » كانت الحركة المصرية للتحرر الوطنى وايسكرا تمارسان كلاهما نشاطا واسعا وسط الطبقة العاملة سواء فى منطقة شبرا الخيمة ( حيث تركز نفوذ « لجنة العمال للتحرير القومى » ومجلة « الضمير » اساسا ) أو فى التجمعات العمالية الأخرى .

وتأسس مؤتمر عمال الشركات والمؤسسات الاهلية الذى اصدر نشرة غير دورية باسم « المؤتمر » والذى اوفد هو ايضا مندوبين الى مؤتمر الاتحاد العالمى للنقابات بباريس ثم سارع اعضاؤه بالعمل على تأسيس مؤتمر نقابات عمال القطر المصرى .

---

١ – الكاتب ، ابريل ١٩٧٢ ، ص ١٤٦

ومن هنا فان متابعة آراء ومواقف مجلة « الضمير » تعني متابعة احادية الجانب ولجماعة محددة بذاتها هي بالضرورة جزء صغير من نشاط كان عارما ومحتدما في ذلك الوقت .

وفي هذا الصدد فاننا يجب ان نضع كثيرا من تقييمات طه سعد عثمان التي اوردها في مذكراته « وكذلك نشاط مجلة « الضمير » واتجاهاتها وآرائها في الاطار الموضوعي الصحيح وعلى انها كانت مجرد تقييمات وآراء واتجاهات لحلقة صغيرة .. مجرد موجة واحدة من تيار جارف محتدم .

* * *

والآن نستطيع ان نبدأ في تقليب صفحات مجلة « الضمير » محاولين تتبع مواقفها وآرائها واتجاهاتها العامة .

ويمكن القول بأن مجلة « الضمير » قد ركزت جهودها حول نقاط اربع اساسية :

* نشر الوعي السياسي بين العمال .. وحثهم على ضرورة تكوين منبر عمالي مستقل وعلني يمثلهم .

* الدفاع عن الحريات النقابية والحريات الديمقراطية عامة .

* التوعية بضرورة التضامن العمالي العالمي .

* التوعية بضرورة التضامن العربي .. والاهتمام بالمشكلة الفلسطينية بشكل خاص .

وسوف نحاول ان نستعرض مواقفها تجاه هذه القضايا الاربعة ..

ولعل النقطة الاولى كانت حجر الزاوية في سياسة « الضمير » ذلك ان المنطلق الاساسي لتأسيس لجنة العمال للتحرير القومي ، التي لم تكن « الضمير » سوى لسان حال لها هو كما قال طه سعد عثمان « فقدان الطبقة العاملة المصرية ثقتها في التنظيمات السياسية القائمة وفي امكانية ان تعبر تلك التنظيمات عن مصالح العمال » . ويمضى طه عثمان قائلا « ان المد الثوري الوطني كان يحتم وقتئذ من أجل تكوين تنظيم سياسي للطبقة العاملة المصرية لتخليص العمال والطبقات الشعبية الاخرى من سيطرة الاحزاب »(١) .

وعلى نفس النغمة تعزف « الضمير » في مقال بعنوان « الى الامام .. طبقة العمال في ميدان السياسة » واذا كانت مجلة « الضمير » قد استخدمت

---

١ ــ الكاتب ، يوليو ١٩٧١ .

اسلوبا يتسم بالمبالغة والتهويل بادئة المقال بوصف ظهور فى افق السياسة المصرية برنامج « لجنة العمال للتحرير القومى » . ذلك البرنامج الرائع الفذ الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة فى هذا البلد الا احصاها وهذبها واصلح من شانها بما يتفق ومصالح الشعب الحقيقية . ذلك البرنامج الذى اهتزت له قلوب الشعب المصرى الكادح فرحا وابتهاجا وتاييدا وارتعدت منه فرائص المستعمرين المستغلين خوفا وهلعا . وكيف لا يخافون ولا يهلعون وقد وثبت العمال من رقدتها ، وتيقظت من غفلتها وخرجت عن صمتها وازاحت النقاب عن وجهها ونظرت بعينى رأسها الثاقبة فعرفت ما لها وما عليها كطبقة لها كيانها وقوتها الهائلة فى ترجيح كفة العدالة الاجتماعية العالمية » . اذا كانت « الضمير » قد استخدمت هذا التهويل الساذج فان كاتب المقال وهو العامل « شاكر شلبى » قد حاول ان يصنع برنامجا اجتماعيا مبسطا معلنا « اننا لا نريد فقرا ولا جهلا ، ولا نريد عطلا ولا مرضا . ولا نريد استعمارا ولا استغلالا . ولا نريد فرقة و تناحرا ، ولا نريد حرية واستقلالا ، نريد اخاء واتحادا ، نريد نزاهة وعدلا ، نريد خبزا وكساء نريد جيشا قويا عدة وعتادا ، نريد امنا وسلامة واطمئنانا »(١) .

والعمال هم كتيبة طليعية فى المعركة الوطنية . هكذا يؤكد محمود العسكرى فى مقال بعنوان « وطنية العمال » « العمال وطنيون قبل كل شىء لانهم يفهمون معنى الوطنية الحقيقية ولذلك تجدهم دائما فى طليعة الحركات التحريرية . يبذلون جهودا جبارة فى سبيل حرية بلادهم واستقلالها من نير الاستعمار الاجنبى » .

ويمضى محمود العسكرى قائلا « ان العمال أصدق من غيرهم فى وطنيتهم ، لان الخطر المباشر والغير مباشر من ناحية الاستعمار واقع عليهم وحدهم ، فالاستعمار هو الذى يجوعهم ، والاستعمار هو الذى يسد فى وجوههم ابواب العلم والعرفان . ان العمال اكثر من غيرهم استعدادا للتضحية لانهم يفهمون تماما ان الاستعمار وضعهم فى سجن الوطن وجردهم من جميع الحريات الانسانية وحرس عليهم جلاديهم لكى يضعفوا شوكة النضال فى الطبقة العاملة طليعة الشعب الكادح » .

لكن هذه الفكرة تقود صاحبها الى خطا سياسى فادح لست ادرى ان كان قد فات على عامل مستجد — فى ذلك الحين — فى ميدان السياسة كمحمود العسكرى ، كيف فات على سياسى مخضرم مثل يوسف درويش وقد كان المسؤول الاول والاخير عن المجلة — فالمقال يمضى قائلا ..

---

١ — الضمير ، ١٧—١٠—١٩٤٥ .

.. أن الطبقة العاملة دائما في طليعة الحركة التحريرية ، بل عليها وحدها تقع مسئولية تحرير ارض الوطن من المستعمر المستبد .. ولذلك نجدها في ثورة ١٩١٩ كانت وحدها وبموازرة الطلبة الاحرار في طليعة النضال الوطني ...

ولست اعتقد أنه كان صحيحا .. لا في عام ١٩١٩ ولا في عام ١٩٤٥ ان الطبقة العاملة كان يقع عليها وحدها مسئولية تحرير الوطن .

وانصافا للرجل فاننا نلاحظ انه يختتم مقاله داعيا اصحاب الاعمال الوطنيين « ان يضعوا ايديهم في يد العمال ليحاربوا عدو الوطن .. الاستعمار »(١) .

واذا كان العمال هم العدو رقم ١ للاستعمار فان « الاستعمار عدو العمال رقم ١ » هكذا يكتب « اسكندراني » وهو توقيع مستعار نعتقد أن صاحبه « لطفي عزوز » لانه كان هو واخيه المحور الاساسي لنشاط هذه المجموعة في الاسكندرية وكانا يكتبان ايضا وفي نفس الوقت في « الفجر الجديد » احيانا باسم حقيقي وأحيانا بتوقيع « اسكندراني » ايضا .

يقول « اسكندراني » « أن الاستعمار يسرق الشعب المصري مرتين : الأولى عند شرائه القطن وغيره من المحصولات بثمن بخس . والثانية عندما يبيع للمصريين منتجاته بسعر مرتفع . والاستعمار يرتكب السرقة مرة ثالثة أيضا حين يتآمر مع الرأسماليين وأصحاب الاطيان المصريين ضد الشعب المصري ، ولهذا أصبح لا مفر للشعب المصري من مكافحة الاستعمار البريطاني والاستغلال الرأسمالي والطبقي معا اذا أراد ان ينهض ويتحرر من الويلات التي يعانيها » .

وخاتمة المقال تقول « إن قضية العمال تتلخص في كفاحهم ضد الاستعمار والاستغلال وويلاتهم ، أي كفاحهم من أجل الحياة الحقة ، بل هي قضية الشعب المصري كله مركزة في برنامج لجنة العمال للتحرير القومي »(٢) .

ولعلنا نعود مرة أخرى لنلمح بصيصا من المبالغة في هذه الجملة الاخيرة .

وحول نفس القضية يكتب محمد يوسف المدرك مقالا في ذكرى ١٣ نوفمبر بعنوان « ١٣ نوفمبر .. يوم الشعب .. ذكرى الثورة .. عيد الجهاد » يقول فيه « لم يلبث الانجليز ان فطنوا لوجود طبقة المشتغلين فحالفوهم

---

١ ـ الضمير ، ٧ـ١١ـ١٩٤٥ .

٢ ـ الضمير ، ٢٤ـ١٠ـ١٩٤٥ .

على الشعب ومالأوهم على حساب العمال والفلاحين ليتقاسموا المغانم فيبقى الاستعمار ليحمى المستغلين ويبطش بالعاملين من وراء استعمارهم .. ويسمح لهم بكل شىء فى مقابل ان ينال كل شىء وهكذا يضيع على العمال كل شىء » .

ثم يختتم المدرك قائلا « فهيا ايها الزملاء .. أيدوا برنامج لجنة العمال للتحرير القومى لنحقق لمصر استقلالها الكامل »(١) .

وثمة مقال آخر يركز على ضرورة ان ينشط العمال من أجل مصالحهم الطبقية وأن يخلصوا أنفسهم وطبقتهم من براثن الاحزاب والطبقات الاستغلالية ..

والمقال بتوقيع محمد السيد يوسف الذى يدعو الشعب فى عنف وصراحة الى الانفضاض حتى عن الوفد دون أن يذكر ذلك صراحة « أيها الشعب انتبه وثق من غفلتك ، وتطلع لمن وكلتهم على قضيتك ، اظهر بعضهم بعضا باشنع صورة يأباها الضمير الانسانى ، ظهروا لنا بمظهر نهاشين سياسيين .. شاكرين اليوم ، نمامين فى الغد . كفى ! ان الشعب اليوم غيره فى سنة ١٨٨٢ .. كفى ! كفى ان الشعب اليوم رشيد نفسه وقد سحب توكيله ممن فضلوا الشهوات على المصلحة العامة »(٢) .

وتنشر « الضمير » رسالة وجهها يوسف المدرك باعتباره سكرتيرا عاما للجنة العمال للتحرير القومى الى أعضاء مجلس الامن الدولى وتقول الرسالة « ان شعب مصر الذى حارب الاستعمار وقام بثورة ١٩١٩ يطلب من الامم المتحدة وهو واثق بعزمها على توطيد السلام بتأكيد استقلال الشعوب ، أن تضع حدا للاستهتار بكرامته والانتقاص من سيادته .. ان شعب مصر يرى ان معاهدة ١٩٣٦ متناقضة تمام التناقض مع ميثاق الامم المتحدة ، بل انها مهدمة لمبادئه .. ان ميثاق الامم المتحدة ، يجبر انجلترا على جلاء جيوشها حالا عن مصر »(٣) .

والهام فى هذه الرسالة هو أن « لجنة العمال للتحرير القومى » قد بدأت بذلك ممارسة دورها كتنظيم سياسى علنى بالفعل .. مشاركة كل الاحزاب السياسية الاخرى التى بادرت فى ذلك الحين بالتوجه الى مجلس الامن الدولى بعرائض وبيانات ورسائل :

---

١ - الضمير ، ١٤-١١-١٩٤٥ .
٢ - الضمير ، ١٤-١١-١٩٤٥ .
٣ - المرجع السابق .

وعلى اية حال فان المدرك يلخص وجهة نظر المجموعة كلها تجاه الدور الذى كان يتعين على العمال كطبقة ان يلعبوه فى ميدان السياسة قائلا « لقد تقدم الوعى فى عمال مصر باطراد حتى بلغوا درجة تؤهلهم لقيادة الشعب الكادح ، وهم يسيرون قدما نحو تحقيق أهدافهم بخطوات ثابتة اكسبتهم تقديرا فى الخارج والداخل وأصبح من المسلم به أن عمال مصر لا يقلون فى الفهم والادراك عن عمال العالم الناضجين ، ولو انكر هذا ذوو الاغراض الهدامة من الرجعيين »(١) .

وعندما القى القبض على محررى « الضمير » ... وتوقفت المجلة عن الصدور ثم عادت من جديد بعد فترة من الافراج عنهم نشرت افتتاحية اكثر عنفا وصراحة بعنوان « عدنا الى ميدان النضال الحر الشريف » لنناهض الاستعمار أيا كان نوعه وفى أى بقعة من بقاع العالم ، لنحقق آمال الوطن لتحيا الانسانية فى أمن وسلام وسعادة » .

وفى هذه الافتتاحية تفتح « الضمير » النيران بعنف . « فالاستعمار هو الذى يؤثر بطريق مباشر وغير مباشر على نظامنا الديمقراطى فى الداخل فيقف حجر عثرة فى سبيل نمو الاحزاب والهيئات والجماعات الديمقراطية والشعبية ويؤيد دائما دكتاتورية الرأسمالية لكى لا يصل الشعب الى حكم نفسه بنفســــه لصالحه ، بل يعمل الاستعمار دائما على تأييد العناصر السياسية التى تربطه بها مصلحة » .

« واليوم وقد عادت وظهرت « الضمير » الى ميدان النضال حاملة مشعل النور الى الطبقة العاملة والشعب المصرى ، رافعة علم الجهاد المشروع مناهضة الاستعمار والاستغلال أيا كان نوعه وبأية صورة يظهر حتى تتحرر الانسانية من الظلم والاستعباد ، ومن الجوع والحرمان لا تعرف لينا ولا مهادنة لان أقلام محرريها تكتب للحق والعدل ومن أجل العدل والحق ظهرت »(٢) .

ويحسم الأمر بشكل واضح فى افتتاحية بعنوان « الشعب يرسم أهدافه وينظم صفوفه » وقعها « خيرى محمود » وهو اسم مستعار ليوسف درويش * نلاحظ فيها تركيزا شديدا على الدور السياسى للعمال كطبقة ذات مصالح متميزة ... « لما أجريت الانتخابات النيابية فى السنة الماضية كان العمال هم وحدهم الذين شرحوا أهداف الشعب وبدأوا فى تنظيم الصفوف لهذا الغرض . فتقدم مرشحوا العمال فى الإسكندرية وشبرا الخيمة مستندين

---

١ ــ الضمير ، ٥ــ١٢ــ١٩٤٥ .

٢ ــ الضمير ، ٢٤ــ٦ــ١٩٤٦ .

* اكد لى يوسف درويش ذلك فى مناقشة اجريتها معه فى ١٠ــ١١ــ١٩٧٣

على الكتل العمالية ولجانها الانتخابية ومستندين على برنامج اعدته تلك اللجان بربط قضية الاستقلال بقضية التحرر من الجوع والحرمان .. فطالبوا بالجلاء وباستقلال وادى النيل الكامل وطالبوه برفع مستوى العمال والفلاحين وصغار المنتجين وصغار الموظفين » .

ويركز خيرى محمود ( يوسف درويش ) على اهمية المنبر السياسى المستقل للطبقة العاملة « ان العمال لم يقبلوا تدخل السلطات والمتبيسين فى نشاطهم النقابى فحاربوا كل محاولة لوضعهم تحت لواء هيئة من الهيئات السياسية التى لا تكون منهم وتحت مراقبتهم المتواصلة .. فالطبقة العاملة ترفض أن يقودها غيرها فى معركة التحرير القومى ولا تثق الا فى نفسها لقيادة تلك المعركة .. وهى اذ تتقدم لتحمل تلك المسئولية تعرف قدرتها وطاقتها ، تعرف انها هى وحدها التى يمكن بصراحتها وشجاعتها أن تنقذ أهل الريف من البؤس والمرض والفاقة ، وتعرف كيف تربط العمال بالطبقة والمثقفين الاحــــرار » .

ويلخص الكاتب الوضع فى ايجاز دقيق التعبير « حركتان تتقابلان ، حركة العمال غير واثقة الا فى قيادتها .. وحركة الطلبة غير واثقة فى القيادة القديمــة »(١) .

فاذا انتقلنا الى القضية الاخرى التى التزمت « الضمير » بالدفاع عنها . وهى الحقوق والحريات الديمقراطية للعمال وللشعب عموما ، نجد أن « الضمير » قد كتبت عديدا من المقالات .. وتحت عنوان « الغاء الإحكام العرفية المؤقتة ، لوضع احكام عرفية دائمة » كتب طه سعد عثمان يقول « اخيرا ، تمخضت الحكومة فاعلنت الغاء الاحكام العرفية من اليوم السابع من شهر أكتوبر ١٩٤٥ ، ويا ليت الحكومة لم تعلن ! ويا ليت الإحكام العرفية ما الغيت على هذا النحو الشاذ المؤلم ! فقد الغت الحكومة أوامر عسكرية مؤقتة وضعت فى ظروف استثنائية واستبدلتها بقوانين دائمة ، فاصبحنا فى عرف الحقيقة فى أحكام عرفية مستمرة » .

وختام المقال عنيف « أيها الشعب .. لقد سلبت حريتك ، وأصبحت فى احكام عرفية دائمة وعليك وحدك أن تستخلص تلك الحرية التى ضحيت من أجلها بقوتك وبدماء ابنائك البررة الشهداء ! ان هذا بداية عهد جديد قد القى على الشعب تبعات جديدة توجب عليه أن يتحمــــل عبء التحرير من الاستعمار والتخلص من الاستغلال والحصول على الحرية الكاملة التى تكمن

---

١ ــ الضمير ، ١٤ـ١٠ـ١٩٤٥ .

للانسان المعيشة الهانئة . فهلم ايها الشعب ولا تتردد : فلابد ان ياتى اليوم الذى تصبح فيه مصدر السلطات »(١) .

ولقد سعت « الضمير » الى ترسيخ مفهوم جديد للديمقراطية . بأن تمثيل العمال تمثيلا صحيحا فى مختلف الهيئات هو السبيل لذلك وتحت عنوان « الآن يرتفع الصوت وتتجلى معانى الديمقراطية الصحيحة » تنشر « الضمير » المنشور رقم ١ للاتحاد النقابى بدمياط والذى يعلن فيه ترشيح مرشحين عماليين فى انتخابات المجلس البلدى (٢) .

لكن « الضمير » تبالغ فى امكانيات الحريات السياسية فى ظل المجتمع البرجوازى ، وتركز بصورة غير صحيحة على ما يمكن أن يحققه دخول عامل أو عمال فى البرلمان البرجوازى .

وفى مقال بعنوان « السياسة حق للشعب لا وقف على أفراد » كتب طه سعد عثمان « ولاول مرة نزل العمال ومعلمو الالزامى الى الانتخابات فى الدورة الماضية ، ورغم ان اعداء الديمقراطية استطاعوا بمالهم وسلطانهم واحتيالهم ان يحولوا دون دخول واحد من مرشحى الشعب جميعهم الى البرلمان . فان ذلك كان كسبا ديمقرطيا عظيما اذ علم الشعب ان فى استطاعته دخول البرلمان للاشراف على شئون الامة وتوجيه سياستها بعد أن اذاع المغرضون ومستغلوا الشعب ان الاغنياء وحدهم المستحقون للنيابة عن الامة »(٣) .

وتحث « الضمير » العمال على قيد اسمائهم فى جدول الناخبين قائلة :

« ان المنتخب الذى يصوت لنائب هو الذى يعطى لهذا النائب الحق فى ان يكون وزيرا أو رقيبا على الوزير الذى يسير أمور البلاد . لكى تكون شيئا فى هذه الامة سارع بقيد اسمك فى جدول الانتخاب »(٤)

والحديث عن الديمقراطية يرتبط ايضا بالمشكلات الاجتماعية ، فهو يرتبط بالتعليم « تهدف سياسة التعليم فى مصر اليوم الى البعد كل البعد عن الديمقراطية الحقيقية فهى ترمى وتعمل قبل كل شىء الى ابعاد ومنع الطبقات الشعبية من ان تنال من معارف العلم والعرفان . فهى تريد وتعمل دائما

---

١ ـ الضمير ، ١٧ـ١٠ـ١٩٤٥ .
٢ ـ الضمير ، ٢٤ـ١٠ـ١٩٤٥ .
٣ ـ الضمير ، ٢٨ـ١١ـ١٩٤٥ .
٤ ـ الضمير ، ٥ـ١٢ـ١٩٤٥ .

على فصل برنامج التعليم ليجلس اولاد السادة فى مكان لا يجلس فيه عبيدهم ابناء العمال وابناء الفلاحين » .

ويختتم محمد ابراهيم مقاله عن « سياسة التعليم والطبقات الشعبية » قائلا « ان الشعب محروم من التعليم . ويرفض كل سياسة يضعها مستغلوه وقاعروه الغرض منها ابقاءه فى مجاهل الظلم والهوان ، هو يريد سياسة ديمقراطية تعليمية يضعها بنفسه تكون أقرب إليه .. هذا هو ما يطلبه الشعب ويلح فى المطالبة به »(١) .

والديمقراطية ترتبط ايضا بالاصلاح الزراعى ، فتنقل « الضمير » عن مجلة « الغد » الفلسطينية مقالا بعنوان « الاصلاح الزراعى وديمقراطية الحياة الاجتماعية » ويأتى فى ختام هذا المقال « .. وهذا الاصلاح الزراعى فى بعض البلاد الاوربية هو احد نتائج الحرب العالمية الثانية ، التى بها سحقت الشعوب المحبة للحرية الفاشيست المستعبدين . وهو شرط ضرورى لنمو وتوطيد الديمقراطية فى هذه البلدان وهو عامل رئيسى لضمان حرية الشعوب والسلام بين الشعوب »(٢) .

اما فى مجال التوعية بضرورة الوحدة .. التوحد فى نقابات وتوحد النقابات فى اتحاد عام .. والتركيز دائم على اهمية هذه الخطوة باعتبارها سبيلاها عماليا ماضيا .. وكان ذلك شيئا طبيعيا ومتوقعا من مجلة عمالية .. لكن الجديد فى « الضمير » كان تركيزها على أهمية الوحدة العمالية العالمية .. ومن هنا كان الاهتمام ـ المبالغ فيه احيانا ـ برحلة الدرك الى باريس لحضور مؤتمر النقابات العالمى وعودته .

فالرحيل والعودة وحفلات استقباله عند عودته والوفود التى ذهبت لاستقباله بالاسكندرية استغرقت كثيرا من صفحات معظم اعداد « الضمير » .

وكان الاهتمام بالانتماء الى الحركة العالمية مهما الى درجة أن محمود العسكرى كتب مقالا بعنوان « الفوا الاتحاد العام لنقابات العمال لنسير جنبا الى جنب مع عمال العالم » وفى هذا المقال قال العسكرى أن مؤتمر اتحاد النقابات العالمى « هو أكبر مؤتمر شعبى عقد فى العالم يجمع ممثلى شعوب العالم القوية والضعيفة ، الحرة والمستعمرة ، على قدم المساواة فأوجدوا فى مؤتمرهم هذا حلفا قويا متينا بين شعوب العالم الكادحة البائسة الذين

---

١ ـ الضمير ، ٢٤ـ١٠ـ١٩٤٥

٢ ـ الضمير ، ١٩ـ١٢ـ١٩٤٥

على يديهم وحدهم سيتقرر مصير العالم ، وعلى يديهم وحدهم سترفرف راية السلام فى أنحاء المعمورة » .

— وفى ختام مقاله يحث النقابيين المصريين على تأسيس الاتحاد العام قائلا « الفوا الاتحاد العام يا قادة النقابات المخلصين ... أبعدوا الدخلاء ، وسدوا الثغرة لكى لا يتسللوا منها .. وحدوا النضال الاقتصادى والسياسى لكى نتحرر من الاستعمار والاستغلال ، من الحرمان والجوع »(١) .

وفى مقال بعنوان « توحيد الصفوف » يكتب محمد يوسف المدرك مهاجما العناصر المناهضة لوحدة العمال .. والرجعيين والانتهازيين الذين يحاولون تسلق هذه الوحدة ثم يصيح فى ختام مقاله « افسحوا الطريق » .. لقد أصبحت الطبقة العاملة المصرية جزءا من الطبقة العاملة العالمية ، والطبقة العاملة العالمية ترى من حقها أن تسير العالم الذى انقذته من براثن الفاشية الكامنة فى أى مظهر ومهما تلونت حتى ولو تلونت بالاصلاحية مدعية أنها ( اشتراكية ) »(٢) .

وبالمناسبة فقد كانت المرة الاولى والوحيدة التى ورد فيها ذكر الاشتراكية فى مجلة « الضمير » .

ويمكن القول أن « الضمير » قد لعبت دورا طليعيا هاما فى ابراز وحدة الطليعة العمالية العربية والاهتمام بابراز مظاهر التضامن بين العمال والنقابيين العرب .. وكثيرا ما فتحت صفحاتها لنقابيين عرب مثل مخلص عمرو وبولس فرح وهما من قادة النقابات الفلسطينية (٣) ومصطفى العريس من قادة العمال اللبنانيين .. كذلك فقد فتحت « الضمير » صفحاتها لنشر العديد من بيانات ونداءات عصبة التحرر الوطنى فى فلسطين(٤) .

ولعل « الضمير » كانت أول منبر عمالى يسارى طالب بتأسيس اتحاد للعمال العرب ففى وصفها لحفل الاستقبال الذى اقامه عمال الاسكندرية للوفود العربية فى مؤتمر باريس أكدت « الضمير » أن العمال الذين

---

١ ـ الضمير ، ٢٤ ـ ١٠ ـ ١٩٤٥
٢ ـ الضمير ، ١٩ ـ ١٢ ـ ١٩٤٥
٣ ـ الضمير ، ٢٤ ـ ١٠ ـ ١٩٤٥
٤ ـ الضمير ، ٢٤ ـ ١٠ ـ ١٩٤٥ ، ٢٨ ـ ١١ ـ ١٩٤٥

حضروا الاحتفال قد طالبوا « بوجوب تأليف اتحاد عام لعمال الشرق العربي »(١)

وفي وصفها لحفل نقابات القاهرة لاستقبال الزميل المحرك عادت الى ابراز أن « الخطباء يطلبون تأليف الاتحاد المصري للنقابات والاتحاد العربي للعمال العرب »(٢) .

لكن أبرز ما اهتمت به « الضمير » هو القضية الفلسطينية وقد استهل هذا الاهتمام خيري محمود ( يوسف درويش ) في مقال بعنوان « لن تمروا » جاء فيه : :

« لن تمروا .. هي الكلمة التي صاح بها الجمهوريون الاسبانيون عام ١٩٣٦ .. يوم أن هجمت عليهم الفاشية الثالية بدباباتها وأسلحتها وأموالها النازية والفاشية . وهي الكلمة التي تصيح بها اليوم شعوب البلاد العربية في وجه الصهيونية » .

ويمضي المقال قائلا « ان الفاشية والصهيونية من طينة واحدة .: الاستعمار والاستغلال الجشع . فالفاشية أداة الرأسمالية المتعفنة لجأت للتدخل والارهاب لتستمر في استغلال الشعب الكادح ، والصهيونية أداة الاستعمارية العالمية لجأت للشعوب العربية ، ان الصهيونية تجد تربة صالحة لانتشار مبادئها بين اليهود في البلاد التي ساد فيها حكم الارهاب فهي والفاشية مرتبطين ارتباطا وثيقا لا يحله الا النضال ضد أسباب الاضطهاد والتعسف والدفاع عن الحريات الديمقراطية » .

« ان الصهيونية لا تحل بالمرة مشكلة ستة عشر مليونا من اليهود ، بل ان المشكلة اليهودية ليست سوى جزء لا يتجزأ من نضال الشعوب كافة على اختلاف أديانها في سبيل حريتها وديمقرطيتها » .

ويمضي المقال قائلا « ان الشعوب العربية وعلى رأسها شعب فلسطين عازمة باتحادها وبتنظيم صفوفها واستنادها على الشعوب الديمقراطية الاخرى أن توقف خطر الصهيونية الداهم » .

بل ان المقال يلوم جامعة الدول العربية على تهاونها في مجابهة الخطر الصهيوني قائلا « واذا كانت جامعة الدول العربية لم تتخذ الموقف الحازم القاطع الذي كان يتطلب منها في هذا الامر فان الشعوب العربية ممثلة في وفود العمال العرب في مؤتمر نقابات العمال العالمي بباريس أمكنها باتفاقها

---

١ – الضمير ، ١٧ – ١١ – ١٩٤٥
٢ – المرجع السابق .

أن تشعر عمال العالم بخطر الصهيونية على الانسانية .. وأمكنها أن تمنع دخول مندوب العمال الصهيونيين فى لجنة الاتحاد التنفيذية »(١) .

ولم يكن هذا المقال سوى مجرد بداية ، فان معظم أعداد « الضمير » زاخرة بالهجوم على الصهيونية والدفاع عن حقوق الشعب العربى الفلسطينى .

وفى حديث مع ممثلى النقابات الفلسطينيين فى مؤتمر باريس مخلص عمرو وبولس فرح أكد المندوبان « أن أبرز شىء ظهر فى هذا المؤتمر هو ما أحرزته البلاد العربية والانسانية جمعاء ، بانتصار العمال العرب على الصهيونية »(٢) .

وفى مقال كتبه محمود العسكرى بعنوان « لا عنصرية بين العمال » نجد هجوما شديدا على الصهيونية باعتبارها « الخطر المباشر الذى يهدد الشعب الكادح فى شقيقتنا فلسطين ، بل وتهدد حياة الشعوب الكادحة فى الشرق الاوسط بصفة خاصة وشعوب العالم بصفة عامة ، بل وتهدد قضية السلام العالمى .. لان الصهيونية هى الرأسمالية اليهودية الاستعمارية المتعفنة التى تضلل الشعب الاسرائيلى الكادح من عمال صناعيين وزراعيين لتستغلهم استغلالا بشعا فى جوهره مزركشا فى مظهره .. تضع لهم السم فى العسل باثارة النعرة العنصرية المضطهدة لتستغلهم هذا الاستغلال القذر وتعمى أبصارهم عن الحقيقة لصلحة حفنة من الرأسماليين الصهيونيين المستبدين »(٣) .

وعديد من المقالات الاخرى ، بالاضافة الى عديد من بيانات عصبة التحرير الوطنى فى فلسطين والى حشد العديد من الاخبار عن النضال العربى ضد الصهيونية .. ففى صفحة اخبارية واحدة من أحد أعداد « الضمير » يمكننا أن نحصى ثمانية أخبار تشير الى نضالات مصرية وعربية ضد الحركة الصهيونية مثل « ترر زعماء سوريا ولبنان القضاء على الحركة الصهيونية السرية » و .. « أصدرت لجنة مكافحة الصهيونية فى اتحاد الشباب العربى نشرة كشفت بها عن الاساليب التى يأتيها اليهود لجعل فلسطين وطنا لهم ومزاحمة العرب فيها والحلول التى يجب اتباعها لمحاربة هذه الاساليب حفظا لحقوق العرب فى وطنهم الشرعى »(٤) .

١ ـ الضمير ، ١٧ ـ ١٠ ـ ١٩٤٥
٢ ـ الضمير ، ٢٤ ـ ١٠ ـ ١٩٤٥
٣ ـ الضمير ، ١٤ ـ ١١ ـ ١٩٤٥
٤ ـ الضمير ، ١٤ ـ ١١ ـ ١٩٤٥

فاذا أضفنا الى أن هذا العدد ذاته يتضمن الحديث الذى أجرى مع ممثلى عمال فلسطين مخلص عمرو وبولس فرج وايضا نص « بيان عصبة التحرير الوطنى الى الشعب العربى الفلسطينى » أمكننا أن ندرك الى أى مدى كانت « الضمير » تولى هذه القضية اهتمامها .

والحقيقة أن اليسار المصري عامة كان مبادرا بالكفاح ضد الخطر الصهيونى مبادرة مكنت يوسف درويش من أن يتحدث - فى مقال سبقت الاشارة اليه - جامعة الدول العربية كى تبذل جهدا حقيقيا فى مكافحة الخطر الصهيونى .

* * *

وواصلت « الضمير » مسيرتها ... ومع تصاعد الارهاب أصبحت المصادرة - والحبس والتغريم نغمة مألوفة فى التعامل معها - ثم توقفت مع غيرها من الصحف التى ألغى الطاغية صدقى تراخيصها فى ١١ يوليو ١٩٤٦ .

## الجماهير

كانت حملة الارهاب العنيف التي شنها الطاغية صدقي في ١١ يوليو ١٩٤٦ قد فشلت برغم أنها كانت أعنف حملة شنتها الرجعية المصرية الحاكمة ضد القوى الوطنية واليسارية .. فقد أغلقت كل النوادي التقدمية وأغلقت كل الصحف المعارضة ، الوفد المصري ـ البعث ـ الطليعة ـ أم درمان ـ الضمير ـ الفجر الجديد ـ الجبهة ـ اليراع .. وغلف ذلك كله في حملة دعائية عن القبض على أكبر قضية شيوعية .

لكن مصر ما لبثت أن استعادت أنفاسها سريعا ، وعادت تشن هجومها المضاد .. وافرج القضاء عن المتهمين ..

وخرجت « صوت الأمة » لسان حال الوفد المصري بموضوع استغرق كل صفحتها الأولى كان عنوانه ، خفايا قضية الشيوعية الكبرى .. قصص لم يسبق لها مثيل في التاريخ » اتهمت فيه صدقي بالتلفيق والتضليل والاجرام في معاملة المقبوض عليهم .. بل انها اتهمت حملته بأنها « حملة صليبية هتلرية » .. « ولم يفت صدقي باشا أيضا أن يطبق عمليا ما تعلمه من أستاذه هتلر فكما كان هتلر يحارب خصومه الوطنيين الديمقراطيين تحت ستار محاربة الشيوعية والشيوعيين فقد فعل كذلك صدقي باشا بتجريده « حملة صليبية » على الكثيرين من الذين يعاديهم لوطنيتهم وديمقراطيتهم فاتهمتهم بالتآمر على قلب نظام الهيئة الاجتماعية ، وتغيير المبادىء الدستورية الأساسية بالعنف ، وجند رجال الحكومة وكبار المسئولين فيها للقيام بالحملة الصليبية الهتلرية »(١) .

.. كانت مصر تستعيد أنفاسها سريعا وتحركت الطبقة العاملة في اضرابات واسعة ، أضرب عمال شركة نسيج الفيوم بشبرا الخيمة واعتصموا بالمصنع واصطدم بهم البوليس واقتحم المصنع وطردهم عنوة .. وأضرب عمال شركة باتا .. واضرب عمال شركة سباهي للنسيج .. وتصاعدت حركة الاضرابات العمالية « تصاعدا غير مسبوق »(٢) .

---

١ ـ صوت الأمة ، ١٢ ـ ١ ـ ١٩٤٧

٢ ـ طارق البشري ـ مقال ـ مصر والثورة الاجتماعية ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ـ مجلة الكاتب ـ يناير سنة ١٩٦٨ .

وكان أهم هذه الاضرابات اضراب عمال شركة المحلة الكبرى (٢٦٠٠٠ر٢٦ عامل) واصطدمت جموع العمال المضربين بالبوليس وقوات الجيش التى احتلت المدينة (١) .

. . . كانت مصر تستعيد أنفاسها ، وتشن هجومها المضاد بأعنف وأشد مما تصور الرجعيون ، وفي هذا الخضم من الاحداث ، بل وتتويجا لها قرر تنظيم « الشرارة » ( ايسكرا ) أن يصدر « الجماهير » سلاحا في المعركة ، وتحديا لحملة ارهاب الشيوعيين ، وبديلا عن الاندية والمنابر العلنية ومختلف أوجه النشاط العلنى التى صادرها صدقى . .

***

وقد تطلبت العلاقة بين « الجماهير » كمجلة علنية أسبوعية تصدر بشكل مباشر عن قيادة تنظيم « ايسكرا » وبين التنظيم نفسه نوعا من الترتيب الخاص ، حرصت قيادة « ايسكرا » على رسم خطوطه بشكل يكفل سيطرة كاملة من جانب التنظيم على المجلة وسياستها ويكفل فى نفس الوقت أمن التنظيم ، بحيث لا تصبح « الجماهير » مصيدة لأعضائه . .

وقد تكونت قيادة سياسية للجماهير مكونة من خمسة من كوادر أيسكرا شهدى عطية الشافعى ـ عبد المعبود الجبيلى ـ سيدنى سلامون ـ محمد سيد أحمد ـ ايلى ميزان .

وكان شهدى مسئولا سياسيا للمجلة ، وفي نفس الوقت استدعى عددا من كوادر « ايسكرا » للمشاركة فى التحرير والتوزيع والاعمال الادارية الأخرى . .

فتولى « نقولا ورد » سكرتارية التحرير . بينما تولت مختلف مكاتب التنظيم الاشراف من خلال ممثلين لها على تحرير صفحات كل فى اختصاصه .

. . فدائرة الطلبة كانت تشرف على تحرير صفحة الطلبة والموضوعات الخاصة بالطلاب وتقوم بتحريرها من خلال ثلاثة مندوبين أساسيين ( عبد المنعم الغزالى ـ جمال شلبى ـ سعد زهران ) وكذلك دائرة العمال ودائرة النساء .

كذلك كانت خلايا التنظيم تقوم بتوزيع الجزء الاكبر من اعداد المجلة بينما يطرح جانب قليل من النسخ لدى باعئى الصحف . . وهكذا فان « ايسكرا » قد أقامت شبكة اتصال خاصة تقوم بتوصيل « الجماهير » الى القاعدة ومنها الى القارىء .

---

١ ـ المصرى ـ للفترة من ٤ الى ٢٤ـ٩ـ١٩٤٧ .

وكان يشرف على عملية التوزيع فى القاهرة ابراهيم المانيسترلى وفى بحرى عبد المنعم الغزالى .

وتغطية لأبواب المجلة المختلفة تكونت مكاتب خاصة ، فقد تكون مثلا مكتب للشئون الخارجية يتولى دراسة قضايا السياسة الخارجية والاشراف على تحرير المواد الخاصة بها فى المجلة وضم هذا المكتب : محمد سيد أحمد ـ انور عبد الملك ـ روبير ستتون ـ ابراهيم المانسترلى ـ نقولا ورد » .

وهكذا تكونت داخل « الجماهير » كمنبر علنى شبكة من الأجهزة التنظيمية ذات الاختصاصات المختلفة .. وكان لا بد من ايجاد شكل للربط بينها ومنع أى تداخل فى اختصاصاتها ، وكذلك منع أية علاقة غير تنظيمية غير سليمة . وهكذا تكونت لجنة خاصة للتنسيق بين عمل هذه المجموعات المختلفة ومنع التداخل بينها ومنع العلاقات والاتصال الجانبية وقد اسميت « لجنة تنظيم اللجان » وكان مسئوليها حيدفى سلامون .

* * *

ومن أبريل حتى مايو ظلت « الجماهير » مجلة لايسكرا وفى يونيو ـ يوليو ٤٧ تمت الوحدة بين الحركة المصرية للتحرر الوطنى ( ح . م ) وبين تنظيم الشرارة ( ايسكرا ) وتأسست منظمة « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » ( حدتو ) وأصبحت « الجماهير » منبرا سياسيا لهذا التنظيم الجديد .

وبطبيعة الحال تغير المكتب السياسى المسئول عن المجلة بأن ابعد عنه اثنان أحدهما محمد سيد أحمد وأضيف اليه اثنان من ح . م هما كمال شعبان وعبده دهب .

ويروى عبده دهب قصة انضمامه « للجماهير » فيقول « الجماهير كانت أصلا مجلة ايسكرا قبل أن نتحد معهم .. وعندما اتحدنا فى الحركة الديمقراطية كان الاتفاق أن يكون المسئول السياسى والتنظيمى فى جميع المستويات من ح . م ومسئول الدعاية ومسئول العمل الجماهيرى من ايسكرا .

ونتيجة للوحدة صار أصمى الى « الجماهير » كمسئول سياسى لكن شهدى عطية المسئول السياسى للمجلة أيام ايسكرا لم يقبل هذا الوضع وبعد صراع اتفق على أن تشرف ح . م مباشرة على المجلة »(١) .

---

١ ـ راجع النص الكامل لمحضر النقاش مع عبده دهب فى ـ د. رفعت السعيد . اليسار المصرى ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠ ، المرجع السابق ص ٢٩٧ .

ووثمة رواية أخرى مكملة لهذه الواقعة وهي انه في أعقاب هذا الخلاف واسناد الاشراف السياسي الى اللجنة المركزية . تولى كمال شعبان المسئولية التنظيمية في المجلة وتولى عبده دهب مسئولية التوزيع *.

وسرعان ما تغير شكل المجلة واسلوب تحريرها . وكان أهم تغيير هو حرص « الجماهير » على ابراز نفسها كمنبر علني لتنظيم شيوعي هو حدتو .

ولم يمر ذلك التغيير بسهولة ، فقد كان تعبيرا عن صراع مرير داخل القيادة الموحدة .

مجموعة « ح.م » ترى إنه يتعين فرض علنية العمل السياسي الحزبي من خلال تأكيد مشروعيته رويدا رويدا ، وفرض عدم المشروعية خطوة خطوة .

بينما مجموعة « ايسكرا » ترى أن تستمر « الجماهير » منبر سياسي عام وأن يظل النشاط الديمقراطي مستقلا تماما ومتباعدا عن العمل الحزبي ولذا كان لا بد من اقامة خيوط بين العمل الحزبي السري والعمل الديمقراطي العلني فانه يتعين أن تكون خيوطا غير مرئية وان تتم العلاقة في سرية مطلقة .

وانتصر تيار « ح.م » . وبعد أن كانت « الجماهير » كمنبر لايسكرا لا يظهر فيها أي اسم علني سوى إسم محمود النبوي رئيس التحرير . أما بقية الاسماء فكلها مستعارة لاحظنا أن العدد ١٦ الصادر في ٢١ يوليو ١٩٤٧ يتضمن نص بيان صادر باسم « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني » وقد قالت « الجماهير » تبريرا لنشرها لبيان صادر عن تنظيم شيوعي سري « جاءنا البيان التالي نقتطف منه ما يلي » وفي العدد التالي يظهر أول توقيع علني للمسئول السياسي عن المجلة « شهدي عطية الشافعي » حيث كتب افتتاحية العدد بعنوان « اننا لا نريد أي استعمار انجليزيا كان أم أمريكيا »(١) .

ثم يوالي « شهدي » توقيع افتتاحية عددين تاليين العدد ١٨ وعنوان افتتاحيته « الشعب يئن من الغلاء وأقلية تتمتع بالنايلون والباكار »(٢) وافتتاحية العدد ١٩ « أيها الشعب عبر عن سخطك على الاستعمار »(٣) .

---

* ابراهيم الناسترلي .

١ ــ الجماهير ، ٢٨ ــ ٧ ــ ١٩٤٧ .

٢ ــ الجماهير ، ٤ ــ ٨ ــ ١٩٤٧

٣ ــ الجماهير ، ١١ ــ ٨ ــ ١٩٤٧

- ونلاحظ أن نفس العدد يتضمن بيانا صادرا عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني بعنوان « يا عمال الشحن بمينائي بور سعيد والسويس كافحوا في سبيل أندونيسيا » .

وبعد ذلك أخذ « محمود النبوي » يوقع الافتتاحية من جديد حتى وقعت تغيرات أساسية في « الجماهير » نتجت عن مشاكل تنظيمية داخل حدتو وذلك عندما تزعم « شهدي » وهو المسئول السياسي للمجلة ما أسمى « بالتكتل الثوري » وانضم اليه أنور عبد الملك وسعد زهران وحسني العمري وآخرون وتطلب الأمر شل يد « التكتل » عن المنبر العلني . وهكذا كانت آخر افتتاحية كتبها شهدي بعنوان « كوليرا سياسية »(١) وقد وقعها بالاسم الذي اعتاد التوقيع به في الاعداد الاولى للجماهير وهو « حمدي » وتولى المسئولية السياسية عن « الجماهير » من بعده شخص آخر سنرمز له بالاحرف « ع . أ » ( فقد أعرب عن رغبته في ألا يذكر اسمه ) .

على أية حال فقد وقع هذا المسئول الجديد ما كتبه من افتتاحيات باسم « محمد عباس » وهو على وجه اليقين اسم مستعار ، وذلك حتى لا يظن بعض الباحثين أن كاتب هذه الافتتاحيات هو محمد عباس سيد أحمد الذي كان في البداية أحد مسئولي الجماهير ، ثم ترك العمل فيها بعد الوحدة مع « ح . م » لكن المهم هو أن « ع . أ » هذا لم يكن جديدا عن الجماهير بل انه شارك فيها منذ بدايتها مسئولا لمكتب العمال بها *.

* * *

وفي العدد الاول أعلنت « الجماهير » . أن عنوان مقرها هو ١٦ شارع الملكة فريدة لكنها في العدد الثاني مباشرة تعلن أن عنوان مقرها ٣٣ شارع الملكة نازلي وهي شقة قدمها أحد أعضاء التنظيم . واستمرت « الجماهير » بهذا المقر حتى لاحظنا في العدد ١٢ فبراير يقول « مطلوب شقة للايجار في حدود خمسة جنيهات »(٢) .

وابتداء من العدد ١٥ استقرت « الجماهير » في مقرها الجديد ٢٢

---

١ ــ الجماهير ، ٢٨ ــ ٩ ــ ١٩٤٧ .

* يمكن القول بان معظم المعلومات السابقة مستقاة من مناقشات متعددة مع محمد سيد أحمد ــ ابراهيم الناسترلي ــ عبده دهب ــ عبد المنعم الغزالي ، وقد توافقت رواياتهم للاحداث وكملت بعضها البعض ، وقد استبعدت من هذه الروايات ما لم تجمع عليه الروايات المختلفة .

٢ ــ الجماهير ، ٢٣ ــ ٦ ــ ١٩٤٧ .

شارع الجامع الاسماعيلى . لكن الجديد والملفت للنظر حقا هو أن « الجماهير » بدأت تتخذ لنفسها مقارا ومكاتب فى الاقاليم ..

فبعد الوحدة مع ح م قدمت منطقة ح م فى الاسكندرية مقرا ثابتا « للجماهير » يعلن عنه فى العدد ١٨ « مكتب الجماهير بالاسكندرية . افتتحت مجلة « الجماهير » مكتبها بالاسكندرية داعية أهالى الاسكندرية الى ارسال شكاواهم ومقترحاتهم اليه » .

ثم ما لبثت « الجماهير » أن أعلنت عن افتتاح مقر جديد لها فى مدينة بورسعيد وذلك فى العدد ٢٢ « إلى أهالى بورسعيد ـ ارسلوا طلباتكم ومقالاتكم الى وكيل مكتب « الجماهير » الأستاذ حسن محمد الغضبان ـ ادارة « الجماهير » ببورسعيد »(١) .

وفى عدد تال تذكر « الجماهير » قراءها فى بورسعيد بأن « مكتب ادارة مجلة « الجماهير » ـ الاستاذ محمد حسين الغضبان بشارعى الحميدى والزقازيق قسم ثان ٢٢٢٦ »(٢) .

وفى مدن أخرى أيضا .. « الجماهير فى بسيون ـ تباع مجلة الجماهير بمحل الاستاذ جندى فهمى التاجر بجوار محطة بسيون »(٣) .

وفى محاولة لمزيد من الالتصاق بالعمال تعلن « الجماهير » عن تكوين مكتب قانونى ، يقدم استشارات قانونية مجانية للعمال .. لاتلبث « الجماهير » أن تمد نشاط هذا المكتب ليخدم مختلف الفئات مجانا .

وتنشر « جاءنا من الريف خطابات تتهمنا بالتحيز للعمال وحدهم واننا قد قصرنا المكتب القانونى عليهم دون بقية الطوائف . وها نحن نعلن أن مكتبنا القانونى مستعد أن يقدم خدماته لزملائنا من جميع الطوائف والاستشارات كل يوم بين الساعة الخامسة والسابعة مساء ما عدا يوم الجمعة »(٤) .

وفى عدد آخر .. « مكتب الجماهير » القانونى فى خدمة الشعب . إلى العامل فى مصنعه . الى الفلاح فى حقله . الى الطالب فى مدرسته . الى جميع المواطنين الذين فى حاجة الى مساعدة قانونية ان مكتب الجماهير القانوني فى خدمتكم .. »(٥) ..

---

١ ـ الجماهير ، ٦ ـ ٩ ـ ١٩٤٧ .
٢ ـ الجماهير ، ٤٠ ـ ٩ ـ ١٩٤٧ .
٣ ـ الجماهير ، ٦ ـ ٩ ـ ١٩٤٧ .
٤ ـ الجماهير ، ٢٨ ـ ٩ ـ ١٩٤٧ .
٥ ـ الجماهير ، ٥ ـ ١٠ ـ ١٩٤٧ .

" ولم يكن ذلك كله الا تعبيرا عن تحول سياسي طرأ على موقف « الجماهير » وهو تعبير عن نجاح تيار ح م في فرض فكرته حول ضرورة التحول « بالجماهير » الى وجه علني للتنظيم المصري في محاولة لفرض علنية او بالدقة مشروعية العمل الحزبي . وقد تجلى هذا التحول في عديد من المظاهر ابتداء من نشر بيانات حدتو . الى افتتاح مقار « للجماهير » في عدد من المدن تحولت نتيجة لاسلوب ح م في العمل الى مقار للتنظيم نفسه . ثم تجلى أيضا في بدء ظهور الاسماء الحقيقية للكتاب .

وبعد أن كانت « الجماهير » لا تحمل الا اسما علنيا واحدا هو محمود النبوي رئيس التحرير بينما توقع باقي المقالات باسماء مستعارة فاننا نلاحظ أن كثيرا من الاسماء بدأت تبرز وخصوصا اسماء كوادر ح م .

واذا أخذنا احد الاعداد كمثال نجد أن العدد ٣٥ يتضمن عديدا من الاسماء العلنية فنجد المقالات التالية « النوبيون يشردهم الاستعمار — فيكساغجون لتحسين أحوالهم — زكي مراد » « شاعر مداح يهاجم الشعب — أبو الحسن الغذيني » « مأساة خلقية — حسن محمد الغتنباني » وذلك بالاضافة الى عدد من الاخبار والمقالات والشكاوى العمالية بتوقيع ابراهيم نعمة — محمود النجار — محمود الصاوي — محمد محرات وكلها اسماء حقيقية لكوادر نقابية »(١) .

وهكذا نلمح تحولا حقيقيا في مسلك « الجماهير » قد يختلف البعض في تقييمه وفي تقييم نتائجه لكننا نثبته هنا كواقعة تاريخية . وهي أن وحدة ح م مع « ايسكرا » قد أدت الى فرض مزيد من العلنية على منهج « الجماهير » . كذلك فانها قد حولت « الجماهير » لتصبح بالفعل منبرا يعلن عن نفسه كلسان حال لتنظيم شيوعي هو « حدتو » .

بل أن « الجماهير » قد بدأت تتصرف في بعض الاحيان وكأنها منبر حزبي بالفعل .. ولعل خير مثال على ذلك هو محاولتها المشاركة في الحملة الدعائية التي نظمت للقضية المصرية في نيويورك والتي شارك فيها ممثلون لأحزاب عديدة .

وقد حاولت « الجماهير » ايفاد رئيس تحريرها محمود النبوي .. لكنه منع من السفر بعد أن سمح له بالصعود الى المركب .. وتنشر « الجماهير » الخبر بعنوان « الحكومة تحول بين « الجماهير » وعرضها القضية في النطاق الدولي فتمنع بالقوة رئيس التحرير من السفر الى الخارج » .

---

١ — الجماهير ، ٢٨ — ٩ — ١٩٤٧ .

وتشير فى هذا الخبر الى أن البوليس قد منع النبوى من السفر بالطائرة بالرغم من استيفائه كل الاوراق والوثائق اللازمة وان البوليس أبلغه « ان أوامر وزارة الداخلية وادارة الامن العام بأن يمنعه من السفر بالقوة » .

وتقدم محمود النبوى شكوى الى النيابة ورفع دعوى مستعجلة ضد وزارة الداخلية وأبرق بشكواه الى نقابة المحامين ونقابة الصحفيين ولجنة حقوق الانسان العالمية ورابطة المحامين فى العالم والى الاتحاد العالمى للصحفيين »(١) .

— لكن « الجماهير » لم تيأس وقررت أن توفد مندوبا مدعوما بحملة جماهيرية نشرت « مانشيت » . « الجماهير تقرر ايفاد مندوب الى مجلس الأمن » وعنوان الخبر « الجماهير تخرج للكفاح فى النطاق الدولى » ثم تقول « ظهر العدد الاول من « الجماهير » وعلى صفحته الاولى كتبنا انها ليست مجرد اسم يوضع فى صدر صحيفة انما هى أعمق من هذا بكثير .. هى صوت الملايين من العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين الوطنين تناضل الاستعمار بغيضا وتنشد استقلالا كريما ... وصدر بعد العدد الاول خمسة عشر عددا تنبىء كلها بصدق كفاحنا وصلابة نضالنا ... واننا وان قصرنا دعايتنا وكفاحنا الوطنى على النطاق الداخلى حتى الآن الا أن الظروف التاريخية التى تمر بها قضية الوادى تحتم كذلك القيام بواجبنا نحو التحرر الوطنى لسكان وادى النيل فى النطاق الدولى ... اننا نذهب الى مجلس الامن لنقوم بواجبنا المقدس نحو القضية واضعين نصب أعيننا أن مصالح الوطن وأهدافه فوق كل اعتبار .. لذلك قررت أسرة « الجماهير » رغم ما تعانيه من عسر مالى ايفاد الزميل محمد عبد المعبود الجبيلى مندوبا عنها الى نيويورك للقيام بالدعاية للقضية الوطنية أثناء عرضها على مجلس الامن . وليسمع العالم صوت « الجماهير » مدويا عاليا ، مطالبا بالجلاء الناجز الشامل عن وادى النيل دون قيد أو شرط ، دون معاهدة أو تحالف . ونحن اذ نقرر هذا نتجه الى الشعب المصرى فاتحين اكتتابا شعبيا عاما نسد به جزءا من تكاليف هذه المهمة الوطنية »(٢) .

وفى نفس العدد تنشر « الجماهير » نص خطاب وجهه محمد عبد المعبود الجبيلى الى « حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية » جاء فيه « لقد شرفتنى مجلة « الجماهير » الوطنية المناضلة ضد الاستعمار بانتدابى للقيام بالدعاية للقضية الوطنية فى النطاق الدولى أثناء عرض

---

١ — الجماهير ، ٧ — ٧ — ١٩٤٧ .
٢ — الجماهير ، ٢١ — ٧ — ١٩٤٧ .

القضية على مجلس الأمن . لذا فانني أطلب من دولتكم بوصفكم رئيسا للوزراء أن تسهلوا لي إجراءات السفر الرسمية وأن تتدخلوا لدى وزارة المالية لتسهيل حصولي على الدولارات اللازمة نظير نقود مصرية حتى أستطيع أداء واجبي الوطني في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ كفاحنا الوطني . ونظرا لأن ادارة الأمن العام قد أرسلت كشفا باسماء عدد كبير من المعارضين الوطنيين الى بوليس الموانيء والمطارات ليمنعهم من السفر الى الخارج . ونظرا لانه بلغني أن اسمي من بين هؤلاء الممنوعين من السفر فانني أطلب من دولتكم بصفتكم وزيرا للداخلية التدخل لوقف هذا العدوان على القانون والدستور . فحرماني من السفر الى أمريكا في الظروف الحاضرة فضلا عن أنه اعتداء على الحريات التي يكفلها لي الدستور ، فانه اعتداء على حقي وواجبي المقدس في الدعاية لقضية بلادي والدفاع عنها أمام الرأي العام العالمي » .

لكن الامر لم يكن بهذه السهولة ، فاذا كانت « الجماهير » قد نجحت في احراج الوزارة ووضعها في مركز يشل يدها عن منع مندوبها من السفر .. فان هناك السفارة الامريكية التي رفضت منح مندوب « الجماهير » تأشيرة دخول الى الولايات المتحدة . وتشن « الجماهير » حملة عنيفة على السفارة الامريكية قائلة « لم يكن الزميل عبد المعبود يريد السفر الى أمريكا حبا فيها وانما لأن مجلس الامن — لسوء الحظ — موجود في أمريكا ، والسفارة الامريكية ليس من حقها مطلقا أن تمنع وطنيا مصريا من الدعاية للقضية الوطنية بالصورة التي تخدم مصر . ان حرمان السفارة لمواطن مصري في الوقت الذي تمنح فيه الآخرين أمثال أحمد حسين ومصطفى مؤمن لدليل قاطع على ان أمريكا تريد أن تكون الدعاية للقضية المصرية بالطريقة التي لا تفضح تابعها الاستعمار البريطاني . نحن نقول لأمريكا اليوم : انظري ما مصير هتلر — وهكذا سيكون مصير كل من يفرض على الشعوب استبداده وتحكمه وسيادته ويحاول التدخل في حرياتها »(1) .

وما يعنينا هنا هو أن محاولة « الجماهير » ايفاد مندوب لها الى مجلس الأمن قد خرجت بها — أمام الجميع — عن أن تكون مجرد مجلة يسارية .. وأظهرتها كلسان حال لمنبر سياسي منظم يريد أن يقول كلمته أمام الرأي العام العالمي خلال عرض القضية أمام مجلس الامن ، مثلما حاولت بقية الاحزاب السياسية الأخرى أن تفعل .

***

1 — الجماهير ، 4 — 8 — 1947 .

وقبل أن تصدر « الجماهير » نظمت ايسكرا حملة اكتتاب ناجحة في صفوف اعضاء التنظيم واصدقائه ويقال أنه قد تم جمع مبلغ أربعة آلاف جنيه * وهو مبلغ كبير بغير شك . وظلت « الجماهير » تداوم على جمع تبرعات من اصدقائها وقرائها . وكانت في دعوتها هذه تسلك منهجا سياسيا وتمويليا معا بمعنى انها كانت تحقق هدفين الاول سياسي يتحقق من خلال حشد أكبر تاييد شعبي للجماهير .. والثاني ويتمثل في جمع أموال كانت ضرورية بالفعل لاصدار الاعداد التالية .

وتزخر صفحات « الجماهير » بقوائم عديدة للمتبرعين أهم ما يلفت النظر فيها هو الاشكال التنظيمية الواسعة ذات الطابع الجبهوى تكونت حول « الجماهير » مثل « لجنة انصار الجماهير بالظاهر » وقد جمعت تبرعات قيمتها جنيها واحدا (١) .

« لفيف من عمال المحلة » و « طلبة كلية العلوم بالاسكندرية » (٢) و « من اهالي قرية ميت يعيش »(٣) .

ولم يكن تكوين هذه الاشكال التنظيمية الواسعة « لمساندة » « الجماهير » عملا تلقائيا . بل كان نتيجة دعوة وجهت على صفحات « الجماهير » تحت عنوان « نداء .. للملايين أيها العمال والفلاحون والطلبة والمثقفون . » جاء فيه « انتم الذين بعثتم « الجماهير » من صفوفكم ونضالكم في سبيل الخبز والحرية والاستقلال . وللجماهير اعداء وأعداء ، الاستعمار بأمواله وجنده والرجعية بصفحاتها المأجورة ، وهي تتحالف اليوم على مجلتكم . وتضع العراقيل في طريق نضالها .. نضالكم .. ونحن نهيب بكم ان تتبرعوا بقروشكم للجماهير ، فكل قرش تدفعونه هو مسمار تدقونه في نعش الاستعمار والطغيان والاستبداد . فلتنشئوا أسرا « للجماهير » اينما وجدت الجماهير في المصنع والقرية والمعهد والمدرسة ولتقم الاسرة بحملة التبرعات . ان « الجماهير » تناديكم وهي واثقة من تلبية النداء . والنصر للجماهير »(٤) .
ورغم حملة التبرعات الناجحة فان « الجماهير » توجه نداء الى « الزملاء قراء هذه المجلة — لقد ايدتمونا ، ولكن مجلتكم غدت موضع اضطهاد وهي تتحمل اعباء مالية فوق طاقتها — لا يجب ان تدعوا المال يكون عقبة في سبيل اخراج

---

* عبد المنعم الغزالي .
١ — الجماهير ، ١٩ — ٥ — ١٩٤٧ .
٢ — الجماهير ، ١٩ — ٦ — ١٩٤٧ .
٣ — الجماهير ، ٢٣ — ٨ — ١٩٤٧
٤ — الجماهير ، ١٤ — ٧ — ١٩٤٧

هذه المجلة فهى مجلتكم وليس لهـا من مورد غير اشتراكاتكم وتبرعاتكم ·· ان كل قرش تتبرعون به هو عون للجماهير للدفاع عن حقوقكم عن حرياتكم العامة للكفـاح ضـد الاستعمار »(١) .

وتتوالى قوائم التبرعات من جـديد لكن يبدو أنهـا لم تكن كافية وتوجه « الجماهير » من جديد نداء حار يكتبه محمود النبوى بعنوان « لن يستطيعوا اخماد صوت « الجماهير » فهو يرتفـع مدويا » جاء فيه « لقـد ارتفع صـوت مجلتكم عاليـا منذ اللحظـة الاولى يناصب الاستعمار العداء ولا مورد مالى لها الا اشتراكاتكم وتبرعاتكم · وهاهو البوليس السياسى يحاربها ، وها هم الاخـوان المسلمون يعاكسونها .· وها هم أصحاب كثير من الاعلانات يقاضونها قبل تختفى مجلتكم تحت العبء المـالى ؟ أو هل تقلل من صفحاتها ·· كلا ·· كلا ·. ان كل صفحة تنقص من « الجماهير » كسب للمستعمرين والمستغلين ، ان اختفاء « الجماهير » ضربة للحركة الوطنية وطعنة للديمقراطية واضرار شديد بالحركة العمالية .· اننـا واثقون بكم ·· معتمدون عليكم مطمئنون الى تاييـدكم . ان بقـاء « الجماهير » سلاحا ماضيا يدافع عن مصـالحكم قـد أصبح معركة ·· فليكن شعاركم فى كفـاحكم من أجل « الجماهير » .

اشتروا « الجماهير » .·

اقرأوا « الجمـاهير » ··

اشتركوا فى « الجماهير » ··

تبرعوا « للجماهير » !

« فالجماهير » مجلتنا نحن العمال والفلاحين والطلبة والموظفين » (٢) ·

وتنهال التبرعات من جـديد ... لكن الازمة المـالية تبقى ملازمة دوأما « للجماهير » .

***

واذا كانت قوائم التبرعات المتتالية تعبر عن شعبية المجلة وارتباطها بقرائها فان أرقـام التوزيع تقـدم لنـا أيضا صورة واضحة تشـير الى ان « الجماهير » كانت بغير شك أوسع صحف اليسار انتشارا وانها حققت أرقاما فى التوزيع تفوق بمقاييس ذلك العصر كل التوقعـات ·

يقول عبده دهب : كانت « الجماهير » توزع ١٢٫٠٠٠ نسخة أسبوعيا »

---

١ ـ الجماهير ، ٢١ ـ ٤ ـ ١٩٤٧

٢ ـ الجماهير ، ٢٣ ـ ٨ ـ ١٩٤٧

ويقول الغزالى كانت توزع عشرة آلاف نسخة ...

لكننــا نستطيع أن نحصل على أرقــام أكثر دقــة .

« ولقــد طبعنــا من العــدد الاول ٢٠٠٠ نسخة وزعت جميعــا ، ثم زاد الطبع بحيث تراوح بين ٥٠٠٠و٧٠٠٠ ، وقبل الوحدة مع ح٠م كنا نطبــع ١٠٠٠٠ ارتفعت بعــد الوحــدة عن ذلك » . *

وهكذا تتقــارب التقــديرات لترتفع الى ما هو أكثر من عشرة آلاف نسخة وهو بمقــاييس ذلك العصر توزيع ضخم بالنسبة لمجلة أسبوعية ..

ونود أن نشير هنــا الى أن « الجماهير » كانت تعتمد فى توزيعهــا أساسا على شبكة من الموزعين الحزبيين الذين لم يكتفوا بتطوعهم بعمليــة التوزيع كواجب سياسى يقتضى مداومة الاحتكــاك بالشعب وانما كانوا ـ وفقا لتقليــد ثابت ـ يسددون ثمن الاعداد مقــدما فيحلون بذلك كثيرا من المشاكل المــالية والادارية للمجلة .

ان أرقــام توزيع « الجماهير » يجب أن تؤخــذ ليس فقط كدليل لنجــاح مجلة .. وانما ـ وفى الاساس ـ كدليل على جماهيرية منظمة .

***

وكانت « الجماهير » تصدر أسبوعية كل يوم اثنين وظلت منتظمة فى الصدور حتى العدد ١٨ الذى صدر فى يوم الاثنين ٤ أغسطس ١٩٤٧ . ثــم يصدر العدد ١٩ فى ١٩ أغسطس دون اشارة الى اليوم . أما العــــدد ٢٠ فيصدر بعــد اثنى عشر يوما أى يوم ٢٣ أغسطس ١٩٤٧ وهو يوم سبت .. ويستمر صدور « الجماهير » يوم السبت لمدة ثلاثة أعداد فقط هى الاعداد ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

وهذا العــــدد الاخير صدر يوم السبت ٦ سبتمبر ١٩٤٧ لكن العــــدد الذى يليه أى العــدد ٢٣ يصدر يوم الاحــد ١٤ سبتمبر وتستمر « الجماهير بعــد ذلك فى الصدور كل يوم أحــد .

ويفسر الذين ناقشتهم من الذين عملوا فى « الجماهير » ذلك تفســيرا فنيــا بحتــا وهو أن « الجماهير » كانت تبحث عن يوم من أيام الاسبوع ليس فيه منافسة شديدة من مجلات أسبوعية أخرى تصدر فى نفس اليوم .

***

---

* ابراهيم المناسترلى .

ولنا ملاحظة أيضا على العدد الاول من « الجماهير » فقد صدر خاليا من تاريخ صدوره وثمن العدد وعنوان ادارة المجلة ٠

ولقد تصورت فى بادىء الامر أنه مجرد خطأ فنى ينم عن قلة خبرة أصحاب المجلة بالعمل الصحفى ٠

لكن البعض ※ أكد لى أن الامر كان متعمدا ٠ وانه حتى مرحلة طبع العدد الاول لم يكن قد تقرر بعد ما اذا كان سيوزع لدى بائعى الصحف أم يكتفى بتوزيعه بواسطة الاعضاء ومن ثم فان ذكر الثمن لم يكن ضروريا وكذلك التاريخ ٠ أما العنوان فقد تصور البعض ألا يذكر لاعتبارات متعلقة بالامن

لكن القيادة الحزبية تدخلت فى آخر لحظة وحسمت الامر مقررة أن « الجماهير » مجلة علنية ويجب أن تصدر كأى مجلة علنية أخرى وأن يكون لها ثمن محدد تباع به عن طريق الاعضاء وعن طريق المتعهدين والموزعين العاديين وأن يكون لها مقر معلن عنه .

وهكذا جمعت نسخ العدد الاول وتنفيذا لقرار القيادة تم ختمها بخاتمين الأول فى الصفحة الأولى يحدد أن الثمن عشرة مليمات ، والتالى فى صفحة ١١ يحدد ان عنوان مقر المجلة هو ١٦ شارع الملكة فريدة ويلاحظ أن هذا العنوان قد تغير فى العدد الثانى مباشرة ليصبح ٣٣ شارع الملكة نازلى ٠

أما تاريخ صدور العدد الاول فقد لاحظت انه قد كتب فى أكثر من نسخة أمكنني الإطلاع عليها بالقلم الحبر ٧ أبريل ١٩٤٧ » .

ولقد اهتممت اهتماما خاصا بالاشارة الى هذه الملابسات ليس فقط لانها جزء من الحدث التاريخي ، وانما لانها ذات دلالة سياسية فهى تعبر عن تردد قيادة « ايسكرا » تجاه أسلوب وطريقة عمل « الجريدة » كمنبر علنى ٠

※ ※ ※

وكانت « الجماهير » كعادة الصحافة اليسارية المصرية تستخدم أسلوب البراويز والشعارات الاثارية التى تنتشر فى مختلف الصفحات ٠

---

※ ابراهيم الناسترلى ٠

وابتداء من العدد السابع بدأت فى تخصيص مساحة أسفل الصفحة الاخيرة لشعار « ان كل قرش تدفعونه فى الجماهير مسمار تدقونه فى نعش الاستعمار » (١) :

وفى نفس المكان فى العدد التالى « مجلة الجماهير » مجلة التحرير الوطنى . مجلة الكفاح ضد الاستعمار وأذنابه »(٢) . وفى الأعداد من ٩ الى ١٦ يثبت الشعار التالى فى نفس المكان « الجماهير مجلة الملايين .. تعبر عن آلامهم وآمالهم » .

بل ان الأبواب الثابتة فى « الجماهير » كانت تتخذ لنفسها عناوين ذات طابع اثارى .. فباب العلوم عنوانه « ليست مهمة المفكر تفسير العالم فحسب .. وانما مهمته هى تغييره الى عالم أفضل » (١) .

والباب المخصص لشكاوى الجماهير بعنوان « الجماهير تشكو .. الجماهير تفضح » وشعاره « تكلموا فان السكوت معناه الموت »(٢) .

أما صفحة العمال فان عنوانها « نحن نبنى .. وهم يهدمون » .

وكان الكاريكاتير سلاحا هاما من أسلحة مجلة « الجماهير » ولعله من حق « الجماهير » علينا ان نسجل لها انها كانت أول صحيفة يسارية تستخدم الكاريكاتير هذا الاستخدام الواسع ، وبمضمون سياسى يسارى ..

لقد كانت « الجماهير » باكورة للكاريكاتير اليسارى .. ذلك الاتجاه الذى ازدهر فيما بعد خالقا مدرسة متكاملة من فن الكاريكاتير اليسارى .

وكان أحد رسامى الكاريكاتير فى « الجماهير » هو الرسام طوغان وكان فى ذلك الحين طالبا فى مدرسة التجارة المتوسطة حيث كان يعمل شهدى الشافعى مدرسا .

وعن طريق شهدى عرف الطالب الفنان طريقة الى « الجماهير » ..

لكن نفوذ الحركة وسط الفنانين التشكيليين قد انعكس بصورة واسعة على صفحات الجماهير فى صورة رسوم تشكيلية وكاريكاتير وتوضيب راق وقد لعب دورا هاما فى ذلك عدد من الفنانين منهم داود عزيز الذى قدم عددا من لوحات الصفحة الاولى دون توقيع .

---

١ ـ الجماهير ، ١٢ ـ ٥ ـ ١٩٤٧
٢ ـ الجماهير ، ١٩ ـ ٥ ـ ١٩٤٧
٣ ـ الجماهير ، ٣٠ـ٦ـ١٩٤٧ .
٤ ـ الجماهير ، ٢٣ـ٦ـ١٩٤٧ .

وابتداء من العدد التاسع عشر الصادر فى ١١ أغسطس ١٩٤٧ تختفى الرسوم التشكيلية نهائيا .. وتمتنع « الجماهير » عن تقديم الكاريكاتير على صفحاتها وتحل محل لوحة الصفحة الاولى .. صورة فوتوغرافية ..

***

واذا كان من حق « الجماهير » علينا ان نبرز دورها فى استخدام الكاريكاتير السياسى كعمل رائد فى صحافة اليسار ، فانه يتعين علينا ايضا ان نشير الى انها كانت رائدة ايضا فى مجال التحقيق الصحفى « الريبورتاج » .

« والريبورتاج » يظهر لاول مرة ــ بالنسبة للصحف اليسارية ــ فى « الجماهير » .

وهو يظهر فيها عملاقا متمرسا يستحق الاعجاب بالفعل سواء من ناحية الشكل .. والفن الصحفى أو المضمون الطبقى .

فالريبورتاج السياسى كان وسيلة أساسية ، وربما كان الوسيلة الاولى التى استخدمتها « الجماهير » للتعبير عن موقفها الطبقى المتميز من كثير من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ..

والنماذج كثيرة بغير حصر .. وكلها تستحق التامل ، وتستحق الاعجاب شكلا ومضمونا .

وقد اعتادت « الجماهير » أن تخصص للريبورتاج صفحتى الوسط « الدوبل باج » أى صفحتى ٦ ، ٧ .

وابتداء من العدد الاول تجد ريبورتاجا بعنوان « استغلال ونضال فى شبرا الخيمة » وهو ليس مجرد عمل صحفى اثارى وانما هو بالدقة دراسة تاريخية سياسية اقتصادية تبدأ من البداية .. « فى عام ١٩٣٤ وفى طرف القاهرة الشمالى كان فلاحو شبرا الخيمة يتطلعون فى دهشة الى أول مصنع للنسيج » .... وتمضى القصة قصة الاستغلال الرأسمالى للعمال .. الاضرابات .. العمل النقابى .. خيانة الاخوان المسلمين .. احتفالات أول مايو .. أحداث عام ١٩٤٦ .. واللجنة الوطنية للطلبة والعمال .. الهجوم الرجعى العنيف على كوادر شبرا الخيمة .. وفى الختام .. « حقا لقد احس عمال شبرا الخيمة بمرارة الفشل ولكنهم يعرفون ان الصراع فشل ونجاح ، واننا نتعلم من الفشل كما نجنى ثمرات الانتصار . هذه قصة لم تتم .. لان قصة العمال قصة كفاح دائب لا ينقطع »(١) .

---

١ ــ الجماهير ، ٧ــ٤ــ١٩٤٧ .

وفى العدد التالي ريبورتاج عن تجمع عمالى آخر « سلسلة من الخيانات والمناورات والمؤامرات .. هذه هى قصة ترام القاهرة » ٠٠ والقصة تبدأ ايضا من البداية عام ١٨٩٥ عندما سار أول ترام فى شوارع القاهرة ٠٠ ويستمر الريبورتاج ليحكى كفاح العمال المستمر والمتصل ٠٠ والختام يقول « ان مشكلة الترام وعمال الترام ليست مشكلة قائمة بذاتها ، وليست هى الفريدة فى بابها . انما هى مشكلة الشعب المصرى .٠ شعب يضطهده الاستعمار والشركات الاحتكارية وأذناب الاستعمار وكبار المساهمين فى هذه الشركات من اجانب ومصريين ٠ والمعركة دائرة بين الشعب وظالميه ولن تنتهى المعركة ضد الظلم حتى يزول »(١) ٠

وتمضى الريبورتاجات الى مجال آخر « مساكن صحية ٠٠ مدارس لابنائنا ٠٠ أعما لعاطلينا ٠٠ ضمانا لحياتنا ٠٠ هذا ما يريده سكان عشش الساقية وتلال زينهم » ٠

وتستخدم الكلمة والكاميرا معا بنجاح تام لابراز التناقض الصارخ بين حى ارستقراطى هو « جاردن سيتى » وحى آخر شعبى يعيش فى بؤس ولا يفصلهما غير شارع واحد .

ولا تفوت اصحاب هذاالريبورتاج اللمحة الذكية فهم يختتمونه بوصف للحى الارستقراطى جاردن سيتى ٠٠ « واستوقف أنظارنا من بين القصور الشاهقة هناك ، قصر لامع ، تفوح منه رائحة الشواء ، وتغمر أجوائه أزهار وورود واصطفت حوله السيارات ٠٠ واذا بامين يصيح بى ٠٠ دى سراية البرنس عباس حليم ٠٠ زعيم العمال »(٢) ٠

وريبورتاج عن عيد أول مايو(٣) ، وآخر من الاسكندرية « شركة غزل سويسرية تستبد بالعمال ٠ احدى عشر ساعة عمل ونقابة صفراء والعمال ماضون فى كفاحهم »(٤) ٠٠ ثم ريبورتاج تلعب فيه الكاميرا دورا هاما عن الفلاحين « ٨٠ بالمئة من الشعب المصرى فلاحون لا يعرفون غير الفقر والمرض والجهل » وفى هذا الريبورتاج تقدم « الجماهير » برنامجا فلاحيا « اننا نطالب بتوزيع الملكية الزراعية الكبيرة ٠٠ وزيادة الاراضى المنزرعة وادخال آلات حديثة بحيث تكون تحت تصرف صغار الفلاحين المتحدين فى جمعيات تعاونية » ٠ ثم نداء « يا فلاحى مصر ٠٠ اننا نريدكم قوة تكافح الفقر الذى تقاسونه ٠٠ .

---

١ ـ الجماهير ، ١٤ـ٤ـ١٩٤٧ ٠
٢ ـ الجماهير ، ٢١ـ٤ـ١٩٤٧ ٠
٣ ـ الجماهير ، ٢٨ـ٤ـ١٩٤٧ ٠
٤ ـ الجماهير ، ٥ـ٥ـ١٩٤٧ ٠

تكافح من اجل نقابات لكم . من اجل وحدة بينكم وبين العمال لتخلصوا مصر من الاستعمار وأذنابه »(١) .

والامثلة عديدة بغير حصر « عمال وفلاحون بالحوامدية .. واحتكاريون بعمارة الايموبيليا » وفى هذا الريبورتاج تطالب الجماهير بخلف « من العمال وأجراء الفلاحين وصغار الزارعين » وتؤكد ان استغلال « هذه الشركة للشعب لن يوقفه الا نضال فى سبيل وضع مثل هذه الشركة فى يد حكومة تديرها لصالح الشعب .. الشعب صاحب الحق الطبيعى والذى يصنع كل شئ »(٢) .

ثم ريبورتاج عن « قناة السويس .. شعب يبنى وعمال يكدون .. واستعمار يتآمر » .

ولعل من حق « الجماهير » علينا ان تذكر لها انها طالبت « بتأميل » ، أى « تأميم » شركة قناة السويس « فلتؤمل قناة السويس ولتصبح حقا للشعب الذى بناها ويعمل فيها ، فلن نقبل أن تظل أداة فى يد الاستعمار يستخدمها لعداء الشعب المصرى واستغلاله ، كما يستخدمها ضد السلام الدولى »(٣) .

ولابد أن القارىء قد لاحظ من الهوامش أننى لا إنتقى وانما امضى مع الاعداد مسلسلة من العدد ١ ولابد أن ذلك وحده يكفى دليلا على أن بقية الاعداد وهي كثيرة تزخر بريبورتاجات أخرى ... عديدة ، وتستحق الاعجاب .

وتبقى بعد ذلك كلمة عن كتاب هذه الريبورتاجات ، وفى البداية لاحظت ان التوقيع على معظمها واحد « حسنين حامد » وبدأت البحث عنه ، لكننى لاحظت انه يصعب على أى صحفى أن يتابع كل اسبوع كتابة ريبورتاج بمثل هذا المستوى العالى من الدراسة والتعمق فى فهم أبعاد المشاكل مع التنوع الشديد فى المشاكل المعروضة ...

وقيل لى ايضا ان هذه الريبورتاجات كان تعد بواسطة المكاتب المتخصصة .... فمكتب العمال يعد الريبورتاجات الخاصة بالعمال .. ومكتب الفلاحين كذلك .. الخ كذلك كان هناك مكتب خاص للريبورتاجات بالجماهير يجمع المواد التى ترد من المكاتب المتخصصة ثم يقوم ببحث ميدانى .. ثم

---

١ ـ الجماهير ، ١٩ـ٥ـ١٩٤٧ .
٢ ـ الجماهير ، ٢٦ـ٥ـ١٩٤٧ .
٣ ـ الجماهير ، ٥ـ٥ـ١٩٤٧ .

يصاغ الريبورتاج ٠٠كل ذلك فى عمل جماعى ينبثق فى الاساس من جماعية العمل الحزبى والهيئات الحزبية ٠

غير ان الكثيرين قد أكدوا لى ان « نقولا ورد » مسئول مكتب الريبورتاجات كان صاحب الجهد الاكبر فى اعدادها للنشر ٠٠

« حسين حامد » ٠٠ اذن ... ليس شخصا بعينه ، لكنه رمز للكوادر الحزبية التى انغمست فى مشاكل الفلاحين والعمال والمثقفين ٠٠ وفى كل مجال من مجالات الحياة ٠٠ تتعايش ٠٠ وتتعلم ٠٠ وتقود ٠٠ ومن خلال ذلك كله تستخلص مشكلات الشعب .. وتصوغها ريبورتاجات دافقة الحيوية ٠٠ زاخرة بكل معانى الصراع الطبقى ومعالمه ٠

❋ ❋ ❋

ومن الابواب الثابتة فى « الجماهير » « صفحة المرأة » وكما قلنا فان التوقيعات كلها مستعارة « فاطمة محمد » « سعاد » « احسان » « اليس فهمى » وان كان تحرير الصفحة موكلا الى مكتب منبثق عن « دائرة النساء » فى التنظيم ٠

وكانت صفحة المرأة فى الجماهير حريصة دوما على ابراز موقف مستقل تجاه قضية المرأة وتحريرها وحقوقها ٠٠

وابتداء من العدد ١٥ خصصت صفحة كاملة بعنوان « المرأة نصف المجتمع » تناولت عددا من الموضوعات الهامة « حياة الاسرة المصرية أساسها الملل » وفيه تناقش مشاكل الزواج كحالة اجتماعية منبثقة من طبيعة المجتمع الرأسمالى ٠ « ان مستوى المعيشة المنخفضة فى مصر وظروف المجتمع الذى نعيش فيه ، وصعوبة الحصول على الرزق تجعل من الزواج عملية بيع وشراء ، ومن الزوجة سلعة ٠ فالزوج يتزوج ليصل الى مركز اجتماعى أو كسب مادى ما كان ليصل اليهما الا عن طريق هذه الزوجة أو تلك ٠ فان فشل فى هذا الزواج تزوج ليجد خادمة رخيصة مريحة ترضى مطالبه الجسدية واليومية فى آن واحد ٠ والمرأة تتزوج لتجد موردا مضمونا للحياة لا يهمها من شريكها الا جيبه لان الرجل لا يعيبه سوى جيبه كما يقولون ٠٠ وزواج كهذا لا يتوفر فيه عادة التفاهم العقلى والروحى ٠ ... والمجتمع هو المسئول ٠٠ المجتمع الذى لا يوفر للرجل حياة مادية لائقة تغنيه عن تسقط الكسب عن طريق الزواج ، المجتمع الذى يقفل ميادين العمل أمام المرأة فيجعلها تعتمد على الرجل اعتمادا اقتصاديا كليا ٠ المجتمع الذى يجعل من كل علاقة بشرية علاقة مادية تقوم على الكسب ، ومن كل انسان سلعة تباع وتشترى » ٠

وفى نفس الصفحة موضوع عنوانه « نساء العالم يكفاحن من أجل السلام ·· نداء من الام الروسية الى الام الامريكية »(١) ·

- وفى عدد آخر مقال بعنوان « الاخوان والمرأة ·· لن تنجح الحركة الوطنية دون نوال المرأة حقوقها السياسية » فيه هجوم على مسلك الاخوان المسلمين تجاه قضية المرأة · « والاخوان المسلمون يرجون من وراء ابقاء المرأة جاهلة عاجزة مستعبدة الى خلق جيل جديد من العبيد يرضى بالاستعمار والاستغلال » وموضوع عن كفاح عاملات الجوت ومدى الاستغلال الذى يتعرضن له وموضوع آخر عن المرأة العاملة وما تتعرض له من ارهاق مادى وبدنى وعصبى فى المنزل أوالعمل ·· وعنوان الموضوع « أمهات ·· وبطلات » · وفى نهاية الموضوع تقدم « الجماهير » أو مكتبها النسائى برنامجا يحدد مطالب المرأة العاملة ·

* * *

« الجماهير ·· تطالب برفع المستوى الاقتصادى للامهات العاملات · تطالب بسن القوانين التى تحمى الامومة والطفولة ، تطالب بانشاء دور للحضانة ومطاعم شعبية رخيصة أو بالمجان ، تطالب بمنح الام الحامل اجازة مدفوعة لمدة شهر الوضع وبعده » ·

وفى مقابل ابراز الكفاح والعناء الذى تتعرض لهما المرأة العاملة تقدم الجماهير فى نفس الصفحة نموذج آخر بعنوان « خواجاية » رفضت مونا عبود بنت المليونير الكبير أحمد عبود ان تنطق حرفا واحدا بالعربية حين الح عليها مندوب الاذاعة فى لندن ان توجه كلمة بالعربية للمستمعين العرب ، وليس مسلك مونا عبود بمستغرب فهى وليدة الاستعمار الانجليزى وأبوها المليونير عميلة »(٢) ·

وتمضى « صفحة المرأة » لتواكب كفاح المرأة المصرية وخاصة كفاح العاملات المصريات « مع عاملات التليفون ·· انشئن رابطة للدفاع عن مصالحكن ·· فالاتحاد قوة »(٣) ·

وريبورتاج « عن مركز الطفل فى بولاق — ارهاق لا مثيل له — ٣١ ساعة عمل متواصلة »(٤) « بطلات اندونيسيا فى ميدان الاستعمار ١٢٠ فتاة يعشن فى خندق »(٥) ·

---

١ — الجماهير ، ١٩٤٧/٧/١٤
٢ — الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٢١
٣ — الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٤
٤ — الجماهير ، ١٩٤٧/٨/١١
٥ — الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٢٣

وعندما انتشر وباء الكوليرا ، كانت « صفحة المرأة » تلعب دورها كمنظم لحركة النساء فى مكافحة الكوليرا « الكوليرا تشتد ، نحن مع الشعب اينما كان »(١) .

وفى بعض الاحيان تقدم صفحة المرأة ركنا عن « المرأة فى السودان »(٢) .

.. وباختصار فان متابعة « صفحة المرأة نصف المجتمع » فى مختلف اعداد « الجماهير » يمكنه ان يقدم لنا فكرة عن مدى ارتباط « الجماهير » بمشاكل النساء العاملات .

. كما انها توضح لنا - بصورة أو باخرى - نوعية النشاط الذى كانت تمارسه « دائرة النساء » فى تنظيم « حدتو » والبرامج والاهداف التى كانت تتبناها ..

*** 

.. ثمة أبواب اخرى على نفس النمط .. « ركن الطلبة » « ما وراء القوانين » وفيه تحاول « الجماهير » ان تقدم لقرائها وبشكل مبسط دراسات قانونية تساعدهم على التمسك بحقوقهم أمام النيابة أو البوليس لدى أى قبض أو تحقيق معهم .. فهو يقدم دراسات عن « التحقيق » و « الاتهام » و « الحرية الشخصية » .. الخ .

وبعد الوحدة مع « ح.م » بدأت تبرز أركان ثابتة عن « السودان » و « النوبة » ..

***

وبالنسبة للشعر الثورى .. لم تكن « الجماهير » مجرد منبر فتح صفحاته أمام الشعراء الثوريين ليصوغوا آلام شعبهم ملتهبة ، وانما كانت وبحق المجال الذى تبلورت فيه مدرسة الشعر الثورى المعاصر .. وعلى صفحاتها قدم الشعراء اليساريون قصائد رددتها جماهير الشعب فى مظاهرات صاخبة ، ورددتها الرجعية فى رعب قاتل ..

وتبدأ « الجماهير » رحلتها مع الشعر الثورى بقصيدة تقول :

« نحن فى السجن وللسجن ظلام وغيوم

....

---

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/١٠/١٢

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٨/١١ .

نحن فى السجن وتحت الشمس أنصار الظلام
هم أرادوا أن يظل الشعب عبدا يستضام
فأردنا أن يعيش الشعب حرا لا يضام
ولهذا فلنا السجن جزاء وانتقام
ولهم تنصب رايات وأعراس تقام

يا رفاقى نحن فى السجن جنود فى كفاح
نحن لن يرهبنا السجن ولن نلقى السلاح

ولنا النصر وللنصر مساء أو صباح
حينما نقذف للسجن بأعداء الكفاح (١)

* * *

وقد نشرت القصيدة بغير توقيع لكن المعروف إنها لكمال عبد الحليم ..
وإذا أردنا نموذجا آخر فهناك قصيدة « العدالة والمواثيق » لمحمود توفيق :

حكموا فلتحكم الأرض لنا
يوم تروى بالدماء القانية
قد أقاموها حصونا وقلاعا
فلنحطمها كفاحا وصراعا
يا شعوب الأرض هذا يومنا
فانهضى قد مزق الوحش القناعا (٢)

* * *

فاذا كنا بحاجة الى نموذج آخر فهناك القصيدة الشهيرة التى رثى بها
كمال عبد الحليم الرفيق فهد وغيره من شهداء الحزب الشيوعى العراقى :

ماتوا الحبال من الإشواك واجتمعوا
لدى الحبال وماتوا من تشبثونا
وجمعوا الجيش فى زاهى الثياب ولا
تنسوا القضاة فقد كانوا مطيعينا
قد أبصر الشعب من بين الدموع ومن
بين الحبال دخيلابات ملعونا

---

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٢٨
٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٣٠

فأقســـم الشـعب ان يلقى بشـــــانقه،
الى الجبــــال لكــى يحمى الملايينـــــا (١)

كذلك قدمت « الجماهير » نماذج ناجحة من الشعر العامى بتوقيم « ابن الدهماء »

❋ ❋ ❋

وقدمت قصصا قصيرة كان معظمها بتوقيع « مخلص ابراهيم » ( ابراهيـم عبد الحليم ) وقصصا مترجمة لاعلام الادب الاشتراكى ومنها « ابن الثورة » نيقولا استروفسكى (٢) البهلوان لانطوان تشيكوف (٣) ضـموا الصـفوف للكاتب الامريكى كارل أوفورد (٤) والثائر الصغير للكاتب التشيكى جان ارادا .. وقصص أخرى لمكسيم جوركى وهوارد فاست .. الخ .

وهناك دراسات ممتازة للمدرسة الاشتراكية فى الادب .. منها محاولة جادة لتلخيص أفكـار « ميخائيل كالينين » عن الفن . وفى هذه الدراسة يقول كالينين « على الفنــان فى بلادنا أن يتجه نحو الشعب حتى يصبح عظيما » وهو يدعو الفنــان الى أن « يكون صادقا لا من الناحية الفنية وحدها ، بل وأن يبحث عن حل للمشاكل الاجتماعية هادفـا نحو مثل اجتماعى أعلى ولحياة انسانية أفضل » ويلخص كالينين أفكـاره فى عبارة موجزة « الفن هو الحقيقة »

وثمة دراسات أخرى عن السينما المصرية ونقـد لبعض أفلامها يمثل فى اعتقــادنا أول محاولات ماركسية جادة فى هذا الصدد ..

❋ ❋ ❋

وفى هذه اللمسات الاولية تعرضنا لاشياء كثيرة ، وأســـماء عديدة لكن اسما هاما لم يسلط عليه الضوء بعــد .. رغم انه الاسم الوحيـد الذى لازم كل أعداد « الجماهير » .. محمود النبوى المحـامى .. صاحب الامتيــاز ورئيس التحرير المسئول . والنبوى لم يكن مجرد شخص حصل على رخصة لاصدار المجلة ، صحيح ان اختياره من قبل « ايسكرا » للحصول على الترخيص قــد راعى أنه ابن واحـد من كبـار حكـام مصر فى ذلك الحين ، وأن هذا سوف يكفل له الحصول على الترخيص ويكفل لمحاولته الحماية .

لكن ذلك كله لا ينفى أن « محمود النبوى » كان واحـدا من كـوادر « أيسكرا » ثم « حدتو » وانه كان يمارس دورا سياسيا هاما فى المجلة ..

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦
٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٩
٣ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/١٠/١٢
٤ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٨/١١

كما أنه وبعد فترة من الوقت كان واحدا من اللجنة السياسية الحزبية المشرفة على «الجماهير» ..

ولقد تصورت أن هذه الملاحظة ضرورية حتى لا يخطىء البعض فيتصور أن الرجل كان مجرد صاحب رخصة .. لمجلة ..

* * *

والآن .. وبعد كل هذه المقدمات يبقى الامر محيرا .. ماذا نعرض وماذا نبرز .. من كل هذه الاشياء الهامة ، بل والبالغة الاهمية - سواء من الناحية التاريخية أو من الناحية السياسية - التى تتضمنها مجموعة أعداد « الجماهير » .

ان الاختيار صعب والمفاضلة اصعب .. لكننا سنحاول الامساك بعدد قليل من الخيوط الأساسية ..

مدركين أن القارىء - لا بد وانه يشعر - أن اية محاولة للاجتزاء هى بالضرورة محاولة قاصرة .. لكن الاستعراض الوافى لاعداد مجلة كهذه يحتاج وحده الى أكثر من كتاب .

* * *

ونقطة البدء هى افتتاحية العدد الاول التى حاولت فيها « الجماهير » أن تقدم نفسها كمنبر جديد .. « ليست الجماهير مجرد اسم يوضع فى صدر صحيفة ، انما هى أعمق من هذا بكثير ، هى صوت الملايين من العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين الوطنيين ، الملايين التى تموج بها ضفاف النيل ، تناضل استعمارا بغيضا وتنشد استقلالا كريما .. و « الجماهير » تعلنها حربا شعواء لا هوادة فيها ضد كل الوان الاستعمار سياسيا كان أم اقتصاديا أم ثقافيا ! ولن ترضى الملايين - و « الجماهير » معها - الا بجلاء ناجز عاجل ، جلاء عن الوادى من المنبع الى المصب . و « الجماهير » اذ تناضل المستعمرين لن تغفل عن الخونة والمتهاونين والمترددين والخائفين ، أولئك الذين يختفون وراء مصريتهم ليكيدوا لمصر مع الكائدين ; سنكشف عن هؤلاء جميعا وسنظهرهم على حقيقتهم للجماهير .

و « الجماهير » اذ تخوض معركة الحرية والاستقلال لا تخوضها عبثا ، انما تسعى الى ديمقراطية صحيحة ، فكل انتقاص من حرية الرأى والصحافة والانتخاب انما هو تعضيد أكيد للمستعمرين .. و « الجماهير » لا تؤمن باستقلال أجوف ، تظل فيه الملايين جائعة عارية جاهلة مريضة ، انما تريد استقلالا يكفل لكل فرد الحق فى أن يعمل ، وفى أن يوجد له هذا العمل ،

ويتمتع فيه كل فرد بمسكن وطعـام وثقـافة تليق بانسان كريم ، ويوفـر العلاج لمن مرض ، والطمانينة لمن هرم أو تقدمت به السنون ٠٠ »(١) ٠

وفى افتتاحية العـدد الثانى هجوم شديد على حكومة الاقليات ودفاع عن الحرية والديمقراطية والعنوان يستمد نغمته من لهجة الصحافة المعارضة فى ذلك العصر « طبلوا ٠٠ وزمروا ٠٠ وأقيموا الافراح » وختام الافتتاحية « افعلوا ما تريدون ودعوا مصر ، فانتم فى واد والشعب فى واد ، قـولوا بما تحبون فللشعب لغة لا تفهمونها ـ لغـة لا نفـاق فيهـا ولا ريـاء ، لغـة الكفـاح من أجل الحرية الصحيحة والديمقراطية الشاملة والاستقلال الكامل »

فاذا انتقلنـا الى العـدد الثالث نجـد الهجوم أكثر وضوحا ، والاعداء أكثر تحـديدا أنهم « محور ترومان ـ بيفن ـ النقراشى ٠٠ الوطن فى خطر » ٠ فبينما كان الصراع محتـدما ضـد الاستعمار الانجليزى ، كان يتعين أيضا لفت الانظار الى استعمار جديد يتسلل ٠٠ « ان الاستعمار الامريكى يرى نفسـه الوريث الوحيـد للامبراطورية البريطانية والتقـاليد الهتلرية فهو يسعى الى السيطرة على العالم وعلى مصر ٠ وهو اليوم يكتفى باستعمار اقتصادى وسياسى وهو اليوم يتوسط لفرض معاهدة تحمى مصالحه ، ولن يستبعد فى الغـد أن يبعث هو الآخر بجيوش احتلال »(٢) ٠

لكن محور ترومان ـ بيفن ـ النقراشى يعرف أن ثمة قوى تكشـفه وتقـاومه ، ويعرف « ان الشعب لا يرضى أن يستبدل استعمارا باستعمار ٠ ولا أن يضيف استعمارا الى استعمار ٠ انما يريد الحـرية التـامة لمصـر والسودان »(٣) ٠

وهذه هى أول افتتاحية موقعة تنشرها « الجماهير » والتوقيع « حمدى » ( شهدى عطية الشافعى ) ٠

ولم يكن ذلك كله غير تمهيد أولى لمعركة تستعد لهـا « الجمـاهير » وتفجرها فى الافتتاحية التـالية التى كتبهـا « محمود حمـدى » وهو أيضـا ( شهدى الشافعى ) ٠٠ والعنوان صريح صارخ « يريد الشعب حزبا ٠٠ من نوع جـديد » هنا نصل الى بيت القصيد ، الى جوهر المعركة التى قامت « الجماهير » لتخوضها ٠٠ حق الطبقـة العاملة والجماهير الكـادحة فى تأسيس حزب يمثل ارادتها ومصالحهـا ٠

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٧

٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٤/١٤

٣ ـ الجماهير ، ١٩٢١/٤/٢١

ولقد حرصت « الجماهير » على أن توجه هذه الدعوة على صفحات العدد الخاص الذى أصدرته بمناسبة أول مايو « أول مايو من كل عام .. يوم خلده التاريخ بحروف من نور ونار .. ليخلدن هذا اليوم .. وليكن يوم العمال .. يوم الشعوب .. يوم الكادحين . وليكن رمزا خالدا لكفاح العمال ضد الاستعباد والاستغلال والاستعمار . رمزا لنضالهم من أجل الحرية والسلام » . وبعد هذه المقدمة « ان العمال ليدركون أن التاريخ قد عهد اليهم برسالة مقدسة .. أن يحرروا العالم من عبودية استمرت أجيالا وراء أجيال وأن عليهم ان يشيدوا عالما لا يعرف البطالة والحرمان عالما لا يعرف الخوف والجوع .. وهم يدركون أنه دون ذلك .. عرق ودماء وفى سبيل ذلك .. جهاد ونضال . ولكنهم لن يخسروا فى النضال شيئا .. سوى الأغلال » .

ومن هذه المقدمة الثانية .. نصل الى درس ثالث « وقد جرب العالم العمال فى الحرب العالمية الثانية ... فما وجد أصلب منهم عودا ولا أكثر جلدا ولا أوضح رأيا ، ولا أقوى تنظيما ضد الطغاة والمستبدين ! ولهذا التف حول قيادتهم الفلاحون والطلبة والمثقفون فى خلال الحرب وفى أيام السلام .. ولهذا نجد اليوم فى أكثر بلدان العالم احزابا عمالية مخلصة يتجمع حولها الملايين » .

ثم تنتقل الافتتاحية الى .. مصر « وهذا أول مايو فى مصر ... وفى مصر استعمار واستعباد ولكن فى مصر عمالا قد ازدادوا عددا ووعيا .. وقد تجاوزوا المليون عدا .. وهم عارفون ان المسئول الأول عما يقاسونه من جوع وحرمان وارهاق هو الاستعمار واذنابه .. وهم لهذا يدركون ان حريتهم ومستقبلهم وعائلتهم بل أن كيانهم ذاته مرتبط أشد الارتباط الارتباط بنضالهم ضد الاستعمار وحلفاء الاستعمار ، فمعركة تحرير مصر والسودان هى معركتهم ، وقيادة الجموع من أجل الجلاء التام هى مهمتهم » .

ثم هو يعلن قيام القيادة الجديدة .. قيادة العمال « وقد تجلى هذا رائعا يوم الجلاء يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ فقد كان هذا اليوم ايذانا بفجر جديد ، ايذانا بأن العمال المصريين سيتولون بأنفسهم قيادة النضال من أجل الحرية والاستقلال ، ولهذا فزع الاستعمار فزعا شديدا ... ولكن الطلبة والفلاحين والمثقفين الاحرار رحبوا بها ، فهم يحسون بحاجتهم فى هذه الازمة الحرجة الى قيادة صلبة لا تعرف تهادنا . ولا ترضى بأدنى تحالف مع الاستعمار ، والعمال أعداء ألداء للاستعمار فلا تربطهم به ثمة مصلحة وليس بينه وبينهم سوى بحر من الدماء . وجموع الفلاحين تتطلع الى قيادة مخلصة تعمل للدفاع عن حريتهم وحقوقهم ، وترفع عنهم

القيود والاغلال ولن تجد هذه الجموع سوى قيادة العمال .. وفي يوم أول مايو من كل عام يحدد كافة عمال العالم برنامجهم للعام الجديد فليكن برنامج العمال المصريين هذا العام ضم صفوفهم بعد تطهيرها وتوحيد كلمتهم تحت قيادة حزب من نوع جديد : حزب يمثلهم أصدق تمثيل ، حزب يلتف حوله ملايين الفلاحين والطلبة والمثقفين ، حزب يقود الكفاح كفاحا لا يلين .. ويسير بالملايين سيرا لا هوادة فيه نحو الحرية والديمقراطية والاستقلال »(١) .

ولم تكن هذه الافتتاحية سوى بداية .. لكن هذه البداية الطموحة قد أثارت كثيرا من الجدل والتحفز ، والغريب ـ وربما الطبيعى ـ فى الامر هو ان أول حملة نقد أو هجوم على مقال شهدى قد جاءت من يسار حزب الوفد .. على اعتبار أن الوفد هو الحزب المؤهل تاريخيا لقيادة الصراع الوطنى والاجتماعى معا ، وان أى كفاح طبقى يجب أن ينصب من صفوف الوفد الى داخل الوفد نفسه لتحويله وتطويره الى حزب يتبنى مصالح الطبقات الكادحة .. واذا كان بعض اليساريين من جماعة « الفجر الجديد » قد سايروا اليسار الوفدى فى موقفه هذا على أساس أنها خطوة تكتيكية ضرورية ، فان شهدى وتنظيمه كان ينظر للوفد نظرة أخرى تماما .. نظرة أساسها التحالف ولكن من أرضيات مختلفة .. تحالف مع النقد والصراع ..

وهكذا يجد شهدى نفسه مضطرا الى أن يعود فى العدد التالى الى التأكيد « نعم ! يريد الشعب حزبا من نوع جديد » والبداية نقد للنقد « خرجت علينا زميلة وفدية صديقة بمقال وجه فيه كاتبه اتهامات خطيرة لمجلة « الجماهير » فزعم أنها خاطئة فى دعوتها الى تكوين حزب من نوع جديد . »

وقد كان النقد « الوفدى » منصبا على أساس أن مثل هذا الحزب يفتقد الى برنامج .. والى العناصر القيادية التى تمرست فى المعارك كل يوم .. وانه ليس لدعاة هذا الحزب أعمال جماهيرية توصل بتأثيرهم الى مراكز عصبية شتى .. وردا على هذه الدعاوى قالت الجماهير « اننا ندرك الهدف واضحا محددا لا يعتريه ابهام ولا غموض » وتجدها فرصة لتقدم برنامجا مرحليا .. « الكفاح من أجل الجلاء التام عن وادى النيل دون قيد أو شرط ، دون مجلس دفاع مشترك ، أو تحالف عسكرى

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٢٨ .

.. والتحرر من كافة القيود الاقتصادية والسياسية التى فرضها ويفرضها علينا الاستعمار .. وانا لندرك أن المحافظة على المكاسب الدستورية والتوسع فيها ، والكفاح من أجل الحريات العامة : حرية الاضراب والتظاهر والاجتماع وحرية الرأى والعقيدة والصحافة والكلام .. وحرية العمال فى إقامة نقابات حرة وإقامة اتحاد عام لهذه النقابات ، كفاح لا ينفصل فى سبيل الاستقلال . وانا لندرك أن عزل الخونة من ميدان القيادة هو الشرط الاساسى فى سبيل انطلاق الجموع ضد الاستعمار ، وانا لنعرف جيدا أن الاستعمار لن تجدى معه مفاوضات أو مناورات . ان الأمم لا تتحرر الا بنضال مرير تقوم به الملايين وتقوده الطليعة الواعية من العمال ، وانا لندرك أن الاستقلال يعنى ويستهدف كذلك تحرر الشعب من الاغلال التى تكبل نهضته الاقتصادية من احتكارات وملكيات كبيرة ، وان التخلص من هذه الاغلال جزء لا يتجزأ من الكفاح ضد الاستعمار » .

وتلخص « الجماهير » برنامجها فى عبارة موجزة مركزة « استقلال كامل وديمقراطية اقتصادية وسياسية واجتماعية كشيئين لا يتجزءان » لكن .. « الجماهير » تحرص فوق ذلك على التأكيد بأن « النهضة الاقتصادية وهذا الاستقلال لن يدعمه سوى قيام حكومة شعبية ديمقراطية على رأس البلاد ، تزداد درجة تمثيلها للكادحين على مر الايام »

أما انكار « الوفد اليسارى » لوجود « عناصر قيادية » تصلح لتأسيس مثل هذا الحزب .. فان الجماهير ترد عليه « يريد الكاتب أن يقول أنه ليس هناك عناصر قيادية بعد كفاح دام عدة سنوات ؟ ان كان الكاتب لا يعرف فنحن نؤكد له أن هناك عناصر قيادية صلبة تتزايد وتنمو باستمرار واطراد ، ثم اننا لنعجب ونتساءل .. كيف تتكون العناصر القيادية الا فى ميدان الكفاح ، فهو يقول « اعتادوا أن يحتفلوا بسعد كما يحتفل كل الناس بذكرى موتاهم وكيف تقوم لهذا الكفاح قائمة دون تنظيم ؟ وهل هناك ما هو أرقى من الحزب للتنظيم ولتوجيه الكفاح ؟ أيدعو الكاتب الى الانتظار حتى يهبط القادة من السماء ؟ ثم يدعو الى الصبر والاصطبار حتى تقوم الجماهير دون قيادة واعية وطليعة مدركة قاعمة فى حزب جديد » .

الى هنا ونكاد نلمس أن الحوار لا يجرى بين « الجماهير » وزميلة وفدية صديقة ولكنه يجرى بالنقة بين « ايسكرا » و « ح.م » من جانب وبين جماعة « الفجر الجديد » من جانب آخر والتى كانت ترفض فكرة اعلان الحزب لنفس الاسباب التى وردت فى هذه « الزميلة الوفدية »

وهى نقص الكوادر ، عدم وجود برنامج ، ضعف امكانيات الطبقة العاملة ٠٠ وبناء عليه فقد تمركزت هذه الجماعة بعد اغلاق « الفجر الجديد » وتصورها لعدم نضوج فكرة إعلان قيام تنظيم شيوعى تمركزت ـ لفترة ما ـ فى عدد من المجلات والصحف الوفدية .. بمحاولة النشاط وسط ما أسمى « بيسار الوفد » ٠

وتختتم « الجماهير » مقالها الصريح ٠٠ الغاضب بعتاب « ولنبيا عتاب على الزميلة الوفدية الصديقة فلتذكر دائما أننا نمد أيدينا فى حرارة وقوة لنكافح مع المجاهدين ولنسير صفا مع المخلصين الراغبين فى حرية بلادهم واستقلالها ، ولتذكر الزميلة أن كل تفرقة وخصام بين الوطنيين انما هو عون للاستعمار وقوى الظلام »(١) ٠

لكن هذا الرد العنيف لم ينه المسألة ، فقد ظلت العلاقة بين التنظيم الشيوعى وحزب الوفد بحاجة الى مزيد من الدراسة المتأنية ، خاصة وأن البعض كانوا يحاولون الوقيعة بين الوفد وما يلتف حوله من جماهير فى مختلف المجالات وبين الشيوعيين ، بحجة أن مجرد اعلان قيام تنظيم مستقل للطبقة العاملة هو تحد لقيادة الوفد ، وتكتب « الجماهير » بعنوان « ان التحالف بين العمال والوفد شرط اساسى لزوال النظام الحاضر ـ لتحقيق الديمقراطية ـ للقضاء على الفاشية ـ لتحقيق الجلاء عن وادى النيل ». مقالا ضافيا فى وسطه برواز يقول لقد سبق أن أوضحنا فى العددين الاخيرين أهمية تكوين حزب سياسى مستقل للطبقة العاملة . وأوضحنا دوره القيادى فى ميدان الكفاح الوطنى والنضال من أجل الحرية والديمقراطية ٠ ولكن مع الاسف قد أساء البعض فهم موقف هذا الحزب من الوفد لذا رأينا أن نوضح هذه المسألة لما فى ذلك من أهمية بالغة لقضيتنا » ٠ وبعد مقدمة نظرية عن طبيعة التطورات التى طرأت على مصر والبلاد العربية بعد الحرب العالمية الثانية ومنها ابعاد الوفد عن الحكم وفرض حكم الاقلية غير الدستورى ٠ تقول « الجماهير » « ويدرك الاستعمار ، كما يدرك أنصار النظام الحاضر فى مصر أن اعطاء الفرصة للشعب ليعبر عن أرادته فى انتخابات حرة جديدة معناه اقامة حكومة ديمقراطية وخلق الظروف المناسبة لتقدم الحركة الوطنية والعمالية تقدما سريعا ٠٠ ويدركون من ناحية أخرى أن مزاولة الحركة العمالية والطبقات الشعبية لحرياتها السياسية والنقابية تؤدى الى تمهيد السبيل للقضاء العاجل على النظام الحاضر ، لذا نرى أسلحة الاستعمار والنظام الحاضر مسلطة بصفة اساسية ضد الوفد والحركة العمالية ٠٠ ان الزوال للنظام الحاضر واجراء

---

١ ـ الجماهير ١٩٤٧/٥/٥

انتخابات حرة هو الهدف المباشر الذى يربط الحركة العمالية والوفد فى حلف جماهيرى » .

وهناك ايضا موقع آخر للتحالف وهو الدفاع عن الحقوق والحريات الدستورية ذلك « ان التحالف بين الحركة العمالية وطليعتها الواعية وبين الوفد اساسى لاستعادة حريات الشعب المسلوبة والكفاح المشترك للعمال والجماهير الوفدية فى المدن والقرى ، هو الطريق الوحيد لتحطيم القيود التى تخنق حرياتنا الديمقراطية » .

لكن مثل هذا التحالف يجب ان يقوم على اساس برنامج محدد .. وتقترح « الجماهير » البرنامج وتقول « انه برنامج وطنى مشترك يقوم على اساس حكومة ديمقراطية تعمل على تحقيق الجلاء التام فورا عن وادى النيل دون أى تحالف مع الاستعمار .. التوسع فى الحريات الديمقراطية كجزء لا يتجزأ من الاستقلال ـ تاميل ( تأميم ) الصناعات الكبرى وتوزيع الملكيات الزراعية الكبيرة المتعاونة مع الاستعمار » .

وعلى التحالف المنشود أن يقف بصلابة ضد التجمعات الفاشستية ( الاخوان المسلمين فى الاساس ) « ولذا فان توحيد صفوف الطبقة العاملة المصرية بقيادة حزب سياسى مستقل جديد ودخوله فى جبهة ديمقراطية مع الوفد ـ مستندة الى كفاح الجماهير ـ هو الضمان الوحيد للقضاء على الفاشية عدوة الشعب ربيبة الاستعمار » .

وتختتم « الجماهير » مقالها التاريخى « ان تكوين جبهة قوية من حزب الطليعة العمالية والوفد ، انما يعكس ويعبر عن أمانى الملايين من العمال والفلاحين ويقود وحدة الشعب فى الكفاح من أجل الحرية والديمقراطية والاستقلال »(١) .

واذا حاولنا تتبع العلاقة بين « الجماهير » وتنظيمها « حدتو » وبين الوفد ، فاننا نجد تعليقا بعنوان « حول بيان الوفد » فيه تأييد للبيان الذى أصدره الوفد معلنا انه سيقوم بتنظيم حملة دعائية للقضية الوطنية على نطاق العالم .. « وتحيى الجماهير فى الوفد هذا الاتجاه » .

لكن « الجماهير » تقول وهى تؤيد الوفد وتهاجم معارضيه اصحاب حكم الاقلية لانهم يأخذون « على الوفد هذا الاتجاه الجديد فان الوطنيين يرون على العكس انه لابد من زيادته ولابد من توضيح الخطوات العملية التى ينبغى ان تتخذ . لقد جاء بيان الوفد فى اللحظة المناسبة ، وبقى ان يبدأ العمل »(٢) .

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٢/١٢ .
٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/١٦ .

وكانت بوادر التفاهم حول شكل العمل الموحد بين طلاب كل من «ح.م» و «ايسكرا» وبين طلاب الوفد قد بدأت فى عام ١٩٤٦ فى صفوف «اللجنة الوطنية للطلبة والعمال» .

.. ولكن عام ١٩٤٧ قد شهد تحالفات أخرى بين الشيوعيين والوفد وخاصة فى صفوف نقابة المحامين كما حدث مثلا فى الجمعية العمومية العادية للنقابة التى انعقدت فى ٢٧ يونيو ١٩٤٧ «للنظر فيما يجب اتخاذه من اجراءات سريعة وحاسمة لحفظ الضمانات التى كفلها القانون للمتهمين والمحامين . وكانت جلسة صاخبة تميزت بثورة المحامين لما يلاقونه هم والمتهمون من العسف والارهاب فى العهد الحاضر» وقد أبرزت «الجماهير» بشكل خاص دور د. عزيز فهمى ، وامتدحت موقفه فى هذا الصدد . وهو كما يعلم الجميع واحد من أقطاب الشباب الوفدى .»(١) .

ومن الواضح ان ثمة علاقة خاصة كانت قد نشأت بين «الجماهير» و «د. عزيز فهمى» وفى حديث أجرته «الجماهير» مع عزيز فهمى حرص على ان يوجه تحية حارة اليها قائلا «قد نختلف فى بعض الآراء السياسية ، ولكن لا أخفى اعجابى بحملات الجماهير فى مكافحة الاستعمار وأعوانه فى مصر ، ودفاعها القوى عن الحريات العامة . كما أعلن اعجابى بدفاعها عن العدالة الاجتماعية أى دعوتها الحارة لرفع مستوى الطبقات الشعبية» .

وفى نفس الحديث يصف «عزيز فهمى» قانون مكافحة الشيوعية بأنه «الاسلوب الثالث من أساليب الاستعمار .. فتحت ستار مكافحة الشيوعية يحاولون القضاء على كل معارضة ، وكبت كل صوت حر . واخماد كل حركة وطنية .. واليك الدليل العملى ، عندما طبق هذا التشريع الباطل هل اقتصر على اليساريين وحدهم ام امتد الى الشباب الوفدى وشباب الكتلة ؟ وعندما قام صدقى بحملته فى ١١ يوليو سنة ١٩٤٦ هل اقتصر الامر على اليساريين ام امتد الى الوفديين وغيرهم من المعارضين ؟ »(٢) .

وعندما ألقى القبض على عدد من الصحفيين الوفديين حرصت «الجماهير» على تنظيم حملة للدفاع عنهم تحت عنوان «استنكار عام .. لاعتقال الصحفيين ـ القبض على الصحفيين خدمة للاستعمار ..» .

وتطالب «الجماهير» فى حملتها هذه بحل نقابة الصحفيين لانها لم تدافع عن اعضائها المقبوض عليهم .. ويساندها فى حملتها هذه .. ايضا عزيز فهمى (٣) .

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٧ .
٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٧/١٤ .
٣ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/١٤ .

بل إن « الجماهير » تحتفل « بذكرى سعد » ولكن على طريقتها الخاصة فهي تقول « اعتادوا أن يحتفلوا بسعد كما يحتفل كل الناس بذكرى موتاهم ويعددون مآثره بشكل بعيد عن واقع كفاحنا ، وحتى خصومه وخصوم الوطن الذين طالما حاربوه حيا أرادوا أن يجعلوا منه صورة مقدسة أليفة . حتى ينسى
طالما حاربوه حيا أرادوا أن يجعلوا منه صورة مقدسة أليفة . حتى ينسى
الناس سعد الثائر الوطني والمكافح الديمقراطي عدو الاستعمار الاجنبي والاستبداد ، إن سعداً أبعد ما يكون عن هذه الجثة المقدسة ، انه حي بموافقة الاستعمار ، حي بأقواله التي لا يعترف فيها بغير الأمة سيدا . حي بإيمانه بالطبقات الكادحة .. هذا هو سعد كما يجب إن نراه .. لن نتكلم في ذكراه ولكن فلندعه يتكلم هو .. »(١) . ثم تورد « الجماهير » مجموعة من أقواله يدافع فيها عن حقوق الوطن ويشن حملات عنيفة ضد الاستعمار .

وعندما مات صبري أبو علم تنعيه « الجماهير » قائلة « مات صبري أبو علم .. فكان موته خسارة كبيرة للوفد والمعارضة .. مات صبري أبو علم ولكن قضية الحريات التي دافع عنها في مجلس الشيوخ ما زالت قائمة . مات صبري أبو علم ولكن عشرات الطلبة الوطنيين - الذين عودهم الدفاع عنهم - ما زال يلقى بهم في غياهب السجن .. ان الشعب يذكرك يا صبري يوم هببت معه في ثورته الخالدة سنة ١٩١٩ . يوم دافعت عن حريات الصحافة المهددة ويوم وقفت تطالب في مجلس الشيوخ بأن يصدر قرار بأن مصر والسودان وحدة لا تتجزأ . وان مطالب البلاد هي الجلاء الناجز عن مصر والسودان من غير تحالف . ان الشعب ينعيك يا صبري »(٢) .

ومع تطور واقع الكفاح الوطني تدعو « الجماهير » الى تأسيس جبهة وطنية .. وتحت عنوان « لابد من جبهة وطنية من نوع جديد تحمل لواء الكفاح في سبيل الحرية والديمقراطية والاستقلال » يكتب محمود حمدي ( شهدي الشافعي ) مهاجما الجبهة الرجعية التي تحالفت في صفوفها احزاب « مصر الفتاة » والسعديين والدستوريين والشيخ البنا وحافظ رمضان وجبهة مصر » ويؤكد انه من المستحيل « على احزاب الاقلية والفاشية وشبه الفاشية ان تخدم القضية الوطنية .. ان الدستوريين والسعديين تربطهم بالاستعمار مصالح مشتركة في الشركات والاسهم والسندات . أما الاحزاب الاخرى الفاشية فهي قد تتحدث في خطب ملتهبة ضد الاستعمار ، ولكنها لا تتأخر عن الاستنجاد

---

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٢٣ .
٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٢١ .

باستعمار أقوى ، لقد كانت بالامس تلجأ الى هتلر وموسليني ، ونراها ترحب اليوم بترومان ومارشال فى الوقت الذى تخطب فيه ود بيفن وآتلى » .

وفى مواجهة التجمع الرجعى تدعو « حدتو » الى جبهة وطنية من نوع جديد .. « لا عبرة بجبهة وطنية الا اذا كانت تضم صفوف الشعب كله .. أن هذه الجبهة يجب أن تضم الوفد الذى رفض مبدأ التحالف العسكرى مع الانجليز وطالب بالجلاء بدون قيد أو شرط ، و الساخط على كل خارج على الدستور .. ان هذه الجبهة يجب ان تضم الكتلة ايضا فهو حزب معارض للعهد ويضطر تحت ضغط الجماهير ان يشهر حربا على معاهدة الذل .. انهما حزبان تتبعهما جماهير راغبة فى الحرية والديمقراطية والاستقلال .. ولكن جبهة وطنية من هذين الحزبين لا تكفى . نعم ان لهما جذور عميقة فى الشعب لا يمكن نكرانها ولكن هناك الطليعة العمالية التى وقفت موقفا صلبا عنيدا امام الاستعمار ايام الجلاء و ٢١ فبراير ... ولكن حتى هذا لا يكفى فلابد ان تنضم الى هذه الجبهة كل المنظمات الشعبية من نقابات عمال مخلصة واتحادات للنقابات ، ومن اتحادات وجبهات للطلبة الوطنيين المخلصين ومن رابطات نسائية تجذب جماهير متزايدة من النساء الى الحركة الوطنية ، ومن روابط بنقابات ذوى المهن الحرة كالاطباء والمحامين والمهندسين » .

هذه هى قوات الجبهة .. فما هو برنامجها « .. ان جبهة كهذه ستضع فى رأس برنامجها التحرر التام من الاستعمار ، والجلاء فورا عن وادى النيل دون قيد أو شرط .. وستكافح هذه الجبهة لازالة العهد الحاضر المتحالف مع الاستعمار ، وتثبيت الحقوق الدستورية روحا ونصا والتوسع فى الحريات الشعبية ، حرية الرأى والاجتماع وحرية واسعة للنقابات ـ حريات شعبية هى الشرط الاساسى لتجمع الشعب كله عمال وفلاحين وطلبة ومثقفين ـ فى صفوف متراصة ضد العدو الاكبر »(١) .

وتحاول « الجماهير » ان تضع شعارها موضع التنفيذ فتتوجه الى فؤاد سراج الدين لتسأله عن رأيه فى عريضة النقراشى الى مجلس الامن .. ثم تتوجه الى مكرم عبيد زعيم حزب الكتلة لتسأله رأيه أيضا . ونلاحظ هنا أن مكرم عبيد يتخوف من مجرد الحديث الى « الجماهير » لانها مجلة يسارية محددا بذلك موقف قيادة حزبه من الدعوة لتأسيس الجبهة »(٢) .

غير ان هذه الدعوة وبرغم معارضة القيادات التقليدية سرعان ما تتخذ طابعا عمليا فى صفوف الشباب فتنشر « الجماهير » نداء بعنوان « اطلاق

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٣٠ .
٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٣١ .

الحريات : » يقول « وتعتبر الاحزاب والهيئات الموقعة على هذا ان اطلاق الحريات فى هذه المرحلة الحاسمة هو الضمان الوحيد لقطع الطريق على كل شرط » ويوقع النداء عن الشباب الوفدى وجيه راضى ـ سيف الدين الغزالى ، وعن رابطة الطلبة المصريين . سعد زهران ـ ميشيل كامل ( حدتو ) ، ومندوبون عن شباب حزب الكتلة وحزب العمال الاشتراكى ، والجبهة الاشتراكية ( فتحى الزملى ) ، وممثلى مؤتمر نقابات العمال العالمى ( مراد القليوبى وهو عضو حدتو ) ويوقع النداء عن الشباب الوفدى وجيه راضى ـ سيف الدين الغزالى(١) .

ومع تطور الاحداث يتطور شعار « الجبهة الوطنية من نوع جديد » الى شعار « الجبهة الشعبية الوطنية » والفارق واضح فقوات الجبهة الشعبية الوطنية هى كما تقول « الجماهير » « العمال والفلاحين والطلبة والموظفين . جبهة تضم كل وطنى مخلص مهما كان لونه ومهما كان حزبه » أى ان « الجماهير » وقد اصطدمت برفض القيادات التقليدية لحزبى الوفد والكتلة لاى تحالف مع الشيوعيين أو حتى بعضها البعض تحاول ان تخوض معركة توحيد الصفوف الوطنية بدعوة القواعد الحزبية المخلصة الى « جبهة شعبية » « وها نحن الديمقراطيين نرفع لواءنا لواء الوحدة الوطنية لواء الجبهة الشعبية ضد الاستعمار ، وها نحن الديمقراطيين نمد أيدينا فى قوة وحرارة واخلاص الى كل وطنى .. الى كل حزب وهيئة وطنية مستعدة ان تعلنها حربا شعواء على المستعمرين . ان برنامجنا هو برنامج كل عدو للاستعمار . ان شعارنا هو شعار كل وطنى مخلص . الجلاء فورا عن وادى النيل ـ الغاء معاهدة ١٩٣٦ ـ لا استئناف للمفاوضات بأى حال من الاحوال ـ لا معاهدة ولا تحالف مع الاستعمار ـ اطلقوا الحريات ـ دعوا الشعب يشعلها لهيبا ونيرانا على المستعمرين ـ لتحيا الجبهة الشعبية ـ لتحيا الوحدة الوطنية »(٢)

وفى نفس العدد خبر عن مظاهرة دعت اليها الجبهة الشعبية الوطنية بعد انتهاء صلاة الجمعة بالازهر وتقول الجماهير انه رغم قوات البوليس الضخمة فقد تجمعت الوف من المتظاهرين تهتف « الشعب لا يريد محالفة » « تسقط امريكا » « تحيا روسيا » .. وقد فرق البوليس المظاهرة بعد ان اطلق الرصاص ارهابا للوطنيين وقد ارسلت الجبهة الشعبية الوطنية برقية احتجاج الى نائب رئيس الوزراء » .. ولم تكن هذه المظاهرة الا جزءا من موجة اضرابية دعت اليها « الجبهة الشعبية » بمناسبة ذكرى توقيع معاهدة

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦ .

٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٣٠ .

١٩٣٦ ٠. وقد استجابت جماهير غفيرة فى الاسكندرية وشبرا الخيمة وفى عديد من مدن القطر ٠ المحلة الكبرى . دمياط ٠ المنصورة لهذا النداء حيث نشرت على صفحات « الجماهير » فى اعداد متتالية أخبار مظاهراتها الصاخبة وانباء تشكيل لجان وطنية شعبية تضم ممثلى مختلف الاحزاب والقوى السياسية فى هذه المدن ٠

وتنشر « الجماهير » نداء الى مواطنى حى بولاق من الجبهة الوطنية الشعبية ببولاق تدعوهم فيه الى تكوين « لجان وطنية فى كل شياخة تكون النواة التى يرتكز عليها نضالكم الرائع ضد الاستعمار واعوانه (١)» ٠

لكن محاولة تتبع ذلك النشاط العارم تقودنا بعيدا عن محاولتنا الاساسية للتعرف على موقف « الجماهير » ومن ثم موقف منظمة حدتو من الاحزاب السياسية المختلفة ٠.

ولقد تابعنا موقفها من الوفد ٠٠ وحزب الكتلة ، فماذا عن الاحزاب الاخرى ان موقفها من السعديين والدستوريين واضح ومعروف ٠٠ ومن ثم يبقى أمامنا للتأمل الموقف من أحزاب ثلاثة الاخوان المسلمين ومصر الفتاة والحزب الوطنى ٠.

وعن الاخوان المسلمين فاننا لسنا بحاجة الى تفصيل كثير لتأكيد موقف العداء الذى اتخذته « الجماهير » تجاههم فقد هاجمت منطلقاتهم السياسية باعتبارهم تجار دين ، فاشست ، عملاء للاستعمار .

وقد اكدت « الجماهير » ان ثمة « جبهة موحدة من بيفن ٠٠ الى حسن البنا » وكان ذلك فى معرض دفاعها عن الوفد عندما شن عليه الاخوان هجوما عنيفا ٠ وكان رد « الجماهير » أكثر عنفا فقد ذكرت « الفاشى القزم » بكل جرائمه ٠٠ « وحين ألف العمال والطلبة لجنتهم الوطنية ، هرعت أيها الفاشى الى صدقى تتآمر على اللجنة الوطنية لخدمة الاستعمار ٠. والشعب يذكر لك كيف حاولت الوقيعة بين المسلمين والاقباط وما تفريقك لطوائف شعب يناهض استعمارا ، عدا سياسة استعمارية مرسومة

وكان حسن البنا قد حاول الوقيعة بين النحاس ويسار حزبه ، وبين الوفد والشيوعيين فقال فى بيانه الذى وجهه للنحاس باشا فى ٩ ـ ٥ ـ ١٩٤٧ « أن الوفد فى أيامه الاخيرة قد تخللت صفوفه طوائف وأفواج من ذوى الآراء الخطرة والمبادىء الهدامة الذين لايدينون بغير الشيوعية مذهبا ، ولا يؤمنون بغير موسكو قيادة وتوجيها » وترد « الجماهير » على

---

١ ـ الجماهير ـ المرجع السابق ٠

البنا ردا عنيفا مذكرة اياه بأنه يردد نفس نغمة الرجعيين والاستعماريين مؤكدة أن البنا قد استعار هجومه من « بيفن وتشرشل » (١) .

ثم تتبعت « الجماهير » نشاط الاخوان المسلمين فى كل مجال .. فى شبرا الخيمة حيث عملوا علنا لتخريب الاضرابات العمالية ولتكوين نقابة صفراء لم تضم فى صفوفها سوى ٢٥٠ عاملا من عشرين ألف عامل فى شبرا الخيمة (٢) .

وتستخدم « الجماهير » الكاريكاتير فى هجومها على الاخوان . «اعلان – مطلوب عضو لمكتب الارشاد العام للاخوان المسلمين تكون مؤهلاته كما يأتى : يفرق صفوف العمال – يثير المعارك بين الطلبة – يوقع بين المسلمين والأقباط – يكون صديقا حميما للاستعمار البريطانى»(٣) .

وهى تتعقب قادة الاخوان .. « محمد سالم ( عضو الاخوان ) يستغل العمال . وتقول « الجماهير » ان محمد سالم يجبر العمال المشتغلين فى شركته على حضور محاضرات اخوانية وان من يتخلف عن حضور أى محاضرة يخصم منه أجر يوم ، وانه يوزع عليهم بالاكراه صحف الاخوان بعد أن يخصم ثمنها من مرتباتهم (٤) .

وتمضى الحملة العنيفة من أول عدد حتى آخر عدد ، فقد كانت « الجماهير » تعتبر أن كشف جماعة « الاخوان المسلمين » واحدا من أهم واجباتها .

أما «مصر الفتاة» وزعيمها « أحمد حسين » فقد كان نصيبها أيضا هجوما متصلا .. والحقيقة أن مسلك « مصر الفتاة » فى هذه الحقبة كان مليئا بالأخطاء سواء فى مسلكهم ضد القوى الوطنية والتقدمية – ابتداء من الوفد حتى الشيوعيين – أو فى تحالفهم مع الحكومات الرجعية التى كانت تخون القضية الوطنية خيانة سافرة .. أو فى محاولتهم تمجيد السيد الجديد « الاستعمار الامريكى » وعلى هذه الأوتار جميعا عزفت حملات الجماهير ضد « مصر الفتاة » .

وفى البداية تكتفى الجماهير بتسجيل السقطة التى تردى فيها

١ – الجماهير ، ١٩٤٧/٥/١٢
٢ – الجماهير ، ١٩٤٧/٤/١٤
٣ – الجماهير ، ١٩٤٧/٥/١٩
٤ – الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٩

أحمد حسين عندما « أرسل برقية مؤلفة من ألف كلمة التى الرئيس ترومان هنأه فيها بالقرار الصادر بمساعدة اليونان وتركيا ورحب باهتمام أمريكا بالشرق الاوسط ثم قال أن السياسة الامريكية لمقاومة الشيوعية يجب أن تشمل مصر » .

وامعانا فى اظهار احتقارها فان « الجماهير » تكتفى بايراد الخبر دون أى تعليق سوى العنوان « المصرى » .. « أحمد حسين يمد يده للاستعمار » وهى تنشر تحت الخبر خبرا آخر « من صالح حرب الى أحمد حسين » لقد جاهدت فابليت وكافحت فاسديت »(١) ولا تعليق من « الجماهير »

وتحت عنوان « أحمد حسين صديق الاستعمار الانجلو أمريكى » تسجل « الجماهير » عليه فى مقال بتوقيع أ٠ح انه كتب أن مصر لا تستطيع أن تأخذ شيئا من عرض قضيتها على الأمم المتحدة « لأننا لا ناخذ منها الا ما تسمح به أمريكا وانجلترا ، فاذا شاءت مصر الفائدة الحقيقية فالسبيل الى ذلك أن تبحث الموقف مع أمريكا منذ الآن »(٢) .

ولا تجد « مصر الفتاة » ما ترد به على « الجماهير » الا قولها ان أ٠ح اختصار لـ « أنا حمار » وفى العدد التالى تلتقط « الجماهير » الخيط لتذكر « مصر الفتاة » أن أ٠ح هى أيضا اختصار لـ « أحمد حسين »(٣) .

وبعد ذلك تتجرأ « الجماهير » فترسل مندوبا ليحصل على حديث من « أحمد حسين » وتجرى مشادات عنيفة وطريفة بين الاثنين ، لكن الجماهير تأخذ على زعيم مصر الفتاة أنه قال « أنا أقر مبدأ التحالف مع بريطانيا بعد الجلاء »(٤) .

أما « الحزب الوطنى » فقد ركزت عليه « الجماهير » نيرانها .. بل واتهمته – هو أيضا – واتهمت قيادته « بالفاشية » .. لكن « الجماهير » لا تضع كل الحزب فى كفة واحدة فهى تقول « شباب الحزب الوطنى يكافح لتطهير الحزب من الفاشية » . وبعد مقدمة قصيرة عن دور الحزب فى الكفاح الوطنى تحت قيادة مصطفى كامل ومحمد فريد تقول « ولكن الحزب يرزح الان تحت قيادة جديدة قيادة حافظ رمضان .. وسياسته منذ أن ولى رئاسة الحزب حرب على الاستقلال .. وعون

---

١ – الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٢١
٢ – الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٢
٣ – الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٩
٤ – الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٤

للاستعمار والاحتكار فيها هوذا يؤيد العهد الحاضر ويدافع عن سياسته ، ويشترك معه في الحكم مخالفا مبادئ محمد فريد .. ويتبارى حافظ رمضان فيضم كل العناصر الفاشية التي لا تخدم سوى الاستعمار ، فيعين فتحي رضوان عضو « مصر الفتاة » السابق سكرتيرا للشباب ، ويحاول تاليف لجنة قومية من الاخوان ومصر الفتاة وصالح حرب .. » . وتطالب « الجماهير » شباب الحزب الوطني بالضغط من اجل عقد جمعية عمومية للحزب « تغير سياسة الحزب الى سياسة وطنية حقة تعترف بكيان الشعب وقوة حقوقه » والتوقيع « ديمقراطي من الحزب الوطني » (١) .

وعندما يوجه سعد الدين كامل عضو اللجنة العليا لشباب الحزب الوطني نقدا للجماهير يدافع فيه عن فتحي رضوان تنشر الجماهير النقد ولكنها ترد عليه ردا أكثر عنفا « نعم .. إن الحزب الوطني يقوده فاشيون » وتشير الى مقالات نشرت في « اللواء الجديد » تمتدح الحكم الفاشي في أسبانيا وأخرى تمجيد جرونر الارهابي الصهيوني . أما عن فتحي رضوان فتقول الجماهير أن ماضيه « في مصر الفتاة وكتاباته الكثيرة في مجلتهم عن تحبيذ الهتلرية والموسولونية لشاهد قاطع على ميوله الفاشية »(٢)

.. وهكذا وبعد جولة طويلة .. لكنها - وبالقطع .. ليست كافية ، يمكننا أن نلخص اتجاهات « الجماهير » في نقاط خمس ..

* التأكيد على ضرورة قيام حزب جديد يمثل طليعة الطبقة العاملة المصرية .. وان قيام هذا الحزب حتمية تاريخية .

* منهج التحالف والصراع مع الوفد وحزب الكتلة .

* منهج الادانة للسعديين والدستوريين ..

* تركيز ما يسمى باتجاه الضربة الرئيسية الى أحزاب « البرجوازية الصغيرة » التي وصفها بأنها « فاشية أو شبه فاشية » الإخوان المسلمين - مصر الفتاة - الحزب الوطني ..

* الدعوة لجبهة وطنية .. فلما تقاعست قيادات الاحزاب الوطنية عن التحالف مع الشيوعيين بدأت الدعوة لتاسيس « جبهة وطنية شعبية »

* * *

---

١ - الجماهير ، ١٩٤٦/٦/٢٣

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٧/١٤

ولقد نظمت « الجماهير » موجات من الحملات السياسية نجحت نجاحا باهرا لانها كانت تتلقى على الفور مساندة واسعة من قوى التنظيم الحزبى المستعدة دوما للتحرك تلبية لاى نداء .. ومن جماهير غفيرة كانت على استعداد دائم للتحرك فى ظل الشعارات التى يرفعها ، وتحت قيادته ..

والحملات عديدة لكننا سنكتفى بنماذج أربع ، أندونيسيا .. العراق .. اضراب المحلة الكبرى .. الكوليرا ..

ولقد تعمدت هذا الاختيار لا لان هذه الحملات كانت أكثر الحملات نجاحا وانما لانها تعبير عن اهتمامات « الجماهير » المتعددة الجوانب من مساندة لحركة التحرر الوطنى العالمية ( أندونيسيا ) الى التضامن مع الشيوعيين العرب ( العراق ) الى مساندة كل تحرك طبقى ( اضراب عمال المحلة الكبرى ) أو التصدى لحل مشاكل الجماهير والعمل فى خدمتها ( مقاومة الكوليرا ) .

مؤكدا قبل أن أبدأ أنه ما من سبيل أمامى سوى الاجتزاء فالحديث المفصل يحتاج الى مجلدات ..

وعن أندونيسيا بدأت « الجماهير » حملتها بشرح متواصل لكفاح الشعب الاندونيسى فى سبيل استقلاله وحريته .. وتحت عنوان « الشعب الأندونيسى يرفض الرضوخ للاستعمار » تروى « الجماهير » قصة الاستعمار الهولندى لاندونيسيا وتآمر الاستعماريين الانجليزى والامريكى معه ضد مصالح الشعب الاندونيسى المناضل وتقول « لا يسعنا الا أن نسجل على الحكومات العربية موقفها السلبى من قضية الشعب الاندونيسى » .. « وقد ضرب لنا الشعب الاندونيسى أوقع مثل لكفاح الشعوب وبين لنا أن الطريق الوحيد للحرية والاستقلال هو انتزاعهما انتزاعا ، فعلى الوطنيين المصريين وقد تأكدوا أن قضية أندونيسيا هى قضيتهم أن يرفعوا صوتهم عاليا مؤيدين الشعب الاندونيسى فى كفاحه »(1) . وموضوع آخر « ليقف شعب مصر وراء الشعب الاندونيسى المكافح » .. وفى هذا الموضوع تحرص الجماهير على أن تنقل عن البرافدا السوفيتية « ان الجنود الهولنديين يحاربون بملابس وعتاد أمريكيين ، فان أصبع الدولار المسلح تحرك الاستعماريين الهولنديين .. ولكن الشعب الاندونيسى مصمم على صد هذا العدوان .. وهو لا يقف وحده فعمال وشعوب العالم تقف من ورائه .. » وتحرص الجماهير أيضا على أن تبرز « ان الحزب الشيوعى الهولندى وجه نداء الى نقابات العمال وخاصة نقابة عمال الموانى والارصفة بالاضراب عن شحن الجنود والعتاد الى أندونيسيا ، وهكذا أثبتت الطبقة العاملة فى كل

---

١ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٢٨

مكـان أنهـا طليعة النضال من أجل الحرية والديمقراطية » • وأخيرا تؤكد الجماهير « ان كفـاح الشعب الاندونيسى من أجل حريته واستقلاله هو جزء من كفـاح الشعوب المستعمرة ضـد مستعمريها • والكفـاح ضد الاستعمار الهولندى هو فى الواقع كفاح ضد الاستعمارين البريطانى والامريكى »(١) •

ثم تبدأ المعركة الحقيقية عندما يذيع راديو الجمهورية الاندونيسية ليلة ٣١ يوليو ٤٧ نداء موجهـا الى عمال الشرق الاوسط وشبابه يهيب بهم أن يمنعوا مرور السفينة الهولندية « تولندام » التى تصل الى بور سعيد والسويس خلال سبعة أيام حاملة جنود الاستعمار وذخيرته فى طريقهـا لحـرب الشعب الاندونيسى •• وتلتقط « الجماهير » الخيط وتشن أوسـع حملة جماهيرية لمنع هذه السفينة من المرور ••

وتبدأ الحملة ببرقيـة الى رئيس الوزراء ( ستمر السفينة الهولندية تولندام عبر قنـال السويس حاملة ٢٠٠٠ جندى وعتادا حربيا لتوجيهها الى صدر الشعب الاندونيسى المجاهد فى سبيل حريته واستقلاله • ومجلة « الجماهير » تطـالب الحكومة المصرية بمنع مرور هذه السفينة الهولنـدية الاستعمارية – محمود النبوى » •

لكن الجماهير لا توجه نداءها فقط الى الحكومة •• وانما توجهه أساسا الى « عمال وشباب مصر » « يا عمال مصر – يا شباب مصر •• لو مرت هذه السفينة عبر بلادنا •• وكل ما فيهـا موجه للقضاء على الجمهورية الاندونيسية الحـرة لبقى هذا العـار عالقـا بتاريخ نضالنا وايماننا بالحرية على عمال مصر وشبابها وشعبها •• علينـا أن نهب جميعـا لنمنع هذه الجـريمة •• لنوقف هذه السفينة •• لنعيدها لأصحابها المستعمرين مشيعة باللعنات • يا عمال مصر وشباب مصر يا عمال بور سعيد والسويس فلتجعلوا من موانىء السويس وبور سعيد قلاعا للحرية لا يمكن أن تمر منهـا سفينة تحمل الموت الى شعب شقيق مكافح » •

وبرواز صغير فيه موجز لنداء وجهه الحزب الشيوعى الهولنـدى الى عمـال الموانى يحثهم على مقاطعة هذه السفينة (٢) •

وتعقـد رابطة الطلبة المصريين اجتماعا تقرر فيه تكوين لجنة للدفـاع عن اندونيسيا وتطـالب :

١ – المرجع السابق •
٢ – الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٤

« ١ - منع الطائرات والبواخر الهولندية الذاهبة الى اندونيسيا من الرسو فى مطاراتنا وموانينا ..

٢ - مطالبة الحكومة المصرية بالاحتجاج على هذا العدوان الغاشم ..

٣ - أن تقوم هذه اللجنة بفتح الاكتتابات الواسعة لمساعدة اخواننا الاندونسيين واصدار كتيبات ونشرات وبيانات توضح للشعب المصرى قضية زميله الاندونيسى المناضل »(١) .

وتطالب رابطة الطلبة المصريين فى بيان لاحق .. بمقاطعة السفينة تولندام (٢) .

ولم يكن كل هذا التحرك غير جزء من حملة عامة خاضت « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » ( حدتو ) غمارها وأصدرت خلالها بيانا بعنوان « يا عمال الشحن بمينائى بور سعيد والسويس كافحوا فى سبيل اندونيسيا » وتؤكد « حدتو » فى هذا البيان أن هولندا الضعيفة لم تكن لتستطيع محاربة ٧٠ مليون اندونيسى دون تأييد الاستعمار الانجلو أمريكى وتختتم البيان « يا عمال الشحن ببور سعيد والسويس ضموا صوتكم وكفاحكم الى كفاح عمال العالم ضد الاعتداء على الشعب الاندونيسى أوقفوا شحن السفن الهولندية والانجليزية المتجهة لمحاربة الشعب الاندونيسى اثبتوا انكم تؤيدون قضية الحرية »(٣) .

وتنجح الحملة نجاحا منقطع النظير .. وتخرج الالوف من عمال بور سعيد والسويس لتمنع السفينة « تولندام » من مجرد الاقتراب من الميناءين .. وتضطر الحكومة الى حشد قوات ضخمة من البوليس تصطدم بالاهالى فى محاولة لانشال المقاطعة .. ان الجماهير تنتصر .. وتعود « تولندام » من حيث أتت ..

وتوجه « الجماهير » تحية « الى زملائنا أهالى بور سعيد .. اليكم يا أهالى السويس والاسماعيلية نحيى موقفكم الوطنى .. فى منع الباخرة « تولندام » من الاقتراب من الميناء ، ان تصدى البوليس لكم اعتداء صارخ على شعوركم من قضية حرية الشعب الاندونيسى . ان هذا التصرف هو اعتداء صارخ على قضيتنا الوطنية »(٤) .

---

١ - المرجع السابق .
٢ - المرجع السابق
٣ - الجماهير ، ١٩٤٧/٨/١١
٤ - المرجع السابق .

وترسل « الجماهير » أحد مندوبيها ليعد تحقيقا صحفيا عن مواجهة جماهير عمال بورسعيد للسفينة تولندام ·· ورجال البوليس .

وتنشر صورة عشرات اللنشات والمراكب الصغيرة تملأ الميناء رافعة أعلام الجمهورية الاندونيسية .. ألف من العمال والشباب يهتفون « يسقط الاستعمار الهولندى » .. « عاشت اندونيسيا حرة » .

وما أن ظهرت السفينة « تولندام » حتى أحاطت بها اللنشات لتمنعها من التقدم الى الميناء ولتمنع ربطها الى الميناء ·· وقامت معركة تمكنت فيها الجماهير من القاء التموين المخصص للسفينة الى البحر .. ومنع ربطها ، وباتت السفينة تحرسها لنشات البوليس وتسندها خوفها من غرقها لان العمال امتنعوا عن ربطها ·· وفى الفجر غادرت السفينة من حيث أتت تحرسها مدمرة بريطانية ·· (١) .

ويكفى هذا النجاح تعبيرا عن نجاح الحملة التى نظمتها « الجماهير » .. ولنأت بعد ذلك الى الحملة الاخرى ·· والتى نظمت دفاعا عن « الشيوعيين فى العراق » وتبدأ الحملة بمقال كتبه حمدى (شهدى الشافعى) بعنوان « حملة صليبية ·· فى العراق » تحدث فيه عن حملة الارهاب التى شنها النظام الرجعى بالعراق ضد كل القوى الوطنية .. « وكان نصيب الشيوعيين العراقيين من الارهاب كبيرا فقد شنت ضدهم حربا واسعة شاملة وانتهى المطاف بالقبض على يوسف سلمان سكرتير الحزب الشيوعى ·· انها حملة صليبية خاسرة جربها هتلر وموسلينى فكان مصيرهما الهزيمة الساحقة ·· وكان النصر للشعوب » (٢) .

وعندما يحكم بالاعدام على الرفيق فهد ورفاقه تشن « الجماهير » حملة عنيفة وتخرج بافتتاحية عنوانها « ينصبون المشانق للوطنيين » جاء فيها « حكم رهيب ·· لم يسبق قط لمحكمة فى الشرق العربى أن أصدرته · حكم بالاعدام على ثلاثة من العراقيين وبالسجن مدى خمسة عشر عاما وبأحكام أخرى مختلفة على آخرين .. بتهمة الشيوعية اعدام ؟ سجن خمسة عشر عاما ؟ أى جريمة ارتكبها القوم ·· » .

وتحذر الجماهير القوى الوطنية فى العراق فاذا كانت هذه الضربة المسمومة تصوب اليوم الى أشد المعارضين صلابة بحجة أنهم شيوعيون فلن تلبث الضربة أن توجه فى الغد الى كافة أحزاب المعارضة العراقية ·· اننا

---

١ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٣٠

٢ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٩

تهيب بالضمير المصرى والمعارضة المصرية والمنظمات الشعبية المصرية والجامعة العربية والحكومة المصرية أن ترفع صوت الاستنكار يصك آذان المستبدين والطغــاة ٠٠ انها ليست مسألة العراق ، انما هى مســألة الشرق العربى ومكانته أمام الشعوب الاخرى ، مسألة الحريات المقدسة فليدو صوت الشعوب العربية صارخا : الغوا حكم الاعدام .. انقذوا هذه الرقاب ٠ امنعوا اقتراف الجريمة »(١) .

وفى نفس الصفحة كاريكاتير يصور الرجعيــة العراقيــة والاستعمار البريطـانى ينصبون مشنقــة ويقولون « لكل دور ٠٠ ولنبدأ بالشيوعيين » .

وفى نفس العدد صفحة كاملة عنوانهـا « يا أيهـا الوطنيون فى مصر والشرق العربى . قفوا هجوم الاستعمار . طالبوا بزوال المشانق من العراق أوقفوا الاستبداد عن جماهير شعبنا » ٠ وبداية الموضوع فقــرة تقــول أن الشرق الاوسط قــد تحول كله بفضل سيطرة الحكومات الرجعية الى معسكر اعتقــال ٠٠ ثم تنتقل « الجماهير » الى دراسة الوضع فى العراق وكيف تسلطت حكومة نورى السعيد على الحكم لتقود البلاد الى أحضان الاستعمار ثم تتحــدث عن أحكــام الاعدام على الشيوعيين فتقول « اننا لنحس فى مصر معنى شنق الوطنيين فــلا يزال فى ذاكرة شعبنا حادثة دنشواى ٠ ولا أحسب أن جماهير شعبنا تغمض العين عن دنشواى العراق »(٢) ٠

وفى نفس العدد أيضا قصيدة « المدالات والمواثيق » لمحمود توفيق ٠٠ وفى عدد لاحق قصيدة كمال عبد الحليم « وتعدلون فياتى عدلكم عجبا »(٣) ٠

وفى أعداد تالية تواصل « الجماهير » حملتهـــا ٠ وعندما يمر الامــير عبد الاله الوصى على عرش العراق ونورى السعيد وكانا فى طريقهما لانجلترا ، تستقبلهما « الجماهير » بمقال عنوانه « ماذا يدبرون للعراق ؟ ينصبون المشانق – يعلنون الاحكام العرفية – مفاوضات على غرار صدقى – بيفن »(٤) .

وتشير « الجماهير » بعد ذلك الى نجاح حملة الضغط المالية والعربية فى اجبار الرجعية العراقية على تخفيف احكام الاعدام ٠٠ لكنها تصمم « اعفوا عنهم ! لا يكفى ان تلغوا احكام الاعدام »(٥) ٠

---

١ – الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٣٠ .
٢ – المرجع السـابق ٠
٣ – الجماهير ، ١٩٤٧/٧/١٤
٤ – الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٢١
٥ – المرجع السابق ٠

والموضوعات عن العراق كثيرة جدا .. والحملة التى نظمتها « الجماهير » كانت قوية بل وعاتية وكانت تعبيرا صادقا عن الاحساس بالتضامن القومى والامنى .. وكانت الاستجابة الجماهيرية للمشاركة فى هذه الحملة واسعة بغير حدود .

ولنأت الى الحملات الداخلية .. والنموذج الذى نقدمه حملة التضامن مع الاضراب الكبير لعمال النسيج بالمحلة الكبرى ..

.. ولم تكن « الجماهير » غريبة عن هذا المجال فلقد تحدثت عنه طويلا .. وأفردت لكفاح عمال المحلة صفحات عديدة .. أهمها ذلك التحقيق الصحفى الذى أعدته بعنوان « ٢٦٠٠٠ من عمال شركة مصر بالمحلة بين اســتبداد الاحتكاريين ونقابة من الجلادين » ويتضمن ذلك الريبورتاج دراسة مفصلة ـ كعادة الجماهير ـ عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية لعمال شركة مصر بالمحلة .. وفى الختام توجه « الجماهير » النداء التالى « عليكم يا عمال المحلة انتم والشعب كله ان تتخلصوا أنفسكم من سيطرة هذا النفر من الاحتكاريين المغتصبين بأن تعملوا لتأميل ( تأميم ) هذه الشركة الاحتكــارية كى تدار لصالح الشعب ولصالحكم انتم الذين بنيتموها ، وأنتم الذين تعملون فيها ، لا لصالح حفنة من الاحتكاريين »(١) .

كذلك لم تكن « الجماهير » بعيدة عن تنظيم هذا الاضراب الكبير فكل الدلائل تشير الى ان كوادر « حدتو » بالمحلة هى التى نظمت « لجان الاضراب السرية » وكان رئيس هذه اللجان هو محمد حمزه عضو حدتو . وانفجــرت المعركة الاضرابية التى قلبت المدينة كلها الى ميدان قتال تصادم فيه ٢٦٫٠٠٠ عامل مع آلاف من جنود البوليس ثم آلاف أخرى من جنود الجيش المسلحين بالدبابات والسيارات المصفحة .. ومن الملفت للنظر ان مطالب العمال المضربين كانت تتفق الى حد التطابق مع المطالب التى كانت « الجماهير » تحددهــا بالنسبة للاوضاع فى شركة المحلة .. حل النقابة الصفراء .. انتخاب نقابة جديدة ـ الغاء لائحة الجزاءات .. رفع الاجور بنسبة ٢٥ بالمــائة .. عدم توفير العمــــال .. »(٢) .

وكان الصدام دامنيا واستشهد من العمال اربعة ..

وترسل « الجماهير » برقية الى رئيس الوزراء بالنيابة « نستنكر بشدة الاعتداءات الدامية التى وقعت على عمال المحلة .. كما نستنكر تعسف الشركة بهم . ونطالب فورا بتدخل الحكومة لانصاف العمال » .

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٢

٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦

ثم تدعو « الجماهير » كل عمال النسيج للتضامن مع زملائهم .. وتتحرك الكوادر الحزبية العمالية لتضع حملة التضامن موضع التنفيذ على نطاق قومى شامل لم يسبق لمصر ان شهدت له مثيلا . . وتحت شعار « يا عمال النسيج اتحدوا » تنشر « الجماهير » انباء عن تضامن اتحادات عمال النسيج فى شبرا الخيمة والمحلة وكفر الدوار والاسكندرية مع العمال المضربين ..

.. وتلجأ « الجماهير » الى شعب المحلة فتنظم له استفتاء يعبر فيه عن تضامنه مع العمال المضربين (١) .

ويضرب ٢٠,٠٠٠ من عمال النسيج فى شبرا الخيمة تضامنا مع عمال المحلة واستجابة لنداء « الجماهير » وتعلق « الجماهير » على هذا الاضراب التضامنى قائلة « لم تكن لتمر معركة عمال المحلة الكبرى دون ان يكون لها صدى قوى بين عمال مصر كافة وعمال النسيج بشبرا الخيمة خاصة .. اذ اعلنوا اضرابا عاما أغلقت بسببه جميع المصانع فى شبرا الخيمة .. لقد أحس اليوم عمال النسيج فى كافة انحاء القطر بالوحدة القوية التى تربطهم .. ان عمال النسيج ليسجلون بدمائهم وحدتهم المقدسة فى الكفاح من أجل الدفاع عن حقوقهم »(٢) .

ثم تفتح « الجماهير » اكتتابا عاما لشهداء المحلة قائلة « لقد سقط اربعة من عمال المحلة وهم يكافحون من اجل قوتهم وقوت اولادهم وعائلاتهم .. لقد تركوا صغارا دون عائل .. فاكتتبوا لهم . ان اكتتابكم رمز للتعاون والاخاء بين المظلومين والكادحين جميعا فى مصر »(٣) .

وتستمر « الجماهير » فى نشر قوائم التبرعات لشهداء عمال المحلة لفترة طويلة .. كذلك فقد نظمت « الجماهير » حملة على النطاق القومى للتضامن مع عمال المحلة وتزخر صفحات الاعداد التالية ببيانات التأييد لعمال المحلة من هيئات ونقابات وتجمعات عمالية عديدة « .. عمال وعاملات مصانع الغزل والنسيج بالمطرية والزيتون ، نقابة عمال الامنيبوس المصرية ، اتحاد تجار البحر ببورسعيد ، اللجنة الوطنية بحى القلعة ، عمال مصنع سباعى بالدرب الاحمر .. الخ » .

كذلك تنشر « الجماهير » اقتراحا من جبهة عمال مدينة المنصورة باعتبار يوم ٢ سبتمبر يوم شهداء عمال المحلة .. عيدا لكفاح العمال المصريين »(٤) .

---

١ ـ المرجع السابق .
٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦
٣ ـ المرجع السابق .
٤ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٢٨

ويتولى محامو مكتب الاستشارات القانونية بالجماهير وعلى رأسهم على الشلقانى الدفاع عن العمال المقبوض عليهم .. بينما ترسل « الجماهير » مندوبين عنها ليواصلوا تعبئة الجهود فى المحلة وفى القرى المحيطة بها حيث تتواجد مصادر الايدى العاملة الاساسية .. ويتجول هؤلاء المندوبون لا ليعكسوا فقط رأى « جماهير العمال وانما ليسهموا فى عملية التعبئة والتنظيم .. »(١) .

ثم تتطور حملة التضامن مع عمال المحلة لتحقق نتائج باهرة حيث تنجح فى توحيد كل نقابات عمال النسيج فى اتحاد عام لعمال الغزل والنسيج .. يتكون من ممثلين لعمال النسيج بشبرا الخيمة والقاهرة والمحلة الكبرى ودمياط والاسكندرية ويصدر الاتحاد بيانا يعلن انه « ازاء الاضطهادات التى تعانيها الطبقة العاملة عامة وعمال النسيج والغزل خاصة ، ازاء السياسة الاستبدادية التى تتبعها الشركات التى لا غرض لها سوى الربح والربح فقط .. وازاء مشكلة المحلة .. اجتمع ممثلو عمال النسيج وقرروا تأسيس اتحادهم العام » .. ويطالب الاتحاد فى أول قرار له « بوجوب فتح مصانع المحلة فورا دون قيد أو شرط واجابة مطالب العمال . ويحمل الاتحاد ادارة الشركة وجهات الاختصاص مسئولية ما يحدث اذا لم تجب مطالب العمال العادلة . فيا عمال الغزل والنسيج بالقطر اتحدوا .. ويحيا اتحاد الطبقة العاملة »(٢) .

وهكذا تصل الحملة الى قمتها .. محققة نتائج باهرة .

وفى صيف عام ١٩٤٨ اجتاحت الكوليرا مصر .. وكان مصدرها منطقة الاحتلال الانجليزى بقناة السويس ، ومع بداية الكارثة المروعة كانت « الجماهير » فى المقدمة تعمل فى كل الجبهات .. تدين الاستعمار مصدر الوباء وتنشر الارشادات الطبية وتطالب بأوسع حملة جماهيرية منظمة لانقاذ مصر من الوباء ..

وتخرج الافتتاحية بعنوان « كوليرا سياسية » ويوقعها حمدى ( شهدى عطيه ) وتقول « كوليرا تجتاح البلاد مصدرها فايد أى منطقة الاحتلال .. كوليرا اخرى لا تقل عنها خطورة مصدرها لاظوغلى بالقاهرة .. كوليرا سياسية تحاول ان تصرف الانظار عن الطريق الوحيد لنيل الاستقلال الا وهو اعداد الشعب تحت قيادة وطنية مخلصة .. اعدادا مسلحا ضد الغاصبين » .

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٢٨

٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٢١

ويدعو حمدى الى تنظيم مقاومة وباء الكوليرا ٠٠ لكنه أيضاً يدعو الى مقاومة الكوليرا السياسية « كوليرا التسويف وتحويل الانظار يجب حربها وتطهيرها ٠ فلنجند الشعب ليطهر البلاد » ٠

وفى الصفحة الاولى بدلا من البرواز الذى كانت تقدم فيه « الجماهير » أهم خبر فيها تحت عنوان « قبل الطبع » يوجد برواز آخر بعنوان « الطبيب يقول » تقدم فيه « الجماهير » ارشادات لمقاومة الكوليرا ٠٠ والمانشيت الرئيسى « نحن ندعو الى تكوين كتائب ضد الكوليرا » ٠ ثم نداء من الجماهير « ان الجماهير لتدعو الى تكوين كتائب من كافة الزملاء من اصدقاء هذه المجلة ومحبيها .. نظم نفسك فى كل حى وكل شياخة مع زملائك لتزود جيرانك بالتعليمات الصحية ٠. ستنظم المجلة توزيع منشورات تتضمن تعليمات الوقاية الصحية الكافية .٠ يا اصدقاء « الجماهير » ٠٠ انزلوا الى الجماهير انهم فى حاجة اليكم ٠٠ كونوا كتائب ضد الكوليرا ٠٠ كونوا كتائب الجماهير ضد الوباء ٠٠ انقذوا الوطن »(١) .

وتتلقف الكوادر الحزبية وقراء مجلة « الجماهير » وأصدقائها هذه الدعوة وبسرعة تنتشر لجان مقاومة الكوليرا » فى مختلف الاحياء ٠٠ وخاصة الاحياء الشعبية ٠ وتشاهد الاحياء الفقيرة ــ ربما لاول مرة ــ طالبات من الجامعة وطلبة ومثقفين وعمال يقتحمون الحى فى حملات تنظيف وتوعية وتحصين بالمصل الواقى ٠. واجتاحت مصر كلها موجة من النشاط العارم كان قوامها هؤلاء الشبان الذين أيقنوا ان مقاومة وباء الكوليرا « كفاح سياسى » وان ترك الوباء يستشرى ليس فقط خطرا يهدد الارواح ولكنه خطر يعصف بالقضية الوطنية التى كانت تنتظر حلا ٠

وفى العدد التالى تقدم « الجماهير » صورة فوتوغرافية لعدد من الكادحين يتناولون طعامهم جلوسا على الارض « لقد قضت سياسة الاستعمار والحكومة ٠٠ ان يعيش ابناء الشعب عرايا يأكلون المنات الملوث بالكوليرا ٠٠ » .

والافتتاحية عنوانها « العلاج الوحيد ٠٠ الجلاء ورفع مستوى المعيشة » وتقول ٠٠ « ان علاج الاوبئة والفقر ليس فى الامصال الواقية والمسكنات الوقتية بل فى طردنا للمستعمر ، ورفع مستوى معيشتنا . فلنكافح ولنناضل من أجل حياتنا واستقلالنا ٠٠ لترفع الاجور والمرتبات ، وتخفض الاسعار ، ولتفرض الضرائب التصاعدية ، ولتخفض ايجارات الاراضى ولترسم سياسة اقتصادية ترمى الى تحريرنا من ربقة الاستعمار ولنتعاون مع الدول الصديقة

---

١ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٢٨

المستعدة لامدادنا بالمنتجات والآلات دون تدخل أو استبعاد .. هذا هو الطريق واضح بين ، فاما استقلال ورخاء .. واما أوبئة ومجاعات »(١) :

وتواصل « الجماهير » حملتها فتحذر فى افتتاحية اخرى « الكوليرا تشتد .. والمجاعة تقترب » وتعلن « الجماهير » مسئولية الحكومة الرجعية عن تزايد انتشار الوباء .. وتقول « .. يطالب الاطباء بالنظافة وتطهير المنازل بالفنيك والد. د. ت. فهل وزعت الحكومة هذه المواد على الطبقات الشعبية ؟ هل خفضت الحكومة اسعار الصابون والغاز والمواد الاساسية لمكافحة الوباء ؟ وهل فرضت الحكومة على الاغنياء الآمنين من المرض ضريبة استثنائية ولتسمى « ضريبة الوباء » .. وتذيع وزارة الصحة فى نشراتها ان اغلوا كل شيء لتقتلوا الميكروب ؟ .. فى الوقت الذى تأمر فيه الحكومة بتخفيض مقررات الجيروسين الى الربع ، وفى الوقت الذى ما زالت فيه شركات البترول الانجليزية والامريكية تفرض الاسعار المرتفعة للغاز » .. وتمضى الجماهير مؤكدة « ان انتشار الاوبئة نتيجة حتمية لسياسة افقار الجماهير » :

.. ان الحكومة الرجعية تتراخى فى مكافحة الكوليرا انها « لا تتحرك .. ومصممة على الاحتفاظ بمراكزها ولو أفنت الآلاف بل الملايين » .. بينما تؤكد الافتتاحية ان آلافا من اصدقاء مجلة « الجماهير » قد تطوعوا لمكافحة الوباء وهم غير مطمئنين ضد الوباء (٢) .

وتسجل « الجماهير » باعتزاز « لقد لبى الشعب نداء « الجماهير » فتألفت كتائب الكوليرا فى الاحياء والاقاليم » .. وتروى « الجماهير » فى صفحة كاملة قصصا رائعة للشبان من اصدقائها الذين قادوا جماهير الشعب فى معركة مكافحة الوباء .. وكيف خرج طلبة وطالبات الجامعة يكنسون الشوارع ويوزعون المنظفات ويقومون بعملية « التطعيم » ضد المرض .. والطالبات والعاملات يطرقن ابواب البيوت الفقيرة يتكلمن عن النظافة والوباء .. والاستعمار .. والرجعية ، وعن حقوق الشعب الكادح ..

وهكذا كانت « الجماهير » نموذجا للمجلة اليسارية الحقة التى تستند فى حركتها على جموع الشعب ..

كانت « الجماهير » المجلة .. و « الجماهير » الشعب يمتزجان معا فى سيمفونية نضالية رائعة ..

* * *

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/١٠/٥ .
٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/١٠/١٢ .

ويبقى الكثير كى يقال ..

لكننا سنحاول ان نمر سريعا على علامات رئيسية أخرى ..

هناك مسألة اخرى هامة وهى الموقف من القضية الفلسطينية ولقد كانت « الجماهير » واحدة من اهم المنابر التى اهتمت بهذه القضية اهتماما كبيرا ومتصلا ومتعدد الزوايا « نحن نكافح من أجل فلسطين مستقلة ديمقراطية » هكذا تحدثت الجماهير الى لجنة التحقيق الانجلو امريكية وقالت « ان قضية فلسطين واضحة لاتحتاج الى لجان ولا بحوث ولا تقارير ، ان الشعب الفلسطينى يريد ان يتخلص من استعماركم واستغلالكم وظلمكم وارهابكم . الشعب الفلسطينى يريد استقلاله وحريته . يريد ديمقراطيه ومساواة يتمتع بها جميع المواطنين من عرب ويهود .. ان استقلال فلسطين يستلزم جهادا متصلا من سكان فلسطين واتحاد صفوفهم وتخلصهم من النفوذ الصهيونى اداة الاستعمار من جانب والرجعية العربية ذنب الاستعمار من جانب آخر . ان قضية فلسطين تتلخص فى كلمتين كفاح من أجل الجلاء والديمقراطية »(١) .

وبالكاريكاتير .. صورة للشعب الفلسطينى تحاول الصهيونية بمساعدة من ترومان وبيفن تكبيله بالاغلال .. ثم عبارة تقول « هذا ما يريده الاستعمار الانجلو أمريكى واذنابه الصهيونيين بالشعب الفلسطينى ولكن الشعب مصمم على تحطيم القيود »(٢) .

وفى دراسة مستفيضة اعدتها « الجماهير » عن فلسطين بمناسبة مناقشة القضية الفلسطينية فى الامم المتحدة .. تتحدث عن جذور المشكلة وتقول « ان فلسطين قد بليت بنوعين من الرجعية صهيونية عدوانية ورجعية عربية .. وكلا الرجعيتين حريصتين على ابقاء الاستعمار » .

وتمضى الدراسة لتستخلص عددا من الدروس الهامة منها « ان الصهيونية لا يمكن ان تعيش دون مستعمرين »(٣) .

وفى صفحتها النظرية المسماة « القاموس السياسى » تخصص « الجماهير » احدى دراساتها لتعريف « الصهيونية » وتحكى الدراسة قصة اضطهاد اليهود فى أوربا ونشأة الحركة الصهيونية كحركة عنصرية وتقول « استخدم استعماريو العالم الرأسماليين اليهود فى بث سموم النظرية

---

١ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٥/٥
٢ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٥/١٢
٣ ـ الجماهير ، ١٩٤٧/٥/١٩

الصهيونية العنصرية بينهم وتضليلهم بأنهم شعب لا يمكنه الإندماج في وسط الشعوب الاخرى وان حل مشكلتهم والقضاء على اضطهادهم انما يكون بتكوين دولة يهودية في فلسطين ». وتتنبأ الدراسة في بعد نظر علمي يستحق الاعجاب بالسياسة التي سوف تنتهجها هذه الدولة الصهيونية. عندما تقول انها ستحول ارض فلسطين الى « نقطة استراتيجية يستغلها الاستعمار في القضاء على الحركات التحريرية العربية وكقلعة استعمارية ضد الشعوب. وتهيئ الصهيونية الفرصة لاستغلال رؤوس الاموال الانجليزية الامريكية باستعباد العمال والفلاحين من العرب واليهود على السواء ونهب الثروات الطبيعية في البلاد العربية ولا سيما البترول والمعادن » .

ثم تتساءل الدراسة « ما هو الحل ؟ » وتجيب « مشكلة اليهود تنقسم الى ثلاثة اقسام : ١ - مشكلة اليهود المعذبين في مختلف البلاد : هؤلاء عليهم ان يشتركوا في الكفاح مع شعوبهم من أجل تحقيق الديمقراطية ... ٢ - مشكلة اليهود المشردين وهؤلاء يجب ان تكفل لهم سبل العودة الى اوطانهم الاصلية .. ويجب ان يوضح ان فلسطين لا يمكن ان تحل القضية اليهودية . وان كل محاولة لاظهار فلسطين كالحل للمشكلة اليهودية انما هو تعقيد لكلا المشكلتين . ٣ - مشكلة فلسطين : أن حلها ينحصر في الكفاح المشترك بين جماهير اليهود والعرب معا لتتخلص من الاستعمار الانجلو امريكي وانشاء دولة حرة ديمقراطية مستقلة »(1) .

وتنتقد « الجماهير » الحكومة الرجعية لانها « تحارب الحركات المعادية للصهيونية بينما تغمض عينيها عن الحركات الصهيونية التى تهدر من الح الوطن .. في الوقت الذى يعرف فيه جميعا ان الصهيونية حركة ارهابية عدوانية تقوم على مبادئ الارهاب والعدوان »(2) .

كذلك تهتم « الجماهير » بهذه القضية من زاوية اخرى وهي بذل النشاط وسط اليهود المصريين لعزلهم عن الحركة الصهيونية . وتعلن « الجماهير » إنه قد « تألفت اخيرا رابطة اسرائيلية لمكافحة الصهيونية » . وفي حديث أجرته « الجماهير » مع « عزرا هرارى » سكرتير الرابطة يؤكد « ان اهداف الرابطة هي مكافحة الصهيونية ودعايتها المضللة بين كافة الاسرائيليين القاطنين بمصر » . واجابة على سؤال « لماذا تكونت الرابطة في هذه الايام بالذات ؟ » أجاب « لأن الدعاية الصهيونية المسممة نشطت في مصر اخيرا

---

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٢
٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/١٩

نشاطا كبيرا مما يهدد العلاقات بين العرب واليهود بتسميم الجو في بلد كمصر عاش فيه اليهود أجيالا متعاقبة على أحسن ما يكون من الوئام مع زملائهم المصريين » . وسؤال آخر عن زعماء الحركة الصهيونية في مصر والجواب « ان معظمهم من كبار الاثرياء واصحاب الاعمال » . ويقول ايضا ان « الصهيونية اداة استعمارية تريد جذب جماهير اليهود لتحقيق أغراض الاستعمار بانشاء دولة يهودية في فلسطين تساعد على تثبيت اقدامه في الشرق الاوسط »(١) .

وتنشر « الجماهير » في عدد تال « نداء من الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » قالت انه قد طبع في صورة خطاب ووزعت منه آلاف النسخ على يهود مصر جاء فيه « ايتها الأمهات .. نريد ان نحمى أطفالكن من أكاذيب الدعاية الصهيونية الخلابة التى ترمى الى ارسال اولادكن ليعيشوا في فلسطين وسط عداء اغلبية السكان وفي نظام كله استبداد واضطهاد . ايها اليهود . ايتها اليهوديات : تحاول الصهيونية الجر بنا في مغامرة خطيرة .. تساهم الصهيونية في جعل فلسطين بلادا لا يمكن العيش فيها . تريد الصهيونية عزل اليهود عن جماهير الشعب المصرى . الصهيونية عدوة اليهود . فلتسقط الصهيونية . ولتحيا أخوة العرب واليهود . وليحيا الشعب المصرى »(٢) .

بقى ان نقول ان « عزرا هرارى » مؤسس الرابطة وسكرتيرها كان واحدا من كوادر « حدتو » . وان نقول ايضا انه ما من عدد صدر من « الجماهير » الا وتضمن موضوعا أو اكثر عن فلسطين ..

ومع الشعوب العربية الاخرى وقفت « الجماهير » تدافع عن حقوقها وعن كل ما تخوضه من معارك .. ولم تكن وقفة « الجماهير » دفاعا عن الشيوعيين والوطنيين العراقيين سوى نموذج تكرر كثيرا على صفحات « الجماهير » ..

وعندما أجريت الانتخابات النيابية في سوريا ورشح الرفيق خالد بكداش نفسا كتبت « الجماهير » تقول « من بين عدد كبير من المرشحين في دمشق تلقى خالد بكداش مرشح الحزب الشيوعى السورى وسكرتيره تأييد الجماهير وثقتها التامة . فقد عبرت استقبالات الشعب السورى له عن مدى تأييدها للحزب الشيوعى وبرنامجه الذى أوضحه بكداش في خطاب القاه في الصالحية بدمشق بقوله ان هذا البرنامج يعبر عن ماضى النضال الوطنى للشعب السورى وتمسكه باستقلاله ونظامه الجمهورى .. كما يعبر عن

---

١ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٥/٥

٢ ــ الجماهير ، ١٩٤٧/٥/٢٦

طموح الشعب الى السير فى طريق الاصلاحات الديمقراطية ·· وأكد ان تحقيق مطالب العمال والفلاحين والمثقفين سيؤدى الى ازدهار البلاد »(١) .

كذلك أيدت « الجماهير » ترشيح مصطفى العريس فى انتخابات برلمان لبنان وقدمته لقرائها قائلة « انه نشأ وترعرع فى صميم معركة التحرير الوطنى وعرفه العمال مناضلا عنيدا فى سبيل الدفاع عن حقوقهم ورفع مستوى حياتهم »(٢) ·

· وهكذا تمضى « الجماهير » لتسجل فى كل فرصة تضامنها مع القوى التقدمية العربية ومع الشعوب العربية فى معاركها ··

❊ ❊ ❊

وثمة اشياء اخرى هامة ···

الصفحة النظرية التى حفلت بأركان عديدة منوعة القاموس السياسى ( حيث قدمت دراسات لشرح معنى الاستعمار ، فائض القيمة ·· العنصرية ·· الصهيونية ·· الخ » ) « الفلسفة للكادحين » ( حيث قدمت « الجماهير » دراسات مبسطة عن الفلسفة المادية وقوانين الجدل ) .. التاريخ للملايين ( حيث قدمت تحليلا مسلسلا ) لتطور المجتمع ·· ) ·· الخ .

وكانت هذه المحاولات فى اعتقادنا من أوائل الدراسات المبسطة للنظرية الماركسية والتى روعى فيها — فى الاساس — ربط النظرية ومشاكلها بالواقع الحى وتطوراته ·· كذلك اهتمت « الجماهير » بتقديم دراسات عديدة عن الاوضاع فى الاتحاد السوفييتى والانجازات الهائلة التى تحققت هناك ، وقدمت نماذج احصائية عديدة تبرز هذه الانجازات فى مختلف المجالات ·· وكان نصيب الديمقراطيات الشعبية كبيرا ايضا من اهتمام « الجماهير » ·

❊ ❊ ❊

وباختصار ودون أدنى محاولة للادعاء بأننا قد أحطنا ولو بالجوانب الاساسية من الموضوع ، يمكن القول بأن « الجماهير » كانت مجلة تعنى ما تقول عندما قالت فى صدر افتتاحية عددها الاول « ليست « الجماهير » مجرد اسم يوضع فى صدر صحيفة ·· انما هى اعمق من هذا بكثير ... هى صوت الملايين من العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين الوطنيين » ..

---

١ — الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٧ ·

٢ — الجماهير ، ١٩٤٧/٥/٢٦

## المراجـــــع

### ١ - كتب


د. رفعت السعيد – تاريخ الحركة الشيوعية المصرية – المجلد الأول – ١٩٠٠ – ١٩٤٠ – دار الامل – القاهرة .

د. رفعت السعيد – تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ – ١٩٢٥ – دار الفارابى – بـيروت .

د. رفعت السعيد – اليسار المصرى – ١٩٢٥ – ١٩٤٠ – دار الطليعة – بـــيروت .

د. رفعت السعيد – عصام الدين حفنى ناصف – سلسلة طلائع الفكر الاشتراكى فى مصر – دار الثقافة الجديدة – القاهرة .

محمد طاهر العربى – هذا المجتمع الظالم – دار المستقبل – القاهرة .

محمود حسنى العرابى – ٨٩٠ شهرا فى المنفى – القاهرة .

محمود حسنى العرابى – مقالات العرابى – المطبعة الاميرية الكبرى – القـــاهرة .

والتر لاكور – الاتحاد السوفييتى والشرق الاوسط – ترجمة المكتب التجارى – بيروت .


### ب - وثـائق


– ملف القضية رقم ٧٥٣ المنشية ، ٣٤٤ كلى ١٩٢١ جنـــايات الاسكندرية .

– مارسيل اسرائيل ( شيريزى ) تقرير مكتوب بالآلة الكاتبة الفرنسية مقدم للحزب الشيوعى الايطالى حول تاريخ الكاتب ونشاطه فترة حياته بمصر .

– مارسيل اسرائيل ( شيريزى ) تقرير مكتوب بخط اليد باللغة العربية استكمل به الكاتب – بناء على طلب المؤلف – تقريره السابق .

– نشرة دار الابحاث العلمية – نسخة منزوعة الغلاف بدون تاريخ .

– دراسة باللغة الروسية بقلم أ . الجبالى – بعنوان ( بلا مخرج ) مجلة ريفولوسيونى فوستك ( الشرق الثورى ) السوفييتية عدد١ لعام ١٩٣٢ .

– الفن والحرية عددان من نشرة بالرونيو صادرة عن جماعة الفن والحرية عام ١٩٣٩ .

## جـ ـ دوريات

| | |
|---|---|
| الاخبار | عام ١٩٢٥ |
| أم درمان | المجموعة الكاملة |
| الاهرام | أعوام ٢٢ ـ ١٩٢٥ |
| التطور | المجموعة الكاملة |
| الجماهير | المجموعة الكاملة |
| الجهاد | عام ١٩٣١ |
| حرية الشعوب | أعوام ٣٨ ـ ١٩٤٤ |
| الحياة الجديدة | عام ١٩٢٨ |
| الرقيب | عام ١٩٢٨ |
| الشبيبة | عام ١٩٢٢ |
| شبرا | المجموعة الكاملة |
| الشعاع | عام ١٩٣٨ |
| صوت الامة | عام ١٩٤٧ |
| صندوق الدنيا | عام ١٩٣٣ |
| الضمير | المجموعة الكاملة |
| العصور | عامى ٢٩ ـ ١٩٣٥ |
| الكاتب | أعوام ٦٨ ـ ١٩٧٢ |
| كوكب الشرق | عام ١٩٢٧ |
| المصرى | عام ١٩٢٧ |
| الهلال | عام ١٩٤٧ |
| الوادى | عام ١٩٣٢ |

## ـ مناقشات :

* ابراهيم المناسترلى
* أنور كامل
* بول جاكو دى كومب
* سعيد خيال
* صادق سعد
* عبد المنعم الغزالى
* عصام الدين حفنى ناصف
* عبده ذهب حسنين
* د. محمود القاضى
* محمد سيد أحمد
* يوسف درويش

# الفهـــــرس

| | |
|---|---|
| الاهـــــــــداء | ٦ |
| .. بدلا من المقـــــــدمه | ٧ |
| الحســـــــاب | ١٨ |
| زوج العصر | ٣٥ |
| شـــــــــبرا | ٦٤ |
| التطـــــور | ٨٥ |
| الفجـــر الجـــديد | ١١٨ |
| الضـــــمير | ١٥٩ |
| الجمـــــــاهير | ١٨٤ |
| المراجـــــع | ٢٣٥ |

[illegible]


[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الكتاب الثانى

الصحافة اليسارية

فى مصر

١٩٥٠ - ١٩٥٢

الطبعة الثالثة

الطبعة الأولى - دار الطليعة بيروت

الطبعة الثانية - دار الثقافة الجديدة القاهرة

# إهداء

•• الى رجل لا تعرفونه

•• الى شجرة عجوز راسخة ••

تبدو وكأنها أبدية الاصرار ، أبدية العطاء

محمد حسن جاد

تجاوز السبعين من حياة وهبها جميعا - ولم يزل - من أجل المبدأ

•• وهب منها سبعة عشر عاما فى السجن

•• دفاعا عن حرية الانسان العربى •• وحقه فى التعبير .

## الشيء الصعب

.. أصعب الاشياء أن تكتب مقدمة لكتاب ..

اعداد الكتاب بذاته امر صعب ، خاصة اذا ما اخذه صاحبه مأخذ الجد ، اما كتابة مقدمة للكتاب فهي أمر محير .. ولقد حيرني كثيرا أمر هذه المقدمات ..

لماذا نكتبها ؟ ولمن ؟ ومتى نكتبها ؟

لماذا ؟ بمعنى ما هو الهدف الموضعي من أن نكتب مقدمة لكتاب يفترض أنه سيصل للقارىء ملتصقا بها ، فاذا كان ثمة شيء هام فلماذا لا تضمنه الكتاب ذاته ، واذا لم يكن هاما فلماذا نرهق انفسنا ونرهق القارىء معنا بما لا يلزم ؟

ولمن ؟ للقارىء الذى سيواصل القراءة عبر متن الكتاب ؟ أم لذلك المتعجل الذى سيقلب صفحاته مكتفيا بنظره الى الفهرس ولمحة عامة على المراجع ثم اطلالة سريعة على المقدمة وبعدها يطيح بالكتاب الى أحد الارفف علـه يحتاج اليها يوما .. لأيهما سنكتب المقدمة ؟ هذا سؤال .. وثمة سؤال آخر ..

وهل سيقدم فى المقدمة تلخيصا للكتاب ؟ كل تلخيص سيكون مخلا بالضرورة ، وان لم يكن مخلا فلم لا نكتفى به .. ولقد تكون المقدمة تبريرا لتناول موضوع ما ، فماذا لو كان الموضوع مبررا بذاته وليس بحاجة الى أى الحاح جديد ؟

ومتى ؟ هل تكتب المقدمة بعد ان ننتهى من اعداد الكتاب ذاته ام قبل ان نبدأ ؟

وتظل هذه الأسئلة واكثر منها تلاحقنى مع كل كتاب .. وبلا اجابة . او حتى احتمال اجابة .

ويبدو أن هناك ثمة اتفاق غير مكتوب . أطرافه ثلاثة : القارىء ـ الناشر ـ المؤلف والاتفاق يقضى بضرورة ان تكون هناك مقدمة ..

ولقد يبدو غريبا ان تمسك بكتاب فتقرأ العنوان ثم .. الفصل الأول

لماذا يبدو غريبا ؟ ربما بسبب ذلك الاتفاق غير المكتوب .

ويتانق المؤلفون – وما من خيار أمامهم – فى اختيار عناوين لمقدمات كتبهم وتتدرج الاختيارات ابتداء من النمط القديم . مذلكه ، تقديم ، مقدمة ، حتى آخر صيحة فى ابداعات المؤلفين ..

ويتلفت القارىء – كما اعتاد دوما – بحثا عن شىء ما يسبق الكتاب شىء يقول له ما ليس فى الكتاب لكنه مكمل له ..

اذن لا مناص ..

لا بد من مذلكة ما .. أو مقدمة ما .

* * *

كل هذه الأفكار تراودنى عندما ابدأ كتابة المقدمات الا هذه المرة .. فقد كان لا بد من مقدمة .

منذ البداية أحسست اننى بحاجة الى جلسة هادئة مع القارىء قبل أن نبدأ رحلتنا المشتركة ..

ثمة أشياء عديدة توقف القلم عن كتابتها هنا أو هناك مقررا أن مكانها هذه المقدمة .. ولعله اكتشاف جديد بالنسبة لى ..

لا بد من مقدمة .

* * *

باختصار ..

هذا هو الجزء الثانى ..

الجزء الاول صدرت طبعته الاولى فى بيروت عام ١٩٧٤ وطبعته الثانية بالقاهرة عام ١٩٧٧ وتضمن محاولة لتاريخ الصحافة اليسارية فيما بين عامى ١٩٢٥ و ١٩٤٨ مستعرضا الصحف الماركسية التى صدرت عبر هذه الفترة ابتداء بالحساب ( ١٩٢٥ ) مرورا بروح العصر وشبرا وحرية الشعوب والتطور والفجر الجديد والضمير وحتى الجماهير ( ١٩٤٨ ) .

ولقد أوضحنا فى هذا الجزء أننا نبحث فقط :

– فى اطار الصحافة الماركسية الاتجاه .

– والطنية الصبغة ..

بمعنى انه قد توجد عبر هذه المرحلة الزمنية صحفا ذات اتجاه ثورى متطرف أو حتى تقدمى لكنها لم تكن ماركسية النزعة فلا تكون جزءا من موضوع بحثنا .

وبممنى أننا نتوقف فى هذا البحث عند حدود الصحافة العلنية اما الصحافة السرية للمنظمات الماركسية فاننا نتركها لمجال آخر هو دراستنا عن تاريخ هذه المنظمات .

ومن ثم فاننا لا نكتفى باستعراض ما هو فكر وما وسياسة على صفحات أية جريدة نتناولها بالدراسة مرتبطة بالحدث العام فى مرحلة الصدور وانما نستعرض أيضا ما يمكن تسميته الحدث الداخلى للجريدة .. نشأتها وأصحابها ومحرروها وتطورات صدورها وهكذا ..

وكما حدث فى الجزء الاول سنكتشف أن بعض الصحف موضوع الدراسة قد غيرت من مسارها الفكرى والسياسى بأكثر من اتجاه ومن هنا سنكتفى بما يقع فى يقيننا انه مرحلة صدورها كجريدة ذات اتجاه ماركسى واضح .

* * *

وها نحن نبدأ المرحلة الثانية من رحلتنا .

نفس المنهج .. ونفس الاختيارات ..

أما المرحلة الزمنية فهى يناير ١٩٥٠ - يوليو ١٩٥٢

لماذا هذا التدقيق فى التواريخ ؟

لأننا نعالج مرحلة محددة بذاتها .

يناير ١٩٥٠ بداية عصر الانفراج السياسى فى أعقاب وصول الوفد الى الحكم وانتهاء عهد الارهاب الاسود الذى بدأ مع اعلان الاحكام العرفية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ والذى ترك علامات بغيضة على وجه مصر لعلها لم تزل باقية بشكل أو بآخر حتى الآن ..

٢٣ يوليو ١٩٥٢ بداية مرحلة جديدة تماما ليست فقط فى طبيعة الحكام ولا فى طبيعة ممارساتهم بشكل عام وانما لأن « الصحافة » بالذات قد تم تناولها بدءا من ثورة يوليو والتعامل معها باسلوب متميز تماما قد نتفق معه وقد نختلف لكنه يتمايز بحيث يتعين علينا افراد جزء خاص به .. جزء ثالث يتناول العلاقة بين ثورة يوليو والصحافة اليسارية عبر ذلك المسار المتفرد بتعقيدات سياسية واجتماعية ومعتقدية . وعبر التماوج - المبرر أحيانا وغير المبرر فى أحيان أخرى - صعودا وهبوطا فى علاقة هى بطبيعتها بالغة الحساسية .. علاقة السلطة القابضة بصحافة غير مرغوب فيها فى أكثر الأحيان . وان سمح بها فانما فى أطر محددة سلفا ...

لهذا توقفت بنا الدراسة عند حدود يوليو ١٩٥٢ .

لكن هذا الاختيـار يثير أمامنــا عدة مشكلات أهمها اننــا نتناول بعض الصحف موضوع دراساتنا وبالتحـديد صحيفتين منهما هما المارضة والملايين تناولا جزئيا ..

فهاتين الجريدتين صدرتا اساسا فى الفترة موضوع دراساتنا ثم توقفتا عن الصدور تحت ضغوط عديدة ستكون جزءا من موضوع دراستنا هذه لكنها وبعد ثورة يوليو استعادت أنفاسها من جديد فعادت الصدور لفترة من الوقت

لكنها عادت فى مرحلة تاريخية مختلفة تماما .. ومن ثم كان تناولها للامور ، وأسلوبها ، وكيفية تعاملها مع السلطة الجديدة وتعامل هذه السلطة معهـا متميزا تماما ..

ومن هنـا فاننــا سنكتفى فى هذا الجزء بدراسة المجموعة الاولى من كل من الملايين والمعارضة تاركين البحث فى المجموعة الثانية لكل منهما للمرحلة المقبلة .

* * *

والأساس عندنا هو توجه الجريدة ..

وليس اسماء اصحابها ولا محرريها ..

ولهذا توقفنا كثيرا امام مجلة الكاتب التى اصدرها يوسف حلمى للتحدث باسم اللجنة المصرية لأنصار السلام فلقد صدرت المجلة بدعم مباشر من حدتو وظهرت على صفحاتها اسماء الكثيرين من كوادرها كمال عبد الحليم ـ ابراهيم عبد الحليم ـ زكى مراد ـ زهدى ـ فؤاد حداد ـ حسن فؤاد وكثيرين غيرهم .. كذلك عكست هذه المجلة بشكل أو بآخر بعض مواقف حدتو ازاء قضية السلام العالمى وازاء بعض القضايا الاخرى المرتبطة بها.. كل هذا صحيح .. لكن الأهم بالنسبة لنــا هو أن التوجه العام لمجلة الكاتب كان توجها « سلاميا » وكان تعبيرا عن منطلقـات اللجنة المصرية لانصار السلام وكان هناك هامشا واسعا بين توجهاتها كجريدة وبين توجهـات الملايين مثلا رغم توحد العلاقة وربما اسماء بعض المحررين وربما أيضا التوجه السياسى فى هذا الموضوع او ذاك ..

هذا الهامش يكمن فى الفارق بين مجلة طبقية الانتماء وبين مجلة تتحاشى أية مسحة طبقية لتبقى شمولية التوجه اتساقا مع شمولية الهدف .. النضال من أجل السلام العالمى وهى قضية تمس اهتمامات أو يجب ان تمس اهتمامات كل المواطنين ..

ولذلك .. وبعد تأمل طويل رأيت أنه من غير الملائم أن نحشر «الكاتب» وسط هذه الكوكبة من المجلات الطبقية التوجه والطبقية الانتماء . وهكذا يتناول بحثنـا :

- البشير .
- المستقبل .
- المعارضة ( المجموعة الأولى ) .

الناس .

- الملايين ( المجموعة الأولى ) .

* * *

ويتناوب البطولة في هذه الملحمة التي نحن بصددها .

اسمان .. منتحى الرملي ، وحدتو

منتحى الرملي ذلك الرجل يستحيل أن نتفق معه في كل أفكاره لكنه يستحيل أيضا أن نتجاهله في دراسة كهذه .. فقد كان خلف صدور ثلاث من هذه المجلات .. البشير التي أصدرها منفردا في بداية صدورها ثم مشاركا لتنظيم صغير يدعى « جات » ثم مشاركا لحدتو . أكمل رحلة البشير وأصدر المستقبل كذلك أصدر أيضا بفضل جهوده واتصالاته الشخصية مجلة المعارضة وتحمل عبء اصدارها وحده ..

وحدتو .. التي دخلت مرحلة الارهاب الاسود الذي خيم على مصر ابتداء من اعلان الاحكام العرفية في ١٥ مايو ١٩٤٨ بمناسبة - أو بحجة - الحرب في فلسطين .. دخلت هذه المرحلة مثخنة بجراح عدة .. الانقسامات والاحباط والضربات البوليسية المتتالية والعزلة الناجمة عن اتخاذ موقف معارض للتوجه الجماهيري العام ازاء المشكلة الفلسطينية وخرجت من معركة الارهاب الأسود وجراحها أعمق وأشد ايلاما ولم يبق منها غير حفنة قليلة من الكوادر ثم ما لبثت أن استنشقت بعضا من الحرية والقدرة على الحركة لتصبح وبعد فترة وجيزة أعلى المنظمات الماركسية صوتا وأكثرها نشاطا في مجالات عديدة. لكن ما يهمنا في دراستنا هذه هو انها كانت سيدة الصحافة اليسارية العلنية سواء في هذه الفترة أو قبلها أو حتى ما بعدها ..

فمن بين خمس صحف تتناولها دراستنا تقترن حدتو باسم ثلاث منها هي البشير والمستقبل والملايين وتبقى المعارضة جهدا فرديا لمنتحى الرملي والناس جهدا فرديا آخر لأحمد شوقي الخطيب .

لهذا سنتكلم كثيرا فى هذه الدراسة عن الاثنين ...

ـ الرجل .. فتحى الرملى .

ـ والمنظمة حدتو ( الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى )

وبرغم كل المحاولات الحيادية فى بحث ذى طابع أكاديمى لم يكن من الممكن الا أن نتحدث كثيرا عنهما ..

***

والصحافة اليسارية فى عامى ٥٠ . ١٩٥١ احدثت فى مصر دويا حقيقيا .

ولعلها كانت السبب فى تلك الحملة العنيفة التى وجهت ضد الحريات العامة وحرية الصحافة عموما .. فالجراة والروح الطبقية عندما تشابكتا مع واقع وطنى ملتهب بطبيعة افرزتا مناخا ساخنا بث الرعب فى قلب اليمين المصرى .

ولقد كان رعبا حقيقيا ذلك الذى دفع حزبا كحزب الوفد ارتبط اسمه وتراثه دوما بالدفاع عن قدر ما من حرية الصحافة وحرية التعبير .. دفعه الى ارتكاب اخطاء كثيرة فى محاولته لتكميم أفواه الصحافة المعارضة واليسارية منها أساسا .

ولقد كان رعبا حقيقيا ذلك الذى دفع حزبا كحزب الوفد الى العزف على نغمة العداء للشيوعية وهى نغمة استخدمت ضده هو وضد الكثير من كوادره .. بل وحتى زعامته المهيبة لم تسلم من التلفيقات التى تجسدت فى مجموعة من الوثائق المزورة تورطت فى ترويجها شخصيات هامة من بينها هيكل باشا قطب الاحرار الدستوريين . تلك الوثائق التى حاولت اتهام النحاس بانه يتلقى تعليمات وأموال من السفارة السوفيتية بالقاهرة ..

ورغم ثبوت زيف هذه الوثائق استمرت الحملة ..

سهامها تتجه ضد الشيوعيين والوفد معا بهدف دفع الوفد الى شن المزيد من حملات العداء ضد الشيوعية وكنموذج لهذه السهام المزدوجة نشرت اخبار اليوم تقول تحت عنوان « تعليمات جديدة من موسكو الى الشيوعيين المصريين » .. « علمت الهيئات المسؤولة أن تعليمات جديدة من موسكو ارسلت الى العناصر التى تحرك النشاط الشيوعى فى مصر وهذه التعليمات تقضى بالتزام الهدوء فى الوقت الحاضر وعدم القيام باى شىء » (١)

---

١ ـ أخبار اليوم ١٩٥١/١/٢٠

ولا بد أن وخزة كهذه كانت قادرة على ايلام الحكومة الوفدية .. اذ تلمح اخبار اليوم الى تواطؤ الشيوعيين بايعاز من موسكو معها الى درجة «التزام الهدوء فى الوقت الحاضر وعدم القيام بأى شئ» .

ولكن أخبار اليوم تناقض نفسها على الفور عندما تواصل الحديث قائلة « وعلمت أخبار اليوم أن مسؤولا فى احدى السفارات الأجنبية لفت نظر بعض الرسميين المصريين الى تعدد مظاهر النشاط الشيوعى فى مصر فى الأيام الأخيرة » .

وما يهمنا هنا هو أن حكومة الوفد كانت تتعرض للوخز والتلويح بتواطئها مع الشيوعيين أو تواطؤ الشيوعيين معها بينما تتعرض أيضا فى نفس الوقت للضغط من سفارة اجنبية تعترض على « تعدد مظاهر النشاط الشيوعى » .

وتواصل اخبار اليوم فتعلن أن هذه السفارة هى بالتحديد السفارة الأمريكية « التى عرف انها قد أنشأت اخيرا قسما خاصا لمراقبة النشاط الشيوعى وتحديد اتجاهاته » .

وبين الضغط والتخويف انجرفت حكومة الوفد فى تيار بالغ الخطر رفعت فيه عقيرتها بحملات العداء للشيوعية وتجاوزت الامر الى محاولة سن تشريعات مقيدة للحريات العامة ولحرية الصحافة بهدف تهدئة هذه المخاوف واسكات صوت اليسار الذى كان يرتفع مدويا فى هذه الايام .

وتنشر الأهرام .. « رأت الحكومة اضافة فقرة جديدة الى المادة الخامسة من المرسوم بقانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٤٥ من شأنها أن يعتبر مشتبها فيه من يحكم عليه اكثر من مرة لارتكاب فعل من الافعال المعاقب عليها بالمواد ٩٨ أ ، ٩٨ ب ٩٨ ج ، ٩٨ د ، ٧٤ أ من قانون العقوبات أو من يشتهر عنهم لأسباب قوية ارتكاب هذه الافعال نوطئة لسريان قانون التشرد والاشتباه فى حقهم وامكان وضعهم تحت مراقبة البوليس »(٢) .

والمعلوم أن هذه المواد هى المواد التى يحاكم بموجبها الشيوعيون ..

وتقول المذكرة الايضاحية تبريرا لهذا الاقتراح الغريب « لما كانت الجرائم المنصوص عليها فى هذه المواد تعد من أخطر الجرائم اذ انها تهدف الى هدم النظم الاجتماعية والسياسية فى المجتمع المصرى ويقوم مرتكبوها بأعمالهم الاجرامية فى الخفاء مما يستلزم ان تمتد اليهم اعين البوليس لاحباط غرضهم الاجرامى قبل استفحاله وقاية للمجتمع من آفة انتشار

---

٢ ـ الأهرام ٨/٥/١٩٥٠

المبادىء التى يروجها هؤلاء الأشخاص اذ الوقاية من انتشار هذه المبادىء خير من العقـاب مهما كان ٠ رادعا » ٠٠ (٣)

ويوافق مجلس الوزراء فى جلسته المنعقـدة فى ١٩٥٦/٥/١٠ على مشروع القـانون ٠٠

لكن هذا المشروع يصطدم بمعارضة قوية جارفة تشمل الكثيرين من اعضـاء الهيئة الوفـدية الامر الذى دفع الاهرام الى نشر « قال لنـا مصـدر مسؤول ان اكثر اعضاء الهيئة الوفـدية لا يزالون يعارضون فى مشروع قانون الشيوعين السياسيين ويرون انه تشريع غير دستورى وينطوى على تقييـد للحريات العـامة فضـلا عن انه سلاح خطر فى ايدى الحكومات الرجعية »(٤)

ولعل الأهرام كان محقا فى سخريته عندما نشر تصريحا غريبا لسراج الدين يقول فيه « بانه بوصفه سكرتيرا للوفد لا يرضى عن هذا التشريع ولكنه يؤيده كوزير للداخلية » (٥) ٠

٠٠ وكانت المعارضة الشعبية اقوى من كل الضغوط والوخزات وسقط المشروع ٠ ثم كان هناك ايضا مشروع قانون الصحافة الذى قـدمه اسطفان باسيلى ٠٠ ولسوف نتعرض طويلا لهذا المشروع فيما بعد لكننا نود فقط نشير الى انه كان وثيق الصلة بموضوع هذا الكتاب لقد كان المبرر الوحيد الذى استخدمه اسطفان باسيلى واستخدمه سراج الدين فى محاولتهما لتمرير هذا المشروع هو التاكد أنه انما يستهدف فقط اسكات الصحافة الشيوعية ٠ وسقط هذا المشروع ايضا ٠

وقد لعبت الملايين وحدتو دورا هاما فى اسقاطه كما سنرى ٠٠ وهكذا فان هذه الصحافة التى نوشك أن نبدأ فى دراستها كانت محور صراع حقيقى شغل المجتمع باسره ٠٠ كان صوتها الوطنى الطبقى يزعج المستعمرين فترتفع صيحات مراسليهم الأجانب وصحفييهم بالداخل بمبالغات وتهديدات عن الخطر الشيوعى الزاحف ٠

ويكون رد الفعل الوفدى مصادرات لا تنتهى لهذه الصحف واصرار على خنق صوتها ومنعها من الصدور بل وسن تشريعات مقيدة للحريات ولحرية الصحافة بشكل خاص فى محاولة للتخلص من هذا الزحف ٠

---

٣ ـ المذكرة الايضاحية التى أرفقها فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية بمشروع القـانون للعرض على مجلس الوزراء ٠

٤ ـ الأهرام ١٩٥٠/٥/٢٧ ٠

٥ ـ المرجع السابق ٠

لكن الأمر يعود فينقلب على أصحابه كما ينقلب السحر على الساحر فان هذه الصحف اليسارية والقوى الماركسية عموما كانت تحشد قوى جبهوية واسعة تقف لهذه التشريعات بالمرصاد وتمنع صدورها وتكون معركة جديدة يلمع نجم اليسار فى سمائها ·

* * *

وبعد فترة من الارهاب البغيض كانت مصر قد قررت التحدى ·· وما أوشك عام ١٩٤٩ على الانتهاء حتى كان الجميع الاستعمار والقصر وحتى رجال الحكم انفسهم قد اقتنعوا انه لا مفر وان مصر توشك أن تنفجر فى وجوههم وأن تطيح بهم جميعا وكان لا بد من تهدئة للخواطر والعودة الى حكم الأغلبية واجراء انتخابات جديدة ·· وجاءت الانتخابات بحكومة وفدية ومنحتها أغلبية كاسحة ·· أزعجت حتى أصحاب المخطط وأدرك الجميع أن مصر تصفعهم بالوفد ··

لكن حكومة الوفد نفسها كانت مترددة وفى أحيان كثيرة كانت تستبد بها الحيرة بين استخدام الثقل الشعبى وبين الخوف منه ، وتراوحت مواقفها بين أخذ الجماهير بالشدة ومحاولة تقليم أظافرها وبين الاستناد اليها استنادا مسترخيا وليس نضاليا واستبدت بها هواجس كثيرة فالحركة الجماهيرية العارمة لم تمد وفدية الاطار لان المد الوطنى المضادى للاستعمار كان أشد وأعمق وأكثر حدة مما يمكن للقيادة الوفدية أن تحتمله ومن ثم فان الحكومة الوفدية كانت فى مفترق طرق حقيقى يكفى أن تقبل على هذا المد وتحتضنه وتصبح جزءا منه لكى تعود اليها أمجاد أيام مضت عندما كانت كلمة الوفد مرادفا لكلمة الوطن · لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة فهناك المصالح الطبقية لباشوات الوفد وكبار ملاكه وهناك خوفهم من هذا المد الشعبى الذى لم يتوقعه أحد ، وهنا سيد جديد يغازلهم ويغازلونه وهو على استعداد لأن يحكم قبضته على عنق مصر بقفاز من حرير لا يؤذى ايذاءا ظاهرا ·· هو السيد الامريكى وهناك القصر الذى كان كلما ازداد عزلة كلما تطلب ولاء من الحكام ، وهناك أيضا تلك الموجة الماركسية التى تواكبت مع نهوض شعبى جارف فأخافتهم باكثر من حجمها الطبيعى وملأت صدورهم بالوساوس والاوهام وحتى الأيام الأخيرة عاشت الحكومة الوفدية هذا التمزق وخسرت بسببه كثيرا ، فحيث ارادت ان ترضى كلا الطرفين بقدر محدود لكى تكسبهما معا فانها قد اغضبت كل الاطراف وخسرتها جميعا ·

وهكذا وعلى مدى عامين او اقل من التردد خسر الوفد كثيرا من شعبية اكتسبها عبر ثلاثين عاما من التصدى · وفى هذا المناخ وفيه على وجه التحديد تواجدت تلك الصحف التى سنتحدث عنها طويلا ·.

ومن هنـا كان الكثير من التارجح فى مواقف الصحافة اليسـارية من الحكومة الوفـدية لقـد كان الموقف بالغ التعقيـد ، وكان يتطلب معـالجة حساسة ومتغيرة ، وكان فى نفس الوقت باعثا على الكثير من الحيرة أقول ذلك مقـدما فلقـد يلمس القـارئ هنا أو هناك بعضا من التارجح فى المواقف أو ما شابه ذلك ولعل من حق القـارئ أن نقـدم له تفسيرا ـ وليس تبريرا ـ لمثـل هـذا التارجح ٠

* * *

والصحافة العلنية ٠٠ بل العلنية ذاتها كانت محل نقاش وجدل ، وكانت محل اختلاف بين المدارس المـاركسية المختلفة وقـد اختارت حـدتو جانب الاهتمام بالعلنية ولعلها بالغت فى ذلك مبالغة ليست بالقليلة ٠

فكوادرها الأساسية تركزت اساسا فى أنشطة علنية متعددة الجوانب جماهيرية الأثر والتأثير الصحافة العلنية ـ حركة أنصار السلام ـ النقابات العمالية ومحاولة تاسيس اتحـاد عام للنقابات ـ اتحاد عام للطلبة ـ اللجان الوطنية بالاحيـاء والمعاهد والمصانع ـ لجنة الكتاب والفنانين ـ دار الغد للنشر والتوزيع ـ اللجنة التحضيرية لمؤتمر شعوب الشرق الاوسط ـ اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية ومختلف أوجه النشاط النسائى ـ مؤتمر الدفاع عن المسجونين السياسيين ٠٠ الخ ٠

وبالمقابل كانت هناك مدرسة أخرى تمثلت فى الانكفاء التام الى السرية من التركيز على الصحافة السرية الى محاولات تأسيس اتحادات سريـة لأنصار السلام والمثقفين والطلاب والعمـال وهى اتحادات لسنا بحاجة الى القـول بانها لم تكن ذات وجود حقيقى ، وليس هنـا مجال المقـارنة بين المنهجين ولعل لنـا انتقـادات عليهما معـا ٠

لكننـا سنكتفى بالاشارة الى انه بالنسبة لحدتو كانت الصحيفة العلنية هى وكـانة أشكال التوجه العلنى سبيلا لانتشار واسع وغير محدود لهـذه المنظمة التى دخلت حلبة الصراع الطبقى ضعيفة البناء محدودة العدد ٠ مثل هذا التوجه العلنى ادى أيضا الى استيعاب كوادر عديدة فى مثل هذه الانشطة والى اتاحة الفرصة لخصوم حدتو باتهامها باهمال عديد من واجبات الحذر التنظيمى والاهتمام بالبناء الحزبى الامر الذى ادى الى سهولة توجيه ضربات مؤلمـة لهذه المنظمة والى تعرض نشاطها للاهتزاز مع كل ضربة بوليسـية توجه اليه ٠

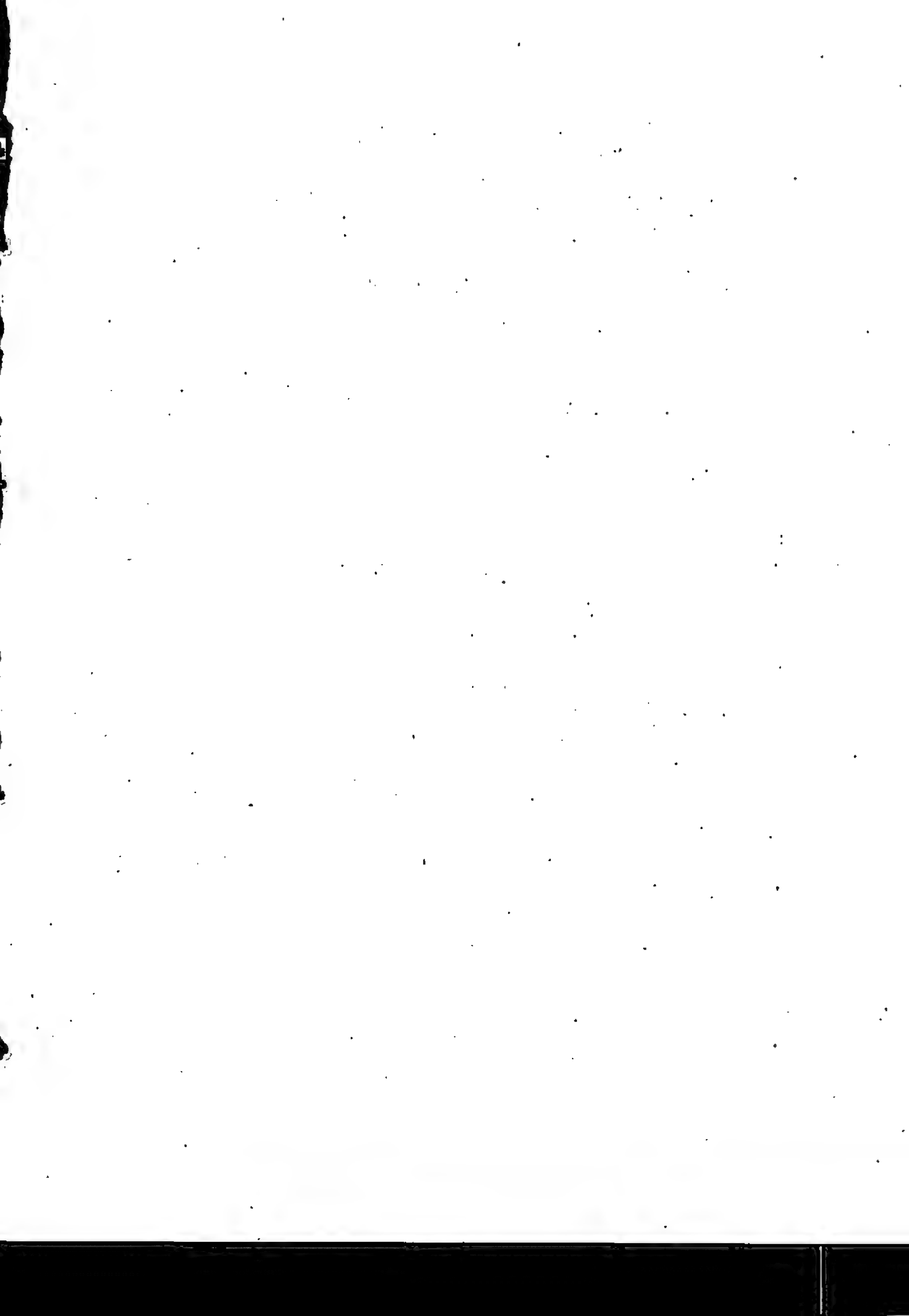
وما يهمنيا هنا هو ان مجرد اصدار صحيفة يسارية علنية كان محل نقاش وخلاف وكان تعبيرا عن نهج فكرى متكامل يتسم أساسا بالتوجه العلنى كلما كان ذلك ممكنا والانكباب فى هذا التوجه بصورة قد توحى للاخرين بأن بعض أصحابه ليسوا شديدى الاهتمام بالتنظيم الداخلى وبالبناء الحزبى ·

وان كان لأصحاب هذا النهج وجهة نظر أخرى تقول باهتمامهم بالجانبين معا وتسم التوجه الاخر بالانعزالية والبعد عن الجماهير .

*** 

·· وبعد هذه الايضاحات وليس قبلها ·. يمكننا أن نبدأ ·

القاهرة ـ ١٧ يناير ١٩٨١



# البشير







# يجب الاعتراف بالصين

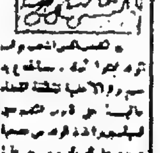


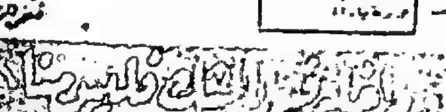


# ثورة العبيد...

البشير







٠٠ ومصر كانت هى تلك التى تعرفهـا جيدا .

مصر عام ١٩٥٠ الخارجة لتوها من رحم رحلة مرهقة مضنية .

مصر التى انتفضت عام ١٩٤٦ لتعبر وبأعلى صوت عن ممكناتها وعن قدراتها الثورية ، ثم ما لبث الطغـاة أن كبلوا يديها ورجليها بقيود الاحكام العرفيـة والمعتقـلات والتعذيب الوحشى الذى لم يعرف طريقه من قبل الى ساحة التعامل السياسى المصرى ٠٠

كانت مصر تتنفس من جديد ، تلتقط أنفاسا متعبة لكنها مفعمة بالاصرار والأمل ..

أربع سنوات صاخبة ، عنيفة ، مليئة بالعلقم تفصل بين أعلى المـد الثورى ثم انحساره ثم بداية الهدوء المستقر ، الحرب الفلسطينية ، وما ترتب عليهـا ، وما حـدث فيهـا ، الاحكام العرفيـة واعتقـال الآلاف وتعذيبهم ٠ الاغتيال والاغتيال المضـاد ، التعـامل بالقنابل والمتفجرات ٠٠

ثم اكتشف حكـام مصر أن لا مفر ، وأن لا أمل فمصر المكبلة تزداد تمردا وتوشك أن تفلت من أيديهم . فكـانت فترة هدوء قصيرة تسبق الاعصار الكبير ، وأجريت انتخابات برلمـانية أتى فيها الوفـد كعادته مكتسحا كـل من حاول الوقوف فى طريقه ٠٠ وشكل النحاس حكومته الاخيرة ٠٠

* * *

أما الحركة الشيوعية فكانت هى أيضا مثخنة بالجراح ٠٠

عشرات القضايا ، آلاف المسجونين والمعتقلين يخوضون التجربة الاولى لعصر الانحسار الثورى ٠٠

الانقسامات تشل العمل الحزبى وتتكـاثر بسرعة أميبية مريبة .

الكثيرون ممن ارتفع صراخهم بكلمات ثورية يكتشفون ان الثمن المطلوب دفعه باهظ ومرير فيتراجعون ٠٠ والبرجوازيون الصغار الذين ملأوا صـفوف الحركة ضجيجـا وانتقـادا يكتشفون أن الطريق طويل ٠٠ وملىء بالشـوك فيؤثرون السلامة ٠٠

ولم يبق سوى القليل الأقل الذى خرج من المعتقلات يتلمس طريقـا جديدا للعمـل الثورى ٠٠

ووسط هذا النفر القليل كانت « حدتو » ( الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ) تحاول جاهدة أن تستعيد دورها ، وهيبتها وأن توحد صفوفها معتمدة على مجموعة ضئيلة لا تزيد على أصابع اليدين ·

* * *

وفتحى الرملى كما كان دوما شخصا غريب المزاج .. غريب التكوين .

أهم ما يهمه فى الحديث عن أبيه أنه يمتد بنسبه « الشريف » الى « الشجرة النبوية الشريفة » وفى حديثه عن والدته السيدة « آمنة » أنها « بنت فضيلة الشيخ حسين سليمان مفتى الديار المصرية عن الصعيد »(١)

وهو مع ذلك يتحدث عن المادية ·· وعن الماركسية وعن الثورة الاشتراكية وعن ايمانه بها ··

لكن لكل شيء معناه الخاص ، والخاص جدا عند فتحى الرملى .

فهو يستدرك قائلا « لكنى عندما تقدمت فى دراستى ، تجاوز وعيى فهم الخطوط الرئيسية النظرية الى التعمق فى فلسفتها وبالتالى فيما تمتاز به من مرونة ، عرفت أن الثورة الاشتراكية لا تعنى انقلابا دمويا تنظمه عصابة من العمال ولكنها تعنى الثورة الفكرية ، ··· وأن الثورة فى النهاية لا تعنى انقلابا مسلحا لقلب نظام الحكم والاستيلاء عليه بالغصب والقهر ، بل هى تعنى تطورا تاريخيا يظهر أول ما يظهر فى آلات الانتاج ، ثم فى علاقة الطبقات ازاء الآلات(٢) ·

ويعود فيؤكد « وليس دور الماركسى أن ينطح النظام الرأسمالى نفسه فحتى هذا النظام انما يلعب دورا هاما فى التقدم وفى الوعى ·· وعلى ذلك تصبح رسالة الاشتراكى – غير الهدام – هى أن يحمل مصباح الفكر الجديد لينير للناس طريق التطور ويدفعهم بالحجة والمنطق الى ذلك الطريق »(٣) ·

عن هذا الماركسى الذى لا يريد أن ينطح النظام الرأسمالى .. والاشتراكى غير الهدام ! سنتحدث طويلا ونحن نتحدث عن البشير ··

* * *

---

١ – فتحى الرملى – قبل أن أعترف ( ١٩٧٩ ) ص ١٧

٢ – المرجع السابق ص ٣٠

٣ – المرجع السابق ص ٣١

والبشير كما سنرى هى ثمرة طبيعية لتلاقى هذه الخطوط الثلاث :

– « مصر » عام ١٩٥٠ الخارجة لتوها من رحم فترة عصيبة ٠

– حدتو عام ١٩٥٠ المكونة من عدد ضئيل من الكادر الذى بقى بعد خوض غمار معركة مريرة ضد السلطة وضد الانقسامية ٠

– ثم فتحى الرملى ٠٠ الذى يعود فيتحدث عن نفسه كصحفى قائلا: كنت « أكتب بسبعة أرواح ، أكتب وأقلد عشرات الاقلام ، أكتب فى السياسة وفى الفكاهة والقصة ، الكتابة الهازلة والجادة ، الساخرة والثائرة ، الاسلوب القديم ، أسلوب التراث العصرى الجديد المبتكر ٠ ٠٠ كنت أكتب رسائل مفتوحة الى فلان وعلان بأسلوب ، وأكتب ركن الصيف بأسلوب ثان وأكتب عن التيارات السياسية بأسلوب ثالث ، وأكتب التعليقات الاجتماعية بأسلوب رابع ، وأختم هذا كله بالرد على رسائل القراء بأسلوب خامس أو سادس ٠٠ هل تظن يا عزيزى القارئ ٠٠ اننى مغرور ؟ نعم اننى مغرور تماما فى نفسى ، وأعتقد أن الذين ظنوا اننى من أكفا الصحفيين الذين ظهروا فى هذه الفترة لم يجاملونى ، ولم يقولوا الا صدقا »(٤)

٠٠ المهم التقت هذه الخيوط الثلاث فى مجلة فريدة من نوعها .

**« البشــير »**

**فكيف كانت البداية ؟**

❋ ❋ ❋

والبشير « جريدة علمية ثقافية جامعة »

شعارها « نشر الثقافة والعلوم وتوطيد أواصر الصداقة بين جميع أبناء العالم لكى يعم الامان والسلام على الأرض » ٠

تصدر فى : ميت غمر ٠

صاحب الجريدة ورئيس تحريرها المسئول : محمد توفيق محمد

مدير الادارة العام : محمد فهمى محمد عوض ٠

ظلت البشير تصدر على هذا النحو عشر سنوات ، كجريدة اقليمية محدودة التوزيع والانتشار تشغل معظم صفحاتها برغم شعارها ذو الطابع العالمى بمجالات اقليمية وشخصية ٠٠

وكان صاحبا الامتياز محمد توفيق محمد والشيخ مصطفى الصاوى

٤ – المرجع السابق ص ١٤٦

يصدرانها بانتظام ولما توفى الثانى انفرد الآخر باصدارها حتى بلغ مجموع ما صدر منها ٣٥٩ عددا نشر آخرها فى الثلاثاء ٢١ فبراير ١٩٥١ .

وابتداء من العدد ٣٦٠ استاجر فتحى الرملى ترخيص اصدار الجريدة بايجار شهرى يقال أنه خمسة جنيهات ( ٥ ) ليحولها من مجلة اقليمية ذات ميزل وفدية الى مجلة يسارية (٥)

ولكن لم لا نلق نظرة سريعة على العدد ٣٥٩ .. العدد الأخير قبل تاجيرها لفتحى الرملى ..

.. عيد الميلاد الملكى « كان يوم السبت الماضى يوما من أسعد الأيام على الأمة المصرية فقد احتفلت البلاد من أقصاها الى أقصاها بعيد الميلاد المجيد لمليكها المحبوب وراعيها الصالح .. والبشير تنتهز هذه المناسبة السعيدة فترفع الى الاعتاب الملكية أسمى آيات التهانى وعظيم التبريك . وتدعو الله أن يصون ملكه ويوطد عرشه الكريم » ..

أما كلمة البشير فهى بقلم محمد فهمى محمد عوض ( مدير الادارة العام ) فتقول « سالنى بعض القراء وبعض النواب المحترمين عن الاتجاه السياسى لهذه الجريدة .. لذلك أقول بأن جريدة البشير ستفتح صدرها لجميع الآراء متى وثقت بأنها صادرة عن نية حسنة ورغبة صادقة فى الاصلاح .. وستعنى هذه الجريدة بمعالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والرياضية وتدافع عن حقوق العمال والفلاحين وتبحث شئون المرأة وتتعاون مع رجال الاصلاح الحقيقى » .

وبرغم هذه الايماءة المحايدة نجد مقالا ساخنا بعنوان « فرحة الشعب وأمل البشير » بقلم محمد حسن الحايس سكرتير تحرير البشير يقول « لقد عم البشير جميع الطبقات ، ودقت طبول الافراح ، فى شتى أنحاء القطر المصرى عواصمه ومدنه وقراه لفوز الوفد ممثل الشعب الصحيح هذا الفوز المبين وانتصار مرشحيه البررة الاوفياء الذين عاهدوا الوطن على السهر للزود عن أراضيه وحمايته من كل اعتداء أجنبى والعمل على وحدة الوادى شماله وجنوبه وسودانه تحت تاج الفاروق ذلك الملك الفارق بين الحق والباطل ، وبزعامة خليفة سعد رأس الحركة الوطنية مصطفى الأمة وأنصاره المخلصين المختارين »(٦) .

---

٥ ـ مناقشة مع اسماعيل جبر أجريت فى ١٩٨٠/٨/١٦ .

٦ ـ البشير ـ العدد ٣٥٩ ـ ١٩٥٠/٢/٢١ .

هذه هى المجلة التى استطاع فتحى الرملى أن يستأجرها بخمسة جنيهات شهريا وأن يصدرها كمجلة يسارية ابتداء من العدد ٣٦٠ الذى صدر فى الثلاثاء ١٤ ابريل ١٩٥٠ ونلاحظ فترة التوقف بين العدد ٣٥٩ .. والعدد الجـديد .

* * *

وقـد أصدر فتحى الرملى بالتعاون مع آخرين ثلاثون عددا من البشير يحمل آخرهـا رقم ٣٩٠ وقـد صدر فى ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ .

وبعدها انسحب فتحى الرملى من البشـــير بناء على قرار من ادارة المطبوعات ( التى استندت الى طلب ( يقال انه موعز به ) من ابن الشيخ مصطفى الصاوى باعتباره وريثا لأبيه كشريك فى امتياز ، يطلب فيه ايقاف اصدار المجلة باتجاهها اليسارى ويطلب الاشراف على تحريرها )(٧) .

وبالفعل .. وبعـد ابعـاد فتحى الرملى عن الاشتراك فى اصدار المجلة ، تعاود البشـير صدورها فيصدر العدد ٣٩١ بعـد فترة توقف طويلة ( ١١ يونيو ١٩٥١ ) ويحمل العدد اسمى محمد توفيق وصلاح الصاوى كصاحبى الامتياز وصلاح الصاوى كرئيس للتحرير ولسنا بحاجة للقول بانه كان خاليا تماما من أية مسحة يسارية أو تقـدمية .

* * *

تنحصر دراستنا اذن عن مجلة البشير فى حدود الأعداد الثلاثون .. من العدد ٣٦٠ ( ١٤ أبريل ١٩٥٠ ) حتى العدد ٣٩٠ ( ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ ) ، اننـا ندرس وفقط الاعداد ذات التوجه اليسارى .

والملاحظـة الأولى فى دراستنا هى أن فتحى الرملى قـد أسرع فأضفى طابعـا خاصا على اخراج البشير ابتداء من العدد الأول ( ٣٦٠ ) وهو طابع خاص بفتحى الرملى يعتمد على استخدام مسطحات من اللون الاحمـر فى الصفحة الاولى وقـد سبق أن استخدمه فى مجلة النـديم القصصى وبعـد البشير واصل استخدامه فى مجلتى المستقبل والمعارضة ..

والملاحظـة الثانية .. هى أن فتحى الرملى لم يستقل تماما باصـدار البشير بل ظلت مساحات محدودة منها تحرر بواسطة صاحب الامتياز محمد

---

٧ ـ مذكرة الافوكاتو كامل غالى المحامى بالنقض فى القضية العمالية رقم ٢٥٨٣ جلسة ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢ بالدفاع عن الأستاذ فتحى الرملى ـ دار الطباعة الحديثة ص ٢٧ .

توفيق ، وتستخدم هذه المساحات أساسا فى مجاملات شخصية ذات طابع اقليمى ..

وكنماذج « عمدة الروضة .. تلقينا رسالة كريمة تفيض ثناء كريما على حضرة الوجيه الكبير الحاج عيداروس الحيوان عميد عائلة الحيوان الشهيرة بالروضة وعمدتها لما يقوم به من خدمات انسانية جليلة ولما يبذله من جهد مشكور فى اقرار الامن وحفظه فى البلاد التى تقع فى منطقة كفور عموديته . ان الحاج عيداروس رجل ورث المجد والشهامة والرغبة فى الخدمة العامة من والده المغفور له الشيخ على سيد أحمد الحيوان عضو مجلس مديرية الشرقية السابق »(٨) .

و .. عاد من اجازته الدكتور محمد صبرى بك حكيمباشى مستشفى الرمد الأميرى بميت غمر بعد أن طاف ببلاد أوروبا مطلعا على أحدث النظم والأساليب فى فن جراحة العيون تصحبه حرمه المصون - محمد توفيق صاحب البشير »(٩) .

وحتى العدد الاخير من الاعداد التى أصدرها فتحى الرملى تجد بصمات محمد توفيق هذا « رسالة ميت غمر : فى الاسبوع الماضى انعقد مجلس بلدية ميت غمر لأول مرة بعد انتخابات الاعضاء الجدد ، لانتخاب وكيل للمجلس وقد انتخب صاحب العزة حسين بك فودة كبير أعيان ميت غمر بالاجماع ، وقد قوبل انتخابه للوكالة من أصدقائه وعارفيه بالفرح والسرور - صاحب الجريدة محمد توفيق »(١٠) .

ولم يكن هذا التجاور الغريب بين المقالات ذات النزعة اليسارية والماركسية وبين كتابات صاحب الجريدة آخر المتناقضات التى تميزت بها البشير .. فقد كان هناك فى كل عدد الرأى الثالث الذى يختلف عن توجه صاحب الجريدة وعن رأى مستأجرها الذى لا يريد أن يناطح النظام الرأسمالى .. أى رأى منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التى شاركت فتحى الرملى فى اصدار معظم اعداد الجريدة وفرضت هيمنتها على معظم صفحاتها مستندة على قدراتها سواء فى التحرير أو التوزيع أو التمويل (١١) ..

---

٨ - البشير - العدد ٣٦٢ - ١٩٥٠/٤/٢٥ .

٩ - البشير - العدد ٣٨٥ - ١٩٥٠/١٠/١٤ .

١٠ - البشير - العدد ٣٩٠ - ١٩٥٠/١١/٢٥ .

١١ - يقول اسماعيل جبر أن فتحى الرملى كان ينحصر كل دوره فى كونه عضوا بنقابة الصحفيين أى مسموح له وفقا للقانون برئاسة تحرير جريدة وفى تحرير الافتتاحية أما بقية مواد التحرير فقد كانت تعدها مجموعة من كوادر جات ( جبهة التحرير التقدمية ) ثم كوادر حدتو فيما بعد .

وهكذا وبثلاثة أوجه ٠٠ بدأت البشير فى الصدور ابتداء من العدد ٣٦٠ كمجلة يسارية ٠

وبرغم الفارق الكبير فى التوجه السياسى والتحريرى وفى أسلوب الاخراج بين العدد ٣٥٩ والعدد ٣٦٠ ٠ الا أن ثمة بصمات معينة ظلت باقية على صفحات الجريدة ربما ارضاء لصاحب الترخيص الذى ظل حريصا على الاحتفاظ بعلاقة ما بالمجلة ، وربما فى محاولة لحماية الجريدة من الهجمات البوليسية فى البدايات الأولى ٠٠

ففى العدد ٣٦٠ أى العدد الأول الذى حرره فتحى الرملى ( ويلاحظ أنه حرره بمفرده أى دون مشاركة من أى تنظيم ماركسى ( مستطيل بعرض الصفحة الاولى باللون الاحمر بداخله كتابة بيضاء « من كذب بالامة أو داخله فيها الشك فليس منا ـ مصطفى النحاس » ٠

وفى نفس الصفحة برواز يقول « البشير مجلة أسبوعية جامعة ـ صاحب الامتياز محمد توفيق ـ رئيس التحرير المسئول فتحى الرملى » ٠

ويظل شعار مصطفى النحاس « من كذب بالأمة ٠٠٠ » متربعا فى نهاية الصفحة الأولى لاثنى عشر عددا من أعداد البشير ، أى أنه ـ وكما سنرى فيما بعد ـ يظل حتى بعد أن تتولى حدتو الاشتراك فى اصدار المجلة .

وفى العدد ٣٧٢ الصادر فى السبت ٨ يوليو ١٩٥٠ تختفى هذه العبارة النحاسية وتحل محلها عبارة سبق لفتحى الرملى أن استخدمها فى العدد الوحيد الذى أصدره عام ١٩٤٧ من مجلة « النديم القصصى » ثم استخدمها بعد ذلك فى مجلة المعارضة وهى « الحقيقة هى أثمن ما نجاهد فى سبيله » لكن الجريدة تظل تصف نفسها بانها « مجلة أسبوعية وفدية » ٠

والحقيقة أننا نلاحظ كثيرا من الشد والجذب فى هذا الموضوع بما يؤكد أنه كان محل صراع بين صاحب المجلة الوفدى وبين محرريها الماركسيين ٠٠

ففى العدد ٣٧٥ تختفى كلمة « وفدية » من التعريف بالمجلة ، وتقول البشير عن نفسها انها « مجلة أسبوعية سياسية » لكن العدد التالى ٣٧٦ يعود ليحمل مفاجاة أخرى اذ تعود البشير « مجلة أسبوعية وفدية » ٠

وكعادة فتحى الرملى فان المجلة التى يصدرها تتخذ أكثر من ثوب ٠٠

فهى الى جانب كونها مجلة سياسية تعتبر فى أعدادها الثلاثة الاولى متحدثا باسم ما أسماه الرملى « معهد الصحافة الاهلى » وقصة « معهد

الصحافة الأهلي ، هذه قصة قديمة فمنذ مجلة « النديم القصصى » التى أصدر منهــا عددا وحيــدا فى عام ١٩٤٧ معلنــا انها لسان حال الجبهــة الاشتراكية نجــد أن « الاشتراكات والاعلانات يتولاها معهــد الصحافة الأهلى » والمراسلات على صندوق بريد ٣٦ مصر » ومعهد الصحافة الاهلى كان شيئا مكمــلا لجهــد فرد يصدر جريدة بمفرده ، فعن طريق صندوق البريد يمكنه أن يتلقى مراسلات وأخبار ومقالات من هواة الصحافة الذين يجتذبهم اسم « معهد الصحافة الأهلى » ويعــدهم فى دعايته بانه يؤهلهم كى يكــونوا صحفيين مرموقين .. والدراسة فى المعهــد بالمراسلة بعــد تسديد اشتراك لعله كان أحــد مصادر دخل فتحى الرملى .

وهكذا تمتلىء صفحات الاعداد ٣٦١ ، ٣٦٢ ، باعلانات هذا المعهــد الذى يتخذ لنفسه عنوانا هو نفس عنوان المجلة أى صندوق البريد ٣٦ مصر .

***

وكانت المجلة بلا مقر ..

يقول مبارك عبده فضل فى مناقشة معه « كنا نجتمع فى قهوة بالقرب بالمطبعة قبل موعد الطبع بيوم وتحرر المقالات ونحن جالسين معا فى القهوة . كل منــا يكتب موضوعا ، ونستعرضه معــا ، ثم ترسله للمطبعة »(١٢) .

وابتداء من العدد ٣٦٢ تبرز على صفحات البشير اعلانات عن وكالة الانباء المصورة ١١٣ ش الملكة نازلى تليفون ٤٥٠١٤ ـ المؤسس والمدير المسئول حسين الرملى » .

وحسين الرملى هو شقيق فتحى الرملى وكان يمدهم من البداية بصورة فوتوغرافية معبرة تحتل يسار الصفحة الاولى من البشير ..

ويلاحظ أن البشير قــد أعلنت ابتداء من العدد ٣٦٢ ( ١٨ أبريل ١٩٥٠ ) أن رقم تليفونها هو ٤٥٠١٤ أى نفس التليفون السابق .

وفى العدد ٣٦٤ ( ٢ مايو ١٩٥٠ ) تعلن البشير فى صفحتها السادسة أن « ادارة المجلة اتخذت مكتبا مؤقتــا لها بوكالة الانباء المصورة ١١٣ شارع الملكة نازلى » .

ثم يأتى تغير جــديد مع استقرار العلاقة بين البشير وحدتو فابتداء من العــدد ٣٧٣ تتغير دار الطباعة التى تتولى طبع البشير من دار المستقبل

---

١٢ ـ مناقشة مع مبارك عبده فضل .

الى مطبعـــة العـالم العربى ·· وابتداء من العدد ٣٧٤ تعلن البشير عن مقرها الجـديد ١٥٧ شارع محمد بك فريد ميدان مصطفى كامل · مصر ·· ثم تفقد البشير مقرها هذا وتعود مرة أخرى لتستخدم صندوق البريد ٣٦ مصر كعنوان وحيــد لهـا(١٣) ·

****

وثمة ملاحظـة تثبت لدى أية مطالعة لأعداد مجلة البشير ، هى أن هذه المجلة كانت تعـانى من ضائقة مالية خانقــة ··

فهى مجلة ايجـار ترخيصها خمسة جنيهات فى الشهر ·· تحرر على مقهى مجاور للمطبعــة يحررها مجموعة من السياسيين ليس فيهم صحفى واحـد الا فتحى الرملى وهو بالضرورة يختلف معهم فى التوجه السـياسى وتخلو المجلة تقريبـا من أية اعلانات ذات قيمة والتوزيع يقـوم به أعضـاء حدتو ثم يوردون ثمن الاعداد المباعة عن طريق العلاقات التنظيمية ، والى الأقاليم ترسل لفـافات من الاعداد بالبريد على عناوين أعضاء التنظيم ·· ويحـدث عجز ضرورى فى تمويل عملية اصدار الجريدة يقـدره أحـد قـادة حدتو ذلك الوقت بثلاثين جنيهـا فى العـدد كانت حدتو تعمل على تغطيتها من ميزانيتها الخاصة أو مما يجمعه أعضاؤها من تبرعات (١٤)

ومنذ البداية تنشر البشير فئات الاشتراك كما يلى :

- ٢٠٠ قرش اشتراك تاييـد لـدة سنة ·
- ١٠٠ قرش اشتراك عادى لمدة سنة ·
- ٢٠ قرش اشتراك ٣ شهور للطلبة والعمال والموظفين ·

وترسل الاشتراكات باسم مدير المجلة فتحى الرملى على صندوق بوستة ٣٦ بمصر »(١٥) ·

وقـد أصدر فتحى الرملى العدد الأول ( ٣٦٠ ) فى حجم طموح ١٢ صفحة تابلويد ويواصل عددا واحـدا ثم لا يلبث أن يخفض الصفحات الى النصف ابتداء من العـدد ٣٦٢ ··

---

١٣ ــ البشير ــ العدد ٣٨٦ ــ السبت ٢١ أكتوبر ١٩٥٠ .
١٤ ــ مناقشة مع مبارك عبده فضل ·
١٥ ــ البشير ــ العدد ٣٦١ ــ ١٩٥٠/٤/١١ ·

ولكن في العدد ٣٧٩ وبرغم المعونة المالية من جدتو وبرغم اشتراك أعضائها في عملية التوزيع لا تلبث البشير أن تخفض صفحاتها الى أربعة صفحات تابلويد فقط ٠٠ وتخاطب البشير قرائها قائلة « الى الأحرار ٠٠ استطاعت البشير هذا الاسبوع أن تصدر في أربع صفحات ، وقد تعجز في الأسبوع القادم عن الصدور اطلاقا ، فالارتفاع الجنوني المتواصل في أسعار الورق يوشك أن يحطم هذا المنبر ويخنق هذا الصوت ٠٠ لقد كان في استطاعة البشير أن تصدر في حجم أخبار اليوم مثلا لو أن ادارتها اتصلت بشركة سباهي وتعهدت لها أن تتجاهل ما تنزله بعمالها في الاسكندرية وشبرا الخيمة من ألوان العذاب ٠٠ وكان في استطاعتها أن تصدر في حجم آخر ساعة وفي أناقتها وطباعتها وشكلها لو أن ادارة المجلة قبلت أن تتفاهم مع المسؤولين في السفارتين الامريكية والانجليزية على التعاون وتنسيق الجهود (١٦) ٠

وفي العدد التالي « عزيزي القارئ ٠٠ لا زلنا نصدر في أربع صفحات ولا زلنا نكافح لنعود الى ثماني صفحات كما كنا ، لذلك نريد معونتك حتى نحقق ما تريد ٠ اشترك ٠ وادع أصدقاءك للاشتراك »(١٧)

وانتشرت براويز عديدة على صفحات الاعداد التالية :

« البشير تصدر لتعبر عن آرائكم ، فلا تعيش الا بقروشكم ، ولا تقوى الا بتأييدكم » لا تكتف بشراء نسخة واحدة كل أسبوع ٠ فكل عدد من البشير مسمار جديد يدق في نعش الاستعمار والطغيان والظلم »(١٨)

ولعل هذه النداءات الحماسية أفضل كثيرا من رنة اليأس التي بدت في مقال منشور في العدد ( ٣٧١ ) ومعنون « هل في مصر أحرار ؟ » جاء فيه « كتبت أخبار اليوم في عددها الماضي أنها طبعت ٢٠٠ ألف نسخة ومع ذلك لم تتمكن من سد احتياجات السوق ونشرت خطابا من قارئ وآخر من قارئة يشكوان من أنهما اضطرا الى دفع عشرة قروش ارتفعت الى ٢٥ قرشا ليحصلا على عدد واحد ٠٠ والذي يعنينا الآن أننا نعرف وكل حر في مصر يعرف القضية التي تدافع عنها أخبار اليوم ، فقد وقفت بجانب الجلاد عبد الهادي وما زالت تمهد الطريق لعودته بنشر صفحات عن بطولة المرحوم النقراشي باشا ! وهي تعتبر لسان حال عميد اتحاد الصناعات

---

١٦ – البشير – العدد ٣٧٩ – ١٩٥٠/٨/٢٦
١٧ – البشير – العدد ٣٨٠ – ١٩٥٠/٩/٢ ٠
١٨ – البشير – العدد ٣٨٩ – ١٩٥٠/١١/١٨

العظيم أى الباشا صدقى ، وهى المجلة التى كانت تتحدى بلا خوف وبلا مواربة الشعب المصرى كله ٠٠ وهى فوق هذا المجلة التى تترجم نشرات الدعاية المسمومة التى تصدرها ادارة الاستعلامات والمخابرات البريطانية » ٠

وبعد هذه المقدمة تقول البشير « من أجل هذا أصدرنا مجلتنا البشير ليصل صوتا واحدا حرا الى الجماهير من بين الضباب الاسود الكثيف ، ومن أجل هذا تحدينا الظروف ولم ترهبنا القوة الهائلة وخرجنا نهاجم الاستعمار وأعداء الشعوب ٠ لقد طبعناه أول عدد ووزعناه بايدينا ووزعنا غالبيته بلا ثمن ، ثم جمعنا القروش والملاليم لنطبع ألفين من جديد ثم ألفا من الأعداد التالية ولتوزع غالبيتها بلا ثمن وبأيدينا أيضا ٠ ثم زدنا فى عنف حملاتنا فى حماس وتحد وكتبنا المجلة وحدنا لان شابا أو رجلا حرا واحدا لم يهتم بارسال انتاجه أو صورته ، ثم ووجهنا بتهديد من صاحب المطبعة بالتوقف فى كل عدد ، ثم انتظرنا آملين أن نتلقى اكتتابات أو اشتراكات أو خطابات تأييد أو كلمة من حر تبعث الثقة والامل ٠٠ ثم وجدنا أنفسنا نتساءل وتوجه من أعماقنا الصرخة الى كل حر فى مصر وهل فى مصر أحرار ؟ وان وبتأييد من تصدر هذه المجلة ؟ هل يعنى هؤلاء الاحرار أن تستمر ؟ أم هم ما زالوا بين الـ ٢٠٠ ألف الذين يفضلون شراء وقراءة أخبار اليوم ومثيلاتها من صحف الرجعية ؟ اننا نتساءل ، نتساءل فقط »(١٩)

ان الفارق بين المنهجين هو الفارق بين شخص وحيد محاصر ٠٠ وبين تنظيم له كوادره وعلاقاته ٠٠

.. وتتخطى البشير حاجز اليأس ٠٠ وينطلق أعضاء وكوادر حدتو يوزعون النسخ ويجمعون الاشتراكات والتبرعات ، وتنظم حملة واسعة تحت شعار « كل قرش تدفعه للبشير مسمار يدق فى نعش الاستعمار » ٠

٠٠ ومن جديد تستطيع البشير أن تصدر ابتداء من العدد ٣٨٣ ( ٣٠/ ٩/ ١٩٥٠ ) فى ثمانى صفحات ٠

* * *

ويبدو من مطالعة أعداد البشير أن فتحى الرملى قد انفرد باصدار الأعداد الأربعة الأولى ٠٠ ومن العدد ٣٦٤ بدت ملامح قوى جديدة تشاركه التحرير ٠٠ وتمثلت عمليا فى اضافة اسم اسماعيل جبر كسكرتير للتحرير فى العدد ٣٦٥ ٠

---

١٩ ـ البشير ـ العدد ٣٧١ ـ ١٩٥٠/٦/٢٤ ٠

يقول اسماعيل جبر في مناقشة معه « فتحي الرملي أصدر البشير أولا بدوننا ، وكان بالنسبة لنا نموذجيا ، فهو اشتراكي بشكل أو بآخر وهو عضو في نقابة الصحفيين أيضا ، وفي جلسة معه اتفقنا على أن يستمر اسمه كرئيس تحرير تنفيذا للقانون بينما نتولى نحن تحرير المجلة وكنا حلا نموذجيا بالنسبة لفتحي الرملي فنحن نتحمل ماليا عبء اصدار المجلة ونتحمل مسؤولية التحرير والتوزيع . وكنا نتولى تحرير كل المجلة فيما عدا الافتتاحية التي يحررها ويوقعها فتحي الرملي .. وكان يتولى معظم عملية التحرير المسؤول السياسي للمنظمة جات ( جبهة التحرير التقدمية ) الدكتور عصام جلال .. »(٢٠)

لكن جات كانت تنظيما صغيرا فلا تستطيع سد الاحتياجات المالية ولا التحريرية ولا لديها قدرة التوزيع الكافية .. ويستمر اسم اسماعيل جبر كسكرتير للتحرير لثلاثة أعداد فقط ثم يختفي ليحل محله اسم أحمد حلمي العباسي ابتداء من العدد ٣٥٨ ( ٣ يونيو ١٩٥٠ ) .

ويجيء الآن دور حدتو وهي التنظيم الاكثر قدرة ..

وتبرز حدتو على صفحات البشير ابتداء من العدد ٣٧٠ ( ١٧ يونيو ١٩٥٠ ) الذي يصدر كعدد خاص عن السلام متميزا باللون الاخضر الذي يغطي معظم مساحاته وبتوضيب جديد تبدو فيه لمسات متمرسة للكوادر الصحفية البارزة من أعضاء حدتو وتتناثر براويز عديدة تتحدث كلها عن السلام ( أحد المعارك الرئيسية التي خاضتها حدتو في ذلك الحين ) « الدفاع عن السلم دفاع عن العدل – الكفاح ضد الاستعمار كفاح ضد الحرب – اقضوا على الحرب قبل أن تقضي عليكم » ..

وفي العدد ٣٧١ ( ٢٤ يونيو ١٩٥٠ ) تبدأ أسماء كتاب ورسامي حدتو في الظهور على صفحات البشير ففي الصفحة الأخيرة دراسة عن مكسيم جوركي بقلم أ.ع ( ابراهيم عبد الحليم ) ومعها رسم تشكيلي بتوقيع حسن فؤاد ثم في الأعداد التالية تشغل الصفحة الاخيرة قصص لمحمد يسري أحمد ( أحد كتاب حدتو ) .

والذي يعزز الرأي بأن علاقة حدتو بالبشير بدأت من العدد ٣٧٠ برواز منشور في العدد ٣٧٢ (١ يوليو ١٩٥٠) يقول « الى أصدقاء البشير ، حاولنا في

---

٢٠ – مناقشة مع اسماعيل جبر ، المرجع السابق ..

العددين الأخيرين أن نخطو ولو بعض الخطوات الى الأمام ، حاولنا وبذلنا ما فى طاقتنا من جهد ولا شك أنكم لاحظتم ذلك » .

وبعد هذه الايماءة الواضحة تمضى البشير ، أو بالدقة يمضى المحررون الجدد للبشير قائلين « ان هدفنا أن نخلق بمجهودنا ومجهودكم مجلة حرة تمثل الاحرار فى مصر وتربطنا بالمعركة المستعرة الاوار فى العالم والتى تهدف الى القضاء على الاستعمار بشتى صوره ، والقضاء على تجار الحروب أعداء السلام . لقد عقدنا العزم على أن نقفز قفزة كبيرة الى الأمام ونخرج المجلة فى ثوب جديد ، ولن يتحقق هذا الامل اذا لم تساهموا بجهودكم معنا » (٢١)

ويتأكد دور حدتو بذلك التحول البارز فى تحرير الجريدة وفى أبوابها وفى دعوتها الملحة لقضية السلام التى كانت كما قلنا أحد المعارك الرئيسية لحدتو .. والدعوة لجمع توقيعات على ميثاق استكهولم للسلام . وقد طبعت البشير بيان استكهولم فى عريضة منفصلة داعية القراء الى جمع توقيعات عليه وارسالها الى ادارة البشير ، وظلت صفحاتها حافلة بأخبار عمليات جمع التوقيعات هذه وبأخبار القبض على من يجمعونها الذين كانوا يوصفون عادة بأنهم « من أسرة البشير » وكانت هناك أبواب ثابتة « الشعوب لا تريد الحرب » و « نريد السلام » كذلك تتضح بصمات حدتو من كثرة ما نشر من أشعار كمال عبد الحليم ( أحد قادة حدتو ) ففى العدد ٣٨٠ ( ٢ سبتمبر ١٩٥٠ ) تتضمن الصفحة الاخيرة قصيدة « معسكرات » لكمال عبد الحليم ، ثم فى العدد التالى ( ٩ سبتمبر ١٩٥٠ ) تحتل قصيدته نحو فجر جديد صدر الصفحة الاولى للجريدة .

أما العدد ٣٨٨ ( ١١ نوفمبر ١٩٥٠ ) فيخصص صفحة كاملة بعنوان « شاعر يؤمن بالشعب » تكرس للحديث عن كمال عبد الحليم وتضم أيضا قصيدته الشهيرة ... اصرار .

وابتداء من العدد ٣٨٢ ( ١٦ سبتمبر ١٩٥٠ ) يظهر اسم ضياء الدين بدر ( أحد كوادر حدتو ) كسكرتير للتحرير .

*   *   *

لكنه يتعين علينا أن نتوقف قليلا عند عدد بعينه .

العدد رقم ٣٦٧ أى العدد الثامن بعد تولى فتحى الرملى لرئاسة تحرير البشير والعدد الثالث بعد اشتراك منظمة « جات » فى اصدارها ..

---

٢١ ـ البشير العدد ٣٧٢ ـ ١٩٥٠/٧/١ .

صدر هذا العدد يوم الثلاثاء ٢٣ مايو ١٩٥٠ وكان صغير الحجم ست صفحات فقط خال تماما من الالوان ، اللون الاسود فقط ، خال أيضا من الابواب الثابتة مثل « شئون العمال » و « شلاليت » وغيرها ٠

وتتضمن الصفحة الاولى حديثا أجراه مندوب البشير مع وزير التموين !

وفى الصفحة الثانية موضوع واحد بعنوان « كتاب استعجال يصل فى أربع سنوات . تراث الميرى فى الروتين الحكومى » والصفحة الثالثة موضوع واحد « البلبل الصداح » عن وفاة المقرىء الشيخ محمد رفعت بقلم عباس حافظ والصفحات الثلاث الباقية قصة تافهة مترجمة عن الفرنسية بعنوان « أنا المجرمة » ٠

لكن أغرب ما تضمنه هذا العدد مقال ملفت للنظر بعنوان « قراءة بالاكراه » تتضمن هجوما شديدا على الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى جاء فيه « أذاع أخيرا الحزب الشيوعى الذى يحكم تشيكوسلوفاكيا أنه قد تألفت من تلاميذ المدارس جماعات تدعى جماعات العمل الصيفى مهمتها أن تستجوب المواطنين البارزين عما اذا كانوا قد طالعوا مؤلفات المرحومين كارل ماركس ولينين فاذا اتضح أن أحدا منهم لم يقرأها حتى الآن فعليهم أن ينصحوا له بقراءتها فى أقرب وقت مستطاع ٠٠ ولكن هل تأتى النصيحة من جماعات العمل الصيفى الذين يهددون ولا ينصحون وما قيمة تلك الثقافة التى تفرض على المرء فرضا ! وحتى اذا كانت مفيدة حقا فلا جدوى منها للانسان الذى يتلقاها وهو مرغم ، وهو عليها ناقم ، فبعد هذه النصيحة ٠٠٠ فضيحة »(٢٢) ٠

والغريب أن هذا العدد يصدر حاملا فى صدره أن سكرتير التحرير اسماعيل جبر ٠٠ لعل جات كانت قد فقدت قدرتها على مواصلة اسهامها فى اصدار البشير ٠٠ ولعلها كانت فترة انتقال انفرد فيها فتحى الرملى باصدار المجلة ولعل فتحى الرملى نشر ما نشر تشفيا فى شركائه السابقين (جات) بعد ما انفصمت العلاقة لسبب أو لآخر ٠

وثمة ملاحظة أخرى ٠٠ أن العدد ٣٦٧ كان آخر الاعداد التى تصدر يوم الثلاثاء ٠٠ بعدها صدر العدد ٣٦٨ يوم السبت ٣ يونيو ١٩٥٠ وانتظم صدور المجلة بعد ذلك يوم السبت من كل أسبوع بشكل منتظم باستثناء السبت ٢٢ يوليو ١٩٥٠ الذى تخلفت فيه البشير عن اصدار العدد ٣٧٥

---

٢٢ ــ البشير ــ العدد ٣٦٧ ــ ١٩٥٠/٥/٢٣ ٠

وأصدرته فى السبت التالى ٢٩ يوليو ١٩٥٠ دون أن تشير الى ذلك مطلقا فى صفحاتها ٠

وتستمر البشير كمجلة يسارية حتى العدد ٣٩٠ الذى يصدر السبت ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ ثم تنجح ادارة المطبوعات فى ايقافها عن الصدور بناء على طلب من وريث شريك سابق لصاحب الترخيص وفى يوم الاثنين ٤ ديسمبر ١٩٥٠ تصدر مجلة جديدة بنفس الحجم ونفس التوضيب تحمل اسم المستقبل وتنشر المستقبل فى صدر صفحاتها الاولى عنوان « البشير عطلوه » وتقول « أيتها الطبقة العاملة ٠٠ أيتها الفئات الكادحة ٠٠ لقد عطلت لكم الرجعية البشير وظنت أنها ستقضى بذلك على منبركم ولكن سحقا لها ، هاهى المستقبل تتقدم حاملة الراية ٠٠ الراية المخضبة بدماء الطبقة العاملة ، تتحدى الاستعمار وتتحدى الرجعية وتتحدى الموت ٠ لا موت لاننا نكافح من أجل المستقبل ٠٠ المستقبل لنا »(٢٢) .

ويبقى بعد ذلك أن نقلب معا صفحات ثلاثين عددا من مجلة البشير ٠

* * *

نحن الآن مع البشير ٠٠ عددها الأول الذى أصدره فتحى الرملى أى العدد من المسلسل القديم ٠٠ وقد صدر العدد فى الثلاثاء ٤ أبريل ١٩٥٠* وقد أشرنا فيما سبق الى صورة النحاس باشا التى تربعت فى صدر الصفحة وتحتها عبارة « على مبادىء الوفد المصرى » ٠٠

أما الافتتاحية فهى مجرد دعوة اعلامية لمعهد الصحافة الاهلى وعنوانها « من أجلكم يا شباب » ٠٠ « فى مصر عبقريات مدفونة ، وفى مصر نبوغ ومواهب وكفاءات لم تكشف بعد ، ولا يحول بينها وبين الظهور والتألق سوى أنانية البعض وضعف البعض وعدم ثقة البعض فى شباب هذا الجيل ٠٠ واذا القينا نظرة على ميدان الصحافة مثلا وجدنا حفنة من « الأساتذة » الكبار تريد أن تحتكر لنفسها حق قيادة هذا الشعب وحق التحكم فى توجيه الرأى العام الى الأبد ، هذه الحفنة ٠٠ لا تعترف للشباب الناشىء بالجهد فى اتاحة الفرصة العادلة له كى يقدم دليل مقدرته ودليل استعداده للنجاح ، لهذه الظروف بالذات أقمنا معهد الصحافة الاهلى منذ سنوات حتى نتيح لراغبى دارسة هذا الفن العظيم فرصة ما كانت لتوجد لولاه ٠٠ »

ثم تمضى الافتتاحية لتقول « ولهذه الظروف أيضا نستعد اليوم لاصدار جريدة البشير حتى تكون ميدان عمليا لهذه الاقلام » .

---

(٢٢) المستقبل العدد ١ ـ المجموعة ٢ ـ الاثنين ١٩٥٠/١٢/٤ .

* يلاحظ ان العدد ٣٥٩ قد صدر فى الثلاثاء ٢١ فبراير ١٩٥٠ أى ان المجلة قد توقفت لخمسة أسابيع متتالية قبل أن يستأجر ترخيصها فتحى الرملى ٠

.. وفى موضوع آخر بعنوان كن عضوا فى أسرة تحرير البشير » نجد هذه العبارة « فقد كان هدف معهد الصحافة الاهلى فى اصدار البشير أولا وقبل كل شيء هو ان تكون ميدانا علميا لتدريب جيل جديد من الصحفيين » .

ثم هى تغرى الشباب بالالتحاق بالمعهد فى مقال آخر بعنوان « كم يربحون من الصحافة » تقول فيه أن التابعى يتقاضى أربعين جنيها عن كل مقال يكتبه فى أخبار اليوم وأن محمود أبو الفتح بدأ محررا صغيرا ثم أصبح يمتلك مليونى جنيه .. الخ .

ثم الحاح آخر « هل فكرت يوما أن تكون كاتبا صحفيا .. لقد أصبح الأمر سهلا فمنذ انشاء معهد الصحافة الاهلى لتعليم الفن الصحفى بالمراسلة وهو يخرج كل يوم عدداً من الصحفيين الممتازين ينتشرون الآن فى أكثر صحف الشرق ومجلاتها الكبرى (!) .. لا نشترط شهادات .. الدراسة بالمراسلة والمصروفات قليلة ٢ جنيهات تدفع مرة واحدة أو ٤ جنيهات تدفع على أربعة أقساط شهرية متساوية .. ويمنح الطالب فى حالة نجاحه دبلوما » ..

ثم لا سياسة ولا أى شيء آخر ..

مجرد نشرة اعلامية تروج لما يسمى بمعهد الصحافة الاهلى ..

ربما كانت هذه خطة فتحى الرملى فى بداية الامر . وربما كانت مجرد استدراج لصاحب الترخيص .. لكن الامر لم يستمر فالسياسة تاتى سريعا .. وبكامل الوضوح فى العدد التالى مباشرة .. وفى الافتتاحية التى تحتل معظم مساحة الصفحة الاولى والتى وقعها فتحى الرملى « نحن نتحدى » .. « فى هذه البلاد عصابات من الخونة تتآمر على حرية هذا الشعب وتسعى جاهدة لاخماد كل حركة تهدف الى تحريره وتخليصه من جلاديه المستعمرين . فلم يكد ينشر نبأ ذلك الانذار الجرىء الذى وجهه وزير خارجيتنا الى انجلترا بالجلاء عن وادى النيل والا تعرضت العلاقات المصرية ـ البريطانية للخطر حتى انزعج الانجليز وصنائعهم وكان أسبقهم الى تسجيل الانزعاج دولة اسماعيل صدقى باشا الذى اشتهر باستهتاره الوطنى » .

ثم تمضى الافتتاحية « أجل أيتها العصابة .. لقد ربطكم المستعمرون فى شركات وبنوك ومشروعات مادية واندمجت مصالحكما فاصبحت واحدة . ولم يعد فى استطاعتكم الاستغناء عن شركائكم فى استنزاف دم الملايين من أبناء الشعب ... وليس أمامنا الآن سوى أن نجعل المطالبة بمحاكمتكم هتافا من هتافات الشباب ، ونتحداكم أن تفلتوا من المحاكمة فهى آتية لا ريب فيها ، ان لم يكن اليوم فغدا »(٢٤) .

---

٢٤ ـ البشير ـ ١٩٥٠/٤/١١ .

وكما نلمح هذا الهجوم الصاعق على صدقى وزملائه نلمح أيضا هـذه المغـازلة لوزير خارجيتنا الجرىء ..

والحقيقـة ان هذا العـدد كان مليئا بالحديث عن الوفـد والحـكومة الشعبية ولعل هذا كان موقف قوى يسارية عديدة وجدت فى حكم الوفـد تطورا ايجابيـا سواء من الناحية الوطنية أو من ناحية الحريات العامة ..

.. وثمة مقـال آخر يسير فى نفس الاتجـاه الهجوم العنيف على الرجعية مغلفـا بتأييـد الوفـد وعنوان المقـال « اشتراكية واشتراكية » يذكر القراء جيدا ماضى مصطفى أمين فى خدمة عهود الطغيـان على اختلاف زعمائها ، وكيف كان يصف أولئك الزعماء ويصف حكمهم ، فقـد أكـد يوما أن النقراشى باشا يسير على سياسة اشتراكية ، وذكر أن ابراهيم عبد الهـادى باشا سيلقى خطبـا اشتراكية فى الميادين العـامة ، بل قال يوما ، ولم يكن المجال مجـال فكـاهة ، ان صدقى باشا ألف لجنة عليـا لمحاربة الفقر والجهـل والمرض على أسس الاشتراكية ونشر حديثا لصدقى باشا جعل عنـوانه « حكومتى اشتراكية » .

ولـا تربعت الوزارة الشعبية الحاضرة على دست الحكم .. انقلبت سياسة البطل معارضة على طول الخط ، وبدأ بالذات يتحدث عن عدم اشتراكية الوزارة . ومصطفى بك على حق فسواء كانت سياسة الوزارة الحـاضرة اشتراكية أو غير اشتراكية فانهـا على الاقل بعيـدة جدا عن الاشتراكية التى يعرفهـا مصطفى بك ويؤمن بهـا .. اشتراكية عبد الهـادى واسماعيـل صدقى » .

وفى الصفحة الرابعة باب اخبـارى بعنوان « اقرأ وافهم » تضمن أخبارا من نوع ..

« قال سعادة حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى لبعض شباب الحزب أن من رأيه أن تتحالف مصر مع روسيا ولـا سأله الشباب ألا يعنى هذا رواج الشيوعية فى مصر ؟ قال سعادته لقـد تحالفت تركيا مع روسـيا بعـد الحرب العـالمية الاولى فلم تستفد روسيا ولا الشيوعية شيئا واستفادت تركيـا كل ما كانت تريده .. » .

وخبر آخر « كان من أسباب ابعـاد أحد ضباط البوليس السياسى أنه طلب اعتقـال بعض شبان بدون ذنب فى مناسبة زيارة بيفن لمصر ، وانـه تقاضى فى أسبوع واحـد ١٨٥ جنيهـا من المصروفات السرية تحت اسم مكافحة الشيوعية » .

وثمة أيضا توجهات طبقية واضحة تحت عنوان « أرقام ناطقة » « تقول الاحصاءات الرسمية ·· ان حفنة من المترفين فى مصر تستورد من الخارج كل سنة جوارب حريرية وخمور وروائح عطرية وصابون تواليت وماس وزمرد بما تزيد قيمته عن مليونين وثلثمائة وتسعة وتسعين ألف من الجنيهات ·· والقارىء وحده يستطيع أن يضيف الى هذا الرقم الضخم ما يرى اضافته من أرباح التجار المحليين ورسوم الجمرك ثم يستطيع أن يعرف كم عائلة فى مصر تستهلك هذه الواردات » ·

وفى داخل العدد صفحات مخصصة لمجلة ملحقة اسمها « مجلة البرلمان » خصصت لأخبار البرلمان والبرلمانيين وجعلت شعارها قولة لنكولن « الديمقراطية هى قيام حكومة من الشعب وللشعب وبالشعب » ·

أما رئيس التحرير فهو : الناخب المحترم ـ والادارة : بدائرة جريدة البشير ·

·· والافتتاحية عنوانها « ميلاد برلمان » · « لم يولد فى مصر برلمان فى ظروف كالتى ولد فيها مجلس النواب الحالى فهو يأتى فى أعقاب خمس سنوات ذاق فيها الشعب من عهود الطغيان شر أنواع العذاب والارهاب والضيق ، وبعد أن احتمل فى صبر مجلسا عجيبا لم يكن له يد فى انتخابه هذا ان صح ان المجلس الماضى أقيم على أسس الانتخاب » ·

وتصف انتخابات عام ١٩٥٠ قائلة « · وأقبل الناس على صناديق الانتخابات بمنتهى الوحشية ·· نعم ، فقد حطموا كل المحاولات التى بذلت لمنعهم من التصويت ، وهجموا على اللجان يدلون بأصواتهم فى اصرار وعناد » ·

ثم تقول « انه الوعى الجديد يفرض على النواب الشعبيين الاحساس بالمسؤولية ، ويفرض على نواب الرجعية الاحساس بالخوف والذعر من بشائر النور . من أجل هذه المعانى تصدر مجلة البرلمان الملحقة بالبشير لترقب أعمال النواب بالنيابة عن ناخبيهم وتنقل اليهم رغبات أولئك الناخبين وآرائهم فيما يفعلون » ·

وتطالب البرلمان بتعيين سلامة موسى عضوا فى مجلس الشيوخ قائلة « لقد سخر سلامة موسى قلمه للمجتمع وللدفاع عن حقوق الشعب وحريته وظل ثابتا على آرائه ومبادئه طوال ثلاثين عاما لم يزن بتفكيره يوما على حد تعبيره البديع ··· » ·

ثم تقترب البشير من الخط اليسارى خطوة جديدة مع العدد الثالث ففى هذا العدد وبرغم استمرار هيمنة فتحى الرملى عليه واستمرار خط التأييد

التـام لحكومة الوفـد ·· يبرز على صفحات البشير قطبان من أقطـاب يسار هذه الفترة عمر رشدى وأحمد طه وكان أولهما على علاقة بحدتو والثانى كان أحـد قادة جات ··

ونلاحظ أيضا أن التوجه الطبقى يزداد بروزا فى هذا العدد ··

ففى صدر الصفحة الأولى صورة كبيرة لكلب وتحتها تعليق « السعيد المحظوظ ·· منذ احتفلت بنت ذوات بعيد ميلاده والقاهرة كلها تتحدث عنه ــ تصوير حسين الرملى » .

وهناك الافتتاحية التى توجه نيرانها الى الانجليز فى حدة غير مألوفة ويتساءل فيهـا الرملى عن السبب فى استمرار السكوت على احتلال انجلترا بعـد « أن قلمت الحرب العالمية أظفـار هذا الوحش وخلعت أنيابه » ثم يمضى قائلا « ولو استعرضنا الظروف التى تجعل انجلترا تقف اليوم ضعيفة خائرة ولا تحتمل ضربة واحـدة لوجدناها كثيرة يخطؤها العـد فهناك التناقضـات التى خلفتهـا المنافسة الرأسمالية بين انجلترا وأمريكـا وفرنسا ، وهنـاك الجيش الاحمر الرابض للدول الرأسمالية جميعا ، وهنـاك القـوى التقدمية الصاعدة فى كل مكـان ، وهنـاك المـد الثورى فى المستعمرات المتطلعة الى نور الحـرية » ·

وبعـد أن يركز فتحى الرملى نيرانه على الصحف الرجعية التى تفتعل معركة وهمية ضـد ما تسميه المبادىء الهدامة ·· وبعـد أن يناشد « الحكومة الوطنية القائمة فى الحكم ، الساهرة على قضية البلاد أن تفتح عينيها جيدا لمـا يدبر لتحويل الجماهير عن مشاكلها الحقيقية باثارة هذه القصص الوهمية » فانه يؤكـد فى وضوح تام « ولتعلم الحكومة أن شباب مصر جميعا يدركون اننـا فى مرحلة كفـاح وطنى أولا وقبل كل شىء ويدركون أن هدفهم الاول مهما كانت مبادئهم هو تحرير بلادهم من ذلك الاستعمار الذى يجثم على قلبها كالكابوس ستين عاما أو يزيد ·· فلتكن لنـا جميعـا صيحة واحدة لا نردد سواها ولا نهتف بغيرها ، صيحة واحدة تدوى بها حكومة وشعبا وصحافـة فى وجه المستعمرين الانذال أخرجوا من مصر ·· أخرجوا من بلادنا »(٢٥) ·

ويبدو أن حملة ما قـد نظمت فى عدد من الصحف ضد البشير اذ تتصدى البشير لاحـدى هذه الهجمات فترد على مقـال لمحمد صبيح نشره فى جريـدة الاساس ( السعدية ) يصف فيه البشير بأنها مجلة شيوعية يحررها شيوعى معروف ·· وترد البشير تحت عنوان « شلاليت » قائلة ، لا نريد أن نعتب

---

٢٥ ــ البشير ــ ١٨/٤/١٩٥٠ .

على محررى الإساس فهم أحرار فى مزاولة مهمتهم البوليسية سرا أو علنا ولا نريد أن نناقش السخافات الاخرى التى تمتلىء بها صحيفتهم النظيفة الشريفة المحترمة الذائعة الانتشار ؟ ثم توجه النيران الى صبيح فتذكره بأنه قد ثبت لوزارة الداخلية منذ سنوات أنه كان ضمن عصابة تعمل لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة البلاد ( يقصد اتهام مصر الفتاة بالعلاقة بايطاليا ) .. »

ثم تمضى التبشير فى هجومها « وما رأى الاستاذ صبيح فى المتهمين بالفاشية وبالعمل لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة البلاد وفى صلتهم بالجريدة الوطنية والنظيفة الشريفة المحترمة الذائعة الانتشار الاساس الغراء » .

ثم هناك مقال عمر رشدى « تاييد الحكومة الوفدية وتدعيم الحكم الدستورى فرضان واجبان علينا » .. وفيه يتحدث عمر رشدى باسم تيار محدد « نحن حماة الديمقراطية الحقيقية نذرأ عنها عبث العابثين ونحن الزائدون عن الدستور نعمل على تطبيقه نصا وروحا ونحن أعدى أعداء الاستعمار لا نعرف معه هوادة ولا مساومة ، كافحناه وسنكافحه حتى يجلو آخر جندى أجنبى عن وادى النيل ، وحتى تتحطم نهائيا جميع المحاولات التى تبذل من أجل المحالفات العسكرية والدفاع المشترك » .

.. ثم هو يؤكد « سنؤيد النحاس باشا ما استمسك بحقوق مصر والمصريين » .

ويأتى دور أحمد طه اذ يوجه على صفحات المجلة الملحقة « البرلمان » رسالة الى النائب المحترم الاستاذ حافظ شيحا يقول فيها « رفضت شركة ماركونى اعادتى للعمل لخدمتها بدعوى اننى كنت معتقلا ، مع أنها أعادت إثنين غيرى أعتقل أحدهما بتهمة الصهيونية والثانى على أنه من الاخوان الارهابيين السبب الحقيقى لاضطهادى هو اننى كنت سكرتيرا لنقابة موظفى وعمال الشركة » .

ويعاود أحمد طه الظهور على صفحات نفس العدد عندما يعرض رواية « طريق الحرية لهوارد فاست » .

ثم نتوقف أمام ملاحظة هامة فى هذا العدد . تأتى تحت عنوان « احباط محاولة » .. « حاول بعض موظفى قلم المطبوعات بمحافظة مصر أن يقفوا من هذه المجلة موقفا شاذا أقل ما يوصف به أنه تحرش واستفزاز . ولا نريد أن نطيل فى تفاصيل هذا الموضوع فقد عرضنا الموضوع على معالى الوزير الحكيم الأستاذ فؤاد سراج الدين فلم يلبث أن وقف كعهدنا به مناصرا لحرية الصحافة وكرامة الصحفيين » .

.. ولم تكن هذه هى التحية الوحيدة الموجهة لسراج الدين شخصياً على صفحات البشير فهناك أيضا استعراض على صفحات « البرلمان » لما دار فى مجلس الشيوخ عندما عارضت الاقلية مشروع الامر العسكرى الخاص بتطبيق علاوة الغلاء على مستخدمى وعمال الشركات ... « وفى هذه المعركة وقف معالى الاستاذ الكبير فؤاد سراج الدين باشا يعرف كيف يفند هذه الحجج الواهية ويدافع عن حق الطبقات المظلومة فى أن تعيش ، وكم كان بليغا ، وكم كان مؤثرا ، وكم كان قويا .. » .

.. وتبقى علامة استفهام حول هذا الموقف من سراج الدين .. بالذات .

لكن سراج الدين يظل فرس الرهان فى العدد التالى أيضا فثمة مقال بدون توقيع عنوانه « سراج الدين .. روح شعبية ووطنية » .. يقول كاتبه « بين لفيف من المثقفين فى مصر من يعتقد أن معالى فؤاد سراج الدين باشا يمثل فى الوفد اتجاها محافظا ، وعندى أن هذا الخوف لا يوجد ما يبرره ففى طبيعة فؤاد باشا شعبية تبعده عن هذا الانحراف .

وبالعكس نستعرض تاريخ فؤاد باشا فى الحكم فلا نجد سوى مواقف ديمقراطية لا تنسى ولا تنكر فهل محافظ مثلا من يسعى لتنشيط الحركة التعاونية بين الفلاحين ، وهل محافظ مثلا من يفكر فى مشروع مكافحة الامية ويعمل على تنفيذه فى سرعة لم يوقفها سوى اقالة الوزارة الشعبية .. » وبعد أن يعدد الكاتب مواقف سراج الدين مدافعا عنه فى حرارة غريبة يقول « قد يسألنى بعضهم وما رأيك فى هذه التشريعات التى يقال ان فؤاد باشا يعدها لما يسمونه مكافحة الشيوعية هل تتفق مع الديمقراطية ، ولهؤلاء أقول .. لا تتعجلوا الأمور .. انتظروا »(٢٦) .

وتواصل البشير دفاعها عن الوفد وهجومها على خصومه فتهاجم مصطفى أمين قائلة تحت عنوان « شلاليت » ( الذى أصبح بابا ثابتا ) « كتب المدعو مصمص فى أخبار اليوم الجريدة الشريفة المعروفة يعيب على رفعة الرئيس الجليل أنه قال فى حديثه الى اليونيتد برس أن الشيوعية ليست خطرا على مصر . وقد فضح الداعية الأمريكانى نفسه بهذه الكلمة التى عبر فيها عن حقده وغيظه اذ يرى المسؤول الاول فى مصر يكشف حقيقة هذه الدعايات المأجورة ... أجل يا سيد مصمص لم يعد فى وسعك أن تضلل بعد اليوم ، ولم يعد فى وسعك أن تنشر بعد اليوم تلك القصص السينمائية عن الحركة الشيوعية .. أيها الصديق الشريف .. فتش عن طريقة لأكل العيش غير هذه الطريقة فلن تستجيب

---

(٢٦) البشير – ١٩٥٠/٤/٢٥ .

الحكومة الحاضرة لمثل هذا التضليل ولن تسكت عليه وعلى زعيمنا العظيم مصطفى النحاس » .

بل ان البشير تؤيد الوفد الى درجة انها تعارض وبشدة أية اضرابات تلافيا لأى حرج تقع فيه حكومة الشعب وتحت عنوان « أجيبونا » تجرى البشير حديثا مع الزميل حلمى البشلاوى رئيس نقابة عمال مطبعة مصر .

« ما رأيكم فى مسألة الاعتصامات والاضطرابات التى حدثت أخيرا فى بعض المصانع ؟

انني وان كنت أحد المتذمرين من الابطاء الحكومى فى تصفية المشاكل العمالية بين العمال وأصحاب الأعمال لا أقر بأى حال احراج الحكومة الشعبية التى لا تفتأ تعلن عن عزمها الأكيد على تطبيق اعانة الغلاء على الجميع ، واعتقد أن المشجع على هذه الاضطرابات هو الابطاء الرسمى وهناك أيضا دعاة الاستفزاز ممن يحلو لهم الاصطياد فى الماء العكر . وانى أتقدم لاخوانى العمال بالنصيحة التالية وانا كفرد منهم وهى ان يعملوا للحصول على حقوقهم بالطرق القانونية المشروعة وأن يتيحوا لحكومة الشعب فرصة تنفيذ برامجها الاصلاحية لشتى الطوائف ولهم فى الوزارة الشعبية وعلى رأسها رفعة النحاس باشا ما يكفل لهم صيانة حقوقهم » . ثم تطالب البشير بحل مجلس الشيوخ بحجة انه « يعطل مشروعات الحكومة الاصلاحية » « لذلك لم نعد نرى ما يدعو الحكومة الشعبية للوقوف جامدة ازاء هذه الخطة المبيتة للاعتداء على حكم الشعب بمثل هذا الاسلوب » ..

ولا شيء آخر فى هذا العدد سوى هجوم عنيف على أمريكا فى الافتتاحية التى تعلق على دعوة ترومان لتنظيم « حملة الحقيقة » بهدف « اظهار الحقيقة للشعوب » قائلة « والحديث عن الحرية والديمقراطية فى أمريكا يطول فان نواحى الحرية والديمقراطية هناك كثيرة ومتشعبة فهناك حرية الزنوج ، فالزنجى هناك حر فى اختيار السيد الأبيض الذى يقتله ، وحر فى اختيار السيد الأبيض الذى يمتص دمه وربما تمتع فى بعض الاحيان بحرية أوسع هى اختيار الطريقة التى يقتله بها .. وهناك حرية المفكرين والفنانين الاحرار ، فانهم فى أمريكا يتمتعون بحريتهم الكاملة فى التعبير عن آرائهم أمام لجان التحقيق التى تؤلف للترفيه عنهم .. وقد أبت أمريكا بعد ذلك الا أن تظل العالم بديمقراطيتها العريقة فناصرت جميع الشعوب فى كفاحها من أجل التحرر اللهم الا بعض الدول التى لا تستحق الاستقلال كمصر وأندونيسيا وفلسطين وليبيا وشمال أفريقيا وغيرها من الدول » .

***

ومع العدد الخامس (٣٦٤) تبدأ البشير رحلة جديدة .

المحرر الوحيد يجد الآن من يسانده ، ولعله يجد من ينقذه من التورط فى هذا التأييد المفرط لسراج الدين ولحكومة الوفد حتى فى مواجهة المطالب العمالية .. وتتحول السياسة تحولا ظاهرا .. من التأييد المطلق الى الضغط والتأييد المفعم بشروط قاسية .. والتوجهات الطبقية تتضح وتتبلور فى مواقف واعية ..

وأبواب جديدة « شئون العمال » « والوعى الجديد » ودفاع حار ومتكرر عن المسجونين السياسيين ( الشيوعيين ) وكتاب جدد ( د . عصام الدين جلال واسماعيل جبر ) .

لقد بدأت العلاقة مع جات « جبهة التحرير التقدمية » وهى منظمة صغيرة العدد خرجت من المنتقلات تبحث عن دور ولم تلبث بعد فترة أن أتحدث مع حدتو .

ونطالع صفحات العدد ٣٦٤ ونلمس الفارق الواضح ونحس أن المسار قد تغير تماما . الملاحظة الاولى أن الافتتاحية ليست بتوقيع فتحى الرملى ولا هى بأسلوبه المميز .. وعنوانها « أول مايو عيد الكادحين » . .

.. « منذ بضع عشرات من السنين دبر جلادوا العمال من رجال البوليس وأصحاب الشركات مؤامرة دنيئة ضد العمال فى أمريكا ، واليوم يحتفل الكادحون فى أنحاء العالم أجمع بهذا اليوم ، يحتفلون به ليس احياء لذكرى شهدائه فقط ولكن احياء لذكرى كفاح جموعهم المرير فى سبيل حياة أفضل ، وعدالة أشمل ، وسلام أبقى .. ولم يكن العالم ليجسر أن لا يشاركهم احتفالهم فهم لم يعودوا فقط بناته بل أصبحوا أيضا سادته ...» وختام الافتتاحية عبارة بالغة الدلالة فهى توجه السهام مباشرة الى حكومة الوفد التى كانت تغازلها فى العدد السابق « حل آن الأوان للحكومة أن تعترف بالفضل لذويه وتضفى من الحقوق الدستورية والحريات الديمقراطية ثوبا على أسلوب الحكم لا يجعله سبة فى نظر الرأى العام العالمى المتحضر»(٢٧)

ويتوالى الضغط على حكومة الوفد عبر معظم صفحات العدد ..

لقد بدأت البشير حملة جديدة استمرت بعد ذلك طوال مدة صدورها للدفاع عن المسجونين الشيوعيين بهدف الضغط على حكومة الوفد للافراج عنهم أو على الاقل لتحسين معاملتهم ..

---

٢٧ ـ البشير ١٩٥٠/٥/٢

« منع المسجونون السياسيون فى سجن مصر من طوابير الفسحة التى يتمتع بهـا المجرمون العاديون ، واشتدت ادارة السجن فى معاملتهم الى الحد الذى اضطرهم الى الاضراب عن الطعـام من ٢٢ فى الشهر المـاضى » لكـن الأمر لم يكن مجرد منع من طوابير الفسحة ولا حتى احتجاج على سوء المعاملة ٠٠ اذ تعود البشـير لتنشر خبر آخر فى نفس العـدد منذ خمسة أيام اضرب المسجونون السياسيون فى سجن مصر عن الطعام احتجاجا على المعاملة غير الدستورية التى عوملوا بها منذ القبض عليهم والتحقيق معهم » ولا يقف الامر عند هذا الحـد بل يصل الى تذكير النحاس بوعوده السابقة .. « انا لا نزال نذكر الاحتجاجات المتوالية التى أثارها رفعة رئيس الحكومة قبـل الانتخابات على المعاملة غير الدستورية للمعتقلين والمسجونين ولا يزال يتردد فى آذاننـا صدى النداءات المتتالية التى أذاعها على الشعب لوضع حـد لهذه المآسى الدامية واليوم السلطة فى يـد الرئيس ، الشعب يناديه ، ولا شـك سيلبى النداء » ٠

ويتخذ الضغط على حكومة الوفـد بل وانتقادها مسارا آخر ٠٠ ففى باب جديد ٠٠

« شئون العمال » نطالع « كتب الينا لفيف من عمال شبرا الخيمـة يحتجون على فصل حوالى ١٥٠ عاملا من مصانع المنطقة بسبب مطالبتهم بعـلاوة الغلاء التى أصدرت الحكومة أمرا عسكريا بهـا بعـد أن لست مايعانيه العمال وصغار الموظفين ٠٠ ومما يدهشنا أن هذا الاجراء القـاسى ٠ لم يكن كافيـا فى نظر رجـال الادارة بل ووصل الامر الى حد ابعـاد بعض هؤلاء العمـال عن المنطقـة كلية تماما كما كان يحـدث فى أيام التعسف والظلـم الماضية » ٠

وتواصل البشير التفتيش عن نقـاط أخرى لاحراج حكومة النحـاس ففى باب « شلاليت » وتحت عنوان « نريد بيانا » ٠

« كنـا قد سمعنا ابان دولة سرى باشا الوزارة أن النيابة العمومية قد استأنفت التحقيق فى حادث اغتيال حسن البنـا ٠٠ ونحن الذين كنا نتمنى لحسن البنـا الموت الأدبى ، وكنا نعمل لهذا الغرض جاهدين جادين ٠٠ نحن الذين كنـا نرحب بأى اجراء لمحاكمة حسن البنـا على ما اقترفـه فى حياته من خيانات وطنية ولو أدت هذه المحاكمات لاعدامه ٠ . نحن رغم هذا لا نقبل مطلقـا أن تتولى الحكومة أو بعض كبار موظفيها ووزرائها تدبير حوادث الاغتيال لمعارضيها ثم يكون فى استطاعتهم أن يفلتوا من العدالة ، ولذلك كنا نريد أن نطالع بيانا مفصلا من النيابة عن تفاصيل هذا التحقيق وما وصل

اليه ٠٠ فالرأى العـام لا يزال قلقـا يريد أن يطمئن الى أن وسيلة الحكومة ـ أية حكومة ـ هى القـانون والنظـام دون سواها فمتى نطالع هذا البيان »

والذين يعرفون أن القصر الملكى هو الذى دبر حادث اغتيال حسن البنا يدركون أى قـدر من الحرج كانت البشير تضع فيه حكومة النحاس عنـدما تثير هذه القضية ٠

لكن الضغط على حكومة الوفـد يصاحبه تأييـد ليسار الوفـد ففى « أرشيف البرلـمان » تقـدم البشير الدكتور عزيز فهمى ٠٠ « هو أحد قـادة الطليعة الوفـدية فى أخلاقه مثالية وفى خطواته السياسية اتجاهات ديمقراطية واضحة آمن بالحريات العـامة المقدسة فناضل المعتـدين عليهـا نضـالا صلبا وكانت له فى هذا السبيل جولاته الموفقة ٠٠ » ولا يفوت البشير أن تذكر عزيز فهمى بواجباته حتى تجـاه حكومة الوفـد « يظن البعض أن عزيز فهمى التزم هذه المواقف يوم كان الوفـد خارج الحكم يؤجج المعارضة بأية وسيلة ولكن هذا البعض لا يعرف جيدا ماضيه الذى يجعلنـا نأمل أن ينزل الى الميـدان ليدافع عن مصالح الشعب دفاعا ايجابيا »

- وثمة موضوعات أخرى ٠٠

ففى الباب الأسبوعى « الوعى الجديد » موضوع بعنوان « حزب العمال رغم أنف العمال » ٠٠ « أقـام حزب أفنـدينا البرنس عباس حليـم حفلة شاى بمناسبة شفاء نبالته أعلن فى أثنائها سكرتير الحزب أن اللجنة التنفيذية قررت انتخـاب عبد الحميد عبد الحق باشا رئيسا خلفـا لسعادة محمد صالح حرب باشا وهتف الجميع للرئيس الجـديد ولرئيس المستقبل ٠٠ ان العمال لم تعـد لقمة سائغة لامثال سعادة الزعيم العمالى باشا فالعمال تعلم جيدا أن سعادة الباشا قـد آزر العهـد المـاضى واشترك اشتراكا فعليا فى وزارة ابراهيم عبد الهـادى التى ملأت المعتقـلات بجميع طوائف العمال فلم يحرك ساكنا طوال هذه المـدة وبعـد فافتحوا باب الحزب على مصراعيه وادخلوا وأخرجوا ما شئتم وارتجلوا ما شاء لكم الارتجـال وعينوا فى كل عام رئيسا جديدا للحزب فأنتم فى واد والعمال فى واد ٠

ثم موقف سياسى طبقى أكثر وضوحا فتحت عنوان « نماذج صحفية ـ محمد التابعى » تقول البشير « أنه يشبه كرافتشنكو من وجـوه كثيرة فكلاهما بوهيمى وكلاهما يقـامر بغـده لحساب يومه وكلاهما عاشق مجنون المـال والفساد واللعب ويجمعهما بعـد ذلك هدف مشترك هو الثراء عن طريق مهاجمة الشيوعية لكن التابعى تخونه ذاكرته أحيانا فتزايله براعته المشهود له بها فى التضليل فقـد وصف تيتو بأنه ضابط روسى يتنكر فى ثياب يوغسلافية

وأسم يوغسلاف فلما خرج تيتو على الديمقراطية وانضم لمعسكر الاستعمار وصفه بأنه وطنى يضع مصالح يوغسلافيا فوق كل شىء » ..

ويبقى من هذا العدد ان نشير الى مقال د . عصام الدين جلال مسؤول تنظيم جات والذى يفترض أنه كان التوجه الاساسى لسياسة هذا العدد والعددين التاليين والعنوان « مهمتنا اليوم .. مع الاستعمار وجها لوجه » .. « خطة الاستعمار اليوم هى تحويل واستنفاذ كفاح الشعوب فى سبيل استقلالها خطته للتهرب من مجابهة جموع الشعب وحرفها عن ميدان كفاحها الحقيقى ، خطته تحطيم وحدتها واشاعة الاضطراب فى صفوفها وتضليلها فى بيداء مكائده ومؤمراته التى لا نهاية لها وخطتنا ان نضع أيدينا على رأس الداء ونهوى بكل قوانا لنحطم هذا الرأس ونترك الاذناب بعد ذلك تذوى دون عناء خطتنا ان لا نترك للاستعمار مجالا ان يحيد بكفاحنا وجهودنا عن الطريق السليم ولا ندعه يختفى وراء ستار يحرك خلفه أشباحا نواجهها نحن فى سذاجة وبلاهة » .

والحقيقة ان الأمر لم يكن مجرد اضافة عنصر جديد الى تحرير البشير فقد كان هناك أيضا تصاعد الاتجاهات غير الديمقراطية فى سياسة حكومة الوفد « قانون المشبوهين السياسيين ، قانون الصحافة الخ » وتبخر الكثير من الوعود التى أفرطت فيها قيادة الوفد أيام معاناتها خارج الحكم ، وللسببين وليس لسبب واحد تصاعدت حملة النقد على صفحات البشير ضد حكومة الوفد وطبعا ضد سراج الدين .. وتصاعد المذاق الطبقى فى كتاباتها .

ففى صفحات العددين ٣٩٥ ( ١٩٥٠/٥/٩ ) و ٣٦٦ ( ١٩٥٠/٥/١٦ ) تبرز أكثر فأكثر هذه المعارضة وتتوالى حملة الدفاع عن حقوق العمال وعن السجناء السياسيين .

«من المسجونين السياسيين المضربين عن الطعام فى يومهم الخامس عشر الى رفعة النحاس باشا » .. « من وراء القضبان نعلن نحن المسجونين السياسيين بسجن مصر احتجاجنا الصارخ على المعاملة الوحشية اتى نعامل بها تلك المعاملة التى تنكرها كل التقاليد الدستورية والديمقراطية بالنسبة لمسجونين فى قضايا الرأى » وبعد أن تفيض المذكرة فى تفاصيل المعاملة الوحشية التى يلقاها السجناء السياسيين والسجيناء السياسيات فى سجن مصر .. وتبدى عطيه فى ليمان طره تقول « لقد كنا نأمل أن يزيل الحكم الوفدى آثار الحكم السابق الآثمة وان يجعل دستور البلاد حكما بين الناس وان يطبق الدستور معنى ومبنى ، اننا نتوجه الى نواب الامة وطوائفها ان يضعوا حدا لهذا

الاستهتار بقانون البلاد الأساسى ـ الدستور ـ وان تعاد محاكمتنا أمام محاكم عادية ·· عاشت مصر حرة ديمقراطية ·· »(٢٨) ·

وفى نفس العدد ضمن صفحات المجلة الملحقة « البرلمان » تعود البشير الى نفس الموضوع عنوان « حقوق الانسان » ·· « منذ نهاية الحرب الأخيرة والشكوى ترتفع المرة تلو المرة من استخدام الحكومات أجهزة النيابة والبوليس ، فاجراءات بعض المحققين وتحريات البوليس واعتقالاته وتصرفاته مع الوطنيين وغير الوطنيين لم تكن دائما كما ينبغى ···

واليوم يرتفع صوت مكبوت من بين جدران السجون ، ويضرب عشرات المسجونين السياسيين فى سجن مصر عن الطعام حتى الموت كوسيلتهم الأخيرة للفت الانظار الى ما تعرضوا اليه من ضغط وارهاق ، فاذا لم يكن هذا الأمر الخطير موضع اهتمام واستقصاء ممثلى الشعب فأى الأمور يكون · ان الديمقراطية الدستورية وسمعة الجهاز الحكومى الانسانية ، بل مبلغ محصولنا من المدنية والرقى توضع فى الميزان بهذه الصرخات المكبوتة واننا نطالب ولن نكف عن المطالبة ·· نطالب بلجنة تحقيق برلمانية » .

وفى أرشيف البرلمان حديث عن النائب محمد محمود قراعة يقول « لم يترك واحدا من الاحرار الذين طاردهم العهد البائد وقادهم الى السجون مرة بعد أخرى الا ووقف جانبه متطوعا ·· وفى قضايا الشيوعية ظل يترافع حتى استخلص حكما قضائيا خطيرا ببراءة المتهم على أساس ان الدعوة للشيوعية الاقتصادية ـ أى الدعوة التى لا يصحبها مظهر من العنف ـ لا تتعارض مع الدستور ولا تقع تحت طائلة المادة ١٧٤ من قانون العقوبات ·· وقراعة الآن عضو فى اللجنة التشريعية بمجلس النواب ، أحد الذين يأمل الشعب فى صلابتهم ووقوفهم ضد أى تشريع يتعارض مع الدستور ومع حرية الرأى » .

وفى العدد ٣٦٦ مقال عنوانه « فى المضم » ·· « فى مطلع هذه السنة وأثناء احتدام المعركة الانتخابية أصدر رفعة مصطفى النحاس باشا بيانا أشار فيه الى مجىء الوفد فى فبراير ١٩٤٢ ليستهل حكمه بالعفو عن جميع المحكوم عليهم سياسيا ما عدا الذين حكم عليهم بالاعدام وكنا اذ ذاك فى معتقلات الاستبداد ·· فأدركنا من هذه الشارة ان الوفد كعهدنا به سوف يستهل حكمه بالعفو الشامل عن جميع ضحايا العهد البائد وها هى ذى خمسة أشهر قد مضت على حكم الوفد واذا بنا نتلقى من أهالى المسجونين السياسيين بيانا يستنجدون فيه برفعة النحاس باشا مشيرين فيه الى اضراب أبنائهم عن الطعام فى سجن مصر منذ أكثر من أسبوعين ·

---

٢٨ ـ البشير ـ ١٩٥٠/٥/٩ ·

هؤلاء المسجونين السياسيين يريدون ـ متواضعين ـ تطبيق لائحة السجون عليهم .. ويطالبون متواضعين باعادة محاكمتهم أمام المحاكــم العادية .. لا أقل من هذا مؤقتا فى انتظار العفو الشامل وتعويض الابرياء عما لحقهم من عنت واضرار.»(٢٩) .

.. وتتصاعد الانتقادات لحكومة الوفد فى كافة الاتجاهات وخاصة حول مسألة الديمقراطية والحريات ويكتب فتحى الرملى افتتاحية العدد ٣٦٥ تحت عنوان « افتحوا النوافذ » . « ليس فى مصر وطنى واحد .. جدير فعلا بهذا اللقب .. لم يقشعر بدنه لهول الاعتداءات الباغية التى وجهتها حكومات الاقلية البائدة الى الحريات العــامة .. هذه الحريات التى دفعنــا فيها ثمنا غاليا .. وقــد دارت المعركة الانتخابية فى مصر على هذا الاساس .. حرية أو لا حرية .. ديمقراطية أو لا ديمقراطية ، دستور أو لا دستور ، واليوم يتطلع الناخبون الى وزارة الوفد ليروا ما حققته لهم من تلك الوعود فيجزعون للبطء الشديدالتى تسير به الحكومة نحو هذا الهدف » وبعد أن يستطرد فتحى الرملى فى تعداد أخطــاء حكومة الوفــد فى هذا الصدد يقول « اننــا نكتب هذه الكلمات تذكيرا لا تشهيرا فاننــا أصدق العناصر الوطنية تأييــدا للحكم الدستورى وهــذا الصدق هو الذى يحدونا أن نرسل هذه الصيحة الجديدة اطلقوا الحريات من عقالهــا . انقذوا سمعة مصر .. دعموا نظــام الحكم الديمقراطى . فمــا أحوج وزراء الوفــد الى سماع هذا الصوت .. ما أحوج فؤاد سراج الدين بالذات الى أن يرهف أذنيه جيدا لكلماتنا فهو المسؤول الاول عن كل ما يصيب المصريين من اعتداء ، ولا نقبل تبرير ما يقع من اعتداءات بضغط المستعمين والرجعيين وزبانية الازهــاب السياسى الذين ينصبون أنفسهم حفظة للامن وحراســا للنظــام » ثم يختتم فتحى الرملى الافتتاحية بشعارات محددة تلخص مطالب اليسار المصرى فى هذه القضية « الغوا التشريعات التى وضعت فى عهود الانقلاب لتكميم الافواه .. استصدروا عفوا شاملا عن جميع الاحكام التى صــدرت فى قضايا الرأى خلال الخمس سنوات الاخيرة .. الغوا لجنة لتحقيق جرائم التعذيب والارهاب التى ارتكبها عبد الهادى .. أعيدوا المفصولين من أعمالهم بسبب الاعتقال وعوضوا المعتقلين السابقين عما لحقهم من أضرار فى صحتهم وأموالهم .. ذلك هو الاسلوب الوحيــد الذى تقيمون به أساس التربيــــة الديمقراطية الصحيحة لشعب هو الذى جاء بكم الى الحكم وهو الذى يستطيع وحــده أن يقف فى وجه العواصف التى تحاول اقتلاعكم » .

. وتعقيبــا على قانون المشبوهين السياسيين نشرت البشير فى العدد ٣٦٦ وتحت عنوان « موكب العبيد » .. «نشر قانون المشبوعين السياسيين فى

---

٢٩ ـ البشير ـ ١٩٥٠/٥/١٦ .

الصحف يوم الجمعة الاسبق ومر على نشره أكثر من عشرة أيام كنا ننتظر خلالها أن تهب الصحف كلها لمواجهته ، كنا ننتظر أن تجتمع فى الحال نقابات المحامين والصحفيين والعمال وسائر الهيئات والطوائف لتعلن احتجاجها عليه واستنكارها الشديد له ولكن الايام مرت دون أن تنبس الصحف ببنت شفة ودون أن نسمع كلمة واحدة ضد هذا القانون ·· ويوم كان الوفد فى المعارضة كانت أمثال هذه المحاولات الغاشمة تستقبل من الصحف الوفدية الاستقبال الجدير بها ·· أما اليوم فالصحف الوفدية جميعا باستثناء صحيفتنا (!) الصغيرة لزمت الصمت ولعلها ظنت أن واجبها الحزبى يقتضى السكوت وعلى العكس نرى أن واجبنا أن نحذر الوفد من مثل هذا الانحدار الذى يراد له أن يتردى فيه » ·

وفى نفس العدد حديث مع الدكتور عزيز فهمى يقول فيه ان تشريع المشبوهين السياسيين تشريع مطاط قد يحاول الاستبداد يوما – لو أتيح له – أن يطبقه على فؤاد سراج الدين باشا نفسه ·

وفى الافتتاحية يعلق فتحى الرملى على هذا الحديث تحت عنوان « مشبوه سياسى » فيقول « ان فؤاد باشا قد يظن أن الدكتور عزيز يذهب فى تشاؤمه مذهبا بعيدا لذلك نتطوع نحن فنشرح لمعاليه كيف يمكن تطبيق هذا القانون المطاط على شخصه ·· » .

ثم يسأل الكاتب فؤاد باشا ··

« ·· ألم يسمع معاليه أن دولة صدقى باشا قد أغلق جريدة الوفد المصرى لسان حال حزب الوفد بتهمة الشيوعية ؟

– ألم يسمع معاليه أن ثلاثة من النواب الوفديين الحاليين اعتقلوا بتهمة الشيوعية هم الدكتور مندور والدكتور بلال والاستاذ مصطفى موسى ؟

– ألم يسمع معاليه أن أحد كبار كتاب حزب الوفد وهو الاستاذ سلامة موسى حقق معه مرتين بتهمة الشيوعية ·· وحقق معه مرة بتهمة القاء قنبلة سينما مترو ؟

– ألم يسمع معاليه أن اثنين من سكرتيرى الوزراء الحاليين طاردهما زبانية الارهاب السياسى بتهمة الشيوعية وهما الاستاذ أحمد البديني السكرتير البرلمانى لمعالى وزير الداخلية والاستاذ عبد الرؤوف أبو علم سكرتير معالى وزير الشئون الاجتماعية ؟

– ألم يسمع معاليه أن زميله فى مجلس الوزراء طه حسين قد صودر كتابه المعذبون فى الارض لانه يتضمن دعوة شيوعية ·· وان الدكتور طه أبعد يوما من نقابة الصحفيين لنفس الأسباب » ؟

وفى « البرلمان » مقال بقلم اسماعيل جبر بعنوان « سلاح برلمانى جديد » ينتقد فيه موقف سراج الدين لانه لوح للنواب المعارضين لمشروع قانون الغاء ضريبة الارباح الاستثنائية بأن رفض المشروع معناه زعزعة الثقة فى الحكومة ‥ وعندما تصاعدت المعارضة لقانون المشبوهين السياسيين لوح سراج الدين بنفس السلاح ‥ ويقول الكاتب أن هذا الاسلوب « يسمح بعرض القوانين تحت ظل التلميح والتصريح الذى يجعل من كل تصويت على القوانين بمثابة تحديد موقف من الحكومة والنظم القائمة ‥ هذا الاسلوب الذى يشيع بين النواب جوا من التوجس ويوهمهم ان اخلاص كل منهم موضع الشبهة والتحقيق كلما طرح قانون أمام مجلس النواب » .

وتنتهى علاقة جات بالبشير ‥

وبرغم أن اسم اسماعيل جبر يبقى كسكرتير تحرير للعدد ٣٦٧ فاننا نشير كما أوردنا فى المقدمة الى تغيير شامل ومعاكس تماما تتخذه البشير سواء فى التوضيب أو فى الطبع أو فى المادة التحريرية التى تركزت على مواد غير سياسية وقصة مترجمة ومقال عن المقرىء الشيخ محمد رفعت وحديث مع وزير التموين وهجوم شديد على الحكومة الاشتراكية فى تشيكوسلوكاكيا .

ولعل هذا العدد يحدد لنا بذاته ممكنات التقلب لدى رئيس تحرير مثل فتحى الرملى ‥

ولعله يفسر ما سبق ان أشرنا اليه من مواقف متعاكسة مثل امتداح سراج الدين ثم الهجوم عليه . تملق الحكومة الوفدية ثم انتقادها ‥

لكن هذه الانتكاسة فى موقف البشير لا تستمر سوى عدد واحد ‥ وبعدها تصبح وبشكل شبه كامل ناطقة بلسان الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ‥ وعلى صفحاتها يبرز كتاب حدتو وكوادرها وتتحدد مواقفها ومنطلقاتها ‥

ونلاحظ أن العدد ٣٦٧ كان آخر عدد يصدر يوم الثلاثاء ‥ فقد صاحبت عملية هيمنة حدتو على الجريدة تغيرات شاملة فى التوضيب والابواب والتوجه السياسى وأيضا يوم الصدور الذى أصبح يوم السبت . بشكل منتظم .

* * *

نحن الآن مع العدد ٣٦٨ ( السبت ٣ يونيو ١٩٥٠ ) ‥ أى أننا الآن مع حدتو بكتابها وكوادرها ومواقفها فلنحاول تتبع هذه الحقبة الجديدة من البشير ‥ وهنا يبرز الفارق واضحا بين مواقف الفرد أو المنظمة الصغيرة وبين مواقف وأساليب وامكانيات الحركة لدى منظمة كحدتو ، فمقاومة قانون

المشبوهين السياسيين تتحول الى عمل جبهوى شامل تعكسه البشــير على صفحاتها بصورة تختلف تماما عن مجرد الصراخ الفردى ..

المانشتات ـ قانون المشبوهين السياسيين يتعرض لموجة من السخط والغضب والاستنكار .

ـ حملة البشير على القانون يتردد صداها فى كل مكان .

ـ النواب والمحامون والصحفيون والشباب يهبون للدفاع عن الدستور .

ثم « .. واليوم نستطيع أن نعلن بكل اعتزاز وبكل فخر اننا كنا الرواد الأول الذين أهابوا بالاحرار والوطنيين فى مصر أن يتنبهوا ويدفعوا هذا الشر الكبير قبل وقوعه ، وكان المواطنون الاحرار عند حسن ظننا بهم فقد تحركت مختلف الهيئات تقاوم المشروع الرجعى الجائر وتتسابق الى شرف تحطيمه »

وتمضى البشير لتوضيح سلسلة من المواقف ضد هذا المشروع .. « كان اجتماع الهيئة الوفدية صباح الاثنين الاسبق أهم اجتماع عقدته منذ تأليف البرلمان الحالى وقد هاجم الاعضاء قانون المشبوهين ووصفوه بأنه قانون رجعى وخطر لا يجوز أن تصدره وزارة الشعب التى طالما عانت من أمثال هذه التشريعات الرجعية . وقد رد معالى فؤاد سراج الدين على هذه الاعتراضات مبينا الاسباب التى أدت الى وضع هذا التشريع فقال ان الحركة الشيوعية فى مصر قد استفحل أمرها فلما استمر الاعتراض على التشريع وعد معالى فؤاد باشا بتوزيع المشروع لدراسته على أن تعود للاجتماع للمناقشة فيه » .

ثم خطوة أخرى ..

« أرسل فريق من المحامين عريضة الى مجلس ادارة نقابتهم يطلبون منها عقد الجمعية العمومية للنظر فى أمر التشريع الجديد .. » .

وخطوة ثالثة ..

« بعث رئيس تحرير البشير برسالة الى رئيس نقابة الصحفيين يقترح فيها دعوة الجمعية العمومية غير العادية للانعقاد للنظر فى هذا المشروع الذى ينطوى على تهديد خطير لرجال الصحافة الذين يتعرضون قبل غيرهم لسخط الحكام .. » .

وحتى الشباب الوفدى ..

« تلقى رفعة رئيس الوزراء ومعالى فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية مذكرة من الشبان الوفديين تضمنت اعتراضهم على مشروع قانون الاشتباه

السياسى ٠٠ جاء فيها « ان الحكومة قد أعلنت أنها تقصد بذلك المشروع الشيوعيين فقط الا أنه ينطبق على كل من يعتبره البوليس معارضا للوزارة التى تكون قائمة وكل من يعتنق آراء سياسية لا تروق فى أعين البوليس »(٣٠)

وتواصل البشير ضغطها على الحكومة الوفدية وسعيها لاستقطاب معارضين لسياسة الحكم ٠٠ وتنشر تحت عنوان « اقرأ وافهم » « فكر بعض النواب الوفديين المعروفين فى اصدار جريدة يومية تعبر عن الاتجاهات الحديثة فى صفوف الوفد » كذلك تبرز البشير على صفحاتها أسماء قادة حدتو ٠٠ فيكتب محمد محمد شطا ـ عامل نسيج بشبرا الخيمة ( عضو اللجنة المركزية لحدتو ) تحت عنوان « نحن والاتحاد العالمى » ٠٠ « منذ انتهت الحرب العالمية الثانية التى ذهب ضحيتها الملايين من العمال والفلاحين أحس العمال بمدى فداحة الخسائر التى لحقتهم وهبوا للعمل على تحطيم الاستعمار أساس الحروب وعلى نصرة الحرية والديمقراطية وتدعيم السلام فى ربوع العالم ٠٠ ان العمال بطبيعتهم أبطال السلام العالمى ٠٠ ونحن عمال مصر الذين نقدر وحدة عمال العالم حق قدرها وأثرها فى معركة السلام العالمى وفى الدفاع عن مصالحها وفى تحطيم الاستعمار ، نعتبر أن المحافظة على وحدة عمال العالم تتطلب منا السهر والعمل المتواصل لتحطيم اتحاد النقابات الحر فى المجال الدولى وكشف وتحطيم أنصاره من الخونة والمرتزقة » ٠

ويبقى أمامنا بعد ذلك اثنان وعشرون عددا من البشير من العدد ٣٦٩ ( ١٠ يونيو ١٩٥٠ ) الى العدد الاخير ٣٩٠ ( ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ ) ٠٠ وهى مجمل الاعداد التى أصدرتها منظمة حدتو بالتعاون مع فتحى الرملى والتى يمكن الاعتداد بها كمرجع معتمدا للتعرف على نهج ومنطلقات هذه المنظمة وكذلك على ممكناتها الفنية والتحريرية ٠٠

---

وسوف نحاول أن نستعرض الخطوط الرئيسية لهذه المواقف ٠٠ وسنهتم أساسا بالقضايا التالية :

- القضية الوطنية والموقف من الاستعمار ٠٠ الموقف من المعسكر الاشتراكى
- الدفاع عن السلام العالمى ٠
- الموقف من الوفد ٠
- الصراع الوفدى وقضية الثورة ٠

ويمكن القول ان النقطة الاولى قد استحوذت على معظم صفحات الاعداد الاثنين والعشرين موضوع الدراسة ٠٠ وقد اتسم تناولها بالعنف الشديد

---

٣٠ ـ البشير ـ ١٩٥٠/٦/٣

فى الهجوم على الاستعمار وبانيقظه التامة فى مواجهة الزحف الامريكى الجديد ...

فافتتاحية العدد ٣٧٢ بعنوان « فلنواجه المستعمرين » والتوقيع لفتحى الرملى .. . ليكن مفهوما ان العبرة الوحيدة التى نستخلصها من هذه الحرب التى دبرها الامريكان المجرمون فى كوريا أنه لا امن ولا سلامة ولا حرية فى بلد يعربد فيه النفوذ الاستعمارى ... لذلك يساورنا الفزع حين نلتفت الى أن الحكومة الدستورية القائمة قد امضت فى الحكم ستة شهور وهى تعلن فى كل يوم أنها متمسكة بالجلاء عن وادى النيل ثم لا نجد عملا ايجابيا .. لقد تكتلت الدول الاستعمارية ـ امريكا وانجلترا وفرنسا ـ لتواجه الشعوب الثائرة صفا واحدا .. واذا كنا نلمس اليوم تآمر هذه الدول الباغية على الشعوب العربية جميعا فما احوجنا لان نقف من هذه المؤامرات موقف الوطنية وموقف الرجال »(٢١) واذا كنا نلاحظ أن البشير تتحدث هنا عن معركة « الشعوب العربية جميعا » ضد جبهة الاستعمار الموحدة.. فاننا نلاحظ أنها لم تفصح عن موقف محدد .. واكتفت بحديث عام عن « موقف الوطنية وموقف الرجال » ..

لعل الموقف لم يكن قد نضج بعد أو لعلها الحدود التى كان فتحى الرملى قادرا على الكتابة باسمه فى اطارها . على أية حال فان افتتاحية العدد التالى تحمل لنا اجابة واضحة .. وهى أيضا ـ ولعل ذلك ليس مجرد مصادفة ـ ليست بتوقيع فتحى الرملى ..

« كلمة البشير .. اتجهوا الى الشعب » ... . فشلت كل السياسات التى لا تثق بالشعب ولا تعتمد على قوته وحيويته نشاطه .. والاتجاه الى الشعب فى الظروف الحالية يتعارض مع سياسة كبت الحريات سواء كان ذلك بسن قوانين جديدة تحد منها مثل قانون الشيوعيين السياسيين والرقابة على الصحف . أو كان ذلك بتعطيل الافراد والجماعات بالحريات المنصوص عليها فى الدستور مهما كانت الحجة التى تستند اليها الحكومة .. الاتجاه الى الشعب معنى أن ندعه يعبر بكل صراحة وقوة عن عدائه للاستعمار الانجلو أمريكى وعدائه للمفاوضات والمساومات وعدائه للحرب التى لا مصلحة له فيها على الاطلاق . ويعنى اعطاء حرية التنظيم وحرية التعبير والاستعداد فالمعركة بيننا وبين الاستعمار الانجلو أمريكى ليست معركة اوراق ووعود فقد جربناها جميعا وكانت تنتهى بخسارتنا وتوطيد اقدام المستعمرين ولم يبق الا أن نحاول اسلحة جديدة هى التى كانت تنجح فى كل البلاد فى طرد المستعمرين ..

---

٢١ ـ البشير ـ ١٩٥٠/٧/١

أتجهوا الى الشعب والا فانه سيقول كلمته بأسلوبه الخاص فى الاستعمار وفى الحكومة التى تصانعه أيا كانت ..

ان حملة من أجل قطع المناورات ومن أجل خلق جبهة وطنية ضد الاستعمار لأحسن عمل نقوم به فى ذكرى يوليو . ذكرى ضرب الاسكندرية وبدء الاحتلال العسكرى(٣٢) .

ـ ونلاحظ الهجوم ضد الاستعمار الانجلو أمريكى وليس الانجليزى وحده .

ـ أيضا الحديث عن « أسلحة جديدة هى التى كانت تنجح فى كل البلاد فى طرد المستعمرين » .

ـ وكذلك تهديد حكومة الوفد .

ـ وأخيرا الدعوة لايقاف المفاوضات وخلق جبهة وطنية ضد الاستعمار .

ولقد ظلت هذه المنطلقات الاربعة هى محور تناول البشير للقضية الوطنية عبر كل الأعداد التالية .. واذا كان الكلام عن « أسلحة جديدة هى التى كانت تنجح فى كل البلاد .. » ياتى مبهما الا أن الامر لا يطول بالبشير .. فسرعان ما توعو وبوضوح الى .. « الثورة المسلحة ضد المستعمرين » .

وفى افتتاحية العدد قبل الاخير ٣٨٩ .. وهى غير موقعة .. العنوان صارخ « نطالب بالثأر » والكلمات عنيفة .. « الشعب يعرف ما هو الطريق انه ليس المفاوضات التى تستجديها الاحزاب الخائنة حزبا بعد حزب. وليس هو هذه المناقصات الوطنية التى يجاهد كل زعيم على أمل أن يرسو عليه العطاء الشعب يعرف أن الجهاد الوطنى هو تحطيم لكل المناورات التى يراد بها فرض المحالفات العسكرية مع المستعمرين ضد الشعب . هو الحرب بكل سلاح ضد الغاصب المحتل .. ان الجهاد الوطنى هو هذه المعارك التى تصلنا أنباؤها فى ميادين القتال فى الهند الصينية وفى كوريا .. هى ثورة رعيبة تجتث جذور الاستعمار . هو انتفاضة كتلك التى قامت يوم أراد نابليون أن يقاوم المصريين بمدافع لا عهد لهم بها فغنموا واحدا منها واستطاعوا فى ساعات أن يحققوا المعجزة . ثم تصل البشير الى الذروة « أن قلوب الجماهير وارادتها ووعيها الجديد لم يعد يستسيغ سوى أسلوب واحد . قررنا أن نعبئ له كل الجهود .. أسلوب التحرر كما عرفته الشعوب التى تحررت . أسلوب الوطنيين المحاربين فى كوريا وفى الهند الصينية .. أسلوب الثورة المسلحة ضد المستعمرين .. »(٣٢) .

ـ وفى العدد الاخير ٣٩٠ تتصاعد الحملة . كان خطاب العرش صدمة لعواطف

---

٣٢ ـ البشير ١٩٥٠/٧/٨

الشعب الوطنية علمه كيف تتبخر الوعود التى تمتلىء بها البيانات قبل الحكم وكيف تنتقل فى ظل السلطة الى النسيان أو أن تنقلب الى النقيض ·· الشعب يريد بما تبقى له من حسن نية وثقة فى وعود الحكام قطع المفاوضات رسميا والغاء معاهدة ٣٦ واتفاقيتى الحكم الثنائى رسميا والتحول الى الهجوم بكل صوره السياسية والاقتصادية بل والحربية بينما النحاس لم يتورع عن اعلان سياسة الباب المفتوح ·· » (٣٤) ·

وبدأت البشير أيضا تركز هجماتها على الأستعمار الامريكى الزاحف فى شراسة على مصر ··

·· « ترى الدوائر السياسية ان الرئيس ترومان فقد صوابه فى الفترة الاخيرة فهو منذ يوم الجيش يعمل بحماسة واخلاص لوضع نفسه كأول مجرم حرب ففى هذه الفترة خرج الرئيس المريكى على العالم بنظريته الجديدة التى تتلخص فى أنه سيقرر وحده الوقت الذى يراه مناسبا لاستخدام السلاح الذى بل هو يرى ان الخسائر ستقل فى الحروب الذرية القادمة ولن تزداد كما يتخيل ملايين السذج ·· »(٣٥) ·

ويكتب فتحى الرملى تحت عنوان « لا حياد » ·· « راجت فى سوق السياسة المصرية هذه الايام عملة زائفة يجدر بنا أن نلفت الانظار اليها هى كلمة الحياد ·· كلمة الحياد لم يعد لها مدلول فالصراع الذى يترقب العالم بدايته بكثير من الرعب والفزع لن يكون عراكا بين الديكة أو مصارعة الثيران ·· ولكن الصراع المرتقب سيتوقف على نتيجته تقرير مصير العالم لاجيال طويلة ·· هذه حقائق لا يستطيع انسان أن يكابر فيها · · ومن هذه الحقائق ان امريكا وانجلترا وفرنسا قد ألفت كتلة واحدة لابقاء الشعوب فى قبضة الاستعمار وتقسيم العالم الى مناطق نفوذ تنهب كل منها ثروة المنطقة التى تحتلها وتحيل دماء شعوبها وعرق كادحيها الى ويسكى وشمبانيا لبضع مئات من الاحتكاريين وملوك المال ·· وبينما يوجد هذا المعسكر الاستعمارى توجد حقيقة أخرى أو يوجد معسكر آخر هو ذلك الذى يضم الشعوب الثائرة على الاستعمار والمناضلة ضد كل أنواع الاستغلال والمكافحة من اجل هدف واحد هو الحرية ·· وهذا المعسكر الاخير لم يعد من حسن الحظ ضعيفا فوق أنه المعسكر الاكبر عددا

---

٣٣ ـ البشير ـ ١٩٥٠/١١/١٨

٣٤ ـ البشير ـ ١٩٥٠/١١/٢٥

٣٥ ـ البشير ـ ١٩٥٠/٧/١

وفوق انه يستمد قوته من عدالة وسلامة أهدافه . فوق كل هذا تسنده في كفاحه قوات عظيمة تكاد تنخلع لها قلوب المستعمرين .. وليس منا من يجهل المواقف الديمقراطية الرائعة التى وقفها الاتحاد السوفيتى الى جانب الشعوب المناضلة .. أن المسألة بعد ذلك لا تحتاج الى شيء من التردد ولا جدال في أن موقف مصر من المعسكرين لا يجب أن يختلف فيه مصريان . نحن بلد مستعبد ومصالحنا الوطنية هي التى تحدد موقفنا وهي التى تحتم علينا أن نقف في معسكر الشعوب ضد معسكر الاستعمار .. وبعد فان الداعون الى الحياد مضللون يريدون أن يستروا مصانعتهم للقوى الاستعمارية تحت هذا الستار أو مغفلون لا يفهمون حقيقة هذا الصراع ولا يحاولون التطلع الى أهدافه »(٣٦) .

ويكتب البندارى باشا في نفس العدد ، روسيا أي الاتحاد السوفيتى دولة اشتراكية خالصة نظام الحكم فيها والاساس التى تقوم عليها تتعارض مع استغلال الاموال في داخلها وخارجها ولذلك تقوم سياستها الخارجية على أسس ثابتة وهي محاربة الاستعمار اذ هو الرأسمالية المجسمة التى الغتها . وهو في نظرها مصدر الحروب العدوانية المخربة »(٣٧) .

.. وأيضا على صفحات نفس العدد تتساءل البشير عن الفائدة .. التى تجنيها مصر من اصرارها على الاعتراف بالحكومات الوهمية وتجاهل الحكومات الحقيقة . ما هي الفائدة التى تجنيها مصر من اصرارها على الاعتراف بحكومة الملك زوغو التى لا وجود لها وتجاهل حكومة جمهورية البانيا الشعبية التى استقرت لها الامور منذ سنوات . وما هي الفائدة التى تجنيها مصر من اصرارها على الاعتراف بحكومة تشانج كاى شيك التى لا وجود لها .. وتجاهل حكومة الجمهورية الصينية الشعبية التى تسيطر على الصين فعلا . والتى اعترفت بها أكثر دول العالم » ؟

وتواصل البشير حملتها للاعتراف بالصين الشعبية .. وعلى صفحاتها تحشد آراء مختلف الشخصيات الوطنية مثل زهير صبرى . وحامد سلطان وعبد المجيد نافع وأبو الخير نجيب .. مطالبين بالاعتراف بحكومة الصين الشعبية على أساس أن هذا الاعتراف هو تأكيد للمصلحة الوطنية وللمعركة الوطنية .

.. وتتحرك البشير كمؤسسة سياسية .. أو بالدقة كلسان حال لمنظمة سياسية عندما توجه برقية الى وزير الخارجية تقول فيها ، أسرة تحرير البشير تحتج على الموقف الشائن الذى وقفه مندوب مصر في مجلس الامن من مسألة

---

(٣٦) البشير - ١٩٥٠/٧/٨

(٣٧) البشير - ١٩٥٠/٧/٨

الصين وتطالبكم بتصحيح هذه السياسة التى لا تعنى الا ربطنـــا بموكب الاستعمار الامريكى وذلك عن طريق الاعتراف فورا بحكومة الصين الشعبية الحقيقية كاجراء يساعد على حل قضيتنا بل وحل قضية السلام العالمى ·»(٣٨) .

·· وفى العدد ٣٨٦ تخصص البشير صفحتان كاملتان لنضـــال شعب الهند الصينية ·· « شعب عظيم يحطم قيوده ·· الهند الصينية تدافع عن جمهوريتها الشعبية الاولى » ·· وتعلن على صفحات نفس العدد « عددنا القادم عدد خاص بكوريا » ·. وفى الصفحة الاخيرة لنفس العدد « مارسيل كاشان الزعيم الكبير يروى قصة جريدة لومانتية » ( جريدة الحزب الشيوعى الفرنسى )(٣٩) ·

·· والعدد ٣٨٨ يخصص صفحته الاخيرة كاملة لنشر « قصة البرافدا ·· الجريدة التى صنعت التـــاريخ . احبهـــا الشعب لانها أحبتـــه ودافعت عنـــه وقالت له الحقيقة »(٤٠) ·

لكن الملفت للنظر هو مقال تنشره البشير لعبد الجليل ابو سمره باشا قطب حزب الاحرار الشهير بعنوان « فلنتحالف مع روسيا » يقول فيه « لقد أجمعت البلاد على طلب الجلاء ووحدة وادى النيل منذ زمن طويل ·. ولكن الذى ينقصنا أن نجمع عليه هو أن هذين المطلبين لا يمكن تحقيقهما بالمفاوضة ·· فلم نسمع قط أن دولة نالت حقوقها المغتصبة من انجلترا بالمفاوضة ولا سبيل فى رأيى لنيل حقوقنا الا التكتل والتساند واعلان العداء السافر للانجليز . فلا نتعاون معهم فى أمر من الامور . فلنمنع الماء والطعام عن القوات البريطانية المحتلة ولنحل بينها وبين بناء تكنات بكل وسيلة ممكنة ·· ونقلع عن التعاون معها فلا يعمل هناك عامل مصرى ولا كاتب مصرى ولا متعهد مصرى » ·

ثم يكشف القطب الحر الدستورى عن سر غير معروف « سمعت أن روسيا عرضت على مصر ان تبنى لها مصانع للاسلحة ·· فلماذا نتردد ؟ ان لنا مصلحة ظاهرة فى قبول عرض روسيا » ويتساءل عبد الجليل ابو سمره باشا « هل نخشى من التعاون مع روسيا من ان نتبلشف ؟ » ويجيب « من قال هذا ؟ هل

* * *

---

(٣٨) البشير ـ ١٩٥٠/٨/٥
(٣٩) البشير ـ ١٩٥٠/١٠/٣١
(٤٠) البشير ـ ١٩٥٠/١١/١١

خشينا على الاسلام من التعاون مع الدول المسيحية . انها حجة واهية يدحضها ان انجلترا تعاونت مع روسيا فى الحرب الاخيرة ولم تتبلشف »(٤١) ·

وقد كان النضال من أجل السلام العالمى أحد المحاور الاساسية لنشاط « حدتو » فى هذه الايام ·· وقد اتخذ طابع حملات مكثفة سواء على صفحات المجلات « البشير » ، الواجب » ، الملايين » ، « الكاتب » ·· أو بالاتصال المباشر بالجماهير والشخصيات العامة عن طريق جمع توقيعات على ميثاق استوكهولم ثم ميثاق برلين ··أو عن طريق خلق منظمات جماهيرية قاعدية وعلى المستوى القومى لانصار السلام ·· وكانت البشير هى البداية لهذه المعركة ·

ومنذ العدد ٣٦٩ ( ١٠/٦/١٩٥٠ ) أى العدد الثانى لبداية علاقة حدتو بالبشير نقرأ العناوين التالية ، الدول الاستعمارية تتعجل الانتحار فى اكبر مجــزرة بشرية ·· الشــعوب الحرة تعلن الحرب على دعاة الحرب ، ·· و « الاحتكاريون يطلبون الحرب » ·· « منذ ان انتهت الحرب العالمية الثانية والدول الاستعمارية وفى مقدمتها امريكا تسعى لاشعال نار الحرب العالميــة الثالثة ·· وقد تفتق ذهن العصابات الامريكية الاحتكارية منذ سنوات الى اسلوب جديد للسيطرة على العالم فاخرجت مشروع مارشال واخذت تصدرها فى صورة ترومن لتسليح الدول التى تقع فى قبضتها وتدفعها الى المجزرة البشرية التى لا تجد امريكا مناصا من خوضها لتحقيق اطماع بضع عشرات من الشركات الاحتكارية ·· وقد أحست الشعوب الناضجة فى كل مكان بالخطر وهبت تدافع عن سلامها وأمنها حتى لقد جن جنون انجلترا وامريكا من حملة السلام فى العالم وراحت تصفانها بانها شيوعية ..·تماما كما تصفان الحركة الوطنية · كل دعوة للسلام هى دعوة شيوعية ما دامت امريكا وانجلترا تنشران الحرب ولا تريدان السلام ·· ان انصار السلام يوصونكم بالعمل من اجله ·· ففى سبيل امنكم وأمن أطفالكم وزوجاتكم وأمهاتكم يجب أن تعملوا على احباط كل مناورة لجركم الى الحرب ولتعلموا انه ما من قوة فى الارض تستطيع ان تفرض على الشعوب حربا ذرية لا تريدها ·· »(٤٢) .

وقد صدر العدد ٣٧٠ كعدد خاص عن السلام وتميز باستخدام اللون الاخضر بدلا من الاحمر وتخصيص كل صفحاته لموضوع السلام ·

وافتتاحية العدد بعنوان « معركة السلام » وتسير فيها البشير على نهجها الثابت فالنضال من أجل السلام هو فى الاساس نضال ضد الاستعمار ·· « فى هذا الوقت الذى تاهب فيه لصوص البترول وتجار الاسلحة من الاحتكاريين

---

(٤١) البشير - ١/٧/١٩٥٠
(٤٢) البشير - ١٧/٦/١٩٥٠

الامريكان والانجليز لاشعال نار حرب عالمية ثالثا .. فى هذا الوقت يتضعف شعور الاحرار فى العالم بأسره بمسئوليتهم فى الدفاع عن الحضارة وانقـــاذ الانسانية من كارثة لن يعرف تاريخ البشر أشد هولا منهـا .. وليعرف الشعب المصرى كما عرف غيره من الشعوب ان عليه ان يختار احد أمرين اما أن يخوض معركة السلام ويكسبها واما ان يساق الى حرب ذرية لا تبقى ولا تذر . لا يكفى أن نكره الحرب بل يجب ان نتحرك لندفع عنا شرها المخيف .. وحين ندعو للدفاع عن السلام لا نقصد الجانب المثالى فى هذا الدفاع بل نهدف أولا وقبل كل شيء ان يجئ دفاعنا عن السلام واعيا وعميق الجذور . فالدفاع عن السلام هو كشف وفضح لدعاتها . هو تحطيم للاستعمار خالق الحروب .. هو كفاح متواصل ضد الاحتكار العالمى .. ضد لصوص البترول وتجار الاسلحة (٤٣) .

.. وتمتد معركة السلام الى صفوف العديد من المنظمات الجمــاهيرية والمهنية وتتخذ نقابة الصحفيين المصرية قرارا هاما تنشره البشير فى نفس العدد « توافق نقابة الصحفيين المصريين على اقتراح منظمة الصحافة الدولية بالمطالبة بتحريم استخدام السلاح الذرى دون قيد أو شرط كسلاح للاعتداء والقضـــاء على البشر وتطلب انشاء رقابة دولية مشددة لتنفيذ ذلك وسوف يعتبر الصحفيون المصريون الحكومة التى تبدأ باستخدام السلاح النووى ضد أى دولة بمثابة مجرمة حرب » .

ثم تنشر البشير على صفحات هذا العدد نص نداء استكهولم للســلام مطالبة من كل قراء البشير ان يجمعوا عليه توقيعات وان يرسلوه اليها بالبريد .

وهناك أيضا قصيدة لمصطفى هيكل .

فى الوطن العالمى جيش عظيم .. طويل
لا جنس له ولا لون .. وليس له غير السلام دين
لقد صممت الشعوب الا تطلق رصاص بنادقها
الا على الذين يسلبون الخبز والحرية

ثم ينتقل الحديث عن السلام من مجرد الدعوة على صفحات جريدة الى عمل وسط الجماهير ومحاولة لتأسيس لجنة قومية لانصار السلام وتكون البداية أيضا على صفحات البشير « لقد أوضحنا .. أهمية خلق جبهة فى مصر للدفاع عن السلام . جبهة تضم جميع الديمقراطيين والاحرار والمفكرين والعمـــال والفلاحين وجميع الرجال والنساء والفتيات والشبان المخلصين الذين ينشدون انقاذ العالم من الحرب وينشدون فى الوقت نفسه تحرير الوطن من الاستعمار .. ونحن نعتبر أن نجاح حملة البشير فى جمع توقيعات السلام سيعتبر نجاحا للشعب المصرى ونجاحا لكل وطنى مخلص . ونجاحا لصراعنا من أجل حريتنا

---

(٤٣) البشير - ١٩٥٠/٦/١٧

وخطوة الى الامام فى سبيل التخلص من الاستعمار البريطانى وفى سبيل بناء المجتمع العادل الذى ينتظره العمال والفلاحون الكادحون والشعب المصرى .(٤٤) .

وتبلغ الحملة ذروتها .. وتتصاعد معها حملات البوليس وحملات القوى الرجعية فالذين يقومون بجمع التوقيعات يقبض عليهم وتقوم الدنيا ولا تقعد لان عبد الرازق السنهورى باشا رئيس مجلس الدولة وقع نداء السلام ..

وتعلق البشير بعنوان « هذيان رجعى » ... « وقع فى مصر حادثان فى منتهى الخطورة ..... الحادث الاول انه فى احدى قرى بنها اعتقل البوليس الزميل سيد زغاعى احد اعضاء اسرة البشير ( عضو . ل . م حدتو ) اثناء تلبسه بجمع توقيعات الاهالى على نداء السلام . اما الحادث الثانى فهو ان راديو موسكو اذاع ان السنهورى باشا كان واحدا من اثنى عشر الفا من المصريين الذين وقعوا على نداء السلام فهاج النبا المستعمرين الانجليز الذين يحبون مصر حبا جما يمنعهم من مفارقتها وعهدوا الى هارى هوبز مراسل جريدة المصري باذاعة هذه الفضيحة .. فضيحة توقيع نداء السلام (!) .. وكل ما نرجوه ان تكون الصدفة المحضة هى التى ساقت هذين الحادثين فى اسبوع واحد وان يكون الهذيان الرجعى فى مصر ظاهرة طارئة لا اصل لها ولا جذور »(٤٥) .

لكن رجاء البشير لم يتحقق فقد تصاعد الهجوم حتى اطاح بالبشـــير نفســـها .

* * *

والموقف من الوفد يستحق منا التفاتة ..

فمنذ التقت حدتو بمجلة البشير وأسهمت فى اصدارها أصبح الموقف اكثر تحديدا ودقة عن ذلك الموقف الذى أشرنا اليه ســابقا والذى وصــل الى حـد امتداح سراج الدين والتغنى بشعبيته وديمقراطيته .

ومع انتهاء الدورة البرلمــانية الاولى .. حرصت البشير أن توجه تحيتها الى النواب الوفديين الذين كانوا بالفعل يستحقون ما هو أكثر من التحية فلاول مرة فى تاريخ الحياة النيابية يتحمل نواب الاغلبية شرف معارضة الحكومة بينما تلتزم الاقلية الصمت .. ولاول مــرة يقف نواب الاغلبية فى وجــه الحكومة فيضطروها الى الغاء المــادة السادسة من قانون الاحكام العرفية التى كانت تقضى بمراقبة كل معتقل سابق لا يرضى البوليس السياسى عنه ولاول مـرة ينظم نواب الاغلبية حملة عنيفة على الغاء ضريبة الارباح الإستثنائية ولاول

---

(٤٤) البشير ـ ٩/٧/١٩٥٠
(٤٥) البشير ـ ٥/٨/١٩٥٠ .

مره يقف نواب الاغلبية لا ليحرقوا البخور للحكومة على ما قامت به من اعمال فعلا كمجانية التعليم بل ليصرحوا بأن هذه المجانية ناقصة وانهم يطلبون ايضا مجانية الكتب ومجانية الغذاء » .

وهكذا فالخط واضح الضغط على يمين الوفد بيسار الوفد .. والتحالف مع يسار الوفد لشل اليمين عن تمرير أية قوانين رجعية . بل ولتطوير مواقف الحكومة الوفدية ككل ..

وتنهى البشير مقالها بتحية أسماء محددة . كانت بالفعل تستحق التحية « فلنحى نحن الناخبين كل النواب الشجعان الذين نجحوا فى هذه الجولة الاولى . فلنحى محمد مندور وعزيز فهمى وموريس عبد النور وفريد زعلوك والسنوسى وابراهيم طلعت والشيشينى وغيرهم ممن رفعوا رأس مصر وانقذوا سمعة الحياة البرلمانية . فلنحى هؤلاء الرواد الاول ولنطالبهم بالمزيد فى الجولة الثانية فان مصر كلها تتطلع اليهم »(٤٦) .

ولم تمل البشير من سياسة الضغط على الوفدوتذكيره بوعوده ايام كان خارج الحكم .. وفى برواز فى صدر الصفحة الاولى من العدد ٣٧١ .. وتحت عنوان « الشعب يريد » تقول البشير « الشعب الذى انتخب نواب الوفد ليمثلوا آماله ومصالحه يريد منهم وهم الاغلبية المطلقة القضاء نهائيا على قانون المشبوهين السياسيين وانقاذ الوفد من فضيحة عرضه على البرلمان ومن جريمة لم يقو الجلاد عبد الهادى على اقترافها . الشعب يريد من مصطفى النحاس زعيم الوفد ان يتذكر ويتمسك بالعهود والمواثيق التى ارتبط بها والوفد خارج الحكم واثناء الانتخابات حين اعلن لا مفاوضات ولا اتفاقات ولا معاهدات مع الدولة التى تستعمر وطننا والشعب يعرف أن الزعيم كان يقصد بتصريحاته دولة واحدة هى بريطانيا »(٤٧) .

وقد ربطت « البشير » بذكاء بين القضية الوطنية وقضية الديمقراطية والحريات السياسية ــ وتحت عنوان « المبادىء الهدامة » تكون افتتاحية العدد ٣٧٥ .. « يظهر ان المعاهدة المصرية ــ الانجليزية الجديدة تتقدم بنفس السرعة التى يتقدم بها الشعب الكورى وهو يطارد الشراذم المتبقية من الجيوش الامريكية والدليل على ان المعاهدة تقترب ان معالى وزير الداخلية يتحدث من جديد عن المبادىء الهدامة .. المعاهدة اذن تقترب . وقد بدأ الاستعداد لاستقبالها منذ ثلاثة أو أربعة شهور عندما بدأ التفكير فى استصدار قانون بمراقبة الوطنيين ... » .

---

(٤٦) البشير ــ ١٩٥٠/٦/١٧

(٤٧) البشير ــ ١٩٥٠/٦/٢٤

وتقدم البشير صورة طريفة للحملات البوليسية المفترض انها سوف تصاحب عملية توقيع المعاهدة وهي صورة طالما تكررت بالفعل عبر مراحل عدة ·· « وعلى المصريين ان ينتظروا في الايام القليلة القادمة مجموعة كبيرة من القصص السينمائية المثيرة والتي تفوق في غرابتها ولا شك قصص شرلوك هولمز وأرسين لوبين ·· قصص الخلايا الشيوعية الخطيرة المتصلة بموسكو رأسا والتي تعد أضخم مؤامرة لقلب نظام الحكم في البلاد · وسيروي بوليسنا السياسي الهمام كيف ظلت عينه ساهرة تراقب هؤلاء الخطيرين وتضيق عليهم الخناق حتى وقعوا في الشراك وضبطت لديهم الاوراق الخطيرة والكتب الممنوعة والشفرات التي يسفر ذكاء البوليس السياسي عن حل رموزها وكشف خباياها ·· وستشغل هذه التحقيقات النيابة والمحاكم وبصرف النظر عما تسفر عنه ·· فانها وهذا هو المهم ستشغل قراء الصحف وتغنيهم عن أنباء المحادثات السرية مع المارشال سليم »(٤٨) ·

ودفاعا عن مصالح العمال تشن البشير هجمات عنيفة على حكومة الوفد ·· « لقد عرفنا من قبل أن حكومة الوفد تدافع باخلاص عن مصالح أصحاب الشركات والمصانع · ولهذا قررت عدم فرض ضرائب جديدة · ولهذا تركت قانونها وامرها العسكري الخاص بعلاوة الغلاء للعمال حبرا على ورق يمزقه أصحاب المصانع في وجوه العمال الجياع ·· اننا نتساءل للمرة الأخيرة عن مصالح من تدافع حكومة الوفد »(٤٩) ·

ومع تصاعد النضال العمالي وارتفاع موجة الاضرابات يزداد ضغط الحكومة الوفدية وعنفها في مواجهة المد الطبقي ·· ومن الطرف الآخر تصعد البشير من حملاتها ضد حكومة الوفد ·· وتزداد لهجتها عنفا حتى ضد النحاس باشا نفسه · « مصنع الصوف يتحول الى قلعة حربية · العمال يشتغلون ومن ورائهم الجنود بالبنادق والكرابيج · شبح عبد الهادي يظهر في المصانع من جديد · حقا في أي عهد نحن ؟ حقا وكما كتب العمال بالفاظهم ·· هل نحن في عهد صدقي وعبد الهادي · في عهد هتلر وموسوليني · في عهد الطغاة المستبدين · ام في عهد حكومة تدعي انها تمثل الشعب وتدافع عن مصالحه · ويدعي رئيسها انه زعيم وبطل وطني ·· في مصنع الصوف بشبرا الخيمة ترتكب جريمه بشعة ·· جريمة تكشف ان حكومة الوفد وفؤاد سراج الدين وزير الداخلية ليسوا وأتباعهم الا استمرارا لعهود البطش البائدة التي قاومها الشعب المصري وعلى راسها طبقته العاملة ·· يا عمال النسيج بشبرا الخيمة اتحدوا وكونوا

---

(٤٨) البشير - ١٩٥٠/٧/٢٩

٤٩ - البشير - ١٩٥٠/٧/٢٩

نقابة عامة تمثلكم وتدافع عن حقوقكم ٠٠ يا عمال مصر اتحدوا »(٥٠) ٠

٠٠ وتحت عنوان « العمال والوفد بين الامس واليوم » تشن البشير حمله عنيفة على حكومة الوفد معلنة حربا طبقية صريحة ٠٠ « لقد تشدق الوفد بالامس قبل اعتلائه الحكم عن اهدار حقوق العمال وخفض مستوى المعيشة بينهم ٠٠ واليوم يكشف الوفد القناع وتظهر سياسته العدوانية السافرة التي ليست الا استمرارا لسياسة العهد البائد فالمصانع تتحول الى قلاع حربية ٠٠ » ٠

وبرغم هذا الهجوم العنيف فان البشير لا تفقد حذرها ولا تخلط الأوراق بين وفدى ووفدى وتواصل المقال قائلة « من كل ذلك نخرج بنتيجة أكيدة وهى أن حكومة الوفد قد وقفت بجانب اصحاب الأعمال ضد العمال ولكن يجب علينا ان ننتبه الى ان هناك فى قاعدة الوفد مئات من العناصر المخلصة التى تعانى الفقر مثلنا وانها مستعدة للكفاح فى صفنا بشرط ان نحسن نحن تنظيم انفسنا ٠ وعندما نبدأ كفاحا قويا ونظهر وحدتنا سنجدهم وقد وقفوا فى صفنا مؤيدين لقضيتنا العادلة ٠٠ عاش كفاح العمال »(٥١) ٠

وتتصاعد حملة النقد حتى تصل الى الذروة ٠٠

ويكون عنوان افتتاحية العدد ٣٩٠ « خيبة الامل » ٠٠ « لم تكن خيبة الامل التى حملها خطاب العرش للمصريين تركب جملا واحدا بل كانت خيبة قوية ثقيلة تنوء بحملها عدة جمال ٠٠ لقد ناضل الشعب جلاديه حتى فى داخل معتقلاتهم فلما كانت له فرصة الانتقام منهم فى الانتخابات الاخيرة اتجه نحو الوفد يلتمس على يديه تصفية ذلك العهد البغيض بكل آثامه وجرائمه ٠٠ » ثم يمضى المقال معددا ما ارتكبته حكومة الوفد من اخطاء ومن تحد لمشاعر الجماهير ٠٠ ويوجه الهجوم عنيفا الى الوفد « لقد خلع الوفد عن وجهه النقاب ٠ واضطرته الحوادث أن يقف سافرا امام الجماهير وجها لوجه ٠٠ وها هو رئيسه يتنكر لكل تصريحاته السابقة ٠ تتبخر منها الثورة التى كان يصطنعها وهو فى المعارضة ويقف ليحدث نوابه فى خطاب العرش عن القضية الوطنية حديثا ربما يخجل عبد الهادى نفسه ويتردد مرتين قبل أن يقذف بمثله فى وجوه مواطنيه لقد قضى خطاب العرش على كل امل فى تحول زعماء الوفد نحو اليسار بل نحو الشعب » ٠

ثم توجه البشير نداءها الى الشباب الوفدي لتستثيره ضد قيادته

---

٥٠ ــ البشير ــ ٥/٨/١٩٥٠

٥١ ــ البشير ــ ٢١/١٠/١٩٥٠

بصورة لم يسبق لها أن فعلتها ٠٠ ، ان خطاب العرش الاخير نكسة جديدة للقضية الوطنية ورجعة الى الوراء بالنسبة للاصلاح الداخلى وخيبة أمل كفيلة بان يتدبر الشبان المخلصون فى الوفد موقفهم من القيادة التى سولت لنفسها أخيرا أن تطلب اليهم أن يتركوا الجهاد لها . وكأن الشعب قطعان تساق دون أن تدرى الى أية هاوية ، وكأن الجماهير اطفال ينبغى أن يفرض النحاس وصايته عليها ٠٠ » .

ثم تتجه رأس حربة الهجوم الى النحاس باشا نفسه بعد أن ظلت البشير تتحاشى التعرض له «لا يا رفعة الرئيس ٠٠ مستحيل أن يرضى الشعب بموقف المتفرج ٠٠ ان الشعب الذى لا يعجبكم يا رفعة الرئيس هو الذى قاوم تشريعكم البغيض . قانون المشبوهين واستطاع أن يصرعه . والشعب الذى لا يعجبكم يا رفعة الرئيس هو الذى أرغمكم على تقديم فضائح الاسلحة للنيابة ٠٠ » .

ثم تهديد واضح ٠٠ « والشعب يا رفعة الرئيس هو الذى جاء بكم الى الحكم . وهو الذى يقف لكم اليوم بالمرصاد نادما تصفية كاملة لاثار العهد البغيض وجرائمه ٠٠ اما هذا واما النضال الذى لا يعرف هوادة ولا تسامحا ولا مساومة ضد عهدك الجديد . بل ضد هذا العهد البغيض فى ثوبه الجديد » ٠

٠٠ وهجوم عنيف أيضا ضد سراج الدين الذى أسمته البشير « عسكرى الطاق » ٠٠ « يقوم سراج الدين باشا فى هذه الايام بدور عسكرى الطاق . لا تكاد تشتعل حماسة الجماهير ضد الاستعمار وضد الرجعية حتى ينبرى فيسلط عليها خراطيمه ٠٠ وهذه الخراطيم تبدأ عادة فى شكل بيانات ثم تتدفق عند اللزوم فى شكل قوات ضخمة من بلوكات النظام . تطارد هذه الجماهير بالهراوات ٠٠ وغدا بالمدافع والمتراليوزات »(٥٢) .

وفوق هذه الكلمات صورة لسراج الدين وتحتها عبارة « حامى حمى الانجليز » .

٠٠ وبعد هذا لم يعد مجال لقول ٠٠

لقد وصلت حدتو بحملتها حتى نهايتها ٠٠ ولم تعد حكومة الوفد بقادرة على الاحتمال وصدر قرار ادارة المطبوعات بمنع « البشير » من الصدور .

* * *

---

٥٢ ــ البشير ــ ١٩٥٠/١١/٢٥

واخيراً ..

أيهـا المغمض المعذب بالليـل تطلـع لنـور فجـر جـديـد
أنـا اشـقى وأنت تشقى وهذا ما حفظنـاه من تـراث الجدود
غير انـى آليت أبـذل روحـى كى ينـال الحياة بعدى وليدى

. . . . . . . .
. . . . . . . .

أنـا أبكـى وأنت تبكـى ولكن لن يمـل الحـديد غير الحـديد
يا رفيقى أنـا وأنت وعمى وابن عمـى جمـاعة من عبيـد

. . . . . . . .
. . . . . . . .

يـا جيـوش العبيـد أرهقتـك الظلم نقـومى الى الكفاح وثورى
امـل ماج فى الصـدور فأحيـا ما وضجت به حنايا الصدور(٥٣)

وقـد كانت قصيدة ، ملتهبة كهذه ، ولنفس الشاعر كفيلة بأن تثير ضجة وفزعا فى مجلس الشيوخ عام ١٩٤٧ عنـدما ألقـاها رئيس الوزراء اسماعيل دمدقى تبريرا لتمرير قانونه الشهير الخاص بقضايا الرأى ..

وقد توالت على صفحات البشير قصائد كمال عبد الحليم ( أحد قادة حدتو )

لم نعـد نقـوى على المستعمر .
وهو يختـال بوادينـا الخصيب الاخضر .

. . . . . . . .
. . . . . . . .

اننـا نقوى أجل نقـوى على المستعمر
انهم شعب ولكن فى قيود المجبر
وعلى الحاكم فينـا رغم بطش العسكر
وغدا يحمى الينا فى الجهاد الاكبر
فى غمار الثورة الكبرى على المستعمر
قسما نقوى اذا لم تختلف او نشطر
ليس للحرة والاحرار غير معسكر
حينما نجمع فى الثورة كل تذمر(٥٤)

---

٥٣ ـ البشير ـ ١٩٥٠/٩/٩ .
٥٤ ـ البشير ـ ١٩٥٠/٩/٢

مكذا ترتفع معزوفة الصراع الطبقى واضحة على صفحات البشير . وترتفع على أساس نغمات « حدتو » بالذات وتبدو الامور واضحة تمـــاما بالنسبة لانتماء المجلة ومحرريها عنـدما تنشر البشير على مساحة كبيرة من صفحتها الاولى نص « بيان هنرى كورييل » الذى أذاعه غداة ترحيله بالقوة من مصر (٥٥) .

.. وتصعد البشير من حملاتها دفاعا عن السجناء الشيوعيين .. وتشتعل صفحاتها غضبا عند استشهاد سجين شيوعى سودانى فى سجن طـره .. « شهيد واحـد يكفى » ..

« مات صلاح الدين بشرى الطالب السودانى صريع السل بعـد أن نقل من سجن مصر الى مصحة ليمان طره .. وبعـد بضعة أيام أو شهور سيموت محمد حسن جاد العامل المصرى صريع السل فى سجن مصر .. هكذا يموت المسجونون السياسيون .. وهكذا يعامل المتهمون فى جرائم الرأى .. وهكذا تقتل الحكومات خصومها فى الرأى »(٥٦) ..

.. وهكذا أيضا تكون الذروة .

.. هكذا تدخل حدتو بممكنات العمل الشرعى والصحافة العلنية الى حـدها الأقصى .

.. وتوقف البشير ..

.. فى العدد ٣٧٩ .. برواز فى صدر الصفحة الاولى « قوة من البوليس السياسى تهاجم ادارة البشير ومنزل رئيس التحرير » . ومع ذلك تواصل البشير الصدور ..

وأخيرا وجـدت وزارة الداخلية الحل .. وكانت القصة التى أوردناها فى الصفحات الأولى ..

وهكذا توقف عن الصدور واحدة من أبرز المجـلات اليسارية المصرية . توقفت عن الصدور .. لتحل محلهـا وعلى الفور شقيقه لها .. نفس التوضيب . نفس الحجم . نفس رئيس التحرير . نفس الدعم من حدتو ..

الجديد .. هو الاسم فقط .
.. المستقبل .

---

٥٥ ـ البشير ـ ١٩٥٠/٩/٢ .
٥٦ ـ البشير ـ ١٩٥٠/٧/٢٩

# المستقبل



والمعركة لا تنتهى ..

أطرافهـا الثلاثة كل منهم مصمم على موقفه ..

فتحى الرملى وحدتو ـ والطرف الاخر ـ وزارة الداخلية

فالبشير التى أصدرت آخر أعدادها يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ كان يتعين عليهـا أن تواصل الصدور بصورة أو باخرى .. وبعـد توقفها باربعة أيام فقط ( ٢٩ نوفمبر ١٩٥٠ ) تلقت وزارة الداخلية اخطـارا من رجب أحمد عمر صاحب امتياز جريدة المستقبل يخطرها فيه بتعيين فتحى الرملى رئيسـا لتحرير جريدته(١) .

وبعـد أربعـة أيـام اخرى من الاخطـار صدرت « المستقبل » معلنـة فى وضوح أنها ، مجلة ديمقراطية شعبية ، وكما اسرعت حـدتو باصـدار المستقبل كتحـد للاجراءات البوليسية ، أسرعت وزارة الداخلية هى الاخرى فاوقفت المستقبل بعـد العـدد الاول مباشرة بان أخطرت صاحب الامتيـاز برفضها لان يتولى فتحى الرملى رئاسة التحرير ..

وهكذا صدرت « المستقبل » ـ كمجلة يسارية ـ فى عدد وحيد .

* * *

وقـد بادر فتحى الرملى اثر ذلك بالاعتصام بمبنى نقابة الصحفيين معلنـا الاضراب عن الطعـام وردت الحكومة على ذلك بأن قدمته للنيـابة متهمـا « بالتحريض على ارتكـاب جنايات القتل ألعمد والحض على الثورة وبغض الطوائف »(٢) .

ورفع فتحى الرملى دعوى أمام محكمة القضاء الادارى مطالبا بالغـاء القرار بحرمانه من رئاسة تحرير « المستقبل » .. وحكمت المحكمة لصالحه .. وقـد صدر الحكم فى ٢٨ ديسمبر ١٩٥١ وفى ٩ يناير ١٩٥٢ أسرع فتحى الرملى مستندا الى هذا الحكم باصدار مجلة « المعارضة » .

---

١ ـ مذكرة الافوكاتو كامل غالى ـ المرجع السابق ص ٢٨ .
٢ ـ المرجع السابق ص ٢٦ .

أما حدتو فقد استطاعت أن تصدر هى الاخرى « الملايين » .. ثم « الواجب » .

* * *

و « المستقبل » و عددها الوحيد هى نسخة طبق الاصل من البشير من حيث التوضيب والطباعة والاخراج واستخدام الألوان والمساحات بحيث يمكن القول بأن الشيء الوحيد الذى تغير هو الاسم فقط ..

وتعلن المستقبل عن نفسها كما يلى :

المستقبل

- مجلة ديمقراطية شعبية

- صاحب الامتياز رجب احمد عمر

- سكرتير التحرير ضياء الدين بدر

- رئيس التحرير المسؤول فتحى الرملى

والمكاتبات ( كالعادة ) ص.ب . ٣٦٠ مصر .

وفى رأس الصفحة الاولى « المستقبل » - مجلة تحارب الاستعمار ، العدد ١ - مجموعة ٢

وقد صدر العدد الوحيد من المستقبل ( كمجلة يسارية ) يوم الاثنين ٤ ديسمبر ١٩٥٠ فى ثمانى صفحات تابلويد وطبعت فى نفس المطبعة التى كانت تطبع فيها البشير « مطبعة المستقبل » .

ويمكن القول أن « المستقبل » هى مجرد امتداد للبشير باسم آخر سواء فى تحريرها أو طباعتها او تمويلها أو توزيعها .

ويمكن القول كذلك ان « المستقبل » كانت قمة التحدى فقد قرر محرروها أن يصعدوا من حملتهم ضد حكومة الوفد وضد سراج الدين الذى وصف بانه « عمدة كفر الجرايدة » .. وأن يصعدوا من نغمة الانتماء الطبقى وأن تكون الصحيفة التى يصدرونها ماركسية اللهجة ، ماركسية الانتماء .

* * *

والآن لنتابع صفحات عدد وحيد من مجلة المستقبل هو العدد ١ - مجموعة٢ - الصادر فى الاثنين ٤ ديسمبر ١٩٥٠ .

فى الصفحة الاولى قصة اغلاق البشير تحت عنوان « البشير عطلوه » بقلم فتحى الرملى ٠٠ « تذكرت وزارة الداخلية فجأة وبعد ثمانية شهور من صدور البشير كمنبر حر أن لصاحب الامتياز شريكا آخر وصحيح أنه كان شريكا طارئا لم تعرفه هذه الجريدة القديمة سوى فترة محدودة من حياتها ، ولكنه شريك على كل حال ، وصحيح أن هذا الشريك توفى منذ عامين ولكن هذا لا يمنع أن يكون له ابن ، وصحيح أن الابن لا يحق له أن يرث فى أكثر من الجانب المادى من نصيب أبيه فى الجريدة ولكن لا بأس من أن تتسع ذمة قوانين الوراثة قليلا لتفرض على صاحب البشير - وأنفه فى الرغام - التسليم بأن مذهب الاب وشخصيته وصفاته التى ارتضاه على أساسها شريكا له قد انتقلت بالضبط وبالتحديد لابنه بالتمام والكمال ٠

ووزارة الداخلية معذورة حين تتذكر كل هذا فجأة وحين ترهق الذمة والقانون معها الى هذا الحد فالنجل العزيز سوف ينقذ وزارة الداخلية من مشكلة مستعصية الحل ، مشكلة أضناها التفكير فى حلها ثمانية أشهر كاملة ٠ ان جريدة البشير منذ ٤ ابريل الماضى وهى ترتكب جرائم خطيرة مروعة توشك أن تقضى نهائيا على الامن العام ، تصوروا انها اجترأت وقادت الحملة الشعبية التى صرعت التشريع البغيض الذى أعده سراج الوفد ليتيسر له اعتقال أى مصرى يعتبر من المشبوهين السياسيين ، تصوروا انها اجترأت وكشفت خيانة الوفد ومؤامراته لفرض الدفاع المشترك فى ثوب قشيب ، تصوروا أنها لا تفتأ تهاجم الاستعمار الانجليزى - الامريكى وتدعو لمقاومته بالسلاح ، تصوروا انها اجترأت على أن تنظم حملة صحفية لقضية السلام ٠٠ تصوروا أن كل هذه الجرائم وغيرها كانت البشير ترتكبها عننا كل أسبوع ٠٠ وتصوروا بعد ذلك أن وزارة الداخلية تعجز بهيلها وهيلمانها عن وقف هذه الجرائم ٠٠ تصوروا أنها طاردت باعة الصحف الذين يحملون البشير وحبست منهم من حبست وأفرجت بكفالة عمن أفرجت ومع ذلك بقى منهم مئات يتحمسون لتوزيعها ٠٠ تصوروا انها لجأت الى صاحب البشير تهدده وتغريه مرات على أن يفسخ عقده مع كتاب البشير وأسرة تحريرها فلم يقبل الاغراء ولم يذعن للتهديد ٠٠ ماذا يفعل سراج الوفد أكثر من هذا ٠٠ انه لا يستطيع أن يعتقل محررى البشير ٠٠ وهو لا يمكنه أن يستغل محرريها ويطويهم تحت جناح عمدة كفر الجرايده لانه يعرف منذ كان يشيد ببطولتهم ووطنيتهم وهو خارج الحكم ، انهم أذكياء لا يخدعون ، وشرفاء لا يرتشون ، لكن عمدة كفر الجرايدة رجل داهية واسع الحيلة ، انه ليس ديكتاتورا عبيطا لا سمح الله وان فى استطاعته أن يوجد مبررا شكليا لتعطيل البشير ٠٠ لكن فات السياسى الذكى الالمعى الاريب

شيء واحد هو أن البشير لا يمكن رغم ذلك أن تتوقف عن الصدور .. ان البشير فكرة . ان البشير هى صوت تلك الملايين المتعطشة الى حريتها ، المترقبة لبزوغ الفجر الجديد الذى نبشر به ونتعجل خيوطه . ومن الحمق والاغباء أن يتصور انسان ان فى استطاعته أن يخمد انفاس الملايين » .

ويصل التحدى مداه .. « ان الشعب لابد ان يرفع صوته ، لابد أن يعبر عن ارادته ، وعندما يتعذر عليه ابلاغ هذا الصوت عن طريق البشير فسيرفعه على صفحات المستقبل ، وعندما تشاء حكمتكم أن تعطل المستقبل فلن يعدم جريدة اخرى . واذا تعذرت عليه الصحف جميعا فسيخرج صوت الشعب فى منشوراته وفى هتافات وفى أشكال اخرى رهيبة ترتاع لها ولا شك مخيلة سراج الوفد » .

ثم يصل الاستهتار بوزارة الداخلية الى مداه أيضا عندما يقول فتحى الرملى « لقد عطلتم البشير .. هه ! طظ ! سوف يصدر المستقبل فى موعده بلا تأخير : نفس النار التى تلهب المستعمرين ووكلائهم .. » .

ويختتم فتحى الرملى قصة البشير بقوله « عطلوا البشير ، انشروا الارهاب ، افتحوا السجون ، انصبوا المشانق .. اننا لكم بالمرصاد .. »

وعلى صفحة ٣ مقال آخر عن نفس الموضوع بعنوان « سطور فى قصة البشير » « كانت بالامس كلمة البشير وهى اليوم كلمة المستقبل وقد تكون فى غد كلمة شئ آخر ، ولكنها فى كل هذه الحالات كلمة الصحافة الحرة مهما اختلفت الاسماء .. هذه الحقيقة كما يعرفها القارىء يعرفها رجل السلطة والبطش وزير الداخلية ويعرفها هذا العهد الحاضر الغابر ويعرفها الاستعمار عدو الحرية » .

ويتساءل الكاتب .. لماذا يخافون البشير ؟ والاجابة « انهم يخافونها كما يخافون السلام والتحرر والديمقراطية والرفاهية يخافونها كما يخافون الشعب وكما يخافون المستقبل .. وكل سطر دام كتبته الحكومة فى قصة الفجر الجديد وقصة أم درمان وكلمة الحق والجماهير والبشير ثم فى المستقبل هو شعاع يرينا هول الطريقة وروعة الهدف ويحبب لنا الكفاح . فلتضيفوا الى سطور الماضى سطورا جديدة فسيأتى يوم يدرس الشعب فيه قصة الجماهير وقصة البشير وقصة المستقبل كما يدرس الناس الآن قصة الاومانتية وقصة البرافدا والنصر لنا » .

ونلاحظ أن محررى المستقبل كانوا قد أحرقوا كل مراكبهم مع الوفد وحكومته وخاضوا معركة التحدى لها حتى نهايتها بل اننا نلمس فى كتاباتهم يقينا بأن مصير « المستقبل » معروف تماما وهو المصادرة والاغلاق ..

وفى الصفحة التالية موضوع بعنوان « كوريا ستنتصر » فيه صورة لعبد الفتاح حسن مكتوب تحتها « وزير الخارجية بالنيابة . بالنيابة عن الاستعمار » ثم برواز بعنوان « الشعب يريد » .. « مبادرة الحكومة بالتعبير عن ارادة الشعب المصرى فى استنكار التهديد باستخدام القنبلة الذرية . الاعتراف فورا بحكومة الصين الشعبية ـ الغاء معاهدة ٣٦ واتفاقية ٩٩ حالا واعتبار القوات البريطانية فى مصر قوات معادية » .

وفى نفس الصفحة وفى باب « شلاليت » تتحدث « المستقبل » عن موقف الاتحاد السوفياتى ودول المعسكر الاشتراكى المناصر للحق المصرى ضد الاحتلال البريطانى وتتساءل كيف تتجاهل الصحف المصرية حديث فشينسكى الذى أعلن فيه تأييد الاتحاد السوفياتى لحق مصر .. ثم فى الختام : أيها الخونة . ها هو فيشنسكى وزير خارجية الاتحاد السوفياتى يعلن فى عبارات صريحة واضحة قوية تأييد بلاده لحقنا فى التحرير والاستقلال . ها هو يمد يده فما بالكم تولون وجوهكم شطر المستعمرين ولا أحد سواهم ؟ أيها الخونة لقد انكشف عنكم كل ستر » .

وتواصل حدتو معركتها من أجل السلام فتخصص ثلاث صفحات كاملة من المستقبل ( ٤ و ٥ و ٧ ) للحديث عن السلام وعن نشاط أنصار السلام فى البلدان العربية وفى العالم .. « لبنان يعبر عن احتقاره لدعاة الحرب . وشاعر العراق يدعو للسلام » ثم مقال بعنوان « شعوب الشرق الأدنى لماذا تقف مع أنصار السلام بقلم انطون ثابت رئيس لجنة السلام فى لبنان » و « السودان يدعو مصر للاشتراك فى مؤتمر السلام بالخرطوم » .. « الكفاح من أجل السلام فى ايران » وهكذا .

ويكون تركيز المستقبل على معركة النضال ضد الحرب تعبيرا عن سمة مميزة للتحرك السياسى لحدتو فى ذلك الحين ويكون الاهتمام بابراز أخبار النضال من أجل السلام فى لبنان والعراق وايران والسودان .. تعبيرا عن بداية تكوين علاقات خارجية لحدتو سمحت لها فيما بعد أن تدعو لعقد مؤتمر شعوب الشرق الاوسط بالقاهرة وهو المؤتمر الذى عرقل حريق القاهرة انعقاده ..

أما الصفحة السادسة فعنوانها الرئيسى « المعذبون فى المصانع »وتوحى كثرة الاخبار العمالية وانتشار مصادرها بان حدتو كانت قد حققت بعض الوجود الجماهيرى فى مناطق مثل شبرا الخيمة . قليوب . امبابة . مصر القديمة . الشرابية . مسطرد . الزيتون . حيث انعكست أخبار النضالات والمطالب العمالية من هذه المناطق على صفحات المستقبل ..

وتحت عنوان « كلمة العمال » نقرأ تحليلا لأسباب عجز العمال عن انتزاع حقوقهم من حكومة الوفد .. وتتحدد الاسباب كما يلى :

ـ حكومة الوفد ليست حكومة عمالية أى بمعنى انها ليست الممثلة الحقيقية لمصالحهم .

ـ حكومة الوفد لا تعطى العمال بعض حقوقهم الا تحت ضغط كفاحى يضمن تنفيذ مطالب العمال العادلة .

ـ التاخر الحالى فى اشكال التنظيمات العمالية والروابط المحلية والروابط للمناطق المختلفة وكذا ضعف الروابط بين النقابات للمهن المختلفة.

ـ عدم ثقة العمال بقدرتهم الكفاحية .

ـ انعزال العمال عن الهيئات الديمقراطية الحرة كنقابات الصحفيين والمحامين وكذا المثقفين الاحرار والشباب الوفدى الحر والنواب الاحرار وكسبنا لتاييدهم الادبى والمادى .. » .

وهكذا فان المعركة ضد الوفد لم تكن تعنى عند محررى المستقبل وضع كل الوفديين فى سلة واحدة بل كانت تسعى الى التعاون مع الشباب الوفدى الحر والنواب الاحرار .

أما صفحة الاخيرة من المستقبل فهى قصة « بعد الفجر » لأحد كتاب حدتو المرموقين « يوسف ادريس » .

* * *

ونعرف بقية القصة ..

فقد توقفت المستقبل بعد العدد الأول .

ولعل كتابها كانوا يشعرون بما هو مبيت لهم فزادوا من حدة هجومهم الى درجة جعلت من اغلاق المستقبل أمرا محتوما .

# المعارضـــة



إعلان [illegible] حزب الديمقراطي في مصر

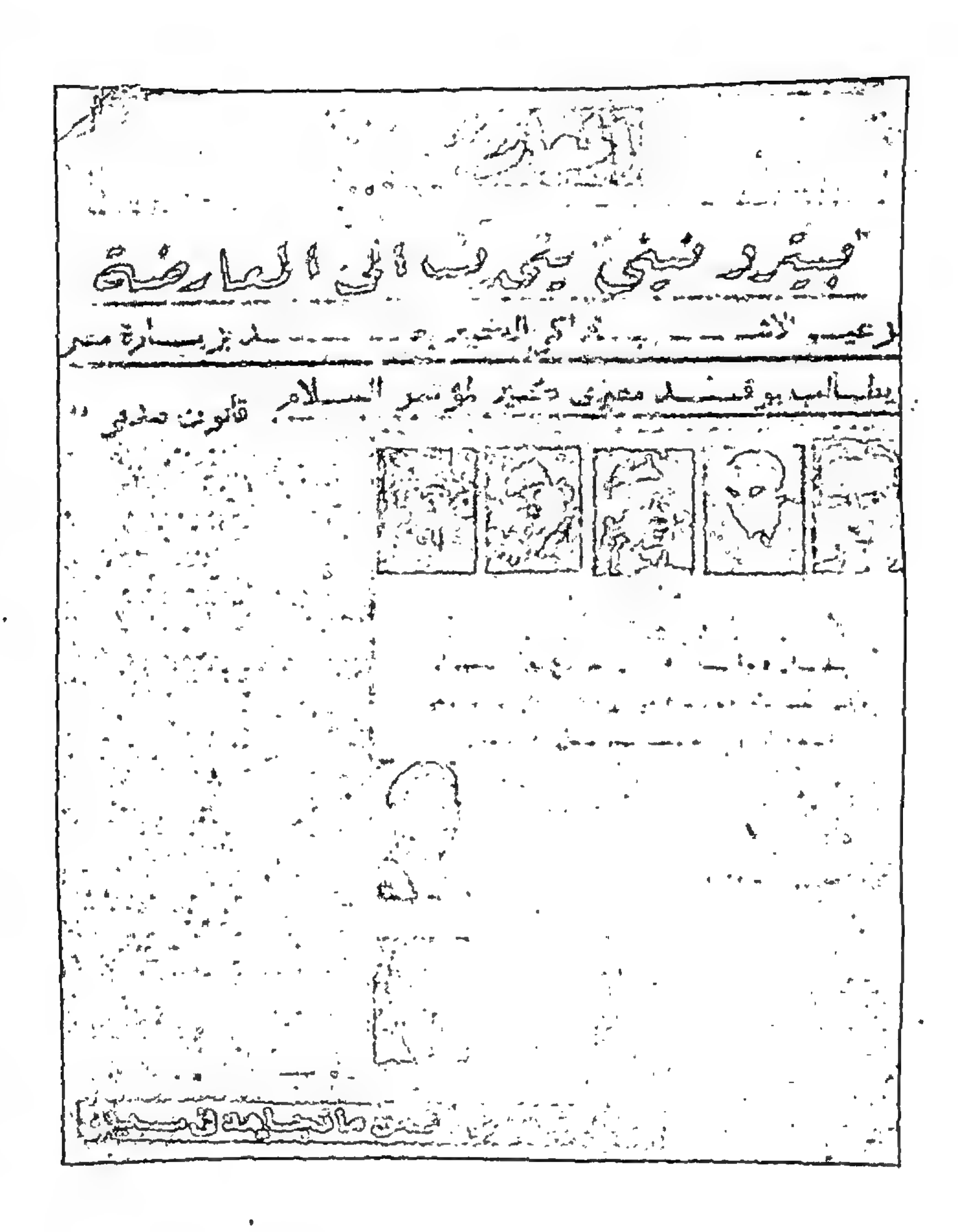
أول قضية للحزب أمام مجلس الدولة

دعوة فاشية



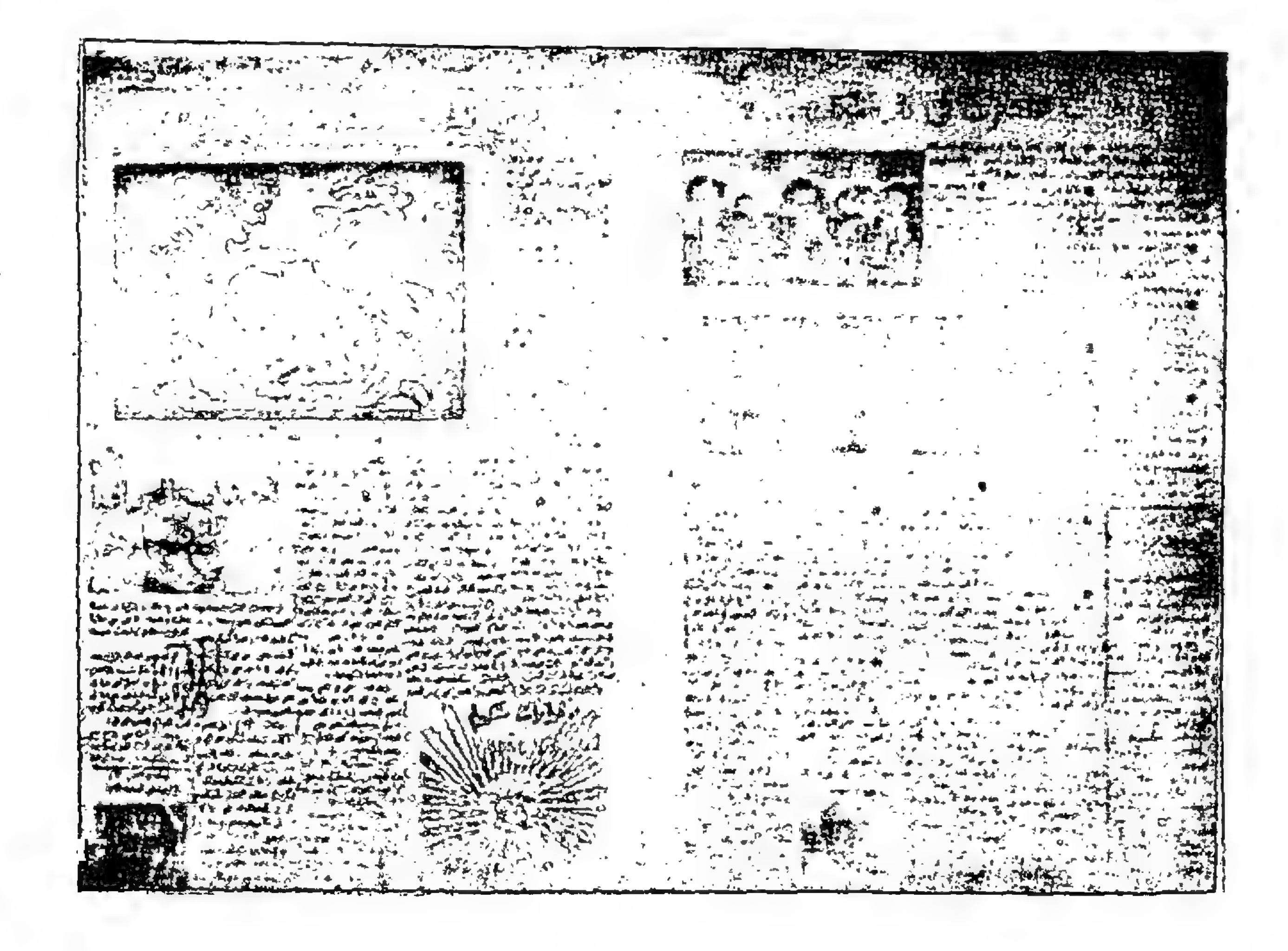
حرق القاهرة، والاغتيالات، ومشروعات الاستعمار!

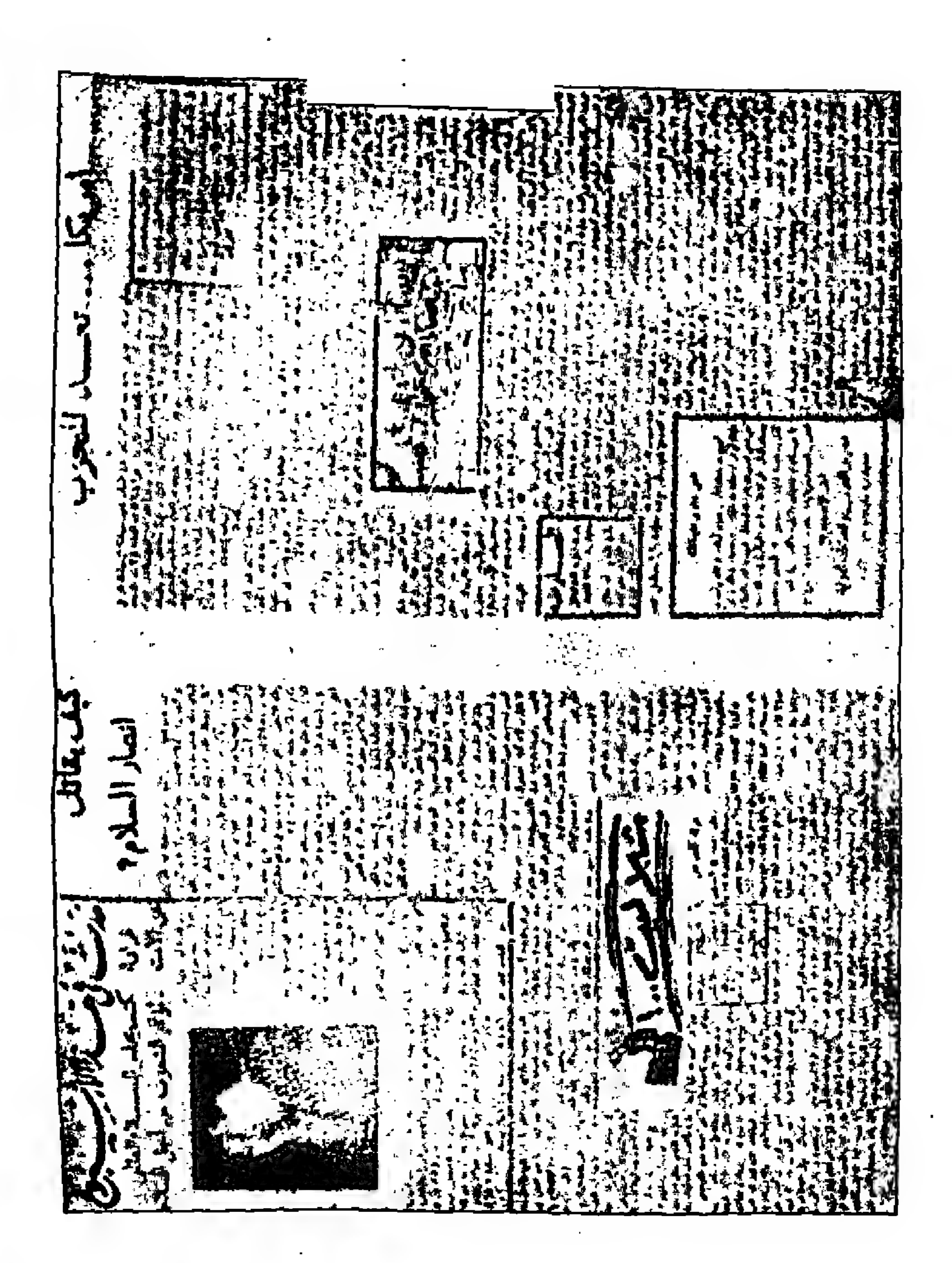
الذئاب



بيتروشيني يتحول الى المعارضة

يطالب بوقف ... مؤتمر السلام





أمريكا ... تحسب للحرب

كيف يقاتل أنصار السلام؟

نحن مرة اخرى مع فتحى الرملى ..

لكنه الآن يعمل بمفرده صاحبا للامتياز ورئيسا للتحرير ..

ليس بحاجة لان يستأجر ترخيصا من أحد .. وليس شريكا لأحد فى التحرير .

ولكن كيف كان ذلك ؟

لقد طالعنا فى الفصل السابق كيف طلب صاحب جريدة المستقبل من وزارة الداخلية الموافقة على تعيين فتحى الرملى رئيسا لتحرير جريدته .. وكيف رفضت ادارة المطبوعات ولجأ فتحى الرملى للاضراب عن الطعام ثم لجأ الى محكمة القضاء الادارى .. وحكمت المحكمة بالغاء قرار وزير الداخلية ..

.. والآن امسك فتحى الرملى بحكم محكمة القضاء الادارى فى يده . واستعان بما اكتسبه من خبرة وعلاقات خلال اصدار البشير وبما له من علاقات خاصة .

وطلب الى وزارة الداخلية الترخيص له باصدار جريدة باسم المعارضة.

ورفض فؤاد سراج الدين منحه الترخيص .. فلجأ مرة أخرى الى مجلس الدولة ..

وتروى المعارضة القصة فى عددها الثامن ( ٢٨ فبراير ١٩٥٢ ) « تقدم فتحى الرملى بطلب ترخيص لجريدة المعارضة . رفضت الداخلية . رفع دعوى جديدة . أصدر السنهورى باشا الحكم فى نفس الجلسة الاولى وبعد المرافعة مباشرة وينص على وقف تنفيذ قرار وزير الداخلية والسماح لفتحى الرملى باصدار الجريدة على أساس أنه ليس للحكومة أن تتهم عضوا بنقابة الصحفيين بسوء السمعة لمجرد أنه خصم سياسى لها .. ثم كانت العقبة انه من الضرورى تقديم ضمانة قدرها ١٥٠ جنيه فوجد الرملى أن صديقا قد قدم الضمانة عن طريق البنك البلجيكى وأصبح ممكنا أن تصدر الجريدة ، ولكن أين المال .. لم يجد ممولا . واقترض .. » .

ثم تمضى الرواية « ولم يبق على الموعد الذى حددناه لصدور العدد الأول سوى ٤٨ ساعة والمطبعة لم تتسلم قصاصة ورق واحدة واضطررت لأول مرة فى حياتى أن أقترض واقول لمن يقرضنى بكل وضوح وصراحة اننى لا أدرى متى أستطيع ان أسدد لك هذا الدين بالضبط .. وجمعت الزملاء الذين تحمسوا للعمل معى بلا أجر . بلا اى مقابل . جمعتهم لأزف اليهم البشرى انا وجدنا تكاليف العدد الأول وجزءا بسيطا من تكاليف العدد الثانى وسهرنا عباس الاسوانى - محمد جلال - جمال الحسينى - مصطفى محرم - انور عامر - احمد أمين يونس - الرسام عبد العظيم وانا سهرنا جميعا نعد الأصول » .

ونتوقف قليلا لنتأمل هذه الرواية ..

الآن أصبح فتحى الرملى صحفيا قادرا على اصدار جريدة بمجهوده المنفرد ..

وأصبح سياسيا قادرا على استقطاب عناصر تاييد كثيرة سواء مالية او تحريرية ..

وأصبح معارضا قادرا على ان يلف حول جريدته أو بالدقة حول مشروع جريدته مجموعة من شباب الصحفيين ذوى الميول التحررية وان كانوا ليسوا معروفين جميعا بتوجهاتهم الاشتراكية . وقد صدرت المعارضة فى مجموعتين المجموعة الاولى من عشرة أعداد صدر أولها يوم الاربعاء ٩ يناير ١٩٥٢ وآخرها يوم الأربعاء ٢٦ مارس ١٩٥٢ ..

ثم عاودت المعارضة الصدور بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واصدرت مجموعتها الثانية ، حيث صدر العدد ١ مجموعة ٢ يوم الخميس ٢١ اغسطس ١٩٥٢ وواصلت الصدور حتى أصدرت خمسة عشر عددا ظهر آخرها فى الخميس ١٨ ديسمبر ١٩٥٢ ..

وسوف نعالج فى هذا الفصل المجموعة الاولى فقط لان المجموعة الثانية قد صدرت فى ظروف مختلفة تماما ، ليس فقط لانها صدرت بعد نقطة تحول تاريخية هى ثورة ٢٣ يوليو وانما ايضا لانها صدرت باسم تكوين حزبى جديد هو الحزب الديمقراطى وبمحررين مختلفين وبتوجهات سياسية متميزة الى حد ما ..

* * *

وقد صدرت الأعداد الخمسة الاولى من المعارضة يوم الأربعاء ثم صدر العدد السادس يوم الخميس واستمرت تصدر يوم الخميس حتى العدد العاشر « الاخير » الذى عاد ليصدر يوم الأربعاء .

وتجدر الاشارة الى ان فتحى الرملى لم يقطع علاقاته بحدتو خلال الأعداد الأولى على الأقل من « المعارضة » .

ففى العدد الأول والثانى والثالث على التوالى رسائل من طهران ثم بغداد ثم بيروت بقلم عبد المنعم الغزالى ( حدتو ) .. وه العدد الثانى مقال بعنوان « مع أبطال القتال » بقلم انجى افلاطون من اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية ( حدتو ) .. وكان هناك ايض الحد أصدقاء حدتو ( جمال الحسينى ) .. ومعهم محمد جلال وهو نفس جلال كشك ( منظمة الحزب الشيوعى المصرى التى كان أعضاء المنظمات الأخرى يطلقون عليها اسم منظمة الراية نسبة الى جريدتها راية الشعب ) وكان عباس الاسوانى الصديق الحميم للرملى من حزب مصر الفتاة ..

.. لكن الشىء المؤكد أن انفراد فتحى الرملى بالهيمنة على « المعارضة » قد جعل منها شيئا مختلفا عن البشير ..

فالتوجهات الطبقية قلت الى حد كبير بينما تصاعدت حملة النضال الوطنى .. وربما كان السبب هو تلك الفترة التى صدرت فيها المعارضة حيث تصاعد النضال الوطنى المسلح ليلهب المشاعر الوطنية ويشغلها عما عدا معركة التحرير .. لكن الدفاع عن السلام العالمى ونغمة العداء للاستعمار الأمريكى بالتحديد تظل المزونة الرئيسية على صفحات المعارضة ..

ونلاحظ ان الجريدة كانت تحاول فى بعض الأحيان نشر موضوعات لا تليق بصحيفة يسارية وربما كان ذلك بسبب اقحام عدد من الصحفيين غير المسيسين فى تحرير المعارضة .. كمثال « المطلقة الطروب ـ ما كادت تحصل على الطلاق من زوجها المصور الشهير حتى راحت تحيا حياة حافلة بالمغامرات .. وقد شوهدت فى ساعة متأخرة من الليل داخل سيارة شيفرولية جميلة يقودها الدكتور م .. وهو طبيب الزوج المعروف »(١)

وكالعادة فقد تعرضت الجريدة لضغوط شديدة ..

صودر العدد الثانى .. وصدر فى اليوم التالى وعلى صدره « مصادر المعارضة .. الى اصدقاء المعارضة . صودر هذا العدد أمس فلم يظهر فى موعده ولا فى الشكل الذى أعددناه له . اذ اضطررنا الى تغيير الصفحات بعد حذف المقال المطلوب حذفه . » .

---

١ ـ المعارضة ـ العدد الأول ٩ يناير ١٩٥٢

أما العـدد الثامن فقـد خرج بعـد أن عبثت به يد الرقيب عبثا شديدا فمعظم المساحات بيضاء .. ولم يبق به الا موضوعات حررت خصيصا لتوحى للقـارىء وبايماءات واضحة أنهـا هى كل ما يسمح به الرقيب .

فالصفحة الاولى من العـدد يحتلها برواز مستطيل بعرض الصفحة كلها « من الأدب الفارسى القـديم . الشمس والظلام . وتحكى الاسطورة قصـة صراع بين الشمس والظـلام وكيف انتصرت الشمس فى النهاية ولا بد أن كل القراء قـد فهموا المغزى المطلوب ليس فقط من الصراع بين الشمس والظلام وانما من اضطرار جريدة سياسية معارضـة الى تخصيص مساحة كبيرة من صفحاتها الأولى لأسطورة من الأدب الفارسى القـديم .

والصفحة الثانية مساحة بيضاء تقريبـا وموضوعات تافهة « فى مونت كارلو مدينة القمار » وموضـوع آخر « يحبس زوجته فى قفص كبير حتى لا يشاركه فيهـا احـد » وفى صفحة ٣ حوادث عادية تليق بمستوى صـحافة هابطة « من أجل حمودة تفتح كرش خمسة »(٣)

أما الافتتاحية فمساحة بيضاء تقريبا يحتلها اعلان عن عدد خاص مقبل من المعارضة ويلاحظ أنها كانت وسيلة اتبعتها المعارضة ابتداء من العـــدد السادس لتغطية المساحة التى يشطبهـا الرقيب .

لكن المضايقـات لم تقف عنـد حد الرقـابة .. اذ يبدو أن فتحى الرملى قـد تعرض للملاحقـة بعـد حريق القـاهرة ٢٦ يناير الأمر الـذى اضطره للاختفـاء ..

ويصدر العدد الرابع من المعارضـة ( ٣٠ يناير ١٩٥٢ ) يحمل افتتاحية باسم فتحى الرملى لكنه يعلن أن رئيس التحرير المسؤول هو ابراهيم البعثى وفى الصفحة الأولى برواز « اعتكف الاستاذ فتحى الرملى فى الاسبوع الماضى لمرضه وقـد عهـد الى برئاسة تحرير المعارضة مؤقتا فأرجو لصديقى العزيز عودة سريعة لقرائه بعد أن تزول أسباب اعتكافه ـ ابراهيم البعثى » .

وقد تكرر نفس البرواز فى صفحة ٣ من العدد ذاته ..

ويظل البعثى رئيسا لتحرير المعارضة ويستمر فتحى الرملى معتكفا أو بالدقـة مختفيـا وان كانت الافتتاحية لم تزل توقع باســمه حتى العـدد الثامن .. الذى يصدر هو والعددان الأخيران من المجموعة ( التاسع والعاشر ) دون أية اشارة لرئيس التحرير المسؤول .

---

٢ ـ المعارضة ـ العدد الثانى ـ ١٦ يناير ١٩٥٢ .
٣ ـ المعارضة ـ العدد الثامن ـ ٢٨ فبراير ١٩٥٢ .

وقد تعثر صدور المعارضة في بعض الأحيان ..

العدد الثامن صدر في الخميس ٢٨ فبراير ١٩٥٢ بينما صدر العدد التاسع في الخميس ١٣ مارس ١٩٥٢ متأخرا أسبوعا عن موعده .. بينما يصدر العدد العاشر والأخير من هذه المجموعة في الأربعاء ٢٦ مارس ١٩٥٢ أي بعد ثلاثة عشر يوما ..

وتبدأ عملية محاصرة المعارضة من كل الجوانب ..

الرقابة تشطب معظم الموضوعات ، ورئيس التحرير معتكف أو بالدقة مختف .. ووزير الداخلية قدم اعتراضا على الحكم الصادر من مجلس الدولة بالسماح لفتحي الرملي باصدار جريدة المعارضة .. وتروي المعارضة في العدد التاسع بعضا من أساليب الضغط «ونظرت الدائرة الرابعة بمحكمة القضاء الاداري طلب فتحي الرملي بالغاء قرار وزير الداخلية بالاعتراض على اصدار المعارضة .. ورفع أحمد تجار الصعيد جنحة مباشرة ضد جريدة المعارضة يتهمها بالقذف في حقه – وتعرض على محكمة عابدين يوم ٦ أبريل القادم القضية المرفوعة من السيدة صاحبة العمارة رقم ٦ شارع البطل أحمد عبد العزيز ضد جريدة المعارضة لمطالبتها باخلاء الشقة التي تشغلها بحجة أن مئات الزوار الذين يترددون عليها يعرضون العمارة للخلل .. وأرسلت محكمة التنظيم اخطارا الى جريدة المعارضة بتقديمها الى محكمة المخالفات لاتهامها بلصق مئات الاعلانات فوق بعض الجدران »(٤).

ويصدر العدد العاشر والاخير ومعظمه مساحات بيضاء يحتلها الاعلان التقليدي عن العدد الخاص من المعارضة .. أما بقية المساحة فتشغلها موضوعات من نوع « في استطاعتنا أن نزرع الصحراء كلها » .. « المعارضة تدخل الهند .. عيون من الماس لجياد المهراجا .. » « يعذبها ويقص شعرها ويكويها بالنار حتى تموت » .. مكتب مباحث المعارضة يساعدك على معرفة الفاعل »(٥) .

وكان هذا هو آخر أعداد المجموعة الأولى من المعارضة ..

وعلى غير عادة الصحف اليسارية نلاحظ أن المعارضة قد أفسحت مساحات كبيرة من بعض أعدادها وخاصة العددين الثالث والرابع لاعلانات من مؤسسات اقتصادية كبيرة ..

---

٤ – المعارضة – العدد التاسع – ١٣ مارس ١٩٥٢ .

٥ – المعارضة – العدد العاشر – ٢٦ مارس ١٩٥٢ .

ففي العدد الثالث يحتل نصف الصفحة الثامنة ( الأخيرة ) الاعلان التالي « روبير وأدمون خوري وشركاهم . أكبر بيوت لتصدير الأقطان بالاسكندرية . يهنئون ملك وملكة مصر والسودان بميلاد ولي العهد وأمير الصعيد صاحب السمو الملكي الأمير أحمد فؤاد » (٦) .

ولابد من علامة استفهام كبيرة أمام هذا الاعلان الذى صدر في ٢٣ يناير ١٩٥٢ لبان اشتعال السخط الشعبي ضد القصر الملكي وضد أمثال روبير وأدمون خوري وشركاهم .

ثم يأتي العدد الرابع وبه مساحات اعلانية كبيرة لبنك القاهرة وبيبسي كولا وكوكا كولا ومصانع الشوربجي (٧) .

*** 

وقد صدرت المعارضة ( على غير عادة فتحي الرملي ) بالقطع الكبير ( قطع الجريدة العادي ) في ثماني صفحات والثمن عشرون مليما .. خفضت في العدد العاشر ( الأخير ) الى خمسة عشر مليما .. وقد صدر العدد السابع في أربعة صفحات فقط .

ويظل فتحي الرملي مستخدما أسلوبه المميز في الاخراج الصحفي المساحات الحمراء في الصفحة الاولى والشعار بعرض أسفل الصفحة .. وقد استخدم في العددين الاول والثاني شعار « كلما أسرعنا .. كلما قل عدد الضحايا » أما العدد الثالث فقد غير الشعار الى « خير لنا أن نموت واقفين من أن نعيش راكعين » ولعله كان ملائما تماما لفترة صدور العدد ( ٢٣ يناير ١٩٥٢ ) والعدد الرابع استخدم شعار « الانسان هو أعظم رأسمال في الوجود » .

ويعود العدد الخامس الى شعار « خير لنا أن نموت واقفين من أن نعيش راكعين » . أما بقية الأعداد فترفع شعار فتحي الرملي التقديم « الحقيقة هي أثمن ما نجاهد في سبيله » .

***

والآن نستطيع أن نستعرض الاعداد العشر من المجموعة الاولى من مجلة المعارضة .

---

٦ ـ المعارضة ـ العدد الثالث ـ ٢٣ يناير ١٩٥٢ .

٧ ـ المعارضة ـ العدد الرابع ـ ٣٠ يناير ١٩٥٢ .

وافتتاحية العدد الاول عنوانها « الشيطان الجديد » بقلم فتحى الرملى « هذا هو الشيطان الجديد يكشف النقاب عن وجهه فجأة . لقد ظهر الاستعمار الأمريكى على المسرح لاول مرة بعد أن ظل يعمل وراء الكواليس أكثر من سبع سنوات .. اننا لم نقاتل الانجليز فى القنال لنستبدلهم بالأمريكان .. لم نضح بمئات من شبابنا الذين استشهدوا فى ميدان قصر النيل والاسماعيلية وبور سعيد وكوبرى عباس والسويس ليعرض الباشوات الخونة بلادنا فى مزاد علنى يرسو فيه العطاء على أغنى الدول الاستعمارية كلا ان لدينا من الوعى ما يؤهلنا لان نصرخ فى وجه الشيطان الجديد مكانك لقد رأينا رؤوس أموالك وهى تتسلل الى مصر فى جنح الظلام ، ورأينا شركاتك تقام ، وعملاؤك يزدادون ونفوذك يتسع ويقوى لكن الحكم العرفى الذى عاشت فيه مصر لم يدع لها فرصة الكلام .. لقد نجح المتامركون فى تكميمها تماما فترة من الوقت وها نحن أولاء وجها لوجه أيها الشيطان الجديد ونشهد نفس المهزلة التى أردت أن تلعبها فى ايران وفى مراكش وفى سوريا ولبنان وتستغل الصراع الوطنى ضد الاستعمار القديم لتحتل قواعده وترث امتيازاته مع تعديل خبيث فى الاساليب فالدولارات تزحف بدلا من الجيوش والخبراء يتقدمون بدلا من المدافع والمترليوزات .. لقد عرضت مصر قبل اليوم قضيتها على مجلس الامن فكانت امريكا المجرمة هذه أشد حماسة من انجلترا فى خذلاننا ولم تمر مناسبة واحدة من المناسبات لم تسفر فيها امريكا عن نواياها العدوانية نحو مصر .. » .

ويختم فتحى الرملى افتتاحيته « ان الشيطان الجديد المسعور بدأ يتلمظ علينا بصوت مسموع وعلينا أن نحذر فقد استطاع فى بضع سنوات أن يتخذ له طابورا من الباشوات المتامركين .. يربطهم به فى شركات ومشروعات ومؤامرات »(٨) .

وتمضى المعارضة فى حملتها على امريكا وأعوانها فى مصر .. ففى الصفحة الثانية عنوان كبير « عزام باشا يقول : امريكا تتمتع بثقة العرب » وتورد تصريحا لعزام يؤكد فيه ان « مصر على استعداد لعقد معاهدة مع امريكا اذا هى قبلت ذلك .. » .

ثم على صفحة ٣ من نفس العدد « معلومات خطيرة تنشر لاول مرة عن الاستعمار الامريكى وكيف زحف الى مصر » .

وأيضا موضوع عنوانه « بلاغ الى النائب العام » . « منذ شهور والانباء تتوالى عن مقابلات رهيبة يقوم بها رفعة على ماهر باشا كان أشهرها نبأ

---

(٨) المعارضة ـ ١٩٥٢/١/٩ .

اتصاله بالسفير الامريكي في مصر ومنذ شهور والاشاعات تترى بأن رفعة علي ماهر باشا هو رجل الساعة ورئيس الوزراء المنتظر .. وفجأة صدرت احدى الصحف الاسبوعية يوم السبت الماضي ( اخبار اليوم ) تؤكد أن علي ماهر باشا سوف يتولى رئاسة وزارة قومية وبدى ان الوحي بهذا التلويح هو رفعة الباشا فهو صاحب المصلحة الثالثة بعد الاستعمار والرجعية في هذا التفكير العدواني الخطير على دستور مصر ونظامها النيابي .»

وثمة ملاحظتين :

ـ الاولى ان علي ماهر قد تولى رئاسة الوزارة فعلا في نهاية الشهر أي بعد حريق القاهرة بما يوحي ان خيوط المؤامرة كانت تنسج في شبه علانية ..

ـ والثانية أن « المعارضة » قد قللت من الهجوم على حكومة الوفد بل هي على العكس تدافع عن بقائها في الحكم وذلك بعد التطور الذي طرأ على مواقف حكومة الوفد ( الغاء المعاهدة ـ انسحاب العمال من معسكرات الانجليز ـ الكفاح المسلح .. الخ ) .

اما انتقاد السياسة الوفدية فيأتي في مقالين « الحكومة تستبدل الكتائب بفرق رياضية » لمحمد جلال ( تنظيم الحزب الشيوعي المصري . الراية ) ثم موضوع عن مصادرة الصحف فيه تعليقات لفكري اباظة ومصطفى النشاشي واحسان عبد القدوس واحمد ابو الفتح وابراهيم شكري وصالح عشماوي ويتضمن الموضوع بروازا بعنوان كم مرة صودرت هذه الصحف ويتضمن عدد المرات التي صودرت فيها الصحف ..

ـ الاشتراكية ١٢ ـ آخر لحظة ٩ ـ الملايين ٨ ـ اخبار اليوم ٧ ـ الكاتب ٦ ـ روز اليوسف ٥ ـ المصري ٣ ـ الاهرام ١ ـ البلاغ ١ ـ النشاشي ١ ـ اللواء الجديد ١ .

ان هذه الارقام بالغة الدلالة فهي توضح حقيقة المأزق الذي كانت تعيشه حكومة الوفد في ايامها الاخيرة .. حيث تعرضت لهجمات الصحف اليمينية الغير راضية عن « تطرفها ! » ولهجمات الصحف اليسارية التي تنتقد ترددها وتهاونها بينما تحاك حولها مؤامرات الاستعمار والقصر والقوى الرجعية الامر الذي أدى بها الى مصادرة صحف يمينية ويسارية في وقت واحد بل مصادرة صحيفة وفدية ( المصري ) ثلاث مرات .

.. اما بقية العدد الاول فقد خصص لأبواب عن السلام « نريد السلام » و « الشعوب لا تريد الحرب » .. ثم ريبورتاج عن رومانيا « في رومانيا مدن يحكمها الاطفال » ورسالة طهران يكتبها عبد المنعم الغزالي ( حدتو ) تشيد ببطولات الشعب الايراني في نضاله ضد الشاه ثم موضوع بعنوان « شعب القنال يهتف لن نحارب روسيا » .. « شاهدت بورسعيد يوما من ايام

الابتهاج فى غمرة الكفاح الدموى ضد قوات الاحتلال وكان ذلك عند وصول الاسطول الروسى الى الميناء فقد هرع الاهالى ببورسعيد لاستقبال البحارة عند خروجهم لزيارة المدينة وتألف موكب ضخم وكان رجال البوليس يتخولون بمشقة كبيرة بين الاهالى وعناق البحارة بينما تعالى هتاف الاهالى بحياة الاتحاد السوفيتى مؤيد مصر وسقوط الاستعمار البريطانى والمطالبة بمعاهدة صداقة وعدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتى صديق الشعوب .. كما أن شعب بورسعيد قد ردد فى حماس بالغ الهتاف الذى اعلنه العمال هناك « لن نحارب الاتحاد السوفيتى » هذا وقد حاولت شركة الفحومات البريطانية ان تفسد روعة هذا الاستقبال برفضها القيام بالتسهيلات اللازمة الخاصة بتحويل العملة الروسية للبحارة الى نقود مصرية ولكن الاهالى اجبروا المحافظة على التدخل فى الامر وانصرف البحارة وهم يعلنون غبطتهم بهذه الحفاوة البالغة والتأييد العظيم .. ان الشعوب الحرة تقف صفا واحدا ضد الاستعمار » :

.. كذلك تضمن العدد الاول استفتاء « ما هو المصير الذى تفضله لقناة السويس .. تأميمها ؟ تدويلها ؟ ردمها ؟ » .

.. ونلاحظ أخير ان « المعارضة » قد ضمت عديدا من الموضوعات والابواب العادية والتى تتعلق بالخط السياسى للجريدة ولعل ذلك كان بسبب المجموعة التى التفت حول فتحى الرملى عند اصداره الجريدة ..

فهناك أبواب عن السينما والمسرح وأخبار فنية عن الفنانات والفنانين وهو ما لم تعتد الصحف اليسارية الخوض فيه .. وموضوعات عديدة عن فضائح ومغامرات وحوادث وهى ايضا لم تكن مجالا للصحف اليسارية .

***

اما العدد الثانى فقد كانت مانشتاته كما يلى :

ـ اعتقال فدائى فى دار مساعد السفير البريطانى .

ـ فشنسكى يتحدث الى المعارضة « سنساعد مصر .. سنساعدها دائمـــا » .

ـ فتح باب التطوع أمام ضباط الجيش المصرى .

ـ المعارضة فى العراق : نورى السعيد يحل نقابات العمال ـ البترول للامريكان والبلح للانجليز والسجون للشعب .

.. ثم فى صدر الصفحة الاولى خبر عن مقابلة بين مندوب المعارضة « عادل سامى » وبين فشنسكى وزير الخارجية السوفيتى يؤكد فيها الوزير السوفيتى « نحن مع الشعب المصرى فى كفاحه وسنساعده دائما » اما المحرر

فانه يضيف « ومن تحرياتى الخاصة علمت أن جميع الديمقراطيات الشعبية فى شرق اوروبا على اتم استعداد لمعاونتنا كما ان تشيكوسلوفاكيا وبولندا تستطيعان تسليحنا ايضا إذا طلبت حكومتنا ذلك »(٩) .

.. وتأتى الافتتاحية ( فتحى الرملى ) وعنوانها « سباق الدم » .. « اعدم الانجليز فى التل الكبير سبع من الفدائيين .. لا نريد هنا أن نذرف عليهم دمعة واحدة اننا لم نرسلهم فى نزهة خلوية لقد أرسلناهم الى معركة حقيقية . معركة رهيبة تعرف مقدما انه قد يستشهد فيها من ابنائنا بضعة الوف قبل ان يكتب لنا النصر .. » ثم تمضى الافتتاحية لتدين « هذه الصحف الصفراء التى تتحدث عن الوساطات وتبشر بحلول ومساومات يرفضها الشعب مقدما . هؤلاء الساسة الذين ملأوا الدنيا ضجيجا عن المفاوضات يجب أن يكفوا وان يخرسوا جميعا .. ان الشعب لديه من الوعى واليقظة ما يجعله على استعداد لان يسحق باقدامه كل من يقف فى طريق حريته .. » .

ثم توجه الانتقادات الى حكومة الوفد « أما هذه الحكومة فأمرها عجيب ، لا يدرى الناس هل هى مع الفدائيين أم مع الانجليز ؟ ينظم الشعب كتائب للمقاومة فتستولى عليها وتوقف تبرعاتها وتزعم انها ستدربها وتسلحها وتدفعها الى القتال ثم لا يجد الشعب شيئا من هذا كله .. » .

وختام الافتتاحية « متى تعرف الحكومة أن الشعب قد نظر الى الغاء المعاهدة نظرة جدية ؟ متى تعرف أن الشعب يعتبر ان بينه وبين الانجليز دم ؟

وبعد هذا الانتقاد .. تنشر الجريدة « صرح معالى محمد صلاح الدين باشا ان مشروع الدفاع المشترك الذى يحاول المستر ترومان فرضه سيعرض دول الشرق الاوسط لحرب تدميرية لا نخل لنا فيها وان الاتحاد السوفيتى أعلن اكثر من مرة انه لا يضمر اية نوايا عدوانية تجاه أقطار الشرق الاوسط وليست هناك مشاكل تحمل على مهاجمتها » .

.. وموضوع كبير عن استشهاد عباس الاعسر ( حدتو ) .

« الاسكندرية تودع البطل عباس الاعسر . اهله يذهبون الى القتال لاخذ الثار وزملاؤه يؤلفون كتيبة تحمل اسم الشهيد .. » وبعد وصفه فصل للجنازة الضخمة التى نظمتها حدتو لشهيدها تضيف « المعارضة » « وقد عقد الشباب على إثر انتهاء الجنازة مؤتمرا تناوبوا فيه الكلام وانتهوا باصدار عدة قرارات منها : —

---

(٩) ١٩٥٢/١/١٦ .

- تأليف كتيبة جامعية تحمل اسم الشهيد العظيم .

- المطالبة باطلاق الحريات العامة والافراج عن المسجونين السياسيين .

- المطالبة بأن يكون تعيين كبار الموظفين عن طريق البرلمان .

- المطالبة بقطع العلاقات الدبلوماسية مع دول الاستعمار وعقد معاهدة صداقة وعدم اعتداء مع الدول الحرة .

- الغاء البوليس السياسى وحرس الجامعة . » .

ولعل بصمات حدتو واضحة تماما على هذا البرنامج الذى تضمن تلميحا ادانة لتعيين الملك لحافظ عفيفى رئيسا لديوان الملكى متحديا بذلك حكومة الوفد .

.. وثمة موضوع هام ايضا بعنوان « الاستعمار الامريكى وكيف زحف على مصر » تسرد فيه المعارضة تفاصيل ومعلومات عديدة عن هذه القضية . ثم تقول « وبعد .. ان كثيرا من المضللين بيننا يملأون الدنيا صياحا وتجعيرا باننا لا غنى لنا عن امريكا ما دمنا قد قررنا ان نمضى فى مخاصمة انجلترا الى نهاية الشوط لكن هؤلاء المضللين يتناسون حقيقة كبرى هى ان فى استطاعة مصر ان توطد علاقاتها بالدول الحرة .. الديمقراطيات الشعبية الجديدة التى تضم الف مليون نسمة ، وانشاء تعاون اقتصادى واجتماعى وثقافى معهم نكسب منه كثيرا دون ان نخسر حرياتنا واستقلالنا » .

.. ثم الى الموضوع المعتاد .. حرية الصحافة « الصحف الوطنية تعقد مؤتمرا للدفاع عن الحريات العامة » .. « فى مؤتمر صحفى عقدته الصحافة الوطنية مثلت فيه جرائد الاشتراكية والملايين والكاتب والمعارضة قال أحمد حسين ليست القضية قضية مصادرة الاشتراكية بل هى قضية مصادرة الحريات الصحفية كلها اذ يكفى ان تصادر جريدة واحدة لتحس كل الصحف انها مهددة بهذا السلاح . وقال احمد الصادق عزام .. لقد بلغ استهتار بعض رجال البوليس بالصحافة الى اصدار أوامرهم الى عمال المطابع بعدم طبع جريدة الملايين » .

ثم الأبواب التالية عن السلام .. « الشعوب لا تريد الحرب » .. وريبورتاج عن الحجز « فى الحجز الجديد عامل لرئاسة الجمهورية وفلاح لرئاسة الوزارة » .

واستمرار لاثارة قضية المسجونين السياسيين والمطالبة بالافراج عنهم والغاء جميع الاحكام الصادرة ضدهم .

ويبقى بعد ذلك عدد واحد ثم حريق القاهرة .

يصدر العدد الثالث في ٢٣ يناير ١٩٥٢ ...

والمانشتات : « وضع قنبلة تحت سرير الجنرال ارسكين »

مؤامرة خطيرة لاسقاط الحكومة يدبرها الانجليز والصهيونية وفرغلي باشا » .

أما أهم موضوعات الصفحة الاولى « المعارضة » في لبنان « رسالة عبد المنعم الغزالي : الوزراء الجهلة موظفون بالنقطة الرابعة – امريكا تخلف انجلترا في تجارة الحشيش » . أما الافتتاحية فعنوانها « وزارة قومية » ، ويختتمها فتحي الرملي قائلا « لقد أعلن الشعب الحرب على الانجليز ولن يوقف زحفه حفنة من الاقطاع فليفهموا هذا جيدا ، ولتفهم الحكومة الوفدية معهم ان الفرصة لن تواتيها مرتين وعليها ان تسرع باعلان الحرب لتلحق بموكب الشعب والا كان من حقنا ان نعتبرها متضامنة مع الانجليز فليس بين الانجليز والشعب مكان لوقوف المحايدين » (١٠) .

وهكذا يمكن تلخيص الموقف من حكومة الوفد في هذه الفترة التي سبقت حريق القاهرة بانه يتكون من شقين متلازمين : الدفاع عنها ضد محاولات الاطاحة بها ، والضغط عليها من أجل مواجهة أكثر تشددا مع الاحتلال الانجليزي .

وتستمر الاحتجاجات على مصادرة الصحف ، وتحت عنوان « ثورة الصحفيين على المصادرات »

« قدم أعضاء نقابة الصحفيين المذكرة التالية الى الجهات المختصة : يرى الصحفيون الموقعون على هذا وجوب الغاء المادة ١٩٨ من قانون العقوبات التي تأذن بمصادرة الصحف بناء على طلب البوليس وموافقة النيابة » ثم خبر آخر يقول « احتجبت الكاتب ٣ أسابيع احتجاجا على المصادرة وتصدر العدد الممتاز السبت القادم ١٦ صفحة ٢٠ مليما » .

.. وتواصل المعارضة ريبورتاجاتها عن البلدان الاشتراكية « في بلغاريا مع الفلاحين في مزارعهم التعاونية » ، ثم تقدم موضوعا جديدا على صحف هذه الفترة وهاما في نفس الوقت اذ يكتب جمال الحسيني « المعارضة تخترق الستار الحديدي وتدخل غزة . اللاجئون بين السل والجوع والاحتلال » .

---

(١٠) ١٩٥٢/١/٢٣ .

وفى الصفحة السابعة فكرة جديدة ، فالمعارضة تخصص مساحة ربع صفحة لمجلة عنوانها « الرجعية » تتضمن موادا بالغة الطرافة :

« رأس العدد « الرجعية » : جريدة تخريبية اجرامية متعفنة » .

ـ هيئة التحرير : السفارة الامريكية . السفارة الانجليزية ، البوليس السياسى .

ـ اهدافها الثلاثة : قتل الحركة الوطنية ـ تحطيم وحدة الشعب ـ القضاء على الحريات .

ـ حكمة الاسبوع : مقاومة الشيوعية اهم من مقاومة الاستعمار . » .

اما افتتاحية العدد فيقول « القى محمد سعيد بك دير عام مصلحة الجمارك بالاسكندرية محاضرة فى النادى التجارى الملكى زعم فيها ان اربعة ملايين من المصريين يعيش الفرد منهم بايراد لا يزيد على جنيه واحد فى الشهر وخمسة ملايين لا يزيد ايرادهم عن جنيهن وان نصف هذه الامة يعيش كالبهائم وقد نشرت جريدة المصرى الحقيرة هذا الكلام الخطير ورددت فيه دعوته لتنظيم الملكيات الزراعية على أساس ان الارض لمن يفلحها ولا ندرى كيف سمحت الحكومة لمثل هذا الموظف ان يردد كلاما اقل ما يوصف به أنه مجموعة اكاذيب فكلنا يعلم ان الشعب المصرى من اسعد شعوب العالم وارقاها مستوى وارغدها عيشا » .

وموضوع آخر بعنوان « تاليف وزارة جديدة لانقاذ البلاد » : « تهمس الدوائر العليا العليمة نبأ الشروع فى تشكيل وزارة جديدة أقدر على خدمة البلاد ، والمرشحون لهذه الوزارة هم على ماهر رئيس الوزراء ( وقد تولى على ماهر رئاسة الوزراء فعلا بعد ثلاثة أيام ) ، حافظ عفيفى باشا وزيرا للخارجية ، محمد حيدر للداخلية ، ابراهيم عبد الهادى للعدل ومن برنامج الوزارة الجديدة : الغاء البرلمان لتوفير ما ينفق عليه من أموال ـ سحب جميع الفدائيين من القنال حماية لأرواحهم ـ انشاء سجون ومعتقلات جديدة تتسع لعشرات الالاف ـ تعطيل مجلس الدولة خمسين سنة فقط ونقل اختصاصاته لمامورى الاقسام والمراكز ـ تدعيم البوليس السياسى بعناصر جديدة واستدعاء خبراء امريكيين وانجليز جدد للاشراف عليه اشرافا مباشرا ـ حل الاحزاب والجماعات السياسية كلها منعا للخلافات وتوحيدا للصفوف » .

* * *

وفى ٢٦ يناير تحترق القاهرة بمؤامرة رجعية متعددة الاطراف .

وتنطفىء جذوة النضال الملتهب على ضفاف القنال .

وبدأ تنفيذ ما نشرته مجلة « الرجعية » من قبيل الفكاهة .. تنفيذا فعليا وصارما .

الفدائيون تحولوا إلى معتقلين ، والأحكام العرفية أعلنت .. أعلنها الوفد ثم أقيلت حكومته ليأتي الرئيس المنتظر .. على ماهر وتدور عجلة الاحداث مستهدفة تصفية كل القوى الوطنية والتقدمية ..

ويختفى فتحى الرملى عن الأنظار .. وتعلن « المعارضة » انه معتكف .

ويحل محله فى رئاسة التحرير ابراهيم البعثى محاولا أن يقود الجريدة وسط عواصف ضارية .

نحن الآن مع فتحى الرملى مستترا .. وابراهيم البعثى متعرضا للريح العاصف والعدد هو الرابع من أعداد المعارضة .

وهو أول عدد لجريدة يسارية تصدر بعد حريق القاهرة .

ويجدر بنا ان نسجل ان « المعارضة » كانت الجريدة اليسارية الوحيدة التى استمرت فى الصدور بعد الحريق المروع .

بقية الصحف توقفت بسبب اعتقال مصدريها ولم يبق إلا جريدة صاحبها هارب ورئيس تحريرها مستعار .

المنشتات « الشعب يطلب تأميم قناة السويس – نصف مليون يشتركون فى أكبر استفتاء صحفى عالمى .. المعارضة تدخل تونس وتحقق الثورة الاخيرة »

والافتتاحية كما قلنا كتبها فتحى الرملى من مخبئه وعنوانها « اياك يا رفيع المقام » .. « هذه الاحكام العرفية التى أعلنت بالأمس وقال رفعة رئيس الوزراء فى البرلمان انه يطلبها مكرها لانزال عند رأينا فيها ونؤمن أنه لم يكن هناك ما يحتم قيامها .. لا يكفى يا صاحب المقام الرفيع أن تحتشد الأحزاب فى جبهة لتبدأ المفاوضات فالشعب قد كفر بمبدأ المفاوضات وهو أشد اعتزازا بكفره بها حين تدور فى ظل الرقابة وفى ظل الاحكام العرفية .. اذا أردت أن تكسب ثقة عشرين مليونا من المصريين .. ليس أمامك إلا أن تعلن أن برنامجك يتلخص فى كلمتين .. احترام الحريات .. ومقاومة المستعمرين بكل سلاح إلا المفاوضات »(١١) .

وتواصل « المعارضة » حملتها ضد الإستعمار الامريكى وتنشر فى برواز « الشعب يريد وقف تغلغل النفوذ الأمريكى » وتخصص صفحة ٥ لحملتها

---

١١ – ١٩٥٢/١/٣٠ .

هذه « المعارضة تواصل حملتها على الشيطان الجديد ٠٠ امريكا تحتل البلدان العربية » وفى صدر الصفحة كاركاتير على مساحة كبيرة اله الحرب رافعا فى يده جمجمة وتحته عبارة « تمثال الحرية الجديد فى امريكا » ٠

وتنشر المعارضة نتائج الاستفتاء الذى أجرته حول قناة السويس وتقول ان الذين اشتركوا فيه نصف مليون ( وهو رقم مبالغ فيه بغير شك اذا ما نظرنا الى امكانيات جريدة المعارضة والى قصر المدة التى استغرقتها عملية الاستفتاء ) على أية حال نشرت المعارضة النتيجة التالية :

٣٠٠٩٨٤ طالبوا بالتأميم
١٢٤٥٠٣ طالبوا بالردم
٧٥٤١٣ طالبوا بالتحويل

وتنال « المعارضة » شرف المناداة بتأميم قناة السويس فى هذا الوقت المبكر ٠

وبعد ذلك تبقى أمامنا ستة أعداد ٠ يظل صاحبها مختفيا وتظل السلطة متسلطة عليها تشطب منها أغلب مساحاتها فتخرج المعارضة اما بيضاء واما محشوة بالاعلانات الوهمية عن العدد الخاص الصادر قريبا ٠٠ واما مليئة بموضوعات احتجاجية أى موضوعات تعلن بذاتها ومن فرط تفاهتها انها هى كل ما تسمح به الرقابة المشددة فالمانشيت فى العدد الخامس « الشباب الوفدى يرشح صلاح الدين سكرتيرا للوفد ـ محطات العالم تذيع نتيجة استفتاء المعارضة » .

والافتتاحية الموقعة باسم فتحى الرملى لا تزال تشن هجماتها على الاستعمار ، وعلى الذين يدعون للتفاوض أو اقامة أحلاف عسكرية معه ٠٠ ثم تقول « والشعب المصرى لا يهمه أن يبقى مجلس النواب أو يحل ، يحقق مع الذين اختلسوا أم لا ٠٠ ان الشعب المصرى يدرك تماما أن كل هذه المظاهر عارضة لداء واحد أصيل هو الاستعمار ٠٠ والشعب يعرف أن طرد الاستعمار هو السبيل الوحيد لاستقرار حياته الدستورية والبرلمانية وهو السبيل الوحيد لارتفاع مستوى المعيشة الى الحد الذى ينبغى أن يكون مكفولا للآدميين ٠٠ وهو السبيل الوحيد للقضاء على الفساد ٠٠ والرشوة واستغلال النفوذ »(١٢) ٠

ثم تنشر المعارضة تصريحا منسوبا للمرشد العام للاخوان المسلمين يقول فيه « اننا نوافق على المفاوضة مع الانجليز على أساس أن تكون قاصرة على شئون الجلاء » ٠

---

١٢ ـ ١٩٥٢/٢/٦

وتواصل المعارضة حملتها حول اللاجئين الفلسطينيين فى غزة متهمة الجامعة العربية بالتآمر مع الامم المتحدة لاجبار اللاجئين على الهجرة بعيدا عن وطنهم وتمضى قائلة « لكنها المؤامرات والمطامع .. لكنها خطة التشريد المحكمة التى رسمتها وكالة غوث اللاجئين والتى تتستر عليها الجامعة العربية والوطنى العظيم والخطيب المفدى عبد الرحمن عزام لكنها خطة التطفيش والتضييق التى تنظمها وتبررها الجامعة التى رأت أن أكرم حل لمشكلة اللاجئين هو ابادتهم أو نقلهم الى ناحية بعيدة » .

ثم موضوع آخر بعنوان « فى أمريكا حيث تطبخ الانتخابات ويحرق الزنوج ويصبح اللصوص مصدر السلطات ... » وتواصل المعارضة تركيزها للهجمات ضد الاستعمار الامريكى ... أوكار الدعاية الامريكانية – الجامعة الامريكية – قاعة ايوارت التذكارية – مدرسة البنات الأمريكية ، واخيرا بلاغ للنائب العام ضد محمد فرغلى باشا بسبب تلاعبه بأسعار القطن .. أما أغلب مساحات العدد فاما بيضاء أو مطموسة بالحبر الاسود .

... انها الرقابة ...

ويواصل ابراهيم البغنى اصداره للعدد السادس الذى يصدر يوم الخميس بدلا من الاربعاء ... والمانشيت « المعارضة تحضر اجتماع الهيئة الوفدية ... شركات التامين تحمر ... ولا تدفع التعويضات » ... اما الافتتاحية « الوفد مع الشعب أم عليه » ولا توقيع عليها وتقول « احتفظ الوفد بقيادة الجماهير فى مصر ثلاثين عاما : كلا بل ان الشعب المصرى هو الذى احتفظ بالوفد طوال كل هذه السنين . كلا أيضا فلم تكن هذه ارادة الوفد ولا ارادة الشعب انما كانت ارادة الظروف ، كانت النتاج الطبيعى للمتناقضات الكثيرة العديدة فى بلد تتنازعه قوى استعمارية واستبدادية مختلفة . نعم لم يكن الوفد يؤمن بالشعب ولكنه يضطر للالتجاء اليه كلما مرت به محنة يحس أنه فى حاجة الى قاعدة جماهيرية يرتكز عليها ولم يكن الشعب يؤمن بالوفد ولكنه كان يضطر الى الالتجاء اليه كلما مرت به محنة وتلفت حوله فلم يجد حزبا آخر يصلح لان يتولى التعبير عن ارادته فى أحلك الظروف وعندما اشتدت وطأة الحكم العسكرى فى عهد ابراهيم عبد الهادى وفاضت المعتقلات بآلاف الشباب انتهز الوفد أيضا فرصة السخط الشديد على ما أصاب الحريات فحرص فى بياناته وخطبه على أن يبدو للناس كما لو كان هو حصن الحريات وحامى حمى الدستور . وقد أغمض الشعب عينيه عن الماضى ولم يسعه الا أن يمنح ثقته للوفد من جديد .. وما كاد الوفد يتولى الحكم حتى حاول فريق منه على الاقل أن ينحرف به عن كل ما أعلنه من مبادىء وشعارات ... لقد وقفت الوفد فى

منتصف الطريق حائرا مترددا لا يريد أن يستقر على رأى واحد ، هل يواصل السير مع الشعب أم يقف ضده ويحاول أن يسد عليه الطريق ، وعلى هذا النحو جرت سياسة الوفد ، فى كل الميادين يمسك بالعصا من الوسط فى المعركة الديمقراطية ، ويمسك العصا من الوسط فى المعركة الوطنية ، ويمسك العصا من الوسط فى المعركة الاشتراكية ، هذا التردد المتخاذل هو الذى انتهى بالوفد اليوم الى موقف لا يحسد عليه فلا هو ظفر بتأييد اليمين ، ولا هو احتفظ بتأييد اليسار ، لا هو أعجب الاستعمار ولا هو أرضى الشعب ، لقد وقع الوفد فى الشرك الذى نصبه لنفسه وقد يمضى وقت طويل ، طويل جدا قبل أن يستعيد مكانته وقبل أن يلتقط الكرة من جديد » .

وبعد هذا التحليل الدقيق لمواقف حزب الوفد وهو تحليل موضوعى يستحق التأمل تمضى الافتتاحية مؤكدة « ان الشعب لم يفقد بعد كل ثقته فى الوفد وهو لا يزال رغم كل شىء أكبر الأحزاب وأنظفها تاريخا ومن المؤكد أنه لا يزال يحظى بتأييد الاحرار والوطنيين لكن هذه الثقة يمكن أن تتبخر فجأة اذا حاول الوفد أن يسير على سياسته التقليدية : فيلعب على الحبل » (١٣) .

وافتتاحية العدد السابع تخصص هى الاخرى لحزب الوفد .. ولا شك أن هذا الموضوع كان بالغ الاهمية بالنسبة لكل القوى الوطنية حيث بدأت مصر تعانى من حكومات لا تمثل سوى القصر وسوى الاستعمار بينما الوفد يعانى من آثار فترة حكم قصيرة نسبيا اتهمته فيها القوى اليمينية بالتهور والانسياق وراء اليسار واتهمته فيها الجماهير الشعبية بالتردد والتهادن مع السراى ومع الاستعمار وكان الوفد هو الحصن الباقى أمام الأعين التى لم تكن ترى الا ما هو فوق السطح .. ومن ثم فقد كانت تهتم بدراسة أحواله وتحليلها وانتقادها بهدف تمكينه من استعادة مواقعه التى فقدها وسط الجماهير التى استبدت بها حيرة كبيرة لم ينهها الا بروز ما كان خافيا تحت السطح .. الضباط الاحرار وثورة يوليو .

وعنوان الافتتاحية « الأربعة الذين أسقطوا الوفد » .. « سقطت وزارة الوفد يوم ٢٨ يناير لكن الوفد نفسه كحزب شعبى سقط قبل هذا التاريخ ببضعة شهور على أيدى أربعة من أقطاب الوفد الكرام .. أربعة لم يفصلوا الى اليوم - بل لا يزالون يجثون على صدره ويقودونه ركضا الى الهلاك وليست هذه المقدمة من عندنا انها وجهة نظر يتحدث بها اليوم شباب الوفد : الشباب الواعى الناضج الذى هو الامل الباقى والرجاء الوحيد ، لكن من هم هؤلاء الأربعة الذين يحلم الشباب الوفدى بمحاكمتهم حزبيا وطردهم قبل أن يقضوا على الوفد تماما ..

---

١٣ - ١٩٥٢/٢/١٤

ـ فؤاد سراج الدين باشا عمدة كفر الجرايدة .

ـ سلى .. مان باشا غنام الصديق الحميم لغول الغلاء ( ويلاحظ كتابة سليمان .. تسلى مان ومعناها بالانجليزية الرجل الاحمق ) .

ـ عثمان محرم باشا وزير أشغال العائلات الكبيرة .

ـ عبد اللطيف محمود باشا .. ألف مرحبة ( اشارة الى ما أشيع أنه كان يحدد الرشوة المطلوبة بهذا الاسلوب فان كان يطلب ألف جنيه استقبل المطلوب منه الرشوة قائلا يا ألف مرحبة ) يقولون انهم ثلاثة ورابعهم عبد اللطيف محمود ويقولون انهم أربعة وخامسهم حامد زكى لكن حامد زكى هذا وجدنا أنه من التفاهة بحيث لا يستأهل مجرد الاشارة اليه ، ترى متى يتخلص الوفد من هؤلاء الذين يسوقونه الى حتفه . حتى يتغدى بهم قبل أن يتعشوا به هذا هو السؤال »(١٤) .

.. ولا يبقى كلام كثير ..

صحيح اننا لم نزل مع العدد السابع لكن « المعارضة » كانت تترنح .

فهذا العدد صدر فى أربعة صفحات « لم نتمكن من اصدار هذا العدد فى أكثر من أربعة صفحات ويباع بعشرة مليمات هذا الاسبوع فقط على أن تستأنف المعارضة الصدور فى حجمها المعتاد وبعشرين مليما ابتداء من الأسبوع القادم » .

.. والصفحات الاربع أغلبها مساحات بيضاء شطبتها الرقابة واحتلها اعلان تقليدى يعرف القارىء مغزاه جيدا عن العدد الممتاز الذى يصدر قريبا ... ولا يبقى كلام كثير ..

فالعدد الثامن افتتاحية أغلبها مشطوب وصفحته الاولى تحتلها أسطورة « من الأدب الفارسى القديم »(١٥) ولا شىء آخر فى العدد بأكمله اما مساحات بيضاء أو مطموسة بالحبر الاسود أو موضوعات تافهة وقد صدر هذا العدد دون الاشارة الى اسم رئيس التحرير ربما لان ابراهيم البعثى قد اكتفى من احتمال ما لا يطيق ولان فتحى الرملى كان لم يزل مختفيا .. وبعدها تتخلف المعارضة عن الصدور أسبوعا وتصدر عددها التاسع أيضا دون الاشارة الى اسم رئيس التحرير والافتتاحية كلها مشطوبة .. ثم مجموعة عن

---

١٤ ـ ١٩٥٢/٢/٢١

١٥ ـ ١٩٥٢/٢/٢٨



الموضوعات البعيدة عن السياسة لكن العدد مليء بالاشارات الى الضغوط التى تتعرض لها الجريدة .. دعوى احد التجار ضد الجريدة .. ودعوى رفعتها صاحبة البيت الذى فيه مقر الجريدة مطالبة بطردها .. ثم دعوى ضد الجريدة بتهمة لصق اعلانات فوق الجدران .. الخ(١٦) .

ولا يبقى فى الصفحة الاولى ما يستحق القراءة الا المانشتات « متى يعود الوفد الى الحكم ؟ حديث مع قطب وفدى كبير ، شقيق الشيخ البنا ينصح الاخوان بعدم التعاون مع الهيئة السعدية »(١٧) . أما بقية صفحات العدد فهى اما مساحات بيضاء أو موضوعات مثل « يعذبها ويقص شعرها ويكويها بالنار حتى تموت » و « مكتب مباحث المعارضة يساعدك على معرفة الفاعل » .

والرحلة طويلة ومريرة ومنهكة .

ولا فائدة ترجى من اصدار صفحات بيضاء أو مطموسة بالحبر الاسود

ولا جدوى من اصدار جريدة يسارية لا تجد ما يسمح بنشره الا حوادث وطرائف .

وتتوقف المعارضة عن الصدور

---

١٦ - ٣/٣/١٩٥٢

١٧ - [illegible]٢٦/[illegible]/١٩٥٢

# الناس

• ولم تكن حدتو وفتحى الرملى وحدهمـا فى ميدان الصحافة اليسارية

كانت هنـاك قوة أخرى تحاول بشكل أو بآخر أن تعبر عن نفسـها أو حتى عن اختلافهـا مع حدتو على صفحات جريدة يسارية ٠

وكان أحمد شوقى الخطيب واحدا من هؤلاء ٠٠٠

وبرغم كونه كان عضوا فى تنظيم ماركسى اندثر نشاطه الفعلى مع انتهـاء المعتقـلات ٠٠ هو منظمة حدتو ع٠ث ( حدتو العمالية الثورية ) الا أنه قـد ظل طويلا مقتربا من الخط الفاصل بين المـاركسيين وشـباب الطليعة الوفـدية ٠

ولعل هذا يفسر لنـا أمرين :

أولهما أن العددين المتاحين أمامنـا من « الناس » يضم كل منهما مقالا عن الطليعة الوفـدية ٠

بل يعلن المقـال الاول منهما أن « النـاس » هى ـ بشكل أو بآخر ـ لسان حال الطليعـة الوفـدية ٠ « يطالع الشعب المصرى على صـفحات جريدة الناس الغراء آراء الطليعة الوفدية وأخبار لجانها ونشاطها ومواقفهـا السياسية » ٠٠ ثم نجـد فى ختـام المقـال « والطليعـة الوفـدية وهذه غايتهـا وهذا أسلوبها تعاهد الشعب على أن تستمر على صـفحات هذه الجريدة طبقـا لبرنامجها الوطنى الواضح الصريح ولن تحيد عنه » والتوقيع « الطليعة الوفدية »(١) أما الامر الثانى فهو أن العدد الثالث من الناس قـد تضمن مقـالا لأحمد رشدى صالح أحـد قادة تنظيم « طليعة العمال » فى ذلك الحين يشتمل فى مجمله انتقـادا شديدا لخط « حدتو » فى حركة السـلام ٠

---

١ ـ الناس ١٧/١٠/١٩٥١

ومعروف أن طليعــة العمال كانت أوثق المنظمات المــاركسية صــلة وارتباطــا بالطليعة الوفــدية(٢) ·

· على أية حال نلاحظ

ان « الناس » لم تكن مجرد مجلة وفــدية تعبر عن يسار الوفــد ممثلا فى « الطليعــة الوفــدية » ولا كانت تعبيرا عن تحــالف بين طليعة العمــال والطليعة الوفــدية ·

وانما نجــدها وقــد أفسحت صدرها فى العددين لكتاب متعددى الانتماء

ولأن حدتو كانت صاحبة الباع الاوفر فى اصدار الصحف فانه لم يكن مستغربا أن نلمس أطراف أصابعها حتى فى جريدة تتخــذ مواقف انتقادية من سياستها ··

فعمر رشدى ( وكان قريبا من حدتو اشترك معها فى اصدار البشير هو مدير التحرير للناس أو بالدقــة للعدد الاول منها ) وزكى مراد هو أحد كتاب العدد الأول أيضا ·

واذا كان اسم عمر رشدى لا يظهر فى العدد الثالث فان من يحل محله لم يكن هو أيضا بعيــدا عن حدتو وهو محمد أبو الخير المحامى ··

* * *

والناس لم تكن فى الاساس جريدة يسارية فصاحبها ورئيس تحريرها وفقا لمــا نشر فى العدد الاول هو عثمان العنتبلى وكان المحرر الفنى لجريــدة المصرى ·

والعددان اللذان بين أيدينــا يوضحان هذه العلاقة كما يلى :

العدد الاول قدم « الناس » قائلا أنها ·« جريدة أسبوعية تصدر عن دار الغــد ــ صاحبها ورئيس تحريرها عثمان العنتبلى ··· مدير السياسة أحمد شوقى الخطيب ·· مدير التحرير عمر رشدى » ·

---

٢ ــ يؤكــد حلمى يس فى مناقشة معه أن منظمة طليعة العمال لم تكن على علم بهذه العلاقــة بين رشدى صالح ومجلة الناس وانها وجهت له لوما لانه كتب فى الناس دون اذن مسبق من المنظمة ويقول المهندس حسن صدقى فى مناقشــة معه ان احمد شوقى الخطيب كان فى نهاية فترة الاعتقــال متعاطفا مع طليعــة العمال لكن علاقاته كانت منقطعة معهــا عنــد صدور الناس ·

اما العدد الثالث فيختفى منه اسم عثمان العنتبلى واسم دار الغد واسم عمر رشدى .

ويعلن أن الناس « جريدة سياسية يصدرها ويدير سياستها وتحريرها أحمد شوقى الخطيب المحامى رئيس التحرير المسئول محمد أبو الخير المحامى » .

وقد صدر من الناس سبعة أعداد ..

يوجد فى دار الكتب والوثائق القومية ستة منها فقط لان أحد الاعداد قد صودر وهو العدد المفترض صدوره يوم ٢٤ اكتوبر ١٩٥١ .

ويسبق هذا العدد ويليه عددان أولهما صدر فى ١٧ اكتوبر ١٩٥١ والآخر فى ٣١ اكتوبر ١٩٥١ وهما ما يمكن وصفهما بانهما عددين يساريين أما بقية الأعداد فلا علاقة لأحمد شوقى الخطيب بها ولا علاقة لها بموضوع بحثنا .

* * *

واذا شئنا المقارنة بين العددين الاول والثالث فان معيارا هاما يمكن استخدامه هو الكتاب المشاركين فى كل منهما فى العدد الاول نجد « أحمد شوقى الخطيب .. مرسى الشافعى .. أحمد أبو الفتح .. زكى مراد » اما فى العدد الثالث فهناك فقط « أحمد شوقى الخطيب ومعه أحمد رشدى صالح » .

* * *

ونكتشف ان العددان يختلفان فى التوجه السياسى .. ليس فقط لان أحمد رشدى صالح ( طليعة العمال ) كتب مقالا ينتقد حدتو فى العدد الثالث ولكن لأن هذا العدد قد تضمن ايضا هجوما على الحزب الاشتراكى بل واتهاما له بعلاقة ( مالية ) مع فؤاد سراج الدين ونفس الهجوم موجه ليوسف حلمى سكرتير حركة انصار السلام ورئيس تحرير الكاتب ..

وكان هذا العدد هو العدد الأخير من الناس كمجلة يسارية .. ولعل هذا لم يكن محض مصادفة . فقد بدا من مطالعة العدد الثالث اننا أمام مجلة غير محددة المعالم . غير محددة الاتجاه . وهو أمر لا تحتمله أية جريدة رأى خاصة اذا ما كانت تتعرض لهجمات شرسة من السلطة . وقد سبق ان قلنا ان العدد الثانى قد صودر ..

وقد اشارت الناس الى ذلك فى عددها الثانى تحت عنوان لن نتراجع « فى الساعة الثانية عشرة من مساء يوم الثلاثاء الاسبق فوجئت « الناس »

بحضور الضابط الهمام أحمد افندي عبد العال الى المطبعة حيث طلب الاطلاع على نسخة من الجريدة حتى يأذن بتوزيعها فافهمناه أن هذا ليس من حقه وان بوسعه ان كان حريصا على قراءتها أن يشتريها صباح يوم الاربعاء من الباعة لكن الضابط الهمام أصر . وأصررنا نحن فهددنا بالمصادرة والويل والثبور وعظائم الامور وسرعان ما احتشد في المكان عدد من المخبرين يرأسهم أحد حضرات الضباط وارادوا منعنا من أخذ الأعداد لكننا رفضنا وقلنا اننا سنقاومهم واننا سنكون في حالة دفاع شرعي اذا ما حاولوا الاعتداء علينا . وانتصرت الناس وخرجنا بالاعداد وسلمناها لشركة التوزيع ولكن البوليس حشد قواته وصادر الجريدة الوطنية في شركة التوزيع كلمة صغيرة نحب ان نقولها : نحن ماضون في أداء رسالتنا الوطنية بالرغم من كل شيء ولن تثنينا المصادرة ولن يرجعنا الارهاب » .

ثم كاريكاتيران .. الأول بعنوان « عدالة وزير الداخلية » يقول الوزير فيه لمحرر الجريدة « انت تصدر عدد وأنا أصادر عدد » .

أما الكاريكاتير الثاني فهو صورة لسراج الدين ممسكا بمسدس يطلق منه النار على جريدة الناس والتعليق « الرجل الذى أحل لنفسه ما حرمه على الناس » .

* * *

وقد كانت الناس جريدة ميسورة الحال من الناحية المالية فأحمد شوقي الخطيب هو ابن لاحد أثرياء حزب الوفد ومن ثم فقد صدرت في ست صفحات من القطع الكبير ومن مقر راق « ٢ شارع شريف باشا الكبير » .

ولم تعتمد على الاعلانات ولم تدع قراءها الى التبرع كما كانت الصحف اليسارية الاخرى تصرخ في كل عدد من أعدادها وباختصار فهى مجلة ميسورة الحال وبلا مشاكل مالية ..

* * *

وقد صدر اول عدد من الناس كمجلة يسارية في قمة انطلاق الحركة الوطنية المصرية التى صاحبت عملية الغاء معاهدة ١٩٣٦ وبدايات الكفاح المسلح ضد الاحتلال الانجليزى ..

ولعل هذا الوضع قد ترك طابعه على صفحات الجريدة كلها .

فالمانشتات « عبد السلام جمعة باشا يقول : حلف البحر المتوسط كارثة على الشعب » .

« أمريكا تعمل للسيطرة على العالم اقتصاديا وسياسيا » .

« دماء المصريين تسيل فى القنال برصاص الانجليز المجرمين » .

والافتتاحية بعنوان « لن نتراجع » بقلم احمد شوقى الخطيب المحامى .. « فى غمار الفرحة الشاملة التى اجتاحت البلاد اثر اقرار البرلمان لتشريعات الغاء المعاهدة ، وفى وسط الابتهاج الشعبى لابتداء الصراع الحق ضد المستعمرين انطلقت بالامس رصاصات آثمة مجنونة لتردى من اخوتنا فى الوطن عشرة قتلى وثمانين جريحا سقطوا جميعها شهداء أبرار فداء الوطن وضرعى أعدائه . والمحتلون يريدون بهذا الاعتداء الوحشى أن يرهبونا ليوقفوا طوفان الحركة الوطنية الذى بات يهددهم تهديدا مباشرا وأصبح قاب قوسين أو أدنى من أن يكتسحهم ويقذف بهم فى أعماق البحار حيث يذهبون ولا يرجعون ، المحتلون يريدون أن يدخلوا فى روعنا اننا لا نستطيع أن نفعل معهم شيئا وانه حتم علينا أن نرضى بهوانهم ونصبر عليه ، الكفاح المسلح ، هذا هو شعار اليوم ، شعار كل مصرى ومصرية ، بل شعار كل من يسعى الى تحرير وطنه من ربقة الاستعمار أينما كان وأينما ابتلى به شعب من الشعوب وقد يتساءل الناس : وما الطريق الى الكفاح المسلح الذى ندعو اليه ؟ ولهؤلاء نقول : ان الطريق جلى واضح كونوا لجانكم الوطنية فى كل مكان من شمال الوادى حتى أقصى جنوبه وزودوها بالسلاح الذى تحصلون عليه كما حصلتم عليه من قبل وكما حصل عليه كل شعب عرف طريقه الى الحرية .. ثم أطلقوها لتنقض كالصاعقة على أعدائكم من القتلة والسفاحين الذين يدنسون أرض الوطن حول القنال .. » ..

.. وبعد هذه المقدمة تقدم « الناس » نفسها للقارئ .. « وفى غمرة هذا الصراع الهائل تصدر الناس وليست جريدة الناس مشروعا صحفيا يريد القائمون بامره اشباع هواية خاصة فى انفسهم ولكنها سلاح نشرعه باسم الوطن فى وجه أعدائه ومنبر نقيمه للاحرار ليقولوا من فوقه ما يريدون أن يقولوه لمواطنيهم ولواء سيظل مرفوعا فى سماء المعركة ما دامت المعركة ذاتها دائرة الرحى ..... وما دام الشعب فى مصر قد صمم على نيل الحرية » .

وتحت عنوان « يا ناس » يكتب مرسى الشافعى .. « بدأت مصر كفاحها الصادق للتخلص من الاستعمار الغربى ووقف الشعب جميعا صفا واحدا متحفزا للانقضاض على العدو واذا كان الشعب قد أحس بخطر هذا العدو الغربى فهو لابد يعى ان هناك عدوا أكثر خطرا واشد بطشا بمصر من الاستعمار الغربى ذلك هو الاستعمار الداخلى أو المحلى .

ان لهذا الاستعمار المحلى الوانا عديدة أكبرهـا خطرا هو تلك الصحف التى ترعرعت فى أحضان الانجليز منذ وطئت أقدامهم أرض مصر وأن المتتبع للدور الذى تلعبه الصحف فى مصر اليوم فى معركة الكفاح ليلحظ بوضـوح ان صـــحفا معينة جعلت من نفسها حربا على الشـعب تحاول أن تفت فى عضـده وتثنى من عزمه هذه الصحف يجب أن يكافحها الشعب فى مصر كفاحه للاستعمار الغربى فلا خير فى التخلص من استعمار تبقى جذوره ممتدة عميقة فى أرض مصر .

أما زكى مراد فيكتب تحت عنوان « جائزة السلام للشعب المصرى » .. « عادت الى الخلف أنباء كوريا ومعاهدة اليابان وتسليح المـانيا فى صحافة العالم لتبرز فى قوة أنباء الشرق الاوسط .. أنباء ايران ومصر .. ذلك أن ما حـدث فى ايران أولا ثم فى مصر ثانيا كانا أكبر حدثين فى هـذا العـام ذلك انهما كانا الاجابة على علامة الاستفهام الضخمة التى كـانت تقف محيرة أعين العـالم كله . فها هى ايران لا تتأخر ولا تخيب آمال شعوب العـالم فتؤمم بترولها وتطرد المستعمرين شر طردة وها هى مصر لم تتأخر ولم يخب ظن أنصار السلام والحرية فيهـا فقـد تحرك شعبها فحـرك حكومته ومزق صك الاذلال والاستعباد ووقف يستعد لنضال عنيـد ضـد قوات الاجرام الانجليزى .. » .

وبعد ان يدين زكى مراد الاقتراح الرباعى بنظام دفاعى عن الشرق الاوسط يقول « فليحذر الشعب المصرى كل تردد أو انهزام يدعونا الى مـد أيدينا الى امريكـا وانجلترا أو احدى تابعاتها الذليـلات وليعلن موقفه واضحا مع أولئك الذين يؤيدون نضاله من أجل حريته وسلام العالم مع الاتحـاد السوفييتى والصين الشعبية وكافة الدول التى تؤيـد حقوقنا الوطنية .. لقـد استحق الشعب المصرى عن جدارة جائزة السلام لهذا العام فليستمر فى نضاله المقـدس لطرد القوات المعتـدية من قنال السويس انجليزية كـانت أو امريكية وليدبر شئون حياته بنفسه فيقضى بذلك على أحلام دعاة الحرب ويبنى مستقبله فى ظل السلام والرخاء » .

ثم موضوع بعنوان « الطليعة الوفدية » موقع باسم « الطليعة الوفدية » ولقـد أشرنا من قبل الى هذا المقال وكيف أنه يعلن أن « الناس » تتحدث باسم « الطليعة الوفـدية » أو بالدقة ان الطليعة الوفـدية تنشر آراءهـا ومواقفها وأخبـار لجانها ونشاطها على صفحات الناس ويمضى هذا المقال ليؤكـد « وليست الطليعة الوفدية غريبة عن الصحافة فقـد كانت تصـدر مجلتها الوطنية المعروفة « رابطة الشباب » عام ١٩٤٧ « تفيض بالمقـالات الوطنية ويحررها شباب الوفـد أمثال محمد صبرى أبو علم والدكتور محمد

منحور والدكتور عزيز فهمى وقد دابت تلك المجلة على كشف المؤامرات الرجعية التي اريد منها تكبيل الشعب بقيود العبودية والاستغلال .. » ويمضى المقال قائلا « واليوم اذ تصدر الناس لتعبر عن الحركة الشعبية فالطليعة الوفدية تمضى في أداء دورها التاريخى الذى تستمده من تراثها الوفدى السليم جنبا الى جنب مع الفاضلين الاحرار الذين وضعوا نصب اعينهم طرد الاستعمار البريطاني العجوز والاستعمار الامريكى الزاحف وتحقيق الحريات السياسية للشعب ورفع مستوى حياة الطبقات الشعبية » .

ولا يخلو المقال من تعريض بالحكومة الوفدية ومشاريعها .. « والطليعة الوفدية التى كافحت في عهد الارهاب البغيض واستمر كفاحها ضد قوانين المشبوهين السياسيين ومشروع المادة السادسة ومشروع النقطة الرابعة ومشروع زيادة سعر الرغيف وتشريعات خنق الصحافة الى أن قضى على معظم هذه التشريعات . والطليعة الوفدية وهذه غايتها وهذا أسلوبها تعاهد الشعب على أن تستمر على صفحات هذه الجريدة طبقا لبرنامجها الوطنى الواضح الصريح ولن تحيد عنه » .

هذا الانتماء الوفدى المشوب بالانتقاد لسياسة الحكومة الوفدية يتعزز الاحساس به في أكثر من مكان من الجريدة التى تمضى في انتقادها لبعض العناصر الوفدية .. ففى باب اخبار بعنوان « مع الناس » نجد خبرا يعرض بأحد قادة الوفد « أشترى عبد الحميد الوكيل بك عمارة النمس بميدان قصر الدوبارة بمبلغ ٢٥٠ الف جنيه دفعها كاملة نقدا وعدا » .

بل هى تمضى في نفس الباب في انتقاد سياسة الحكومة الوفدية ككل « يقال أن هناك خطوات اتخذت بالفعل لبعث قانون المشبوهين السياسيين الذين اعدمه الشعب في بدء قيام الحكومة الوفدية وان هناك ترتيبات لاعادة المعتقلات للوطنيين في الواحات . ان جماهير الشعب التى دكت الحكم العرفى وعصفت بقانون المشبوهين السياسيين قادرة على أن توقف كل قيد استبدادى يراد تكبيلها به » .

ودفاعا عن العمال ضد عسف بوليس الحكومة الوفدية « يلقى العمال الذين يسعون فى تكوين نقابة لهم فى شبرا الخيمة كل عسف من البوليس وقدكان آخر ما رماهم به أن قبض على عدد كبير منهم بتهمة التحريض على الاضراب » ثم نجد خبرا بالغ الدلالة .. اذا ما اردنا ان نقارن بين التوجه السياسى لهذا العدد .. وبين العدد الثالث فالخبر يقول « تقوم سكرتارية لجان القاهرة لأنصار السلام باتخاذ العدة لاصدار نشرة شعبية للانصار .. وستصدر تريبا بيانا ضد الاحلاف » .

وسنرى فى العدد الثالث ما هو الموقف الجديد الذى اتخذته « الناس » ازاء حركة السلام ..

.. على أية حال لا بد من الاشارة الى مقال اخير فى هذا العدد كتبه احمد ابو الفتح رئيس تحرير المصرى واحد الصحفيين الوفديين البارزين بعنوان « هل ندافع عن قوم استعمرونا » يرفض فيه بحزم أى تحالف مع الاستعمار ، ان كل دولة تشترك فى حلف يجب أن تبحث عن عدوها الاول فتشترك فى حلف ضده وانا اسالك هل يوجد لمصر عدوا اكبر من الاحتلال الانجليزى ؟ » ويحرص احمد ابو الفتح على أن يقول « لقد قيض الله لمصر زعيما وطنيا جريئا استطاع أن يقف فى قوة وعزم ضد الاستعمار الخبيث وضد الصهيونية الدنيئة والواجب علينا الا نضيع الوقت هباء فى بحث مثل هذه السخافات من احلاف وغير أحلاف وان نكرس كل جهودنا فى محاربة أعداء البلاد »(٢) .

* * *

ومانشتات العدد الثالث « أيها المواطنون الاحكام العرفية فى الطريق العمال والطلبة يعلنون تكوين اللجان الوطنية » .

اما الافتتاحية فايضا بقلم احمد شوقى الخطيب وعنوانها « الأمر لمن ؟» فى مايو ١٩٤٨ وقف النقراشى باشا يطلب الى البرلمان اعلان الاحكام العرفية باسم المصلحة العليا للبلاد ومن أجل حماية مؤخرة الجيوش المصرية وكتائب المجاهدين فى فلسطين . وتم للنقراشى ما أراد وسرعان ما وضح للناس أن هذه الأحكام العرفية انما اعلنت لضرب الحركة الوطنية .. واليوم يراد بالبلاد ما اريد بها بالامس . اليوم تريد الحكومة أن تعلن الاحكام العرفية متذرعة بالحجة المتيقة البالية .. حجة العمل على استتباب الامن الداخلى مستترة وراء قناع عريض من الجهاد الوطنى ضد المستعمرين .. »

وتمضى الافتتاحية مؤكدة ان « امن الشعب فى ان يخلى بينه وبين مستعمريه ليندفع فى نضاله حتى يسحقهم سحقا . امن الشعب فى قيام تنظيماته الشعبية يعبئها ويحشدها ليخوض بها وتحت لوائها معركة الحرية الكبرى أما الحكومة التى تدعوه - وهو على أهبة معركة جبارة يخوضها ضد مستعمريه - الى الهدوء والسكينة فاذا لم يستجب اطلقت عليه النيران - هذه الحكومة حكومة لا تريد ان تساير الحركة الوطنية وتابى الا العمل على القضاء عليها » .

---

٣ - الناس - ١٩٥١/١٠/١٧ .

واذا كان هذا الهجوم على حكومة الوفد من مجلة تقول انها تعبر عن آراء ومواقف الطليعة الوفدية يبدو غريبا ومبالغا فيه .. فان الافتتاحية تمضى قائلة « وبعد فان « الناس » تقول للمواطنين ان حريتهم كل متكامل وانه يستحيل عليهم أن يتنازلوا أعداءهم وسواعدهم مشدودة الى ظهورهم وأفواههم تلجمها القيود . « الناس » تقول للمواطنين : ناضلوا ما وسعكم النضال ضد هذه المحاولة الآثمة لتدمير حرياتكم والقضاء على حركتكم الوطنية فليحتشد الوطنيون ولتجتمع اللجان الوطنية وليعلن الجميع فى قوة واصرار انهم قد عقدوا العزم على النضال الى النهاية حتى يصرعوا ما يدبر لهذا الشعب منمؤامرات »(٤) .

ثم هناك ذلك التحول فى الموقف من حركة انصار السلام .. فأحمد رشدى صالح يكتب تحت عنوان « الكاتب لا تعبر عن ارادة أنصار السلام » « حينما تدفقت جماهير الشعب الى المظاهرات الوطنية ضد قوات الاحتلال المعتدية وضد المشروعات الامريكية الطاغية وضح ان الطريق الذى تسلكه جماهير شعبنا هو الاستقلال والسلام العالمى » ومنذ اللحظة الأولى تلقفت صحف معينة وصحفيون معينون نغمات المستعمرين فأبرزتها وتبريرات الحكومة لضرب الحرية فروجتها ودافعت عنها وكانت مجلة الكاتب التى اختارت شعارها للحرية والسلام بين هذه الصحف التى أيدت وقف المظاهرات فأمضى رئيس تحريرها سعد كامل بيانا يدعو فيه الشعب الى السكينة . وفى عدديها الأخيرين قامت الكاتب بدعاية مستمرة للحكومة الوفدية وصورت وزيرى الداخلية والخارجية وكانهما مثال الوزراء الذين يجدر بالشعب أن يثق فيهما فى حين ان البوادر تقطع بأن هناك نظام حكم رجعى يهدف الى الانتكاس بمصر الى عهود الاحكام العرفية الاسود » .

.. ويمضى رشدى صالح بعد أن يصف حكومة الوفد ( بعد أن ألغت معاهدة ١٩٣٦ ) بأنه نظام حكم رجعى ليقول « لقد كان أنصار السلام ينتقدون مجلة الكاتب من قبل لانها درجت على اتخاذ موقف حزبى ،موقف التحالف مع أحزاب معينة هى مصر الفتاة والحزب الوطنى والاخوان المسلمون وموقف المهاجمة لحزب الوفد .. وكانت الكاتب بهذه السياسة لا تعبر عن سياسة السلام الذى يجب أن تنأى عن الاشتراك فى معارك كل يوم السياسية ولكن ها هى ذى تنحاز الى تيار سياسى ممثل فى الحكومة تيار يعارضه كثيرون من أنصار السلام وممن يمكن ان يكونوا من أنصار السلام » .. وهكذا يمكننا أن نفهم لماذا انتقدت « طليعة العمال » مقال

---

٤ ـ الناس ـ ١٩٥١/١٠/٣١ .

أحـد اقطـابها وأدانته ولعل السبب لم يكن هجومه على حدتو فهذا أمر مرغوب فيه . وانما لانه قـد تجـاوز الحـد بالنسبة لمنظمة كطليعـة العمال ذات علاقـة وثيقـة بعـديد من الدوائر الوفـدية ، فى انتقاد الحكومة الوفدية.

ولم يكن هذا هو الهجوم الوحيـد .. فقـد غيرت الناس سياسـتها وحولت هجماتها من عدو الى عدو آخر فهى تقول « صرح الاسـتاذ محمد رشدى عمر المحامى بانه شاهد الاستاذين أحمد حسين ويوسف حلمى صاحب مجلة الكـاتب يطالبـان فؤاد سراج الدين بالتوقيع بصرف قيمة جميع الاعداد الصادرة من مجلتيهما وعهد سراج الدين الورقتين اللتين قدمتا له بتوقيعه ».

ثم هجوم مركز على أحمد حسين والحزب الاشتراكى « صرح أحمد حسين بعـد مقـابلة لفؤاد سراج الدين بانه يؤيـد الحكومة كل التأييـد وانه مطمئن تمام الاطمئنان الى وسائلها الايجابية فى طرد المستعمرين » .

و « عطل الاستاذ أحمد حسين من تلقـاء نفسه مجلة الاشتراكية فى يوم الأحـد حتى يجردها من كل ما يجرح الحكومة ووزرائها » .

وأخيرا .. « نقل أحمد حسين اكليشيهات مجلته من مطبعة الاساس التى كان يطبعها بها الى مطبعة البلاد التى يملكها فؤاد سراج الدين » .

وبرغم هذا الهجوم على اكثر من اتجـاه .
- الهجوم على الحكومة الوفـدية .
- الهجوم على حدتو .. وعلى حركة انصار السلام
- الهجوم على أحمد حسين والحزب الاشتراكى .

نجـد « الناس » تدعو وفى الحاح الى تشكيل اللجان الوطنية « ما أن شهدت ساحة جامعة فؤاد الاول يوم الاحـد مؤتمرها الضخم الذى توافـد عليه العمـال والطلبة والشباب الوطنى والذى اعلن فيـه تكـوين اللجنـة التحضيرية للجـان الوطنية حتى سرت الموجة الى المعـاهد والمصانع والاحياء فتكونت فى خلال أيام قليلة لجـان وطنية بكليـات الحقوق والهندسة والطب والفنون وبحدباء الازهر وعابدين والدائرة السابعة وبولاق وشبرا وغيرها .

وأعلنت اللجنة التحضيرية برنامج اللجـان الذى ينصب على ما يلى :

١ - طرد الانجليز بالقوة .
٢ - تأييـد السلام العـالمى .
٣ - رفض الاحلاف الاستعمارية الامريكية والانجليزية .
٤ - عقـد معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفيتى .
٥ - اطلاق الحريات والغـاء القوانين المقيدة للرأى والتنظيم الشعبى .

٦ ـ الغاء قانون حمل السلاح .

٧ ـ الافراج عن المسجونين السياسيين .

٨ ـ الغاء البوليس السياسى ومحاكمة المسئولين منه عن هتك الحريات والاعتداء على الشعب » .

.. أما « الطليعة الوفدية » فلم تزل قادرة على التعبير عن نفسها « تجتاز البلاد فترة حرجة من تاريخ حياتها فالشعب متأهب لدخول المعركة ضد المستعمر الغاصب بينما القوانين الرجعية تسلط عليه وتحول بينه وبين الخلاص وقد وضحت الطليعة فى بيانها السابق ان الغاء المعاهدة يعنى اطلاق الحريات السياسية .

وقد تجددت اليوم الدعوة سافرة لكبت الحريات بطرق مشروعة وغير مشروعة وبأساليب صريحة وغير صريحة » .

وتمضى الطليعة الوفدية « مؤكدة » ان أى سياسة من شأنها تقييد الحريات تخالف تماما سياسة الوفد الذى يدافع عن الدستور ويتمسك ببنوده ونصوصه ولقد أعلن رفعة الرئيس الجليل هذه المبادىء أكثر من مرة .. » .

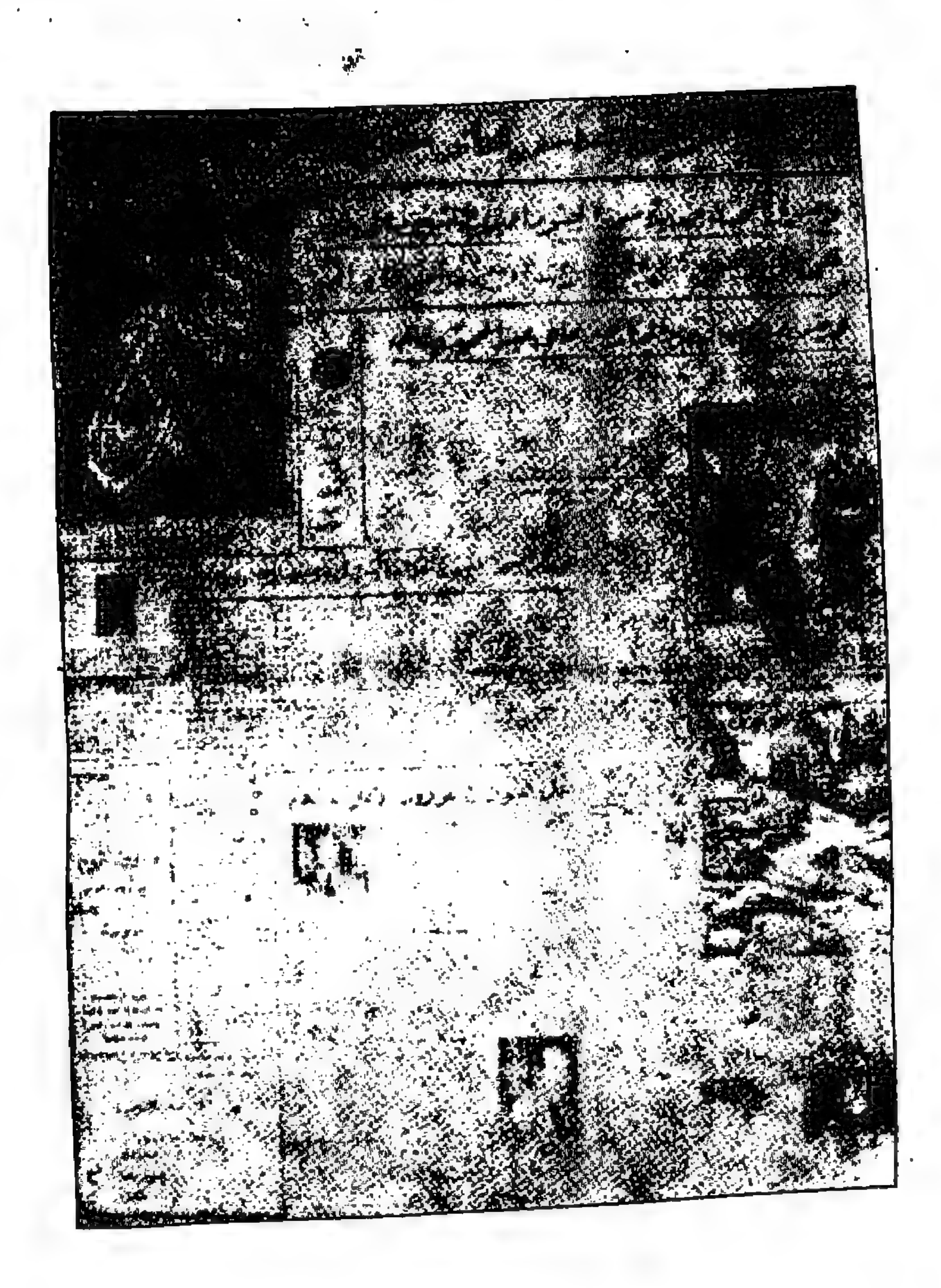
وأخيرا تقول الطليعة الوفدية « ان الشعب الان يقول كلمته صريحة عالية مدوية ... أن أطلقوا الحريات » .

.. واذا كان من الغريب أن تنشر الطليعة الوفدية مقالا كهذا ضد حكومة الوفد مهما تمسحت برفعة الرئيس الجليل فهو نفسه رئيس وزراء الحكومة التى تدينها « الناس » فى هذا المقال وفى غيره .. فانه لم يكن غريبا أن تمتد المصادرة لتشمل « الناس » مهما تمسحت بالوفد أو تسترت تحت أسماء وفدية ..

وعلى أية حال فقد توارت « الناس » .

ولم تعاود الصدور .

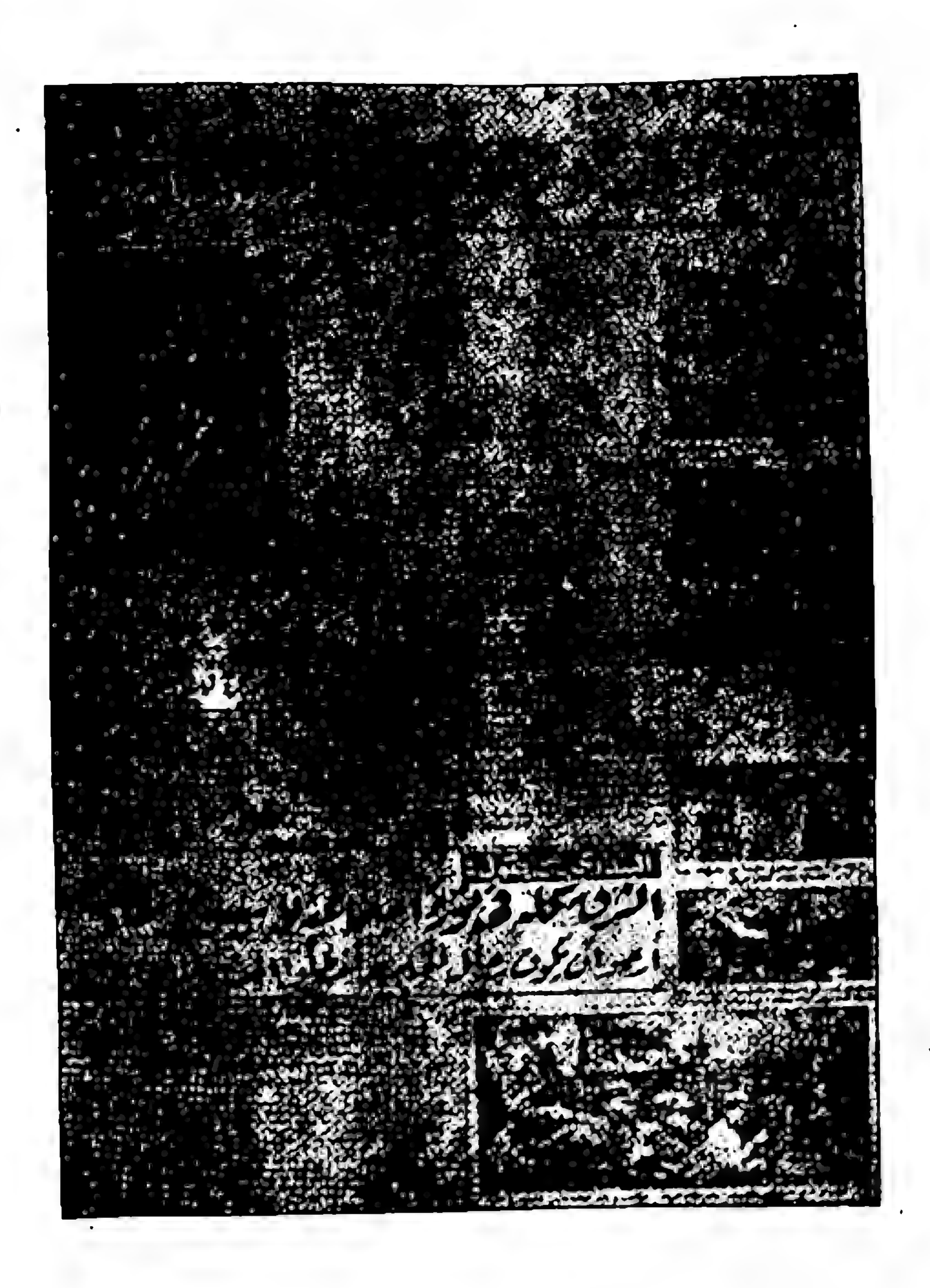
الملايين





السفير الأمريكي

المعركة معركة الشعب



.. « أحمد صادق عزام ، شاب وطني أحس بضرورة أن يؤدي خدمة لوطنه فى تلك المرحلة المتفجرة بالاحداث . كان معاديا للاستعمار ، ومعاديا للسراى ، وكان يقف مع الجماهير .. ولهذا وقفت عائلته ضده ، وكان معظم كبـار العائلة يناوءونه ابتداء من عبد الرحمن عزام باشا الذى كان يتزعم الهجوم عليه الى بقيـة كبار العـائلة .. وظل هذا الموقف المعادى له من عائلته مستمرا .. حتى بعـد أن توقفت الملايين عن الصدور .. بل وحتى وفـاته .. وفى جنازته كان هنـاك من عائلة عزام عدد من الشباب .. أما الكبـار فقـد كانوا عنـد موقفهم القـديم منه وقاطعوا حتى جنازته ، وكان هنـاك عمال وفلاحون وطـلاب من حلوان ... ومناضلون عرفوا قدر احمد صادق عزام فودعوه حتى مثواه الأخير »(١) .

أما كيف بدأت الملايين ، فيروى زهدى احـد المشاركين الاول فى اصدارها ... الرواية التالية :

« .. أنا كنت وثيق الصلة بمأمون الشناوى وكنت أزوره فى منـزله وأنا لم أزل طالبـا وكان هو محررا بآخر ساعة وكان مجلسه الذى ينعقـد فى منزله مجلس سـمر وفكاهـة وكان يحضره آخرون منهم أحمد البـديني وحسين فهمى .. وذات يوم قـدم البديني الى مأمون الشناوى فى حضورى شابا من أسرة عزام العريقـة يريـد اصدار مجلة أسبوعية . والتقينا مأمون الشناوى وصاحب الترخيص احمد صادق عزام والبديني وحسين فهمى وأنا ومعنا صلاح حافظ وكان لا يزال طالبا بكلية الطب وناقشنا فكرة اصدار المجلة .. واستأجرنا شقة فى عمارة الشمس ناحية المبتديان وبدأنا العمل واتفقنا أن تكون هيئة التحرير من صادق عزام رئيسا للتحرير بصفته صـاحب الترخيص ونحن الأربعـة مأمون الشناوى وحسين فهمى وأنا وصلاح حافظ وتوليت أنا الرسم والتوضيب وتولى الثلاثة الاخرون مهمة التحرير » .

ـ مأمون الشناوى .. ليس بحاجة الى تعريف ولا علاقة له باليسار .

ـ حسين فهمى .. صحفى وطنى ، محرر بجريدة يمينية ( الزمان )

---

١ ـ محضر نقاش مع زهدى ابراهيم العـدوى ـ أجريت المناقشة يوم ١٩٨٠/٥/٢٤

وحتى ذلك الحين لم يكن من الممكن اعتباره يساريا .

ـ زهدى .. رسام وطنى أيضا .. لا علاقة له ـ حتى ذلك الحين بأى تنظيم يسارى (٢) .

ـ أحمد صادق عزام .. قدمه لنا صديقه وزميله فى اصدار الملايين .. زهدى ونضيف أنه كان ـ حتى ذلك الحين ـ أحد شباب الحزب الوطنى ( اللجنة العليا ) .

ولم يكن هناك ماركسى واحد فى هذه المجموعة .. الا صلاح حافظ طالب بكلية الطب يهوى الصحافة وكان على علاقة بحدتو ..

.. هكذا كانت البداية .

ولهذا يمكن القول ان الملايين فى أعدادها الاولى لم تكن أكثر من مجلة وطنية الاتجاه .. معادية للاستعمار وذات توجهات اجتماعية عامة .. أما القصر الملكى فقد تملقته الملايين فى أعدادها الاولى كعادة الصحف غير اليسارية فى هذا الزمان ..

ففى قلب افتتاحية العدد الاول نجد بروازا بعنوان « أمل » .. « ان زواج الملك فاروق الذى تستعد البلاد للاحتفال به هو الامل الذى تتطلع اليه الملايين من المصريين .. انهم يستبشرون بهذا اليوم السعيد ويتطلعون الى عهد جديد من الحرية والكرامة والاستقرار انهم يرجون أن تكون هذه المناسبة السعيدة فجرا يبدد الظلام الحالك الذى يتخبطون فيه وهم يشهدون على مختلف العهود والحكومات مآسى الرشوة والمحسوبية واستغلال النفوذ .. ان الملايين لتتجه الى الملك الشاب فى حياته الجديدة السعيدة وهى تعلم أنه أقدر أبناء النيل على الاستجابة للوعى الشعبى الجديد وتوجيه دفة الحكم الى الطريق القويم . سوف تكون ليلة ٦ مايو ليلة تنهزم فيها جيوش الظلام لا بالصواريخ التى ستجعل القاهرة كلها شعلة من النور بل بالامل الباسم فى مليك شاب وطنى عظيم »(٣) .

وفى العدد الثالث نقرأ تحت عنوان « فرحة الملايين » .. « تحتفل البلاد اليوم بعيد جلوس الملك ، وبيوم زفاف الملك ، وتعلن الحكومة عن ولائها وابتهاجها فى هذين العيدين فتقيم الزينات على دورها وتطلق الصواريخ فى السماء لتضىء القاهرة ليلا بطوله » .

ولكن الامر يختلف هنا بعض الشىء ، فالملايين تتخذ توجها اجتماعيا

---

٢ ـ المرجع السابق .
٣ ـ الملايين ـ العدد الاول ـ ٢٢ ابريل ١٩٥١

واضحا فى اطار مديح الملك .. بل لعلها تتخذ من مديحه سبيلا لادانة النظام باكمله : « والملك المحبوب يسعده أن يدخل النور الى كهوف مظلمة يسكنها الملايين من المصريين ليضيء جنباتها الكئيبة كل ليلة لا ليلة واحدة وتأمر وزارة التموين بزيادة مقررات السكر والزيت والدقيق فى هذا الشهر ابتهاجا بالعيدين .. والملك المحبوب يبهجه أن تكون هذه الزيادات فى مقررات التموين كل شهر لا شهرا واحدا وأن يجد أفراد شعبه ثمن هذه المقررات .. وتتقدم الهيئات المصرية بالهدايا الى أعتاب المليك فرحة بهذا اليوم والملك المحبوب يفرحه أن تكون الهدايا التى تقدم الى أعتابه معاهد ومستشفيات ومشاريع لاسعاد شعبه العزيز .. وتطعم لجنة الاحتفالات العامة بالقاهرة عشرين ألفا من الفقراء ابتهاجا باليوم السعيد .. والملك المحبوب يتمنى أن يأكل عشرون مليونا من المصريين طوال العام وكل عام ..

وتمضى « الملايين » فى الضرب تحت الحزام كما يقولون .. وفى السجون المصرية اليوم مئات من المسجونين السياسيين ضحايا الرأى والعذاب الذى يعانونه فى جحيم السجن ليس بأشد ألما على نفوسهم من أن يحرموا مشاركة البلاد أفراحها فى مثل هذا اليوم السعيد . ان الملايين فى هذا اليوم وهذا اليوم فقط تغفر للحكومة عجزها لانها سعيدة بجلوس الملك وبيوم زفاف الملك وبالدعاء من قلبها لمليك وادى النيل بالتوفيق فى خدمة وادى النيل »(٤) .

.. والفارق واضح بين العددين الاول والثالث ..

لقد كانت الملايين تسرع فى اجتياز الحد الفاصل بين الصحيفة الوطنية وبين الصحيفة الوطنية ذات التوجه الطبقى واليسارى .

***

وقد صدرت الملايين فى مجموعتين ..

الأولى هى موضوع هذه الدراسة وصدر منها ثلاثون عددا الأول فى ٢٢ أبريل ١٩٥١ والاخير فى ٢٦ ديسمبر ١٩٥١ .

وبعدها توقفت الملايين تحت وطأة أزمة مالية عنيفة وبسبب المصادرات المتعددة التى وصلت الى حد مصادرة تسعة أعداد من مجمل الثلاثين عددا التى نحاول دراستها الان .

ثم عادت الملايين للصدور فى مجموعتها الثانية بعد ثورة ٢٣ يوليو .

---

٤ ــ الملايين ــ العدد الثالث ــ ٦ مايو ١٩٥١ .

... ويروي أحمد صادق عزام قصة اصداره لمجلة الملايين .. تحت عنوان « حديث الملايين » عندما ناقشت اللجنة العليا للحزب الوطنى مشروع اصدار جريدة ، وطرحت للبحث فكرة اصدار مجلة اللواء الجديد من جديد ، كنت حاضرا هذا الاجتماع وسمعت كثيرا من الاراء التى أبديت فيه ، وكانت جميع هذه الآراء ترمى الى اصدار مجلة صغيرة لا يمكن لانسان الا أن يسميها نشرة وقالوا ان هذه هى امكانياتنا ، يومها ثرت وقلت ان هذا كلام لا يمكن أن يقال وان امكانياتنا لا يمكن أن تكون هزيلة الى هذا الحد وأن تضحياتنا لا يمكن أن تهبط الى هذا المستوى ولست أذيع سرا اذا قلت أنه كان لى نصيب متواضع فى صدور اللواء بوضعها الحالى وكان على أن أقوم بمجهود خاص يضاعف المجهودات الوطنية فأقدمت على اصدار جريدة الملايين فى وقت عز فيه الورق وكثرت فيه المضايقات والمطاردات والتحقيقات والمحاكمات . أقدمت غير هياب ولا وجل ومزمعا أن أضع يدى فى يد جميع الوطنيين الاحرار فى هذا الشعب المغلوب على أمره فأصدرت الملايين فى اثنتى عشرة صفحة كبيرة فى حجم الجرائد اليومية وحشدت لها كل ما أستطيع حشده من الوسائل الحديثة ، وكان للاعداد الضخم الذى قدرنا
أستطيع حشده من الوسائل الحديثة ، وكان للاعداد الضخم الذى قدرنا
على بنائه للملايين من أجل الملايين المغلوبة على أمرها أثره الكبير فى تلك المرحلة من جرائد الرأى التى تتابع معركتها فى حماسة فياضة ووطنية دافقة تهز الاستعمار والرجعية » .

ويمضى صاحب « الملايين » قائلا .. « ونحن لا يمكن أن نتخذ الصحافة كما يتخذها هؤلاء الذين يقيمون شاهق العمارات وشاسع المطابع .. أولئك الذين يقيسون النجاح الصحفى بمقدار ما يكدسونه فى البنوك من أموال وما يركبونه من سيارات أمريكية من آخر طراز . نحن نفهم الصحافة على أنها مهمة وطنية سياسية .. نحن نتخذ من القلم سلاحا نشنه فى وجوه المستعمرين والمستبدين »(٥) .

وقد تعرضت الملايين كغيرها للمصادرة والملاحقة ومحاكمة رئيس تحريرها .

ونروى الملايين قصة مصادرة العدد السابع ( ٣ يونيو ١٩٥١ ) :

« .. كيف صودرت الملايين » .. « هناك جرائد يهم الحكومة الوفدية عندما تصادرها أن تتلكأ فى مصادرتها حتى يمكن توزيع معظم أعدادها وهناك جرائد بالذات يهتم البوليس السياسى بأن يتربص بها فيستولى عليها قبل أن يتسرب منها عدد واحد الى القراء ، وذلك لان هذه الجرائد خطيرة فى

---

٥ .. الملايين ـ العدد الثالث عشر ـ ١٥ أغسطس ١٩٥١ ـ

نظره • خطيرة عليه ، وعلى الحكومة التي تستخدمه وعلى الاستعمار الذي يستخدم الاثنين ، وهكذا اقتحم البوليس السياسي المطبعة ليستولى على العدد الماضي من جريدة الملايين ، هاجم البوليس السياسي أعداد الجريدة قبل أن تغادر المطبعة التي تطبع فيها وحاصرها من جميع الجهات حتى لا تتسلل نسخة واحدة من الجريدة الوطنية الى أيدى القراء . وظل الحصار قائما حتى اطمأن البوليس السياسي تماما الى أنه قام بمهمته خير قيام . وذهب لينام هادىء البال ٠٠ ورغم هذا الحصار الدقيق فقد تسربت الملايين الى أيدي الباعة تسربت اليهم بطريقة لا ندريها نحن ولا يدريها البوليس السياسي ٠ ان للملايين أصدقاء ومناصرين لا تعرفهم هي ولا يعرفهم البوليس السياسي .٠ وأسقط فى يد البوليس السياسي فاستيقظ من نومه مذعوراً وجرد حملة على باعة الصحف ينتزع منهم ما استطاع انتزاعه بل مضى ينتزع من أيدى القراء أنفسهم ما يلمحه من أعداد معهم ٠٠ وكان لا بد من مبررات يستند اليها فى المصادرة ووجد بغيته لسوء الحظ فى خبر أو خبرين تعلل بهما ليؤيد وجهة نظره أمام رئيس محكمة مصر وأفرج رئيس المحكمة عن الجريدة بعد أن طلب رفع الخبرين »(٦) ٠

وفى نفس العدد يكون « حديث الملايين » فى نفس الموضوع ٠٠ « منذ رأت جريدة الملايين النور كانت ولا تزال تؤمن بأن من حق قرائها عليها أن تقدم لهم أصدق الاخبار مهما بذلت فى هذا السبيل من مال وأنفقت من جهد ٠

٠٠ وفى يوم الأحد الماضي صودرت الملايين فاحتجبت عن قرائها برغمها واليوم تعود الملايين الى القراء لتنسج على منوالها القديم الذى تطعته على نفسها وتؤدى رسالتها كاملة غير منقوصة ٠٠ ولن تستطيع المصادره بما تستتبعه من خسائر مادية فادحة أن تنال من صدق عزيمة الملايين ولا من حسن قصدها »

واذا كان من حسن حظنا أن نعثر على نسخة من العدد السابع الذى صادره البوليس فان المجموعة الخاصة التي لدينا ينقصها العدد الخامس ( المفترض صدوره فى ٢٠ مايو ١٩٥١ ) والغريب ان هذا العدد غير موجود أيضا فى المجموعة المودعة بقسم الدوريات بدار الكتب والوثائق القومية كذلك فان هذه المجموعة لا يوجد ضمنها العدد الرابع عشر ( ٢٢ يوليو ١٩٥١ ) ولكن هذا العدد موجود فى مجموعتنا الخاصة وان كان ناقصا أربع صفحات داخلية ....

وهكذا فان دراستنا هذه سوف تنصب على مجمل الثلاثين عددا التي

---

٦ ــ الملايين ــ العدد الثامن ــ ١٠ يونيو ١٩٥١ ٠

تكونت منها المجموعة الاولى باستثناء العدد الخامس .. وأربعة صفحات داخلية من العدد الرابع عشر .

***

وقد صدرت الملايين فى اثنتى عشرة صفحة من القطع الكبير ( حجم الجريدة اليومية ) وفى بروازعلى يمين الصفحة الاولى أكليشيه باسم الجريدة « الملايين ـ سواد الشعب » ويحيط بالاسم برواز فى شكل حلقات سليمة كرمز للقيود التى تكبل الملايين والثمن عشرون مليما وفى الصفحة الثانية .

« الملايين »

جريدة سياسية أسبوعية مصورة

صاحبها ورئيس تحريرها : أحمد صادق عزام المحامى

١٣٠ شارع القصر العينى » .

وعندما اشتدت الازمة المالية « بالملايين » اضطرت الى ترك مبدأ القرش الخاص .

وقد أنفق أحمد صادق عزام حوالى خمسة آلاف جنيه على اصدار الملايين وهو مبلغ ضخم بمقاييس تلك الايام لكننا نلاحظ أن جزءا كبيرا منه ذهب فى حملة اعلامية ضخمة سبقت اصدار الجريدة وهى حملة تسبيب الدهشة لكل من يتتبعها على صفحات الجرائد اليومية الصادرة قبل ولادة الملايين ..

كذلك يبدو أن المسؤول المالى للجريدة لم يكن حريصا حرصا كافيا على أموالها « يقول زهدى العدوى فى محضر النقاش معه » والشخص المسؤول عن الادارة بدد ميزانية الجريدة وكان يصل الامر أن العدد موجود فى مطبعة الزمان وتحتجزه ادارتها حتى سداد الفاتورة وكان أحمد صادق عزام يرسل صديقا له ليمر على بيوت أقاربه وأصدقائه بيتا بيتا ليستدين ما يكفى لتسديد فاتورة الطبع » .

كان هذا ابتداء من العدد الخامس تقريبا .

وبعدها بدأت حدتو محاولتها لتعزيز تمويل الجريدة ..

لم تكن الثلاثين جنيها والتى كانت تدفعها لاصدار البشير أسبوعيا لم تعد تكفى بأية حال لاصدار جريدة ضخمة كالملايين وهكذا تبدأ الجريدة فى الاستنجاد بقرائها ..

---

٧ ـ محضر النقاش مع زهدى العدوى ـ المرجع السابق .

وفى العـدد الثالث عشر مقـالى بالبنط الكبير فى صدر الصفحة الاولى بعنوان « الملايين تستنجد بالملايين » .

٠٠ « هذه الجريدة لا تعيش على حساب أحـد ٠٠ الا اذا جاز لنـا أن نقول انهـا تعيش على حساب الشعب نحن لانعيش كما تعيش معظم الجرائد الاخرى على الاموال من السفارات الاجنبية وفى مقدمتها السفارة الأمريكية وسفارة انجلترا ، ولا على المصاريف السرية التى تقـدمها وزارة الداخلية الى الصحف المأجورة والتى اتخذت من صفحاتها مجالا للتضليل والدعاية الاستعمارية ومحـاولة التغرير بالشعب المصرى وغيره من الشعوب التى تناضل من أجل استقلالها وحريتها نحن اذن من الشعب وللشعب ولذلك يهمنـا ان نصارح الشعب بكـل شىء ٠ ان اصدار هذه الجريدة الضخمة يتكلف اموالا طائلة لا قبل لنـا باحتمالها وخاصة اذا أدخلنـا فى اعتبارنا غلاء الورق الفاحش واذا لم نسقط من اعتباراتنا أيضا المصادرات الحكومية التى عاندنـاها وسنعانيها ٠ من أجل هذا نحن نناشد قرائنا الوطنيين أن يهبوا لنصرة جريدتهم التى تواطأت جميع القوى الاستعمارية الرجعية على محاربتها واخمـاد صوتها.وان هذه المناصرة يجب أن تترجم الى نقود ٠٠ جنيهـات وقروش ٠٠ مليمـات كل ما تستيطمون أن تدفعوه حتى يمكننـا أن نواصل الرسالة الوطنية التى أخذنا على عاتقنا القيـام بها ٠٠ لا ان صوت الملايين لن يخمـد ٠٠ لان الملايين ستسارع الى نصرة الملايين »(٨) .

وفى العـدد السابع عشر ( ١٩٥١/٨/١٢ ) مقـال بعنوان من المحرر الى القراء موقع باسم عبد العزيز بيومى يقول « جاءتنى خطابات كثيرة من القراء يعبرون فيهـا عن عطفهم البالغ وعن حرصهم الشديد على المـلايين ومطالعتهـا باستمرار فى صبيحة كل يوم أحـد ويبدون استعدادهم للمساهمة فى تدعيم ماليتهـا عن طريق التبرع بكل ما تمتلكه أيديهم من جنيهـات وقروش ومليمات ٠٠ واننى أهنىء القراء بهذا الوعى المتأجج الذى دفعهم وما زال يدفعهم بقـوة وحماسة الى المحافظة على جريدتهم الحرة والعمل على تثبيت وجودها فى المرحلة العصيبة التى تمر بهـا قضيتهم ٠ قضية الكفـاح ضـد الاستعمار وأذنابه ٠٠ ان كل قرش يدفع لتدعيم الملايين هو بمثابة مسمار يدق فى نعش أعداء الشعب وتجار الحروب ومصاصى الدماء »(٩) .

وتشتد الازمة المـالية ٠٠ فالاصدقاء الذين يطرق أحمد صادق عزام بيوتهم بيتا بيتا ينضب معينهم ٠٠ وحدتو لا قبل لها باحتمال تكاليف مجلة

---

٨ ــ الملايين ــ العدد الثالث عشر ــ ١٥ يوليو ١٩٥١ .
٩ ــ الملايين ــ العدد السابع عشر ــ ١٢ أغسطس ١٩٥١ .

كبيرة كهذه .. ويتعثر صدور الملايين .. العدد الثامن عشر يصدر فى ١٩ اغسطس ١٩٥١ .. أما العدد التاسع عشر فيصدر فى ٢ سبتمبر اى ان الملايين تتخلف عن الصدور أسبوعا .. وبالاضافة الى ذلك ينخفض عدد صفحات العدد ١٩ الى ثماني صفحات فقط ..

.. وعلى صفحات نفس العدد نقرأ موضوعا أشبه بالبكائيات .. عنوانه « قصة الملايين الفقيرة » .. « يعرف الجميع ان قصة الملايين ليست قصة مشروع تجاري يهدف إلى الربح وليست قصة مغامرة من بعض الهواة الباحثين عن اللهو أو الذهب وليست قصة صحافة مأجورة تعيش وتكسب من المصاريف السرية أو تبرعات الشركات والاستعمار البريطانى أو هدايا الورق من مكتب الاستعلامات الامريكي انما هى قصة كفاح أصيل .. تمثل قبسا من كفاح هذا الشعب الفقير المريض المتطلع الى الحرية والصحة والعلم والتقدم .. هى قصة الملايين سواد الشعب .. لذلك عاشت الملايين بالرغم من ضيق مواردها تستند الى وعى الملايين ونضالها وتضحياتها .. عاشت بالرغم من الارهاب ومن المصادرة ومن مناورات البوليس السياسى والاستعمار وأعوانهما من الجواسيس .. عاشت على الرغم من فئران السفينة التى خيل اليها ان « الملايين » غارقة أو هاربة من الميدان واليوم تظهر الملايين فى ثمانى صفحات لا عشرة ولا اثنتى عشرة صفحة لانها لا تستغرق أربعة صفحات فى نشر الاعلانات التجارية الضخمة مصدر المال الوفير والأرباح الطائلة . اليوم تؤدى « الملايين » رسالتها فى الصفحات الثمانية كاملة وانسجة متماسكة لانها عازمة أن تستمر فى كفاحها الوطنى الشعبى من أجل أهدافها المرسومة الثابتة لا يداخلها التردد أو التخاذل ولا بد أن تعيش « الملايين » فهى منبر الوطنية الشعبية ضد الاستعمار وشركائه وخدامه وضد الاستغلال وضد الاستبداد وضد الحرب العدوانية المدمرة : وسوف تعيش « الملايين » لأن الملايين تريد لها أن تعيش »(١٠) ولقد حاولت الملايين أن تحل مشكلتها المالية بالاعلانات فنشرت فى العدد ١٧ تقول « مطلوب لمجلة الملايين بلاسيهات اعلانات من الجنسين من ذوى الخبرة والكفاءة بمرتب وعمولة مغرية » لكن مثل هذه الاعلانات التى يقدمها بلاسيهات مغمورين لا تحل أى مشكلة ..

.. ويستمر انخفاض عدد الصفحات ..

.. العدد العشرون صدر فى أربع صفحات فقط والثمن عشرة مليمات .. ويبدو أن الارتباك كان شاملا .. الى درجة أن محررى الملايين نسوا أن يكتبوا يوم صدور العدد العشرين وكتبوا فقط سبتمبر ١٩٥١ وبالتحيز تتضافت

١٠ ــ الملايين ــ العدد التاسع عشر ــ ١٢ سبتمبر ١٩٥١ .

اليوم ( ٩ سبتمبر ) فى النسخة المودعة بدار الكتب والوثائق القومية .

ومع تناقص عدد الصفحات كان لا بد لابواب كاملة أن تختفى « الى المحرر » ، « بحرى وقبلى » ، « فى كلمتين » ، « نقط العرق » ، « مصر جزء من العالم » ، « صفحة الفن » ، « باب المرأة » ، « الرياضة » ، الكاريكاتير « القصة » .. كل هذه الابواب الثابتة اختفت لتتيح الفرصة أمام الملايين كى تصدر فى صفحات أربع ، كذلك استخدم البنط الصغير فى جمع بعض الأبواب ..

ومع اختفاء هذه الابواب تظهر أبواب أخرى « مكتبة الملايين » و « القاموس المصرى » ..

واذا كان العدد العشرون قد صدر فى ٩ سبتمبر ( كما هو مكتوب بالحبر على رأس النسخة المودعة ضمن مجموعة الملايين بدار الكتب والوثائق المصرية ) فان العدد الحادى والعشرين لم يصدر الا فى الأحد ٧ أكتوبر ١٩٥١ أى أن الأزمة المالية قد منعت « الملايين » من الصدور أربعة أسابيع متتالية ..

وبرغم النداءات المتتالية « كل قرش تدفعه للملايين مسمار يدق فى نعش الاستعمار » .. « وهى جريدتك عليك لا على الاعلان ولا على المظاريف السرية .. فقم بواجبك نحوها .. واجبك نحو وطنك »(١١) وبرغم مئات القراء من أعضاء حدتو وأصدقائها الذين انتشروا فى الشوارع والجامعات والمصانع من مختلف المدن يجمعون تبرعات بموجب كوبونات صغيرة .. فان الازمة المالية تستحكم ويكون العدد الثلاثون هو العدد الاخير .

* * *

وتتغير القوى المحركة للملايين ..

ومعها يتغير المحررون ..

فى العدد الاول تلمح أسماء معتدلة مأمون الشناوى - سيد قطب - سيد قنديل - وكاريكاتير زهدى .. وأبو الحسن ( حسين فهمى ) .

وفى العدد الثانى يستمر مأمون الشناوى - سيد قطب ويضاف اليهما راشد البراوى ويوسف حلمى وهناك أيضا محمد يسرى أحمد ( حدتو ) ومحمود العسكرى ( طليعة العمال ) وكاريكاتير زهدى .

---

١١ الملايين العدد السابع عشر - ١٢ أغسطس ١٩٥١

. وبعد العدد الخامس تبدأ حدتو في الهيمنة الكاملة على المجلة تحريرا وتوزيعا .. ونقرأ على صفحاتها أسماء عبد العزيز بيومى . حسن عبد الرحمن . عبد المنعم الغزالى . زكى مراد . ابراهيم عبد الحليم . سيد خليل ترك . محمد يسرى أحمد . أحمد الرفاعى . خليم طوسون . عمر رشدى . محمد على عامر . ضياء الدين بدر . العزب شطا . صالح حلمى جاهين ( صلاح جاهين ) فؤاد حداد . صلاح حافظ . زهدى . انجى أفلاطون . حسن فؤاد وكلهم من كوادر حدتو بالاضافة الى أسماء سودانية مثل عوض عبد الرازق أحد قادة حستو ( الحركة السودانية للتحرر الوطنى ) .

كذلك يمكن القول ان « الملايين » كانت أول مجلة يسارية أفسحت صفحاتها لأبواب ثابتة عن الفن والرياضة وغيرها يحررها صحفيون محترفون ومتخصصون فباب الفن حرره عبد الفتاح البارودى أما باب الرياضة فقد حرره المستكاوى .. وكان هناك أيضا باب « تسمع وترى » الذى يستعرض الأفلام فى دور العرض المختلفة وباب « حظك » وهى أبواب جديدة تماما على الصحافة اليسارية عموما ..

وأيضا يمكن القول ان « الملايين » كانت المدرسة الجديدة للكاريكاتير السياسى المباشر وقد تألق فيها زهدى فى ميدان جديد تماما بالنسبة للصحافة المصرية عموما وبالنسبة للصحافة اليسارية على وجه الخصوص ..

كذلك تميزت الملايين باستخدام الصورة الفوتوغرافية بتعليقات لاذعة .. ففى العدد الاول نجد فى الصفحة الاولى صورة للقائد الامريكى ماك أرثر يرفع يده بالسلام .. والتعليق « السلام على كوريا » وصورة اخرى لتريجفى لى سكرتير الامم المتحدة وهو يشعل سيجارة لتيتو خلال زيارته ليوغسلافيا والتعليق .. « انه يشعلها » .

***

ويقول زهدى فى محضر المناقشة معه .. « كان عزام يريد الاستمرار فى اصدار المجلة ومصمم على الاستمرار لكن لم تبق لديه أى امكانيات مالية فتحملت حدتو عبء اصدارها وتحملت المسؤلية الرئيسية فى توزيعها فقد اتفق أحمد طه مع عدد من النقابات بعمل اشتراكات كثيرة تدفع ثمنها جملة ومقدما .. كذلك قام النقابيون من حدتو بالاسهام فى توزيع المجلة » .

وكان من الطبيعى بعد ذلك ان تفتح المجلة صفحاتها لنشر الانباء العمالية وخاصة أنباء نشاطات كوادر حدتو النقابية فى الحقل العمالى بل وتنشر مقالات عديدة بأقلامهم .

وقد أوشكت الملايين أن تخصص جزءا كبيرا من صفحاتها لنشاطين هامين من أنشطة حدتو في المجال النقابى كانا يعتبران نقطتا الارتكاز الاساسيتين لعملها النقابى ... عمال النسيج ، عمال النقل المشترك .

ونتخذ العدد الثامن عشر كنموذج .. ففيه نجد مقالا لضياء الدين بدر ( حدتو ) بعنوان « عمال العالم في حركة السلام » ثم نجد مقالين عن عمال النسيج « نحو نقابة لعمال النسيج بشبرا الخيمة » بقلم العزب محمد شطا ( حدتو ) و .. « نداء الى عمال النسيج الميكانيكى » بقلم محمد على عامر رئيس نقابة عمال النسيج الميكانيكى بالقاهرة وضواحيها ( حدتو ) ثم خبر عن اعتقال سيد خليل ترك سكرتير مؤتمر نقابات سائقى وعمال النقل المشترك ( حدتو ) وبرواز « عمال النقل المشترك بمدينة القاهرة يطالبون بتأميم وسائل النقل بمدينة القاهرة وهى شركات الترام .. الامنيبوس ــ الترو ، أى تصبح وسائل نقل شعبية تملكها الدولة بدلا من الاجانب الرأسماليين . فى ظل التأميم يتمتع الشعب بعناية الدولة خيرا من استغلال الشركات . طالبوا بتأميم وسائل النقل ففيه راحة لكم وأمانا على حياتكم وحفاظا لوقتكم واقتصادا فى أموالكم » ثم نص بيان صادر من اتحاد عمال النقل المشترك بالقاهرة يطالب بتأميم وسائل النقل .

وبعد ذلك « تعليق من الزميل أنور مقار سكرتير نقابة عمال المطاعم والفنادق بالقاهرة ( حدتو ) على ما نشره الاهرام من أن مصلحة السياحة تفكر فى الغاء نسبة الـ ١٠٪ التى تتقاضاها المحلات العامة لتوزيعها على العمال نظير الخدمة »(١١) .

ويبقى أن نقول أن ذلك كله كان فى عدد واحد من أعداد الملايين ومعه فى نفس العدد عديد من الاخبار والمقالات العمالية المختلفة ..

ولم يقتصر دعم حدتو على المساعدات المالية والاسهام فى التوزيع وضمان دعم وتأييد التجمعات العمالية والنقابية للجريدة فقد قدمت بالاضافة الى ذلك شبكة من المراسلين أمكنها أن تقدم خدمة صحفية هامة للجريدة وأن تربطها أيضا بمشاكل وجماهير الاقاليم .

ولنأخذ كمثال نفس العدد السابق العدد (١٨) لكى تكتمل لنا الصورة من خلال فحص عدد واحد ..

ففى الصفحة الثانية والتى كانت تضم بابى ( قبلى وبحرى ) و ( الى المحرر ) وكان يحررها عبد العزيز بيومى نجد أخبارا من مراسلين فى نجع

---

١١ ــ الملايين ــ ١٩ أغسطس ١٩٥١ .

خمنادى وقنا ومطوبس ودمنهور والمنيا وكفر الشيخ والحوامدية وبهناى ونلاحظ أن أغلب هؤلاء المراسلين كانوا من كوادر حدتو مثل مراسل الفيوم ( حلمى رمضان ) ومراسل دكرنس ( محمد أحمد طه ) الخ . .

وبمناسبة المراسلين فاننا نلاحظ خطأ وقع فيه محررو الملايين اذ كانوا ينقلون العديد من أخبار السياسة الدولية من المجلات الاجنبية ومن وكالات الانباء ثم ينسبونها الى « مراسل الملايين الخاص » .

وتمادى محررو الملايين فى المبالغة الى درجة ملفتة للنظر . . ففى عدد واحد هو العدد السابع عشر نجد فى صفحة واحدة منه هى الصفحة الاولى أخبارا وتعليقات منسوبة الى مراسلى الملايين فى كل من دمشق ! طوكيو ، الخرطوم ، عمان ، باريس ، برلين . وفى الصفحة الرابعة نقرأ لمراسلى الملايين فى الجزائر وباريس وروما وبوخارست !

***

وقد ظلت الملايين تصدر كل أحد حتى العدد السادس عشر فبدأت تصدر كل اثنين (١٢) أما كيف تحولت « الملايين » من مجلة وطنية معادية للاستعمار يحررها مأمون الشناوى وحسين فهمى الى مجلة يسارية يحررها كوادر وأعضاء حدتو . . فان لذلك التحول قصة يرويها لنا شاهد عيان هو الرسام زهدى الذى يقول « كان هناك اتفاق بعد صدور كل عدد نأخذ يوم أجازة ثم نجتمع فى اليوم التالى لمناقشة العدد السابق ونعد العدد التالى . . لكن مثل هذه الاجتماعات لم تنتظم كان أحمد صادق عزام وحسين فهمى يختفيان يوم الاجتماع . . . وبدأت الخلافات بعد ثلاثة أو أربعة أعداد وكان الشخص المسؤول عن الادارة قد بدد ميزانية الملايين » .

ويكمل زهدى القصة « أخيراً وتحت ضغط شديد عقدنا اجتماعاً حضره حسين فهمى وكان المفترض أنه رئيس التحرير الفعلى ولم يحضره مأمون الشناوى لأنه لم يكن يحب المشاكل ولانه أحس أن المجلة توشك أن تغير اتجاهها . . والخلاف كان سياسى . . وفوجئنا بأناس غرباء يحضرون الاجتماع أحضرهم صلاح حافظ بالاتفاق مع عزام . . وفهمنا أن هؤلاء الأشخاص أعضاء فى منظمة سرية ستسهم فى اصدار المجلة أذكر منهم محمد على عامر وجودة سعيد الديب وحوالى ثمانية آخرين . . وتحدث هؤلاء عن ضرورة تغيير سياسة المجلة وأبدوا حماسا للكتابة والتوزيع وعمل اشتراكات

١٢ ــ الملايين ــ العدد السابع عشر ــ ٢٤ أغسطس ١٩٥١ .

جماعية فى الجريدة .. وأعلن حسين فهمى اختلافه .. وانسحب من الجريدة » .

ولعل انسحاب مامون الشناوى وحسين فهمى كان أمرا طبيعيا ليس فقط للسبب السياسى الواضح وانما أساسا للسبب المهنى البحت الذى يرفض من أجله صحفى مرموق أى تداخل لعناصر غير صحفية فى ادارة وتحرير جريدة من المفترض أنه رئيس تحريرها ..

وعلى الاقل هكذا يصور زهدى الامر .

وعلى أية حال ومنذ العدد السادس ( لأن العدد الخامس ليس بين أيدينا ) نلاحظ تغييرا ملحوظا فى خط الجريدة وفى أسلوب تحريرها ونلاحظ وبكثرة أسماء قيادات وكوادر حدتو عبر معظم صفحات المجلة . كما نلاحظ اختفاء الاسماء الصحفية اللامعة مهنيا والمعتدلة سياسيا مثل مامون الشناوى وحسين فهمى كذلك اختفاء كتاب غير يساريين مثل سيد قطب وراشد البراوى وغيرهما ... وباختصار لقد أصبحت الملايين شيئا آخر ..

***

وقبل أن نختتم هذه المقدمة نود أن نشير الى حملة ضارية شنتها الصحف الرجعية المحلية والاستعمارية على الملايين وقد كانت حملة عنيفة مليئة بالافتراء والتحريض ..

ويعلق أحمد صادق عزام فى افتتاحية العدد الثانى عشر على هذه الحملة تحت عنوان « مراسلوا الجرائد الاستعمارية جواسيس يجب طردهم » .. « تحدثت جريدة التيمس المعروفة الاستعمارية فى افتتاحية لها عما أسمته الدعاية الشيوعية فى مصر ومضت فى تحريضها وتكهناتها فقصت قصة حملة منظمة بدأت فى أواخر ابريل الماضى وأشارت الى صحيفة أسبوعية جديدة تصدر فى اثنتى عشرة صفحة وليس فيها الا اعلانات قليلة ومن الواضح أن صدورها هذا مغامرة باهظة الثمن ومن الواضح أن تحديد أواخر ابريل فى نظر الجريدة المأفونة لبدء الحملة الشيوعية وهو الموعد الذى صدر فيه أول عدد من صحيفتنا ، ثم الحديث عن الصحيفة التى تصدر فى اثنتى عشرة صفحة وليس فيها الا اعلانات قليلة .. يحدد أن هدف الحملة الاساسى وهى جريدة الملايين وجريدة الملايين بالذات » .

وبعد هذه المقدمة يتساءل صادق عزام « ماذا يريد هذا المراسل الجاسوس الخائن ؟ » ثم يمضى قائلا « طبعا لهذا الجاسوس الاستعمارى أن يغضب كل الغضب للحملة على جرائم البوليس السياسى فالبوليس السياسى جهاز من الاجهزة الاستعمارية التى نكبت بها مصر . الحقد يأكل نفس

هذا المراسل المجرم الذي يتطاول على مصر والمصريين عندما يتحدث عن الحذق والمهارة التي تحرر بهـا جريدتنا الوطنية وزميلتنا الكاتب ويشتم الانسان من خلال هذا الحديث رغبة حرى في استعداء الحكومة المصرية على هاتين الصحيفتين وكأن الحكومة المصرية كانت تنقصها افتتاحية الديمس كي تسبب لنا المتاعب التي لا تنقطع والتي تظن بهـا انها سترجعنا عن غينا .. ولقد صممنا تصميما قاطعا على أن نواصل الطريق الى نهايته فنحن لا نعرف مع الاستعمار تهادنا ولا استسلاما ثم ماذا يقصد هذا المتطاول عندما يصف كفاحنا الوطنى بأنه حملة على كل شئ اللهم الا الاتحاد السوفيتى ؟ .. ماذا يريدنا أن نقول في هذه الدولة الصديقة التى وقفت من قضيتنا موقف الناصر الحقيقى عندما عرضت هذه القضية فى مجلس الأمن .. ماذا يريدنا أن نقول فى الاصدقاء الذين لم يحتلوا أرضنا ولم يستعمرونا .. هل يريدون منا أن نكون بلهاء فنتنكر لصداقتهم ونعقد معاهدة دفاع مشترك أو حلف عسكرى اتفق معظم باشواتنا على وجوب عقده واستعدوا لذلك لولا خوفهم من بطش هذا الشعب الذي استيقظ ولم يعد ينسى أو يغفر لأحد » .

ويواصل عزام هجومه المضاد قائلا « الحذق والبراعة اللذان يأكلان صدر هذا الجاسوس الاستعمارى هما الوعى الذى وصلنا اليه لاننا كنا جادين صادقين فى محاربتنا للاستعمار وفى الوصول الى مخرج من براثنه والقضاء عليه قضاء مبرما » .

ويختتم عزام افتتاحيته قائلا « هذا الجاسوس يجب أن يطرد . ولسنا نحن الذين نعيش على حساب أحد وانما هم الذين يعيشون على حساب الاستعمار أما نحن فنستمد قوتنا من الشعب الذى آلينا على أنفسنا أن نعيش من أجله وأن نموت من أجله »(١٣) .

***

وأمامنا بعد ذلك أن نتابع رحلتنا عبر صفحات الاعداد الثلاثين التى تتكون منها المجموعة الاولى من مجلة الملايين ..

ولعله من المنطقى أن نبدأ بمتابعة الاعداد الاربعة الاولى والتى يفترض أنها صدرت كمجلة وطنية معادية للاستعمار وأن التواجد اليسارى فيها كان مجرد تواجد لشاب يهوى الصحافة ولم يزل طالبا فى كلية الطب هو صلاح حافظ أو توجه اجتماعى عام دونما تميز يسارى أو ماركسى محدد .

---

١٣ ـ الملايين ـ العدد الثانى عشر ـ ٨ يوليو ١٩٥١ .

ثم نواصل بعد ذلك دراسة الاعداد من السادس وحتى الثلاثين وهى الأعداد التى يفترض أن نفوذ جدتو السيادى والتحريرى قد بدا واضحا تماما فيها ..

فالى الاعداد الاربعة الاولى .. أما مانشتات العدد الاول « وزير يهدد بالانتحار فى اجتماع اللجنة الوزارية » و « صلاح الدين لا يستقيل بعد ٦ مايو » .

ونلاحظ أن الملايين قد قدمت أسلوبا صحفيا جديدا فى ابراز المانشيت .. بن استخدمت اللونين الاحمر والاسود فى كتابة سطر واحد من المانشيت .. ففى « صلاح الدين لا يستقيل بعد ٦ مايو » نجد أن « لا » قد طبعت باللون الاسود بينما بقية المانشيت مطبوع باللون الاحمر .

أما العناوين الفرعية فى الصفحة الاولى فهى « تصريح خطير لآية الله كاشانى منعته وكالات الانباء فى مصر .. الشعب هو الذى قتل رازمارا ويجب الافراج عن القاتل » .

وعنوان آخر « رئيس حركة السلام يرفض مقابلة تريجفى لى .. سكرتير الامم المتحدة يجيب على أسئلة الملايين .. هل أنت مجرم حرب وذيل للأمريكان ؟ » .

وعنوان فرعى آخر : « مطلوب من الموظفين الا يموتوا قبل صدور قانون التثبيت » .

أما الافتتاحية وعنوانها دائما « حديث الملايين » فمكانها ليس فى الصفحة الأولى وانما فى السادسة .. ويتقدم فيها صادق عزام جريدته « هذه هى الملايين » .. « ان الطريق أمامنا ليس مفروشا بالورد والرياحين ولكنه طريق كفاح ، يومه هجير وعرق وجهاد ، وفى مهب العاصفة تقف الملايين فى طريق خضناه ونحن نعلم أنه ملغم بالشوك وبالجمر وشظايا الزجاج ، طريق الشعب الجائع العارى الحافى . والذين يسهمون بأقلامهم وجهوداتهم فى صحيفة الملايين يؤمنون معى بأن العدالة الاجتماعية لن تسفر عن وجهها للشعب الا اذا وجدت النوافذ التى تطل منها ، والملايين احدى هذه النوافذ ، والطريق الى بقاء النافذة مفتوحة طريق شائك كما قلنا لانه لا يوجد فى مصر طريق معبد الا الطريق الذى يؤدى الى الحكم أو الى الحكام وليست وجهتنا الحكم ولا الحكام هدفنا الوحيد الذى من أجله صدرت الملايين هو الدفاع عن الملايين من المصريين المعذبين وحقهم فى أن يعيشوا كبشر له كيانه .. فى مصر تخمة وجوع ، وسياسة الملايين هى أن تنقذ الأغنياء من التخمة . وأن تنقذ الفقراء من الجوع ، فى مصر مساومات حول

الاستقلال ، وسياسة الملايين هى أن تفصح عن وعى الشعب وايمانه بأن استقلال الامم لم يكن ذات يوم وليد مفاوضات ومباحثات ، فى مصر تخنق للحريات ، وسياسة الملايين أن تقف فى سبيل كل تشريع يمس الحريات لانها تؤمن بأن الحريات وعلى رأسها حرية الرأى لا تقوم بغيرها نهضة ولا يكتمل بدونها وعى ولا يتحقق عن غير طريقها استقلال ، ان جريدة الملايين ستؤدى رسالتها لانها ستدافع عن الحق والحق اسم من أسماء الله . »(١٤) .

واللفت للنظر هو هذه النكهة المفعمة بالتحدى الاجتماعى .. وهى وان لم تبرز فيها معانى الصراع الاجتماعى بمفهوم اليساريين فى هذا العصر فانها توحى بفهم صحيح للربط بين مشاكل الوطن الثلاث التحرر الوطنى والتحرر الاجتماعى ومعهما حرية الرأى والقول وترابط هذه القضايا معا فى كل موحد ..

وهذه نظرة بالغة الرقى فى فهم هذه المشكلات معا وفى فهم كل منهما على حدة ..

وتتواصل الملايين تركيزها على هذه المحاور الثلاثة وتواصل ربطها معا فى معركة متكاملة وفى الصفحة الثالثة من العدد الاول « ٨٣٪ من المصريين يرفضون مفاوضة الانجليز . البوليس السياسى يحاول منع الاستفتاء القبض على أحد المندوبين » هذه هى العناوين أما الموضوع « الحكومة المصرية تمثل الشعب المصرى وهى الان مشغولة بالبحث عن طريقة تصافح بها الانجليز ومع ذلك فقد أجاب فى الاسبوع الماضى ٨٣٪ من أفراد الشعب المصرى الذين استطاعت الملايين أن تلتقى بهم بأنهم يرفضون على الاطلاق وضع أيديهم فى أيدى الانجليز ، وذعرت الحكومة ، كان من الصعب علينا أن نفهم كيف يجوز أن يجرى استفتاء ديمقراطى لا يشرف عليه رجال الادارة ولا تتحكم فى الاجابة عليه أطنان القروش وحيل السماسرة .. وهكذا فوجئنا فى اليوم التالى بزيارة كريمة من ضابطين من ضباط القلم السياسى وقال الضابطان هل صحيح إنكم تقومون باستفتاء الشعب ؟ قلنا نعم فقال الضابطان أنهما يريدان الاطلاع على موضوع الاستفتاء فأعطينا كل منهما ورقة ثم سألنا .. هل هناك اعتراض على الموضوع وهز الضابطان رأسيهما ثم نهضا وانصرفا وفى هذه الاثناء كان أحد مندوبينا معتقلا فى قسم شبرا بتهمة توزيع منشورات شيوعية والمنشورات المقصودة هى أوراق الاستفتاء التى لا تحمل أكثر من السؤال البسيط ( هل تضع يدك فى يد الانجليز ؟ ) .

---

١٤ ـ الملايين ـ ١٩٥١/٤/٢٢ .

« أما الشعب المصرى فقد وقف من الاستفتاء موقفاً يختلف عن موقف الحكومة المصرية وقال ٨٣٫٠٧٪ انهم يرفضون على الاطلاق مصافحة الانجليز وقال ٢٫٨٪ انهم يرفضون ويقبلون فى نفس الوقت لان لكل من الموقفين فوائده ومزاياه وقال ١٠٫٢٪ انهم يقبلون بلا قيد ولا شرط تماما كالحكومة المصرية ورفض ٣٫٧٪ أن يجيبوا على السؤال . وقد وزعت الملايين ٥٠ ألف سؤال وتلقت ٤٦٠٦٤ جوابا » .

. أما « طلقة » مأمون الشناوى فتقول « ان صمت رئيس الوزراء وابتسامة صلاح الدين ولباقة ابراهيم فرج وفصاحة فؤاد سراج الدين لن تخرج الانجليز من مصر ، فان المفاوض الانجليزى ليس مغفلا حتى يهون عليه فراق مصر التى قدمت للجيوش البريطانية مواردها ومرافقها ولم تضن عليهم بشىء الا بالعرى وبالجوع وتسلمت شيكا بخمسمائة مليون جنيه على بنك لا رصيد فيه وحتى لو لم يكن لمصر موقعها الاستراتيجى الخطير فان الابتسامة واللباقة والفصاحة ليست من مواد التموين التى تفتقر اليها جيوش الاحتلال فى القنال ، لو فعل رئيس الوزراء ذلك لآمنا نحن المصريين بان رفعته .. كان بطلا .. وظل بطلا » .

وتواصل الملايين هجومها على الانجليز ومشاريع الدفاع المشترك وتفتح صفحاتها لتصريح لعبد الحميد عبد الحق باشا يقول فيه « كل ما يقال عن المقترحات البريطانية سواء أكان فيها دفاع مشترك أم دفاع غير مشترك لا يعنى المصريين بقدر ما يعنيهم أن يعرفوا ان الانجليز يعملون من وراء هذا الى تحقيق غرضين اساسيين أولهما : اتخاذ كل ما يلزم لضم مصر الى الكتلة الغربية واعلان ذلك صراحة فى وجه روسيا ، وثانيهما الحيلولة دون تدخل روسيا فى الشرق بأية وسيلة كانت .. » .

وبعد أن يؤكد عبد الحميد عبد الحق أن الانجليز لا يريدون تسليح مصر بأى حال من الاحوال يقول « ولهذا فاننى أعارض أشد المعارضة اعتماد ملايين الجنيهات لوزارة الحربية والبحرية بغرض التسليح لان جزءا منها يدفع ثمنا لخلفات حربية بريطانية والجزء الاخر يدخل جيوب السماسرة » .

وتلاحق الملايين السياسة الاستعمارية البريطانية فى كل مكان « بريطانيا هى السبب فيما تعانيه ايران » . « وجه مراسل جريدة الديلى اكسبريس عدة أسئلة الى الزعيم الدينى الايرانى آية الله كاشانى وقد تعمدت وكالات الانباء اغفال نشر اجاباته فى مصر والدول العربية واليكم نص اجابته : لا رهبانية فى الاسلام ومن أهم واجبات رؤساء ديننا التدخل فى الشؤون السياسية والاجتماعية لتحرير أوطانهم وللدفاع عن مصالح الشعب .. سيواصل الشعب أعماله التأديبية اذا استمرت خيانة الحاكمين ولا توجد

لأن شعوب لا تهب للدفاع عن حقوقها ورد المستعمرين .. لا أعرف شيئا عن الاستعمارية الروسية ولكننى أعرف جيدا أن الانجليز هم السبب فى كل ما تعانيه بلادنا من فقر وفساد وذلك بتدخلهم فى شؤوننا الداخلية وبحمايتهم للخونة من رجال حكوماتنا » .

ثم تستعرض الملايين كتابا هاما يفضح المخطط الاستعمارى الذى وهبت الملايين العديد من صفحاتها لمقاومته .. أما الكتاب فهو « آبار القوة » للمؤلف الانجليزى أولاف كارو وأما المحرر الذى يعرضه على صفحات الملايين فهو الدكتور راشد البراوى .. الذى يتخذ لموضوعه عنوانا مثيرا «الزلزال» الذى يعصف بالشرق الاوسط . كاتب انجليزى يفضح المؤامرة » ويتحدث الكتاب عن أهمية بترول منطقة الشرق الاوسط للمصالح الاستعمارية وعن اتفاق القوى الغربية على اقامة نظام دفاع مشترك لحماية هذه المصالح . ويقول فى أحد نصوصه « اذن فمن المتعين فعلا حماية هذه الثروة وهذه هى الحقيقة التى لا يجب اخفاؤها وذلك عن طريق نظام دفاعى يربط البلاد المنتجة للبترول والتى تمر أنابيبها عبر أراضيها » .. « وتقول الخطة بما يلى : ١ ـ عقد ميثاق بين دول الاقليم الممتد من الخليج الفارسى حتى ساحل البحر المتوسط الشرقى ـ ٢ ـ ادماج اسرائيل فى هذا الميثاق فيعقد العرب الصلح معها ويعترفون بها ولعل عدوانها الاخير نوعا من الضغط لإيحاء الى الدول العربية بالعمل على نيل ضمان حقيقى من الدول الغربية . ٣ ـ عقد معاهدة دفاع مشترك جماعية مع الدول ذوات المصالح فى الاقليم » .

وهكذا تواصل الملايين ضرباتها للمخطط الاستعمارى وتفضح معه أيضا محاولات ادماج اسرائيل فى ميثاق الدفاع المشترك بعد أن يعقد العرب صلحا معها ..

بل انها تشن هجوما تفضح فيه المتعاملين مع اسرائيل من العرب .. « سيبحث مجلس جامعة الدول العربية فى اجتماعه فى القاهرة يوم ٢٨ أبريل الحالى مسألة احكام الحصار الاقتصادى حول اسرائيل لمنع تهريب المواد الغذائية وغيرها ، بعد أن تبين أن عملية التهريب مازالت مستمرة بواسطة شخصيات عربية معروفة يدفعها الى هذا العمل الدنىء ما تصيبه من أموال طائلة وثراء فاحش » .

أما الشق الثانى من المعركة فهو الدفاع عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية للمواطنين مرتبطا أيضا بمعركة النضال ضد الانجليز .. « انجلترا تحارب مشروع الحد الادنى للأجور » .. « ما من مشروع عمالى أو تعديل جديد فى نظم الضرائب فى مصر الا وتتناوله الغرفة التجارية الانجليزية بالنقد أو المعارضة السافرة لكل اصلاح أو تجديد وقد نشرت

جريدة الغرفة أخيرا نقدا لاذعا لمشروع قانون الحد الادنى للاجور زعمت فيه أن أعباء هذا المشروع ستكون شديدة الوطأة على اقتصاديات البلاد »

وموضوع آخر « مطلوب من الموظفين ألا يموتوا قبل صدور قانون التثبيت » .. « أيها الموظفون حذار أن تموتوا الآن . فالتثبيت موقوف . وقانون التثبيت الجديد لم يصدر بعد ، ليس لكم أن تموتوا أيها الموظفين وعليكم أن تصونوا حياتكم وعافيتكم من القضاء والقدر .. عيشوا أيها الموظفون على الرغم منكم بل عيشوا أيها الموظفون على الرغم من القدر فمحتوم عليكم أن تعيشوا حتى يصدر قانون التثبيت فينظم لكم ولاسركم العاجزة من بعدكم أسباب الحياة » .

ودفاعا عن حرية المواطنين تشن الملايين حملتها ضد البوليس السياسى مدافعة عن المصريين الذى أسقطت عنهم الجنسية المصرية ( وأغلبهم من الشيوعيين ذوى الاصل الاجنبى ) مقابل الافراج عنهم من المعتقلات حيث خيرهم بين الاعتقال وبين الرحيل عن وطنهم الى غير رجعة وقد اضطر بعضهم الى التوقيع على أوراق ومنحوا تذاكر للخروج من مصر دون عودة .. فهل يعلم وزير الداخلية هذا ؟ وهل يعلم أن البوليس السياسى فى مصر يملك سلطة اصدار أوامر تقوم مقام المراسيم ؟ » .

وقد يكون غريبا أن تفتح الملايين صدرها لسيد قطب كى يكتب فى عددها الاول تحت عنوان « وطن ينهار » نحن أمة تنهار وهى تتحدث عن الجلاء والوحدة . أمة تعيش فى عهود الاقطاع وهى تتحدث عن الدستور والبرلمان ، أمة تموت من الجوع وهى تقيم المعارض والتماثيل ، أمة تشرب من وحل البرك وهى تنشىء حمامات السباحة فوق سطوح العمائر . أمة فى النهاية تدخن الحشيش وهى تحلم بزعامة العرب أو زعامة الاسلام . ان الامة التى يبيع أطباؤها الادوية فى الاوبئة للقادرين ويتركون المحرومين يناوشهم الفناء . ويبيع ضباطها أرواح الجنود فى الميدان لقاء بضعة الألوف من الجنيهات تشترى بها فيلات للعشيقات . الامة التى تهرب تموينها الى أعدائها وتجوع والتى تنتهى الى ان يصبح الاستثناء فيها هو القانون والرشوة هى العرف السائد والمحسوبية هى طريق الوصول . هذه الامة فى حاجة الى أن تتحدث عن أشياء أخرى غير البرلمان والدساتير وغير التمثيل السياسى والقنصلى وغير المحافل والمعارض .. فهى فى حاجة لان تنظف الدار وتبحث عن لقمة من الخبز وجرعة من الماء النظيف والا فلتعرف لنفسها طريقا آخر لادارة شئونها غير هذا الطريق المظلم الكليل » .

ويختتم سيد قطب مقاله النارى صارخا « نحن أمة تنحدر وتتهاوى وتنهار . أيها الجمهور الذاهل أفق واصنع لنفسك شيئا قبل أن تموت »

وإذا كان غريبا أن يكتب سيد قطب أحد قادة الإخوان المسلمين في مجلة كالملايين فالأكثر غرابة أن تكتب الملايين مديحا في الاخوان المسلمين : « الاخوان المسلمون مجاهدون » هكذا يكتب « حسان » ... « أن قضايا الاخوان المسلمين التي عرضت على القضاء أخيرا قد أزاحت الستار عن حوادث مروعة للارهاب والضغط وخنق الحريات والتنكيل بالابرياء والمتاكين ومعنى ذلك في صراحة ووضوح ان الإخوان المسلمين قد استهدفوا لدعايات ظالمة وحملة تنطوي على غير قليل من المبالغة والتهويل فواجب المسؤولين اليوم أن يدركوا هذه الحقيقة وأن يفتحوا عيونهم بعد هذا الظلام الحالك الذي قذف بالاخوان فيه على حقيقة أخرى هي أن الاخوان المسلمين أصحاب عقيدة وايمان وأنهم في جهادهم ووطنيتهم صورة رائعة من صور الكفاح ضد الإستعمار .. الإستعمار الذي يقبض بيد من حديد على ملايين العرب والمسلمين » .

ويبدو أن الامر لم يكن مجرد مصادفة فالملايين تبدأ من عددها الأول حملة من أجل توحيد ما أسمته قوى الوعي الجديد .. « أحمد حسين .. فتحي رضوان .. صالح عشماوي متفقون ولكن » .. « تحدثت الملايين الى ثلاثة من رؤساء حركات الوعي الجديد هم الاساتذة أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي وفتحي رضوان رئيس اللجنة العليا للحزب الوطني وصالح عشماوي وكيل جماعة الاخوان المسلمين وضعت الملايين أمام كل منهم هذه الأسئلة :

١ ــ ما وجه الخلاف بين برنامجكم وبرنامجي الهيئتين الآخريين ؟

٢ ــ الا ترون أن قيادة الوعي الشعبي تقتضي تكتل قادة الوعي الجديد الى حين بلوغ مدى معقول من الطريق على الأقل ؟

٣ ــ اذا كان قادة الحركات الواعية الجديدة ينهجون بالتحزب منهج القادة القدامى فما جدوى الدعاء الجديد ؟

وقبل أن نستعرض الاجابات يهمنا أن نتوقف أمام بعض الملاحظات :

ــ فالدعوة ليست الى « جبهة » وانما الى « وحدة » كما يتضح من الأسئلة .

ــ كذلك هناك عبارات مطاطة تطمس الفروق الواضحة بين الجماعات مثل « قادة الوعي الجديد » « الحركات الواعية الجديدة » « الدعاء الجديد » « القادة القدامى » .

ــ الدعوة أيضا ضد التحزب واعتباره منهج القادة القدامى .

- الفارق غير الواضح بين الجديد والقديم .

- انهـا دعوة غير واضحة وغير ناضجة وربما أيضا غير واعية .

أما اجابات قادة الوعي الجـديد فهى « أحمد حسين .. لست أرى آى مصـلحة تعود على أحـد فى مصر بأن تظـل الحركات التى تصفها بأنهـا واعية متابعدة عن بعضها وغير متعاونة لست أفهم هذا الوضع ولا أستسيغه بأى حال من الاحوال ولا أتصور الا أن تكون المصلحة العـامة هى رائدة . فتحى رضوان .. تعتبر اللجنة العليـا أن بينها وبين الاشتراكيين والمفكرين الاسلاميين قرارا مشتركا وهو العمل على تحرير البلاد .. اننـا نحن الوطنيين لا نتحزب بل نعتبر حزبنـا هو الامة . صالح عشماوى .. تقـوم فكـرة الاخوان المسلمين على برنامج تستمده من الاسلام وترتكز على قواعده وتعاليمه وفى هذه التعـاليم ما يغنى عن غيرها من المبادىء التى يستحدثها البشر » .

وهكذا كانت الاجابات أكثر وعيـا ووضوحا من الاسئلة ومن السائل .

وتواصل « الملايين » انتقاداتها اللاذعة للأوضـاع السائدة منتهزة أية فرصة متاحة .

وتحت عنوان « تليفون الملايين » نقرأ « لو كانت جريدة الملايين فتاة من فتيـات الكباريهات أو كانت جريدة الملايين راقصة خليعة أو كـانت الملايين غانية لعوبا تأكل من ثدييهاأوكانت فى احدى جارسونيرات القاهرةالعديدة المنتشرة فى كل مكـان لاسرعت جهـات الاختصاص تلبت طلب الملايين فى تليفون بل فى عشرة تليفونات .. لكن جريـدة الملايين ليست شيئا كهذه الأشياء » .

أما صفحة الفن فتحتوى على برواز فى أعلى الصفحة بعنوان « كلمة » .. « فى مصر كتبة حسابات يعرفون جيدا كيف يحسبون ثمن الفيلم الخام وأجور التخت الموسيقى وتكـاليف الاضاءة والكومبارس ثم يخرجون من عمليـات الجمع والضرب والطرح بالقرار الذى يضمن لهم اضافة طابق جديد الى أكتـاف العمارات القديمة التى يملكونها ومع ذلك فالملايين تسمى هذه الصفحة صفحة الفن لانهـا تريـد أن تسبغ على كتبة الحسابات اسـم الفنـانين ولكن لانها تامل - ومن يدرى - أن تقنعهم ذات يوم وشيئا فشيئا بأن يتحول كل منهم الى فنان . فنان يفكر وينفعل ويعبر ويجهـل مبادىء الحساب » .

وكان كل ما سبق استعراضا للعدد الاول ولعلنـا أطلنـا بعض الشيء عن عمـد حتى نعطى الفرصة للتعرف على هؤلاء الذين خاضوا معركة اصدار

الملايين والتعرف الى كل آرائهم ومواقفهم من مختلف القضايا • وبعد ذلك • • يمكننا أن نحث الخطى ونحن نستعرض الاعداد الثلاثة الاخرى • •

مانشتات العدد الثانى أكثر دلالة

- مؤامرة استعمارية ضد نقابات العمال المصرية

- النحاس باشا ممنوع من السفر الى الخارج •

- الانجليز يهددون بعودة عبد الهادى •

ثم عنوان فرعى « تهديد رهيب بقتل السجينات السياسيات »

وبرواز أعلى يمين الصفحة الاولى « لم تبد بعض المراجع ارتياحها الى تفكير النحاس باشا فى السفر الى الخارج لقضاء الصيف » • وبرواز آخر « عبود باشا يتوسط » « قلنا ان سعادة عبود باشا يعتزم السفر الى لندن قريبا وقد علمنا أن مهمة سعادته هناك لن تقتصر على الاعمال الاقتصادية التى تتصل بشركاته بل تتضمن القيام بمهمة سياسية خاصة هى التوسط لتخفيف حدة النزاع بين الطرفين المختلفين • • الوفد والانجليز »

أما الافتتاحية فتوحى بذاتها أن علاقة الملايين باليسار لم تعد مجرد علاقة مع طالب يهوى الاشتغال بالصحافة فثمة روابط بدأت تتكون بين الملايين وبين حدتو وكوادرها ومصادر أخبارها فقد خصص أحمد صادق عزام « حديث الملايين » للتعليق على رسالة السجينات السياسيات »

« موجة الارهاب مستمرة فى كل عهد والرسالة التى نشرتها الملايين فى هذا العدد والتى وصلتنا مهربة من سجن مصر دليل قاطع على أن مصر لا تحكمها وزارة النحاس بل تحكمها وزارة أخرى أعضاؤها من رجال البوليس السياسى وحكومة النحاس التى قالت وقيل أنها جاءت لتطهر الحكم من جرائم السعديين والدستوريين وتقضى على فظائع الارهاب لا يمكن أن تكون هى نفسها التى أمرت بدفن السجينات السياسيات فى كهوف بلا نوافذ وفوق الاسفلت ولا هى التى أمرت بسرقة المسجونين من السجن ونقلهم الى قنا وأسوان حيث يقتلون فى الظلام بعيدا عن أنظار الشعب وبقية شعوب العالم المتحضر . حكومة النحاس اذن ليست هى التى أمرت بذلك لان حكومة النحاس ليست فى الواقع هى التى تحكم مصر ، فان فى مصر قبضة أخرى أقوى من الحكومة ومن الحكام ، قبضة تبسط ظلها على أرض مصر فتعصر بين أصابعها شعب مصر ، قبضة البوليس السياسى • • ان الحكومة المصرية لن تحاول تحت اشراف البوليس المصرى أن تغتال الشعب المصرى • • لكن الحكومة لن تستطيع أبدا أن تقتل الشعب لان الشعب أجيال والحكام أعمار » •

ونلاحظ على الافتتاحية أمرين :

ـ أولهما حماس رئيس التحرير للدفاع عن السجناء الشيوعيين ·

ـ ثانيهما هذا النقد العنيف لحكومة الوفد ·

أما الرسالة التى أثارت هذا التعليق العنيف فان الملايين تنشرها وتعلق عليها قائلة « من وراء القضبان ومن خلال الفضاء الاسود المسمى بالسجن ترتفع أصوات أمهات وأخوات وبنات أدركتهن حرية الرأى فزجت بهن فى غياهب السجون ·· وهذه رسالة خطيرة أفلتت بأعجوبة من رقابة السجن ورقابة البوليس السياسى ورقابة البريد ووصلت الى الملايين ونحن اذ ننشر هذه الرسالة انما نوجهها بنوع خاص الى أحزابنا النسائية لنقول لها لكى تدافعى عن حقوق المرأة يجب أن تدافعى عن كرامة المرأة ، ولكى تطلب المرأة المصرية المساواة بالرجل يجب أن تطلب مساواة السجينة السياسية بالحيوان المفترس الاسير ولا نقول بالقتلة وسفاكى الدماء من المجرمين فى السجون المصرية ·· » ·

وأيضا ·· يواصل سيد قطب الكتابة بأحرف حادة قاطعة « أمة من المتعطلين » ·· « نحن أمة لا تتقدم لاننا أمة لا تعمل ولا تنتج ·· أمة من المتعطلين ، أمة تنام على الذهب وتتسول ، أمة مواردها تكفل الحياة لخمسين مليونا وهى لا تقدر على اطعام عشرين ، أمة تملك أن تتحرر من قيود الاستعمار وهى تستجدى بالمفاوضات كالشحاذ الذليل · أمة تستطيع أن تمسك بيدها ميزان التوازن بين الشرق والغرب ولكنها ترضى بالهوان الذى يأنف منه العبيد ! لماذا ؟ لان حفنة من أصحاب الكروش تريد أن تعيش وتهب الموت للملايين · لان الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية تطحن الملايين وتحيلهم فتاتا ورمادا تحت أقدام العشرات المحظوظين ، لأن الاستعمار ضرورى لحماية هذه الحفنة من مصاصى الدماء · لان الشعب لا حساب له فى أداة الحكم ولا أداة الرأى ولا أداة التشريع » ·

ويمضى سيد قطب فيوجه ضرباته الى جذور النظام الاجتماعى من أساسها « هذه التشريعات التى تقيد الحرية لمصلحة من تسن ؟ ولحساب من تصدر ؟ هذه الملاينة مع الاستعمار على أى أساس تقوم ؟ ولمصلحة من تستمر ؟ لست أعنى عهدا دون عهد ولا وزارة دون وزارة ولا رجالا دون رجال ·· ان جهاز الدولة كله فى كل عهد لا يعمل لحساب الملايين بل لحساب الحفنة القليلة من الباشوات والمستغلين » ·

ثم هو يؤكد بعد ذلك « ان المعجزة التى تنقذنا من هذا الهوان لن تأتى لنا من السماء ، ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ·

وأخيراً يقـول « اذا فكرنا فى أن نطلب الاستقلال فيجب أن نتذكر انه ليس من مصلحة تلك الحفنة من المستغلين أن نستقل لانهـا لا تعيش الا بحماية الاستعمار ».

أما « طلقة » مأمون الشناوى فهى موجهـة ضد « القوانين التى تقيد حريات الشعب .. تقتحم حرمة البرلمـان . وتخرج منهـا مزودة بالتأييـد والتصفيق وهذه القوانين هى قضبان القفص الكبير الذى يوضع فيه اليـوم شعب مصر .. هكذا أصبح الشعب بفضل القوانين التى سنتها حكومته يسير طبقـا لنظرية النشوء والتطور سيرا عكسيا ، يقلب النظرية رأسا على عقب أعنى أنه اذا كان الإنسان قردا كما يقـول داروين ، فان المصريين وقـد كانوا بشرا أصبحوا اليوم قرودا بفضل أقفاص القوانين الرجعية .. وتتقدم بعـد ذلك حكومة مصر الى حكومة انجلترا للتفـاهم على معاهدة صداقة بين شعب من القرود وشعب من البشر الاحرار كالانجليز وتفشل المباحثات لان وجهـات النظر لا يمكن أن تتلاقى بين البشر والقرود .. أما حراس الاقفـاص وهـم الوزراء فانهم فى حكم القـانون المصرى آلهـة لا يسألون عما يفعلون » ..

وهكذا نجـد أنفسنا أمام « مامون الشناوي » آخر غير الذى نعرفه . ان التقـاء الرجل مع الملايين قـد صنع منه شخصاً آخر . يواصل حديثه قائلا « والذين عاشوا فى عهـد ابراهيم عبد الهادى الرهيب يدركون تماماً كيف تفنن هذا الرجل فى تعذيب نفر من أبناء هذا الشـعب فلما خـرج من الوزارة أحيط الاله المطرود بجنود الحكومة ليحموه من غضب الشعب عليه ومن كفر الشعب به سبحانه . اننـا لا نتعجل قانون محاكمة الوزراء لانـه قانون خيـالى فليس من المعقول أن يفتل رجال الحكومة حبالا لاعناقهم .. ولكننـا نطـالب بقانون متواضع يمنع حراسة الوزراء السابقين ويومها لن تجـد مصر وزيرا واحـدا تحدثه نفسه بالاجرام فى حق الشعب » .

ويشارك يوسف حلمى فى هذا العدد هو الآخر .. وثمة سببان للعلاقة بينه وبين صادق عزام فهما من نفس الانتماء القـديم .. اللجنة العليـا للحزب الوطنى .. وهنـاك الرباط الجديد .. علاقة كل منهما بحدتو ..

وليوسف حلمى أسلوبه المميز الذى اكتسبه من مدرسة الحزب الوطنى العريقة .. « مدرسة الهزيمة » .. « موقف الحكومة الوفدية » يدعو الى منتهى الرثاء .. فقـد انتهت بنـا سياسة المساومة الى مأزق شديد الخطر الخـلاص منه مستحيل .. فالواضـح أن سياسة هذه الحكومة تأسست على قبول التحـالف مع الجبهة الاستعمارية وكل ما فى الامر أنهـا تطلب منهنا أن تغطى مركزها تجـاه الشعب بالاتفـاق على نوع من الجلاء الصـورى المزيف وعلى صيغة جوفاء خادعـة لمسألة السـودان ، ويتمنى المعسـكر

الاستعمارى من ناحيته الا يسيء الى مركز هذا الطيف الذى استعمله منذ ثلاثين سنة كصيدلية للمخدرات ولكنه فى فزعه من صحوة الشعب وتحفزه للنضال يرفض أن يقامر بالجلاء ولو مؤقتا » .

ان الذى يتكلم الان هو يوسف حلمى أحد قادة الحزب الوطنى الذين يمتلكون فى قلوبهم أحزانا كبيرة وانتقادات مريرة ضد الوفد وضد سياسته وضد تاريخه .. ولقد نختلف معهم فى تقييماتهم هذه لكننا لا نملك الا الاستماع اليهم .. « ان استقراء التاريخ السياسى لحزب الوفد ينتهى بنا الى نتيجة لا تنقض ، لقد كانت كل وظيفة هذا الحزب فوق تجارة المخدرات السياسية ، كانت أن يقلب انتصارات الشعب الى هزائم .. وفى كل مرة عندما كانت تتأزم الامور وتتأهب القوى الشعبية للنضال وتتراءى أمام الأعين وحدة الشعب التى لا تنهزم كانت القيادات الوفدية تخذلها شر خذلان بمثل هذا الهذر الذى تلوكه أشداق الزعيم .. غير أن حقن المخدرات السياسية قد بطل مفعولها وفسدت بمضى الزمن وأصبحت عديمة الأثر ، وخرج الأمر من يد الاصنام القدامى ، وفى يوم وليلة سنرى الكتلة الشعبية المكافحة وقد استردت لنفسها قيادها وواجهت متحدة متآزرة ضد أعدائها وقاتلت حتى الفناء قتالا مرا نهايته النصر الكامل الذى لا شك فيه » .

ثم تستعرض الملايين وقائع المؤتمر المشترك الذى عقده رؤساء تحرير الصحف الاحرار بدعوة من فتحى رضوان تحت عنوان « رؤساء تحرير الصحف الاحرار لا يؤيدون الدفاع المشترك فى السلم أو الحرب » .

وبالاضافة الى يوسف حلمى نلمح وجها جديدا هو أيضا على علاقة بحدتو .. عبد المنعم خلاف الذى يكتب « تجمعوا ايها الساخطون » .. « ان أحاديث السخط على جميع أوضاع الحياة فى مصر قد زخرت بها المجالس واستفاضت بها أنهار الصحف ولقد نضج الكلام حتى احترق .. ولم يبق من هذه الامة من لم تمتلىء أذنه بهذه الاحاديث بل من لم يشارك فيها بالرواية لما يشاهده من مظاهر الفساد فماذا بعد ذلك كله ؟ هل المقصود ان نظل نروى ونسمع ونبدى ونعيد ، ونعجن ونلت ، ونجتر ونخضع الى ما لا نهاية حتى تنطفىء باليأس جذوة السخط فى صدور الساخطين ؟ » ثم « والآن ايتها الملايين الساخطة صيحى صيحة واحدة فى كل مكان .. الى التجمع .. الى تكوين حزب السخط الى النضال الاول لمجابهة الاخطار وهو الرأى المجتمع .. والا فستظل أحاديث سخطك سمر مجالس وتسالى عجزة يجعلون حديث السخط كقزقزة اللب » .

.. ويمكن القول بان جريدة كانت تقترب سريعا من الملايين ليس فقط بمشاركة بعض اعضائها واصدقائها بالكتابة وانما بمجموعة من المراسلين العماليين الذين أسرعوا بتقديم المشاكل العمالية على صفحات الجريدة .. فهناك ريبورتاج مصور عن مدينة العمال بامبابة بعنوان « مدينة العمال : بلا خبز ولا شوارع ولا نوافذ ولا تليفون ولا اسعاف ولا مدرسة » .

.. وبرواز بعنوان سعر العرق .. وكاريكاتير في شكل رسم بياني « عامل مصرى = ٧١/٢ ريال أسبوعيا ، عامل انجليزى = ٣٠ ريال أسبوعيا ، عامل كندى = ٤٧١/٢ ريال أسبوعيا ، عامل أمريكى = ٦٢١/٢ ريال أسبوعيا » .

.. وتحت عنوان « نقط العرق » تبدو النكهة الطبقية بارزة واضحة « تنساب نقط العرق على جبين العمال فتكوى جفونهم وتلذع وجوههم ولكنها لا تذهب هباء .. ولا تضيع بلا ثمن ، بل تتساقط ساخنة على الارض ثم تتجمع شيئا فشيئا كالخزان الهائل وتنطلق في عنف مكتسحة في طريقها كل شيء .. لتشق لنفسها في الارض مجرى عميقا لاساس بناء من العدل ثابت راسخ لا يزول » .

ومع هذا التوجه الجديد تبرز أسماء بعينها ، أرسل محمد على عامر رئيس نقابة عمال النسيج الميكانيكي وعضو اللجنة التحضيرية لجماعة أنصار السلام برقية الى النائب العام يشكو فيها من مضايقات مخبرى البوليس السياسى وكيف أن ثلاثة منهم يقفون ببابه ليل نهار ورابعهم قد اتخذ لنفسه مسكنا بجوار بيته ولقد أطلق الجيران على بيت صاحب البرقية .. نقطة بوليس محمد على عامر » .

.. وفوق كل هذا يبشر د. راشد البراوى بكتابات اشتراكية قد لا ترضى الماركسيين المقبلين في حماس الى الجريدة ولكنها تردد كلمة الاشتراكية على أية حال .. « ونود أن يكون واضحا في الاذهان ان الاشتراكية مرحلة عليا من مراحل الديمقراطية وقوائم الديمقراطية الحزبية للمواطنين في ابداء آرائهم بصدد المسائل المتصلة بحياتهم القومية والمحلية .. فيجب توفير هذه الحرية للصحف والمطبوعات والرسائل .. » ثم « وفكرة التأميم ليست مجرد التعلق بمذهب معين ولكنها مستوحاة من الضرورات الاقتصادية والاعتبارات القومية » .

.. ثم تقدم الملايين على تجربة لم تسبقها اليها أية صحيفة يسارية .. « باب المجتمع » لكنها تبدأ هذه التجربة بمقدمة تقول « هذا الباب جعلناه مرآة صادقة لمجتمعنا المصرى كل أسبوع فهو اذن لن يكون مقصورا على أخبار الذوات وأصحاب الجاه والثراء ولا يدهشك أيها القارىء ان تطالع هنا خبرا أو صورة لمصرى مات من الجوع الى جانب صورة أو خبر لمحمد محمود خليل في ميراثه لا يدهشك ذلك أيها القارىء العزيز فان لمجتمع مصر وجهين أحدهما بذخ واسراف والآخر فقر وجوع » .

اما الصفحة الاخيرة فهى باكملها مجال لابداع زهدى وكاريكاتيره ..
وفيها ايضا قصيدة غريبة بمقدار ما هى شهيرة .. وهى تكتسب غرابتها وشهرتها من ان صاحبها ( الذى لم يعلن اسمه ) كان كامل الشناوى .

وعنوان القصيدة « نشيد الشعب » اما ابياتها فتقول

| | |
|---|---|
| يا ترسملونا | يا تبلشفونا |
| يا تموتونا | وتخلصونا |
| ان كلنا لقمه | بتكون بدقه |
| ونص شقه | وان قلنـا لأه |

بتحبسـونا

| | |
|---|---|
| يا ترسملونا | يا تبلشفونا |
| والموت قبالنا | وكرب حالنا |
| ومهما قلنا | الفقر خالنا |

والجوع ابـونـا

| | |
|---|---|
| يا ترسملونا | يا تبلشفونا |
| احنا اللى نشقى | ونبص نلقى |
| خراب وسرقه | من عند برقه |

لحـد سـينا

| | |
|---|---|
| يا ترسملونا | يا تبلشفونا |

ولقد ظلت هذه القصيدة تتردد كثيرا على ألسنة شباب هذه الايام .

ويواصل العدد الثالث نفس الطريق ..

مانشتاته تقول « التعديل الوزارى يتناول ٤ وزارات ـ حذف مرتب شهر لموظفى الحكومة ـ

ميثاق البحر الابيض يؤلف من تركيا واليونان واسرائيل ـ تعيين وزير دولة لشؤون الامن العام » . اما حديث الملايين ، فيصوغه أحمد صادق عزام ويركز هجومه ضد فؤاد سراج الدين « صاحب المعالى فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية والمالية سكرتير عام حزب الوفد المصرى مشغول هذه الايام جدا باصدار قانون جديد يحرم به على الصحافة ان تتحدث عن الجيش ..

وصاحب المعالى سالف الذكر كان مشغولا فى الشهور الماضية باستصدار قوانين لاعداد لها تحرم على المصريين ان يحركوا ساكنا .. أى ساكن سواء كان ذلك احتجاجا أو ابداء رأى ، أو القيام باضراب . وكان معاليه مشغولا أكثر من ذلك بمصادرة الصحف ومراقبة النقابات والقبض على الاحرار أو القضاء على العناصر الوطنية داخل السجون .ومع ذلك فان معاليه يؤكد ان

شغل الحكومة الشاغل هو القضية المصرية وتحقيق الجلاء والوحدة والحرية .. اذن ففى ثياب صاحب المعالى شخصيتان .. شخصية مشغولة جدا بتحرير الشعب المصرى وشخصية أخرى مشغولة جدا باستعباد الشعب المصرى ... ولكن الشعب لا يستطيع ان يلغى عقله .. وعلى معالي الوزير ان يسارع فورا باستشارة طبيب »(١٥) .

ومن « حديث الملايين » الى « صرخة الملايين » يقلم أبن الحسين ..
« سخرت لندن من الاقتراح الذى قدم فى مجلس نوابنا بعقد معاهدة عدم اعتداء مع حكومة الاتحاد السوفيتى وليس غريبا أن تسخر لندن من هذا الاقتراح او من أى اقتراح آخر للتقريب بين موسكو والقاهرة ما دامت تؤمن كما يؤمن الامريكيون واليهود ( ! ) بأن مصر لن تجرؤ فى يوم من الايام على اتخاذ أى خطوة فى هذا السبيل يرجع هذا الايمان الى بضع سنوات مضت عندما أنذرت الحكومة الامريكية بأن تأييدها السافر للصهيونية قد يدفع الدول العربية الى التقرب من موسكو عدوتها اللدود فقد أكد وايزمان وبن جريون وشرتوك لاصدقائهم الامريكيون ان النظام الاقتصادى شبه الاقطاعى الذى يسيطر على مصر والعراق وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن وقد يدفع بهذه الدول الى أى طريق الا الطريق الى موسكو .. ومضت الايام والاحداث تؤيد كل يوم النظرية اليهودية ( ! ) .

فعندما سافر الوفد المصرى لعرض قضية مصر على مجلس الامن كان أول تصريح لاحد كبار أعضاء هذا الوفد يتضمن هجوما عنيفا على الاتحاد السوفيتى وعلى الديكتاتورية الشيوعية بالرغم من أن الاتحاد السوفيتى كان أملنا الوحيد فى احباط المؤامرة الانجلو-امريكية ضد القضية المصرية وبالرغم من وقوف الحكومة السوفيتية الى جانب مصر وتأييدها الشديد لقضيتها فقد عاد الوفد المصرى الى القاهرة ليبدأ سياسة جديدة تنطوى على العمل على تسوية العلاقات المصرية السوفيتية بكل الوسائل وسرعان ما بدأت الدول العربية الاخرى حملة شديدة ضد الشيوعية وصدرت الاوامر بحل جميع الاحزاب الشيوعية واضطهاد كل نشاط شيوعى .. أتعرفت لماذا ؟ لأن الزعماء العرب ظنوا واهمين ان هذه السياسة التى تنطوى على الارتماء تحت أقدام الغرب الاستعمارى كفيلة بتخفيف حماسته فى محاربة كل قضية عربية » ..

وبعد هذا يبدأ المقال فى سلسلة من التحليلات المرتبكة مؤداها أن اليهود يتلاعبون بالشرق والغرب معا وأنهم يسمحون بالنشاط الشيوعى حتى يستخدموا هذا النشاط وسيلة لتخويف الغرب .. والضغط عليه وان الحزب الشيوعى نما وترعرع فى اسرائيل واحتل أكثر من ٤٠٪ من البرلمان اليهودى !

---

(١٥) الملايين - ٦-٥-١٩٥١ .

ويختتم المقال .. « إما الحكومات العربية التي اتخذت من الذلة والجبن أساسا لسياستها فلم تلق من الغرب الا كل احتقار واستهتار ، فلم لا يحق للندن بعد ذلك أن تسخر من تصفيق النواب لاقتراح عقد معاهدة عدم الاعتداء مع روسيا » .

اما سيد قطب فيواصل كتاباته العنيفة تحت عنوان « فلنواجه الحقائق » .. « لماذا لا نواجه الحقائق لماذا لا نجهر بما يقوله الناس في كل مكان وبما يعتقده كل فرد في هذه البلاد . لماذا لا نقول ان أحداً في هذا البلد لا يعمل شيئا لحساب البلد وان أمراً لا يتم في هذا البلد إلا ووراءه مصلحة لشخصية ما او لشركة ما أو جهة ما ، وان الملايين ليس لها حساب على اطلاق في كثير أو قليل لماذا لا نعلن ان البوليس السياسى هو الذى يدير البلد في كل عهد لأن رجال كل عهد في حاجة لحماية هذا البوليس . في حاجة الى حمايتهم من الملايين الذين لا يمثلهم احد في عهد من العهود . لماذا نغالط أنفسنا ونقول ان لنا دستورا وبرلمانا وقوانين نظامية تحكمنا وهذه القوانين يمزقها كل من يجلس في كرسي الحكم المسحور . يمزقها وهو في حماية القوانين التي لم توضع الا لكبح جماح الملايين وتذليلها للسادة المستغلين في كل حين » ويمضى سيد قطب قائلا « يجب أن نواجه الحقائق ، يجب أن نعرف أننا لا نحكم حكما نظميا . أن هذا الدستور عبث لانه لا يفيد أحدا ، ولا يقيد أحدا .. ان تلك القوانين لغوا لانها لا تعاقب المجرمين الحقيقيين يجب أن تعرف الملايين كيف تحكم وكيف تدار الشؤون وكيف تسير الامور .. يجب أن نواجه الحقائق وأن نقف وجها لوجه أمام الاوضاع التي يجب أن تزول لانها عاشت أكثر مما ينبغي وقد آن لها أن تزول » .

أليس غريبا ان يكون سيد قطب هو أكثر كتاب الملايين عنفا .. وأكثرهم وضوحا تجاه النظام الاجتماعي وتحديدا تجاه ضرورات الاطاحة به وتغييره .. أما العدد الرابع فما نشتاته تقول ..

« وكيل مجلس الشيوخ المصرى ينادى بالصلح مع اسرائيل .

ـ جيوش الجوع تزحف على وزارة المالية ..

ـ جريدة البرافدا السوفيتية تذيع أسرار المباحثات المصرية ـ البريطانية . المفوضون المصريون يخفون عن الرأي العام حقيقة اتفاقاتهم مع الانجليز » .

ثم عنوان رئيسى في الصفحة الاولى « المنشورات السرية تغمر انحاء اسرائيل . الشعب الإسرائيلي يرفض مقاتلة العرب ويستعد للانقلاب على حكومته » ( ! ) (١٦) .

---

(١٦) الملايين ـ ١٣ ـ ٥ ـ ١٩٥١ .

اما الافتتاحية فعنوانها « حكومتهم وحكومتنا » وهى كالعادة بقلم أحمد صادق عزام « الحكومة المصرية تعلن فى كل يوم انها مصرة على جلاء الانجليز عن منطقة القنال . والحكومة البريطانية لا تعلن شيئا ولكنها تزود منطقة القنال ـ فى كل يوم أيضا ـ بقوات جديدة ومعدات جديدة . والحكومة المصرية تصرخ فى كل يوم وبأعلى صوتها انها ستلغى المعاهدة بجرة قلم . والحكومة البريطانية ـ بدون جرة قلم ـ تباشر اضعاف الحقوق التى نصت عليها المعاهدة . والحكومة المصرية تقوم وتقعد لكل ملفوت بريطانى يطأ بقدميه أرض مصر .. والحكومة البريطانية تتخير فى كل يوم مكانا تصفعه من وجه مصر وموضعا حساسا تضغط عليه فى عنف لتستنزف الدم من قروحته الممزقة . والحكومة المصرية تبحث عن السلاح بشرط أن يكون بريطانيا ، والحكومة البريطانية تبيع السلاح لمن يشاء الا مصر .. ومع ذلك فالحكومة المصرية لا تجرؤ أن تتبادل الغزل مع غير بريطانيا ولا أن تقدم الولاء لغير بريطانيا » ثم يمضى أحمد صادق عزام مؤكدا ان المعركة بين حكومة الوفد وبين الانجليز ليست حقيقية « فالحكومة المصرية تستمد بقاءها من ثقة الانجليز لا من ثقة المصريين ويستند بقاؤها الى بنادق الانجليز لا الى أذرع المصريين ، ويتحدد مصيرها على المكاتب الانجليزية فى لندن . وليس معقولا أن تجد الحكومة فى طرد الانجليز فتفقد بزوالهم سندا قويا يعينها على الشعب المظلوم ، ويوم يمزق الشعب المصرى بارادته وبقوته وباصراره كافة الحبال التى تربط بين حكومته وحكومة الانجليز .. عندئذ سوف يتحقق الجلاء وسوف تتحقق الوحدة وتتحقق الحرية » ...

اما « طلقة » مأمون الشناوى وهى طلقته الاخيرة فقد انسحب بعدها من الملايين فتقول « فى مصر حرية أخرى مقيدة بالاغلال والاصفاد اسوه بمختلف الحريات تلك هى حرية الاكل . ويكفى ان تعلم ان فى مصر ١٥ مليونا من أبنائها لا يزيد دخل الفرد منهم على ثلاثة قروش فى اليوم لتدرك فى أى مجاعة طاحنة يعيش المصريون اليوم فان القروش الثلاثة لا تكاد تكفى الفرد الواحد خبزا مجرد خبز . والمسؤولون عندنا ينظرون الى ارتفاع الاسعار نظرتهم الى ارتفاع حرارة الجو والى أى ظاهرة من الظواهر الطبيعية التى لا يملكون حيالها نفعا ولا ضرا . ولا شك انهم معذورون فقد أثقلت التخمة جفونهم وشلت احساسهم فلا يشعرون بمقدمات العاصفة ونذير الاحداث ولا يحسون بالخطر الكبير الكامن تحت مقاعدهم وتحت النعيم الذى يرفلون فيه . ولا يعتبرون بالذين ناموا قبلهم واستيقظوا بعد أن أفلت منهم الزمام .. وهم لا يعون ان الملايين من المصريين الذين لم يدركوا بعقولهم حتى اليوم فساد الحكم والحاكمين ، سوف يدركون ببطونهم الحقيقة المروعة حقيقة الجوع الذى

توفره الدولة لثلاثة أرباع رعاياها وتسومهم حياة أفضل منها حياة الحيوان .. كل هذا سوف تدركه ملايين الاشقياء فى مصر بفضل ارتفاع الاسعار الذى يسابق ارتفاع المحسوبين الى أعلى المراتب . اجل سوف يدرك المصريون جميعا لا بعقولهم بل ببطونهم كيف يعيش الثرى السعيد فى مصر على دم الشقى وعرقه ودموعه فمرحبا بالجوع ليكمل وعى هذا الشعب . ومطالب الجوع حاسمة » .

اما الخبر الذى تحدث عنه المانشيت فهو تصريح لحسين الجندى وكيل مجلس الشيوخ ( وهو من أحزاب الاقلية ) . « اننى ساتكلم بصراحة فى موضوع المباحثات السياسية بين مصر وبريطانيا . وسأعلن رأيى بصراحة وهو ان القضية المصرية لا تحل الا اذا عقدنا صلحا مع اسرائيل » ثم استطرد الجندى بك « وسأنادى بابقاء معاهدة ١٩٣٦ لانها خير ألف مرة من اية معاهدة تبرم . » ثم قال « وفى يقينى ان حكومة الوفد لا تنال أى مطلب من مطالب البلاد القديمة من الانجليز » .

والسطر الثانى من المانشيت الذى تحدث عن « جيوش الجوع التى تزحف على وزارة المالية » تفصيله كما يلى : « فى الساعة الحادية عشرة من صباح أمس كانت قوة من رجال البوليس أمام مبنى وزارة المالية على استعداد ، وفى نفس اللحظة كانت قوة كبيرة من موظفى الحكومة المنسيين تبلغ عددهم ألف موظف داخل مبنى وزارة المالية يطلبون مقابلة معالى فؤاد سراج الدين باشا لعرض شكواهم ومطالبهم .. وكان من بين الهتافات التى رددوها ليسمعها معاليه هى : نريد أن نعيش يا معالى الوزير ـ أين الوعود يا وزير المالية ـ الجوع يقتلنا يا وزير الشعب ـ لا نريد العزب ولا الملايين ولكن نريد أن نعيش » .

.. وبعد العدد الرابع تبدأ انعطافة جديدة فى حياة جريدة « الملايين » « الصراع الذى بدأت ملامحه منذ العدد الثانى بين القيادات الصحفية ذات المكانة المهنية وذات الموقف المعتدل وبين العناصر اليسارية الأكثر تطرفا وذات الانتماء العمالى والنقابى والمنتسبة الى تنظيم شيوعى سرى هو منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ( حدتو ) .

.. هذا الصراع حسم تماما .

ربما حسمه أحمد صادق عزام باعتباره صاحب الترخيص ورئيس التحرير .. وصاحب رأس المال .

وربما حسمته الازمة المالية التى قللت أو أنهت مساهمة أى صحفى محترف يطلب أجرا عما يكتب والتى فتحت الباب أمام الكوادر الحزبية التى

تقدم التحرير المجانى وأخبار الإقاليم والنقابات وتقوم بالتوزيع وجمع الاشتراكات والتبرعات معتمدة على شبكة العضوية التنظيمية المنتشرة فى مختلف الإقاليم .

على أية حال .. العدد الخامس ليس بين أيدينا وابتداء من العدد السادس تبدأ الملايين رحلة جديدة يمكن القبول بأنها وامتدادا حتى العدد الأخير ( الثلاثين ) كانت الى درجة كبيرة وفى توجهاتها السياسية الاستجابية لبيان حال لحدتو .

وهكذا تبدأ الملايين صفحة جديدة ..

***

نحن الآن مع حدتو وجها لوجه ..

.. وأمام مرجع أساسى لممارساتها السياسية والفكرية والمنهجية فى فترة حاسمة من تاريخها ومن تاريخ مصر كلها ولان الامر يتعلق بمنهج وبرنامج عمل واحدة من أهم المنظمات الماركسية فى ذلك الحين فانه يتعين علينا أن نغير بعض الشيء من أسلوب تعاملنا مع هذا المرجع باعتباره مادة للمعرفة التاريخية .

لن يجدى كثيرا أن نتابع الاعداد واحدا بعد الاخر فسوف تتباعد ملامح الصورة وتفقد قدرتها على اعطاء لوحة متكاملة . ولهذا فاننا سنتابع المحاور الأساسية للتوجه السياسى والمنهجى واحدا بعد الآخر . وتبرز أمامنا عدة محاور أساسية ..

* الموقف من الوفد وحكومته وممارساته ..
* القضية الوطنية والموقف من القوى الاستعمارية وقضية الدفاع عن السلام العالمى .
* قضية الحريات والدفاع عن الديمقراطية ..
* الجبهة الوطنية والخلافات حولها ..
* التوجه الاجتماعى والدفاع عن حقوق الجماهير الكادحة ..
* الموقف من القضايا العمالية والعمل وسط العمال .
* الموقف من القضية الفلسطينية .

.. ثم بعد ذلك لابد لنا من رؤية لبعض القضايا الاخرى ومن رؤية عامة للجريدة وممارسات محرريها والموقف الحكومي منها .. الخ ..

وسوف نراعى فى استعراضنا لكل المواقف التسلسل الزمنى لنتابعه بهدف ايضاح مدى اتساق الموقف مع الاحداث وتقلباتها المختلفة .

***

ولنبدأ بالموقف من الوفـد ··

فى العدد الثامن نجـد فى صدر الصفحة الاولى عنوانا بارزا « خلاف جديد بين أعضـاء الوزارة » ·· « نستطيع أن نؤكـد أن رفعـة النحاس باشـا حمـل معه عنـدما تشرف بمقـابلة جلالة الملك المعظم يوم الجمعة المـاضى كتاب استقالة الوزارة وكان رفعته يعلم أن جلالة الملك قـد حـدد موعـد سفره فأراد أن يثبت من الأرض التى تقف عليهـا حكومته واشاعة روح الثقة بين زملائه فى الوزارة ·· » ·

·· وفى العدد التاسع ·· نجـد فى الصفحة الاخيرة حيث كاريكاتير زهدى اللاذع « اضحكوا على الدولة » النحاس باشا ترك لاظوغلى والسفير البريطانى وترك مشاكل الموظفين والعمال والفلاحين وذهب الى سيدى بشر ليشم هواء البحر ، وفؤاد سراج الدين باشا نسى ميزانية الدولة ليتنزه على الكورنيش وأحمد حسين ترك مشروع الضمان الاجتماعى ومشاريع الاصلاح الاجتماعى وسافر الى ساحل الريفييرا ، والشعب يتشاجر مع باعة البطيخ والشمام ، الشعب هو الذى دفع ثمن نزهات وزراء الدولة فى الصيف من عرقه وكفـاحه ، الشعب الجائع هو وحـده الذى يحتاج الى نزهات على نسيم البحر أما الوزراء وزراء الشعب ففى مكاتبهم فى القـاهرة آلات تكييف هواء ·· »(١٧) ·

ثم توجه الهجوم ضد سراج الدين « سراج الدين يعلن الحرب » ·· « نستطيع أن نؤكـد أن معالى سراج الدين باشا قـد وضع نصب عينيه فى الوقت الحاضر تنفيذ برنامج سياسى شخصى يهـدف الى التخلص من بعض أقطـاب الوفـد الذين يحتمـل أن ينافسـوه فى تولى رئاسة حزب الوفـد بعـد رفعـة النحاس باشا »(١٨) ثم تواصل الملايين بعـد ذلك الخوض تفصيلا فى الخـلافات الوفـدية ··

وهجوم شديد آخر على النحاس باشا نفسه ·· ففى العدد العاشر عمود عنوانه « على مسؤوليتى » ·· « وأخيرا قرر رفعـة الرئيس الجليل والزعيم الكبير خليفـة سعد أن يحج ·· والنحاس باشا رجل تقى نقى ورع بل قـد يعـده بعض الاتباع من أوليـاء الله المخلصين ·· فهم يركعون له كلما هلت طلعته عليهم ويقبلون يده كلما واتتهم الفرصة السعيدة ويتمسحون به عسى الله أن يمنحهم من بركته ما يحلون به المشكلات والرتب والدرجات » ثم تمضى الملايين فى تعريضها بالنحاس قائلة « وهو رئيس وزعيم يحب من أتباعه أن ينحنوا دائما لانه يحب الانحنـاء ويجيـده ويعلم أن فيه الحياة والبقـاء ·

---

١٧ ـ الملايين ـ ١٩٥١/٦/١٧
١٨ ـ المرجع السابق ·

الحياة والبقاء هما الغاية والهدف عنده فالنحاس باشا الطبيب التقى الولى قرر الحج هذا العام فكان لزاما على الملايين أن تحييه وأن تهنئه وقد لا يعلم الشعب أن رفعته قد حج من قبل مرتين ويريد أن يكملها بحجة ثالثة وحجة هذا العام كحجة ما فات من الاعوام ، حجة الى الريفييرا المكرمة .. المكرمة عند الرئيس الجليل .. نعم الريفييرا الفرنسية الجميلة ففيها شفاء لنفسه . وراحة لضميره ، لا يجدها فى مكة المكرمة ولا فى مدينة رسول الله الكريم » .

ثم تختتم الملايين هجومها اللاذع على النحاس باشا قائلة « والملايين تدعو لرفعته بطول البقاء ، وراحة البال ، والطمانينة ، وترجو من الشعب المصرى الكريم ومن الشعوب العربية والاسلامية أن يحذوا حذو هذا الزعيم الأمين وأن يولوا وجههم شطر الريفييرا وأن يحجوا اليها ففيها شفاء لنفوسهم وقلوبهم ولهم فى النحاس باشا وأتباعه أسوة حسنة . وعلى الشعب المصرى المسلم الكريم السلام »(١٩) .

ورغم هذا الهجوم الشديد على النحاس .. نجد « الملايين » تتعامل سياسيا مع النحاس بصورة مختلفة عن غيره من قادة الوفد « علم مندوب الملايين من مصدر موثوق به ان الدوائر المسؤولة ستعرض منصب وزير الخارجية المصرية على سعادة عبد الحميد بدوى باشا وذلك بعد تصميم الدكتور صلاح الدين باشا وزير الخارجية الحالى على رفض الرد البريطانى الجديد من أساسه ووجوب قفل باب المفاوضات نهائيا ، وتتولى بعض السلطات الوزارية يؤيدها فى ذلك رجال المال والصناعة مهمة الاقناع بأهمية هذا العرض لانها ترى ضرورة التحالف مع بريطانيا بأى ثمن وفى أى شكل بالرغم من معارضة رفعة النحاس باشا » .

وكما تميز الملايين بين موقف النحاس وبين غيره من قادة الوفد ـ ورجال المال والصناعة ـ فانها تميز بين موقف شباب الوفد وموقف قيادتهم عموما ..

.. وفى نفس العدد تنشر الملايين تحت عنوان « ثورة شباب الوفد على النقطة الرابعة » نصا كاملا لبيان صادر عن الطليعة الوفدية موجه الى حضرات الشيوخ والنواب المحترمين « حضرات الشيوخ والنواب المحترمين ان بلادنا تسير نحو كارثة محققة وان شعبنا ليتعرض لخطر عظيم فلم يكف بلادنا أن الانجليز المعتدين يزيدون كل يوم فى قواتهم ولم يكفهم أن يبنوا المطارات والموانىء الحربية وأن يزحفوا من منطقة القنال الى منطقة شبه جزيرة سيناء ليحولوها الى معسكر ضخم وانما أصبحنا اليوم نتعرض

---

١٩ ـ الملايين ـ ١٩٥١/٦/٢٤ .

لشر جديد وخطر داهم ألا وهو خطر الاستعمار الاميركى الداهم ٠٠ ان الاستعمار الاميركى بكل مظاهره الاقتصادية والسياسية والعسكرية يزحف بثبات على بلادنا فى صورة اتفاقية النقطة الرابعة وهى الاتفاقية التى وقعها وزير الخارجية والسفير الأميركى فى ١٥ مايو ١٩٥١.»

وبعد عرض تفصيلى لبنود الاتفاقية ومخاطرها على الاستقلال الوطنى والاقتصادى والسياسى . تختتم المذكرة قائلة :

« باسم هذا الشعب الذى يدافع عن استقلاله وحريته ٠٠

باسم شعبنا الذى منحكم الثقة فى الانتخابات ٠٠ .

باسم ملايين الاطفال والنساء الذين يهددهم خطر الموت والمرض والتشريد فى الحرب المقبلة ٠٠

باسم شهدائنا ٠٠ نطلب أن ترفضوا الاتفاقية وستجدوننا دائما الى جانبكم نشد ازركم مستعدين على الدوام أن نبذل دماءنا دفاعا عن حريتنا واستقلالنا ـ الطليعة الوفدية » .

وتواصل الملايين هجومها على الحكومة الوفدية وفى العدد ١٢ مقال عنيف بقلم د٠ فخرى أسعد بعنوان « الحكومة مستقرة تمام الاستقرار » ٠ « لا شك أن الحكومة الشعبية (كذا) تنعم اليوم بتأييد الشعب الى حد يجعلها اليوم أقوى منها فى أى يوم من سابق الايام وهل أدل على ذلك من أن رفيع المقام استطاع أن يصعد الى الدور العلوى على قدميه فى يوم عيد ميلاده ومن أن ينعم برفقة مجوهراته وقصوره فى جاردن سيتى والمرج ٠ وهل هناك برهان أنصع وأسطع من أن وزير الداخلية والمالية الجبار قد وجد الامور قد استتبت فى بهوت وكفور نجم وسائر أنحاء البلاد وما عليه الا الرحيل لأوروبا برفقة ٦٤ فردا من أفراد الاسرة الكريمة لكى يجاهد من أجل هذه الأمة المغلوبة على أمرها . وهل هناك جهاد أمضى من أن يعود الينا رشيقا بعد أن يخسس جثته الضخمة ٠٠ » ثم يستعرض المقال الوزراء الواحد بعد الآخر متهكما على كل منهم « ليدع وزير المالية جانبا لانه يشكو التخمة لنفسه والازمة لصندوق الدولة فيشاء تفكيره المتزن أن يخلق الطبقات حتى فى الخبز والرغيف فيجعل بعضه فى سواد قلبه والاخر أبيض من كل سوء ٠٠ ووزير الزراعة يوزع مبيدات الدودة على الدوائر والاقطاعيات ويحرم منها صغار الملاك والمزارعين ٠٠ ووزير التموين وجهه يقطع الخميرة من البيت فما تدخل فى أمر من أمور التموين الا وخرجت من باب الموجودات وظهرت خفية فى سوقها السوداء أما غنام فهو يدق بطل البطيخ والشمام ولنترك وزير الاشغال لأنه منهمك فى زخرفة القصور وانشاء التماثيل ٠٠ وشارع الهرم ٠٠ » .

وختام المقال « ومع ذلك فحكومتنا الشعبية لا تزال مستقرة فى الحكم البيت متمتعة بثقة الشعب وملك مصر ولا تنس من فضلك ثقة حكومة الانجليز »(٢٠) .

وفى العدد ١٧ نجد مقالا بعنوان « سراج الدين يسارع بالعودة الى مصر » .. « هبت الحركة الشعبية فى مصر عنيفة ضد أذناب الاستعمار الانجلو ـ أمريكى الذين يعملون فى صفوف الوفد وعلم بذلك صاحب المعالى فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية والسكرتير العام للحزب وشعر وهو فى مصيفه بأوروبا بأن الارض تميد من تحته وأن الامور بدأت تتطور بسرعة غريبة ضده ولا سيما بعد أن اجتمع الكثير من أعضاء الهيئة الوفدية وأبرقوا الى معالى عبد الفتاح الطويل بالحضور الى مصر .

وبعد أن تتحدث الملايين مطولا عن دور الشباب الوفدى فى النضال ضد القوى الرجعية فى الوفد تقول « على الوفديين المخلصين أن يستعدوا لخوض المعركة فاما سياسة وطنية تتفق ومصالح الشعب واما الارتماء فى أحضان المستعمر »(٢١) .

ومن الحديث العام عن الشباب الوفدى ومن تأييده بشكل عام فى معركته ضد اليمين الوفدى الى توجيه الضربات للبناء الحزبى الوفدى ذاته ففى نفس العدد وفى باب « الى المحرر » الذى يشرف عليه عبد العزيز بيومى رسالة من ابراهيم نوفل عضو لجنة الوفد بغيط العنب بالاسكندرية « سابقا » والرسالة ذات مغزى لان الانتقاد يأتى الان من « وفدى » ولانه مشفوع بالاستقالة من حزب الوفد واتهام الحكومة الوفدية بالخيانة .. تقول الرسالة .. « قامت الحكومة الوفدية بارتكاب عدة خيانات جسيمة ضد الشعب المصرى كان آخرها محاولة اصدار قانون لخنق حرية الرأى والصحافة وذلك رغم انها كانت قد ارتبطت مع الشعب فى معركة الانتخابات الماضية بعدة تصريحات تؤكد عزمها على عدم المفاوضة مع الاستعمار والعمل على اطلاق الحريات ورفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى للملايين الكادحة البائسة .. ولكن الشعب المصرى الواعى الذى تمكن من تحطيم الطاغية صدقى ، والسفاح عبد الهادى لن يعجز عن تحطيم كل من يحاول خيانته وخنق حرياته من أعضاء الكتلة السراجية المتمردة وأمام هذه الخيانات والمؤامرات التى يقوم بها الوفد فى هذه الايام لا أملك الا أن أعلن استقالتى منه وانضمامى الى معسكر المكافحين الاحرار الذين يعملون حقيقة

---

٢٠ ـ الملايين ١٩٥١/٧/١٥

٢١ ـ الملايين ١٩٥١/٨/٢

من أجل تحرير الشعب من الاستعمار وأذنابه وتثبيت دعائم الأمن والسلام في جميع ارجاء العالم » ··

·· وهكذا فان عضو لجنة الوفد بغيط العنب بالاسكندرية لا يكتفى بالاستقالة من حزب الوفد وهو فى قمة السلطة وانما يعلن وفى صراحة ووضوح انضمامه الى معسكر المكافحين الذين يعملون حقيقة من أجل تحرير الشعب من الاستعمار وأذنابه ··

·· وأما « الملايين » فهى اذ تنشر هذه الرسالة ذات المغزى فلا يفوتها أن تعلق عليها قائلة « ان صرختك هذه تعبر بوضوح وجلاء عما يعتمل الان فى أذهان الآلاف العديدة من الشباب الوفديين الاحرار ·· اننا نرى معك بحق أنه لم يعد ثمة معنى للبقاء فى حزب يسير فى ركاب الاستعمار .. وأذنابه ويعمل على سلب حريات الشعب وهدم الدستور » ·

·· ونتوقف أمام عبارة « حزب يسير فى ركاب الاستعمار » ·· ونبدى بعض الدهشة ·· لكن كل ما سبق لا يعدو عن كونه مناوشات من خصوم سياسيين تقف بالقارىء على هامش الموقف السياسى وتخلو من التحليل العميق وتكتفى كما لاحظنا بالتهكم وتكاد تشبه فى ذلك كله موقف صحف المعارضة الوطنية التى تكاثرت هذه الايام وأكثرت من هذا النمط الإنتقادى للحكومة الوفدية وممارساتها ·

لكن الامر لا يقف عند هذا الحد فثمة تحليلات وتقييمات جادة يمكننا ان نستخلص منها موقفا متسقا ·· ففى العدد ١٨ وفى الافتتاحية يكتب صادق عزام « خرج علينا نجيب الهلالى باشا من صومعته وتكلم .. تكلم أخيرا وتكلم كثيرا وقال فى الوفد ، وفى الحكومة الوفدية ، وفى الزعيم الجليل ما يقوله الناس جميعا الان فى الوفد وفى الحكومة الوفدية وفى الزعيم الجليل وطرب بعض الناس وظنوا أن نجيب الهلالى هو المهدى المنتظر. وهو حلال العقد ، وهو رجل الساعة . ولكن معظم الناس لم يروا فى الوجه الجديد شيئا ، انه ككل الوجوه القديمة التى ابتلى بها هذا الشعب العظيم المغلوب على أمره » وبعد أن تشن الافتتاحية هجوما على سياسة الوفد وعلى نجيب الهلالى على السواء · تقول فى وضوح « الحقيقة أن المعسكر الاستعمارى يريد أن يستبدل سياسة بسياسة ووجها بوجوه جديدة وهو يعرف ان معسكر الشعوب يتدعم كل يوم ، ويلمس فى كل ساعة انهيار المعسكر الاستعمارى القائم على التناقضات وأزمات لا حصر لها وهو لا يهمه فى كثير ولا فى قليل مصلحة الشعوب ولكن الشعوب استيقظت ووعت

وهبت بثائرة ضد الإستعمار الغاشم فكان لا بد للاستعمار المتداعى أن يغير سياسته وأنفه فى الرغام هذه هى الاسباب الحقيقية لهذه الموجة من التغييرات والتبديلات على مسرح السياسة فى المنطقة الواقعة فى دائرة النفوذ الاستعمارى هذه هى السياسة التى تتحدث عن الفساد وعن التشريعات الرجعية وعن الاقطاعيات وعن كثير من الاشياء ولكنها تغفل أو تتغافل عن أس البلاء : الاستعمار . ولا تنطق بحرف واحد عن المعاهدات القائمة مع الاستعمار وعن المعاهدات المنتظرة مع الاستعمار ».

.. ثم تمضى الافتتاحية لتسطر موقفا واضحا .. « هذا الشعب يتطلع اليوم الى قيادة جديدة وهذه القيادة هى قيادة الطبقة العاملة ، القيادة التى لا يمكن أن تتراجع أبدا فى صراعها مع الاستعمار والاستبداد ، القيادة التى لا تقبل تهاونا ولا مساومة مع أحدهما أو كليهما .. القيادة التى تسير على رأس موكب من عشرين مليونا والى جانبها حلفاؤها المخلصون الذين ينذر للاسف الشديد أن يكون بينهم باشا من الباشوات »(٢٢) .

.. واذا كان هذا الموضوع الواضح فى طرح بديل آخر ـ هو حزب الطبقة العاملة ـ جديدا على منهج الملايين فان الجديد حقا هو أن التوقيع تحت هذه الكلمات .. لأحمد صادق عزام . كم تغير الرجل !..

... وفى نفس العدد خبر يقول «منحت وزارة الحربية عطلة رسمية لعمال سلاح المهمات بدأت من أول الخميس وتنتهى صباح الاثنين وسيسمحون لهم بالسفر مجانا الى الاسكندرية لاستقبال سراج الدين وتهنئته بنقص وزنه ١١ كيلو مشفى » .

وفى العدد ١٩ هجوم عنيف على معاهدة ١٩٣٦ بقلم م . رشدى « الفلاحون ومعاهدة ٣٦ » .. « لقد كانت معاهدة ٣٦ وبالا على الشعب المصرى ووصمة عار فى جبين الثلاثة عشر الذين وقعوها متآمرين على مستقبل الشعب المصرى عمالة وفلاحيه لحساب الاستعمار .. ان معاهدة ٣٦ كانت سببا فعالا لهذا الغلاء الذى يعانيه الفلاح فان احد الاسباب الرئيسية لارتفاع أسعار القمح واللحم والخضروات والسكر هو تلك الالاف من أطنان المواد الغذائية التى تحملها مئات اللوريات يوميا الى القنال وسيناء ليتم بها جنود الاحتلال بينما يحرم منها الشعب المصرى بسبب هذه المعاهدة التى ربطتنا بسياسة الاستعمار الانجليزى تدفع ثمنها نحن الفلاحون من دم ابنائنا الذين يساقون الى كل حرب كخراف الضحية للذبح ، هذه المعاهدة التى تدفع الحكومة الى تبديد ٧٠ مليونا من ميزانية الدولة فى شراء أسلحة وذخيرة

---

٢٢ ـ الملايين ١٩٥١/٨/٨ .

فاسدة لا يستفيد منها الشعب . هذه المعاهدة التى ضمنت حماية الاستعمار لكبار الملاك الاقطاعيين ومكنتهم من أن يتحكموا فى الفلاح ويستنزفوا عرقه ودمه ويسرقوا قمحه وقوته ويجلدونه بالسياط فى العزب والتفاتيش » .

هذا التوجه الطبقى الواضح المعالم ٠٠ يصاحبه تحليل مستفيض لأثر المعاهدة السلبى على حياة ومستقبل الفلاحين وأخيرا « فليلعن الفلاحون معاهدة ٣٦ والذين وقعوها وليقف الفلاحون مع بقية أفراد الشعب فى وجه أى معاهدة جديدة مع الاستعمار الامريكى أو الانجليزى يراد بها استغلال الشعب المصرى وسرقة قوته وارسال أبنائه ليموتوا فى حروب لن يستفيد منها غير الخراب والدمار »(٢٢)

٠٠ وتمضى الملايين فى حملتها ٠٠ ذات المحتوى الوطنى والطبقى معا ٠٠ معلنة وبصراحة توجها متميزا فى القضية الوطنية رافعة وبأقصى عنف ممكن سبابتها فى وجه الحكومة الوفدية مطالبة مع جماهير الشعب بالغاء معاهدة ١٩٣٦ .

والعدد العشرون تخصص افتتاحيته أيضا لنفس الموضوع « تسويف جديد » ٠ « وأخيرا كشفت الحكومة عن وجهها القناع وأسفرت عن حقيقة نواياها فى صدد مطالبة الشعب الوطنية بالجلاء والاستقلال وتولت صحيفة الأهرام هذه المهمة حين نشرت حديثا منسوبا الى شخصية رسمية كبيرة يشرح موقف الحكومة من معاهدة ١٩٣٦ والاستعمار البريطانى ، وأول ما كشفه هذا التصريح أن الحكومة لا تنوى الغاء المعاهدة الان ، وأنها تنوى الامعان فى سياسة المماطلة والتسويف ٠٠» ثم يشتد الهجوم « وأثبت المتحدث المختفى رغبا من سخط الشعب أن الوزارة الحالية ليست أقل استعدادا من حافظ عفيفى الذى خاصم القضية المصرية وأعلن خيانته صراحة وليست أقل منه رغبة فى الخضوع للاستعمار وربط مصر لعجلته المتعفنة القذرة بابرام معاهدة أخرى وكشف أيضا عن عجز الحكومة عن قيادة الشعب فى نضاله من أجل الاستقلال باظهار الخوف من التجاء بريطانيا الى الغاء اتفاقية الأرصدة وفصل مصر عن السودان وانتهى المتحدث الى النتيجة التى يتعمد الوصول اليها حيث أنه لا يمكن الاتفاق مع بلاد الكتلة الشرقية بحجة أن مصر لا تستبدل سيدا بسيد » .

٠٠ ثم يمضى أحمد صادق عزام وهو صاحب التوقيع على الافتتاحية فى هجومه العنيف « أما الاستعمار الامريكى فلا خطر منه لانه ليس من بلاد الكتلة الشرقية ويعرف الجميع ان الوطنيين المخلصين حين يطالبون بعقد

---

٢٣ ـ الملايين ١٩٥١/٩/٢

ميثاق عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتى أنما يريدون ابطال حجة بريطانيا الكاذبة فى حمايتنا المزعومة من الاعتداء والدفاع عن الشرق الاوسط » .

ومرة أخرى يبرز التوجه الطبقى واضحا فى اطار الموقف الوطنى « ان أولئك الخونة المصريين الذين ارتبطوا بالاستعمار البريطانى والاستعمار الامريكى الجديد وشاركوهما فى استغلال ملايين العمال والفلاحين ونشروا فى بلادنا الدعارة والرقاعة والرشوة والفقر والمرض والجهل هم الذين يعرفون أن بقاءهم رهن ببقاء الاحتلال البريطانى لحمايتهم من سخط الشعب وتمرده على البؤس والاستغلال وهم حين ينطقون بالخيانة معبرين عن مصالحهم الانانية القذرة يعرفون انهم يسخرون من الشعب أو يضللونه أو يخدرونه » .

والختام « ان واجب الوطنيين المخلصين يزداد جلاء ووضوحا كلما بصق أحد الرسميين المجهولين أو المعرفين خيانته القذرة فى وجه هذا الشعب ، هذا الواجب الوطنى فى توعية الجماهير الشعبية وحشد قواها الوطنية حول أهدافها الوطنية الثابتة وتحت قيادة جديدة مطهرة من رجال ذلك الجيل الذى نشأ وتربى أبا عن جد فى أوحال الخيانة والاستعمار واستهتر بحقوق الشعب »(٢٤) .

وبرغم الوعود الكثيرة للنحاس والحكومة الوفدية بأن المعاهدة ستلغى وان المفاوضات لن تستأنف تواصل الملايين هجومها فى عنف بالغ على الحكومة والسياسة الوفدية ذلك انه لم يكن هناك أى قدر من الثقة يسمح بأى قدر من الاعتقاد بأن الحكومة الوفدية قادرة على أتخاذ هذه الخطوة .

ولعل هذا الموقف يمكن أن يثار بصورة أخرى ..

فالمسألة ليست ثقة فى حكومة الوفد وفى ممارساتها وقدراتها بقدر ما هى ثقة فى الثقل الجماهيرى الجارف لمطلب الغاء المعاهدة ولقدرة هذا الثقل على استقطاب قوى سياسية فاعلة حتى فى صفوف الوفد شبابا ونوابا وقادة .. ولعل السياسى مطالب بالحذر وبألا يفرط فى منح ثقته لكنه مطالب أيضا بادراك الممكنات وبادراك التغيير الذى يطرأ على المواقف والآفاق الممكنة لها ..

.. لكل هذا يبدو غريبا أن يصدر العدد ٢١ من الملايين فى ٧ أكتوبر ١٩٥١ أى قبيل اعلان النحاس باشا الغاء معاهدة ١٩٣٦ بأيام وهو يشن حملات بالغة العنف على حكومة الوفد ..

---

٢٤ ـ الملايين ١٩٥١/٩/٩

•• واذا كان المانشت يحمل دلالة هامة « المصريون المتامركون يستعدون لتاليف الوزارة الجديدة » فان الافتتاحية التى تتخذ لنفسها موقعا جديدا ( عمودين بالبنط الاسود على يمين الصفحة الاولى ) والتى لا تحمل توقيع رئيس التحرير ودون ذكر لاسم كاتب هذه الافتتاحية التى توحى بوضعيتها الجديدة انها موقف سياسى لتنظيم حزبى وليست مجرد رأى فرد هذه الافتتاحية تتخذ لنفسها العنوان التالى « الطريق الى الخيانة وطريقنا للتحرر الوطنى » • وتشن كالعادة هجومها على الوفد •• « دخل حزب الوفد المصرى الانتخابات النيابية الاخيرة على أسس واضحة محددة هى قطع المفاوضات والغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ وعدم الارتباط بأى حلف اقليمى استعمارى وتوسيع الحريات العامة على أوسع نطاق ، بهذه الأسس دخل الوفد المعركة الانتخابية واكتسح احزاب الاقلية وقهرها فى أغلب دوائر القطر ، لكن الوفد لم يف بوعوده فقد فتح باب المفاوضات على مصراعيه بمجرد تربعه على كرسى الحكم وخبر الكل طول هذه المفاوضات ومدى عمق سريتها ولم يتحمل الشعب وتأكد لديه أن هناك مؤامرة تدبر من وراء الستار تهدف الى تكبيله بقيود جديدة وأخذت صيحات الشعب تتعالى من كل صوب منادية بقطع المفاوضات والغاء المعاهدة فورا وبلا ابطاء ولكن الحكومة الوفدية [illegible] فى الانضمام الى معسكر الشعب الى ضم الشعب فماذا تفعل • دخلت الحكومة جريا وراء سياسة السادة الانجلو ـ الأمريكان فى مفاوضات تهدف الى ضم مصر والبلاد العربية الى حلف يشمل اليونان وتركيا وفرنسا وأمريكا وبعض دول الكومنولث • ان الحلف الجديد الذى تعمل الحكومة الوفدية جادة فى ربط مصر به انما هو حلف عدوانى جديد تتزعمه أمريكا وانجلترا وتهدفان منه الى كبت الحركة الوطنية فى بلاد الشرقين الاوسط والادنى والى استغلال موارد هذه الدول ومراكزها الاستراتيجية فى الاعتداء على الاتحاد السوفييتى بطل الديمقراطية والسلام » (٢٥) •

ولا بد أن الملايين قد وجدت نفسها فى مركز حرج بعد أيام قليلة عندما أعلن النحاس الغاء المعاهدة وصمم على رفض الاحلاف العسكرية •

على اية حال وبرغم هذا الهجوم الشامل على السياسة الوفدية فقد ظلت الملايين على حرصها التقليدى فى التمييز بين عناصر وعناصر ومواقف ومواقف حتى فى صفوف الوزارة الوفدية ذاتها •• « طه حسين يرفض مشروع النقطة الرابعة » •• « قرر الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف العمومية رفض مشروع النقطة الرابعة وأصر رغم المحاولات الكثيرة التى قام

---

٢٥ ـ الملايين ١٩٥١/١٠/٧ .

بهـا بعض أصدقاء الولايات المتحـدة الامريكيـة على عـدم قبـول أيـة بعثات علمية تخصص فى مشروع النقطة الرابعة لرجال التعليم المصريين وفى طليعة أسباب رفض الدكتور طه حسين للمشروع اعتباره مصر دولة متخلفـة أى غير متقـدمة وعرض بعض البعثات فى جامعة بيروت الأمريكية وهى التى تعتبر أقـل درجة من جامعة فؤاد الاول وسائر الجامعات المصرية .. وقـد بلغ من تبجح الأمريكيين أن يعرضوا على المصريين بعثات فى هذه الجـامعة من الدرجة الثالثة فى نفس البرنامج الذى أعـد لرجال التعليم فى الحبشـة وليبيريا » .

لكن الأمر لم يكن مجرد تأييـد موقف مقـابل موقف بل ضرب موقف بموقف ووضع الموقفين معـا فى حرج التصادم والتناقض . فعلى يسـار الصفحة الأولى من نفس العدد بالبنط الاسود لاحمد صادق عزام يقـول « يواجه طه حسين كوزير وكمفكر وككاتب حر أخرج للشعب مستقبل الثقافة فى مصر وأخرج لنفس الشعب « المعذبون فى الأرض » وكرجل أولاه الشـعب ثقته بل وأعطى هذه الوزارة بالذات ثقـة كبيرة على أساس البرنامج الذى رسمه لتأميم التعليم ونشره وجعله كالمـاء والهواء حقـا مشاعا للجميع لا لمن يملك الثمن .. يواجه طه حسين الان أزمة ترتبط بكيانه وبكرامته وبالوعود التى ارتبط بهـا أمام الشعب كوزير » ويواصل عزام هجومه قائلا « ان آلاف الطلبة فى الجامعات المصرية مهددون بالحرمان من الدراسة اذا لم يدفعـوا رسوم الالتحاق ويدفعوها مقدما وعشرات الالوف من طلبة المدارس الثانوية مهددون بالحرمان من الدراسة اذا صدقوا ما قاله طه حسين وما وعد به طه حسين حين أعلن أن التعليم الثانوى أصبح مجانيا وأصبح كالماء والهواء حقـا مشاعا للجميع » ثم يتحول الكـاتب الى الهجوم والتهديد « ان الشعب صمم على أن ينـال حقـه ويتعلم ولن تقوى قوة فى الارض على أن تحرم طلبة مصر من الدراسة لانهم فقراء وستفتح أبواب الجامعة والمدارس للجميع سواء رغبت الوزارة أو رفضت لاننـا لم نعـد قطيعـا .. ولم يبق الا أن يقف طه حسين الوزير المسؤول وصاحب مستقبل الثقـافة فى مصر الى جانب الطلبة والى جانب الحرية والنور حتى لا يفقـد أمام الشعب كيانه وكرامته ، وحتى لا يعتبره الشعب مثل غيره أداة طيعة فى يد أعدائه » .

وبرغم كل توقعـات الملايين يعلن النحاس باشا الغـاء معاهدة ١٩٣٦ خضوعا لضغط وارادة حركة جماهيرية لا تقهر .. وتخلق هذه الخطوة تداعيات بالغـة الاهمية على مجمـل الحركة الوطنية والشعبية .

لكن الموقف الناقد لقيادة الوفد يظل كما هو وتظل سهام الملايين مسددة الى نفس الاتجاه القديم وفى العدد ٢٤ يتربع على صدر الصفحة الاولى مقال هو أقرب الى المنشور وبلا توقيع .. أما العنوان فهو « نحو جبهة وطنية متحدة . المعركة معركة الشعب » .. « سجل الشعب المصرى أولى انتصاراته فى كفاحه ضد الاستعمار الانجلو أمريكى وأذنابه ( من المصريين المزيفين ) بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ وبرفض المقترحات الاستعمارية للدول الاربع . لقد انتصر الشعب فى كفاحه وفوت بهذه الفرصة المؤامرات التى كانت تدبر فى الخفاء لاحلال الاستعمار الدولى بدل الاستعمار البريطانى .» .

ثم .. « لقد سر الشعب بقرارات الحكومة لان هذه القرارات تمثل رمزا لانتصار الشعب المصرى » وبعد هذه الاشارة الى سرور الشعب من قرارات الحكومة تعود الملايين وفى السطر التالى مباشرة الى القول « لقد انخدع الشعب من موقف الحكومة ومن خطب سراج الدين وتصريحات صلاح الدين .. لقد انخدع واعتقد أن حكومة الوفد ستقود بصدر رحب الكفاح الثورى للشعب المصرى ولكن الفرح الشعبى قد تبدد وانخداع الشعب بحكومة الوفد لم يستمر لان الشعب قد أدرك من خلال خبرته الذاتية أن حكومة الوفد غير جادة على الاطلاق فى اتخاذ مواقف ايجابية من الاستعمار البريطانى الروابض فى قناة السويس والسودان والشركات الاستعمارية وأوكار الجاسوسية البريطانية ولان حكومة الوفد غير جادة فى اتخاذ موقف ايجابى من أمريكا التى تزحف يوميا لتحتل مكان بريطانيا ، أمريكا التى ربطتنا بعجلتها الاستعمارية عن طريق مشروع النقطة الرابعة » .

ثم تركز السهام على العدو الاول لليسار من بين الوفديين جميعا « سراج الدين يعمل على تجميع ( الخونة القدامى ) رجال العهد الغابر ( عبد الهادى ـ هيكل ) الذين أذاقوا الشعب الامرين خلال حكمهم الارهابى الاسود . ان سراج الدين يدخل فى محالفات صريحة مع أعداء الشعب وأصدقاء الاستعمار من السعديين والدستوريين والمستقلين الاحتكاريين ويعمل على استشارتهم فى حل مشاكل الوطن وهم من جانبهم يباركون موقف الحكومة السلبى وضربها للحركة الوطنية يقولون بأن على الشعب طاعة الحكومة والانتظار بفارغ الصبر . أن القوة المغناطيسية التى تحرك سراج الدين للتحالف مع زعماء العهد الغابر الاسود هى الخوف المشترك بين الجانبين من انبعاث قيادة شعبية جديدة مخلصة تعمل على طرد الاستعمار الانجلو ـ أمريكى بأشكاله المختلفة من وادى النيل ، ونداءات الهدوء والسكينة وضبط الاعصاب التى تصدر من سراج الدين وابراهيم فرج وأخيرا طه حسين ، ومن الصحافة

الصفراء والاذاعة هذه النداءات جزء لا يتجزأ من سياسة تمييع الحركة الوطنية النامية وجزء من التحضير لتكوين الوحدة القومية من الاقطاب ( سراج الدين ـ هيكل ـ عبد الهادى ـ على عامر ) التى تريد الاتفاق بدون رقابة واعية من الشعب والجماهير مع الاستعمار الانجلو ـ أمريكى » .

ثم تقدم الملايين مفهوما جديدا وطبقيا للمعركة الوطنية ضد الاستعمار .. فتقول « ونداءات سراج الدين ووزير الشئون الاجتماعية بنسيان المطالب الاقتصادية للعمال والفلاحين والطلبة فى هذه الفترة جزء من خطة التمييع للحركة الوطنية ، لان الكفاح ضد الاستعمار مرتبط تماما بكفاح الطوائف المختلفة من أجل مطالبها الاقتصادية فالفلاحون لا يمكن ان يكونوا من جنود الكفاح ضد الاستعمار الا اذا ضمنوا اصلاحا زراعيا شاملا بعد التحرر بوضع قانون لتوزيع الارض وتخفيض الايجارات واصدار قانون بالسماح للاجراء الزراعيين والفلاحين بتنظيم أنفسهم فى نقاباتهم واتحاداتهم . والعمال يمكن أن يلعبوا الدور القيادى للحركة الوطنية اذا كان من ضمن برنامج التحرير تأميم الشركات الاستعمارية وضمان حياة انسانية سعيدة بعد التحرر . ان سراج الدين يريد أن يدخل فى روع الجماهير الكادحة أن هناك تناقضا بين الكفاح ضد الاستعمار والكفاح من أجل رفع مستوى المعيشة للشعب المصرى » .

ثم يمضى المقال أو بالدقة المنشور .. قائلا « اننا نؤمن تماما أن الكفاح المسلح للشعب المصرى هو الطريق الوحيد للتحرر ولكننا لا نؤمن أن هذا الكفاح المسلح سيتم عن طريق الحكومة الوفدية أو أية حكومة مماثلة لحكومات العهد الغابر . اننا نؤمن ان الكفاح الشعبى المسلح سيتم عن طريق قيادة شعبية مخلصة يثق بها الشعب ويخاف منها الاستعمار الانجلو أمريكى والحكومات الموالية له :

فالى التقدميين والعمال والفلاحين والطلبة والمثقفين المتنورين والاشتراكيين والوطنيين والاخوان .. والوفديين المخلصين نوجه نداءنا الحار بضرورة تكوين الجبهة الوطنية الديمقراطية المتحدة مزللين من أجل هذا الهدف السامى كل الصعوبات والخلافات غير المبدئية حول الاهداف أو اسم اللجنة التى نريد تكوينها فالى الامام »(٢٦) .

ولا بد لنا من وقفة أمام هذا المقال المنشور لكننا نلاحظ أولا ان المانشيت الرئيسى فى هذا العدد كان « الجواسيس الانجليز يمهدون الطريق

---

٢٦ ـ الملايين ـ ٢٨/١٠/١٩٥١ .

لحتم على ماهر » وهو ما حدث فعلا بعد أسابيع قليلة · لكن الملايين وبرغم هذا التحذير لا تلبث أن تلتقط خيط الكفاح المسلح لتعلن فى هذا المقال المنشور ربط المعركة الوطنية بالمعركة الوطنية ، وبرغم تواضع المطالب الطبقية الا أنها كانت كافية لاضافة عناصر كان من الممكن أن تكون طرفا فى الجبهة الوطنية الديمقراطية ·· التى تبنت حدتو فكرة الدعوة اليها ·· بل لعل بعض تعبيرات المقال / المنشور لم تكن دقيقة أو وافية بالغرض فليس تعبيرا دقيقا ذلك الذى يؤكد أن « الفلاحين لا يمكن أن يكونوا من جنود الكفاح ضد الاستعمار الا اذا منحوا اصلاحا زراعيا شاملا بعد التحرر » .

وهذا الهجوم على الحكومة الوفدية برغم أنه كان هناك ما يبرره الا أنه كان فى بعض الاحيان أكثر شدة من متطلبات الظرف السياسى خاصة بعد الغاء المعاهدة ورفض فكرة الاحلاف الاستعمارية رفضا قاطعا · صحيح أن شوائب كثيرة كانت عالقة بالموقف الوفدى الا أنه كان من الضرورى اتخاذ سياسة مرنة وحذرة تراعى شدة الضغوط الاستعمارية والرجعية على الوفد ورغبة الدوائر المعادية فى ازاحة حكومة الوفد وتراعى أيضا أن « الوفديين المخلصين » هم بناء على الحاح « حدتو » جزء من الجبهة الوطنية الديمقراطية .
والحقيقة ان الاختلاف لا يكمن فى مبدأ انتقاد الحكومة الوفدية وممارساتها ، فقد كانت تستحق هى وممارساتها الانتقاد لكن التساؤل ينصب حول كم الانتقاد وتوقيته ، وحول توجهات ابراز نقاط الاختلاف ·

وفى نفس العدد يواصل أحمد صادق عزام نفس النهج ، ويستمر ممسكا بخيط العداء للوفد ، لينسج منه موقفا متكاملا . · « هل المعركة معركة الشعب أم معركة حفنة من الباشوات ومن يسمون أنفسهم بالزعماء ؟ ان التحرر من الاستعمار يهم كل عامل مصرى وكل فلاح مصرى وكل طالب مصرى وموظف مصرى وكل كادح يعمل ويشقى فى مصر وهؤلاء هم الشعب ولكن يظهر أن هذه الحقيقة لا تريح الحكومة ، ولهذا تحاول أن تتجاهل التاريخ ومعارك التحرير التى دارت فى الصين وغير الصين والتى تدور الان فى كوريا وغير كوريا وتجعل من معركة التحرير فى مصر أكذوبة أو خدعة لن تضلل بها الا نفسها .

لقد ظهر على ماهر باشا فجأة كقائد وطنى ووضع على رأس لجنة الميثاق ·

لقد ظهر يس سراج الدين الاخ المدلل للباشا فؤاد سراج الدين وأصبح فجأة فى مقدمة أولئك الذين سيضمون الصفوف ويعبئون القادة ، قادة المعركة التى يبذل الشعب فيها دمه ··

لقد ظهر عزيز المصرى باشا فجأة ــ الباشا القائد الذى حاول الهرب الى الفاشست الالمان من قبل ــ ظهر ومهدت له الصحف بالاحاديث والتصريحات ليتولى قيادة الكتائب وتنظيمها » .

... ويختتم أحمد صادق عزام مقاله « .. اننا نقول للباشا النحاس ، وللباشا سراج الدين . وللباشوات ماهر والمصرى أن معركة التحرير تخص عشرين مليونا وتخص أساسا العمال والفلاحين لانهم ينوون حقا القضاء على الاستعمار لبناء حياة جديدة عادلة خليقة بالبشر . اننا نكرز أن تكوين جبهة وطنية ديمقراطية تنظم صفوف الطبقة العاملة والفلاحين والجماهير الشعبية تحت برنامج واضح هو الطريق الوحيد للتحرر والقضاء على مؤامرات الاستعمار وأعوانه ولن يتم تحرير مصر الا بقوات الشعب وتحت رقابة الشعب » ..

.. واذا كان عنف الهجوم غريبا فان الاغرب منه هو أن صاحب التوقيع أحمد صادق عزام الذى أصبح فيما يبدو مقتنعا بشكل شبه كامل بمقولات ومواقف حدتو .

لكن الأمور لا تستمر على هذا النحو .

فالمؤامرات الاستعمارية تشتد ضد الحركة الوطنية وضد حكومة الوفد .

والتمايز فى صفوف القيادة الوفدية يبرز ..

و « الملايين » ذاتها تؤكد أكثر من مرة أن الاستعمار يسعى لمطاحة بحكومة النحاس وتنصيب حكومة جديدة من عملائه . وازاء تعقد الموقف يتقدم أحد أعضاء اللجنة المركزية لحدتو محاولا أن يحدد موقفا من كل هذه الاحداث المعقدة والمتشابكة .. ففى العدد ٢٨ يكتب ابراهيم عبد الحليم « كلمة الملايين » .. فيقول « السفير أو العميل الرسمى للاستعمار الامريكى فى وشنجتون لا ينطق باسم الشعب بل ينطق باسم أعوانه ويحمى ظهور العساكر الانجليز ويمهد الطريق لقوات من أمريكا ومن كندا ومن استراليا وتصريحات ومناقشات يقوم بها عمرو باشا السفير المصرى فى عاصمة الدولة التى يقتل جنودها شعبنا هدفها استباحة الدم الذى سال ، والعودة بقضية الشعب الى مناقشات القاعات والقصور والى مفاوضات جربها شعب مصر وجربتها حكومة مصر مئات المرات وكانت كلها تقودنا الى طريق واحد .. العبودية . وتصريحات من هيكل ليس لها من رائحة الا رائحة الجريمة والخيانة يقول . لنترك الامر الى أولياء الامر وهو يطعن الحكومة من الخلف . وتصريحات من عزام تنقلها جميع صحف العالم بأن مصر على استعداد لان تعطى أمريكا قواعد عسكرية فى أراضيها . ثم يعود ويستنكرها بعد أن تكون قد لعبت دورها السىء . وتصريحات من الهضيبى بل لعلها هى الاخرى مدسوسة عليه بأن الشيوعية هى العدو الاول ، نفس الكلمات المسمومة التى سمعناها من صدقى فى الوقت الذى يبيع فيه مصر

وشعب مصر لاستعمار مجرم ٠٠ والخطة التى نفذها سراج الدين لتأميم الكتائب ، والشعب الذى لم يعد حائرا ولم يعد نائما ٠٠ يتساءل ويكاد ينطق بالجواب ٠٠ ان مؤامرة جديدة ضده وضد مستقبله تدبر فى الخفاء »

ثم ٠٠ وبعد كل هذا التمهيد يقول ابراهيم عبد الحليم عضو اللجنة المركزية لحدتو « اننا نثق أن حكومة الوفد لم تكن تهزل حين أعلنت الغاء معاهدة ٣٦ » لكنه يعود فيقول ٠٠ « ونثق أيضا أن وزراء مثل سراج الدين وعثمان محرم يحاولون جر العجلة الى الوراء أى اعادة المعركة الى المكاتب والمفاوضات والاتفاقات ، ان الطريق لوقف هذه المؤامرات هو توحيد العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين فى اتحاداتهم للدفاع عن مطالبهم الاقتصادية وللكفاح . اننا نؤمن بأن أسلوب المناورات وطعن الشعب من الخلف وحرف المعركة لن يتوقف اذا لم تتحرك العناصر المخلصة فى قيادات وقواعد الوفد والاشتراكيين والاخوان والحزب الوطنى والشبان المسلمين والتقدميين وتحمل نصيبها الايجابى فى الكفاح »(٢٧) ٠

وهكذا كان يد « حدتو » رغم كل ما حدث تمتد الى العناصر المخلصة « فى قيادات وقواعد الوفد » وهى يد تثق « فى أن حكومة الوفد لم تكن تهزل حين أعلنت الغاء معاهدة ١٩٣٦ » ٠

٠٠ ومع استمرار التآمر الاستعمارى على حكومة الوفد وبرغم استمرارها فى ارتكاب الاخطاء تقترب حدتو أكثر فأكثر من الدفاع عن حكومة الوفد ٠٠ وفى العدد قبل الاخير نجد المانشيت « هدف الانجليز احتلال القنال واسقاط حكومة الوفد » ويكتب أحمد صادق عزام فى « كلمة الملايين » ٠٠ « أدرك الشعب المصرى أن الهدف الحقيقى الذى يكمن وراء المظاهرات العسكرية الوحشية التى تقوم بها القوات البريطانية هو اسقاط الحكومة الوفدية ٠ أدركوا هذا منذ الوهلة الاولى واندفعوا يحمون هذه الوزارة من المؤامرة التى تحاك ضدها ادراكا منهم أن سقوطها هو أكبر نكبة يمكن أن تصيب الحركة الوطنية فى الوقت الحاضر » ٠

.. هذا الموقف جديد تماما لكن حماية الحكومة الوفدية ومساندتها تتم وفق شروط محددة ٠٠ « اذن من يحمى الحكومة الوفدية ؟ انه الشعب وحده ولكن الشعب لا يمكن أن يحمى هذه الحكومة اطلاقا اذا لم تقم بتوجيه كل ثقلها الى صدر الاستعمار واذا لم تقم بتنفيذ مطالب الشعب الاساسية ؛

فما هى اذن الشروط ٠٠ أو المطالب ؟

---

٢٧ ـ الملايين ـ ١٩٥١/١٢/٢

« — الشعب يطلب اليوم أن تقطع الحكومة العلاقات السياسية مع بريطانيا وأن تعقد معاهدات الصداقة والتحالف مع الاتحاد السوفيتى ودول الديمقراطية الشعبية لان هذه المعاهدات أساسية بالنسبة لكفاحنا ضد الاستعمار ٠

— والشعب يطلب اطلاق الحريات العامة وفى مقدمتها حية الفئات والطبقات فى ممارسة حقوقها النقابية والسياسية دون أى قيد وأيضا حرية الرأى والاجتماع والتظاهر ٠

— ان الشعب يطلب اليوم اطلاق سراح المسجونين السياسيين » ٠

وبعد هذه المطالب الثلاثة تقول الملايين « اننا نعلم أن هناك فى الوفد نفسه وفى الوزارة نفسها من يكره الاستجابة لمطالب الشعب ونعلم أكثر من ذلك أن بعض ذوى النفوذ فى الحكومة ذاتها يريدون العودة الى سياسة المفاوضات والى سياسة الوحدة القومية سياسة التحالف مع أبطال العهد الأسود ولكننا نعلم أيضا أن كثيرا من المخلصين فى الوفد يشجبون هذه السياسة ويسيرون على سياسة شعبية محضة وعلى هؤلاء أن يقوموا بكفاح ضخم لمصلحة الشعب كله فى سبيل تحطيم المناورات التى تقوم بها هذه العناصر فى محاولة للرجوع بالشعب الى الوراء ٠ ان الشعب المصرى يخوض اليوم معركة حاسمة ضد الاستعمار ، وانه ليطلب أن توفر كافة حرياته حتى تستطيع طاقته أن توجه بنجاح ضد العدو ٠ هذه هى مطالب الشعب وعلى الحكومة أن تحترمها » (٢٨) ٠

٠٠ وتأتى الى العدد الاخير ( الثلاثون ) فيزداد الموقف وضوحا ويقول احمد صادق عزام فى « كلمة الملايين » ٠٠ « ان الموقف لم يعد يحتمل التمييع والمداراة ٠٠ ان القوى الرجعية التى تتآمر اليوم على الشعب وعلى مصيره ، تتآمر فى نفس الوقت على الحكومة الوفدية وتهدف الى توجيه الطعنة المميتة الى الوفد كحزب مرتبط بالشعب ٠ ان الحركة الوطنية مهددة اليوم بخطر مباشر ٠٠ خطر من الاستعمار وخطر من الرجعية المحلية التى نظمت صفوفها ، وهذا الخطر موجه أيضا الى كل وطنى مخلص فى الوفد سواء أكان فى الوزارة أو فى القاعدة .. والى الاخوان والاشتراكيين والتقدميين »(٢٩)

وتكون هذه آخر نداءات الملايين للحكومة الوفدية ٠٠

* * *

---

٢٨ — الملايين — ١٩٥١/١٢/١٢ ٠

٢٩ — الملايين — ١٩٥١/١٢/٢٦ ٠

ومن التشدد تجاه تردد حكومة الوفد الى تشدد أعنف بمواجهة الاستعمار وكل أعوانه والمتهادنين معه ٠٠ وقبل أن نبدأ فى استعراض موقف « الملايين » تجاه هذه القضية نشير الى أن « الملايين » كانت مفتحة العينين تجاه الزحف الاستعمارى الامريكى فمعركة القنال والمعركة ضد الاحتلال ومعركة الاحلاف العسكرية هى معركة ضد الاستعمار الانجلو ـ أمريكى معا ٠٠ وسوف نرى كيف تركز الهجوم أساسا على الاستعمار الامريكى باعتباره « المايسترو » الاكثر خطرا على أمن واستقلال مصر ٠٠

وسوف نرى أيضا كيف ربطت الملايين المعركة ضد الاستعمار بالنضال من أجل السلام العالمى باعتبار أن الاستعمار هو مسبب الحروب وكذلك سنرى بوضوح خطة « حدتو » لمحاصرة الهجمة الاستعمارية على المنطقة ومحاولة إنشاء حلف الشرق الاوسط وقد تمثلت هذه الخطة فى التحضير لعقد « مؤتمر شعوب الشرق الاوسط » بالقاهرة ٠

وهكذا نعود مرة أخرى الى البداية ٠٠

لنجد فى العدد السابع « وزارة الداخلية تصرح باحتلال القاهرة » ٠٠ « صرحت وزارة الداخلية لثمانى عشرة سيارة من سيارات أتوبيس الشرق بنقل جنود الاحتلال من منطقة القنال الى القاهرة كل يوم سبت وثلاثاء من كل أسبوع وقد اشترطت وزارة الداخلية فى التصريح أن يكون الجنود المنقولون الى القاهرة بملابس مدنية » (٣٠)

أما العدد الثامن فيتضمن وثيقة بالغة الخطورة ٠٠ وتكمن خطورة هذه الوثيقة فى انها تحدد معالم المخطط الاستعمارى ازاء مصر وحركتها الوطنية ٠٠ ان مطالعة هذه الوثيقة الان ومقارنتها بمسلسل الاحداث التى وقعت فعلا توضح لنا مدى خطورة نشرها على صفحات الملايين فى وقت مبكر ٠

« تقرير خطير للسفارة البريطانية بالقاهرة ـ الملايين تنشر فقرات من التقرير الخطير ـ السفارة تكشف عن اطمئنانها الى معظم السياسيين ـ هل يدبر الانجليز لاحداث انقلاب جديد خطير ؟ »

وقبل أن ننقل عن الملايين ما نشرته نذكر فقط أنها نشرته فى ٢٣ يونيو ١٩٥١ ٠٠

٠٠ « تمكنت الملايين بوسائلها الخاصة من الحصول على خلاصة تقرير خطير أرسلته السفارة البريطانية يوم ٩ مايو الماضى الى مستر هربرت

---

٣٠ ـ الملايين ـ ١٩٥١/٦/٣ ٠

موريسون وزير خارجية بريطانيا وكنا نود خدمة للشعب المصرى واظهارا للحقائق الخافية عليه أن ننشر جميع المعلومات التى اشتمل عليها التقرير والتى تناولت مواقف معينة لشخصيات مصرية كبيرة ولكننا مرغمين على الاكتفاء بنشر هذه الاجزاء التى تكشف الى حد كبير أخطر مؤامرة يدبرها الاستعمار بمساعدة بعض الشخصيات والهيئات المصرية لاحداث انقلاب رجعى جديد لا يعتبر عهد عبد الهادى الاسود الى جانبه شيئا مذكورا . وقد جاء فى التقرير « على الرغم من الضربات القوية التى وجهها صدقى والنقراشى وعبد الهادى الى الحركة الوطنية فى مصر وعلى الرغم من حرب فلسطين وما ترتب عليها من اعلان الاحكام العرفية واتخاذ خطوات ايجابية ازاء المهيجين السياسيين بزجهم فى المعتقلات والسجون وسن تشريعات لا يمكن اصدارها الا فى البلاد الشرقية الاستلامية (!) واصدار أحكام رادعة على عدد كبير من الشيوعيين المصريين والسودانيين — على الرغم من كل ذلك فان الحركات الوطنية لم تتحطم بل ازدادت قوة بدرجة أصبحت تهدد مصالحنا وتقلب رأسا على عقب السياسة التى رسمت فى المؤتمرات المختلفة والتى عقدها المستر بيفن السفراء البريطانيين .» وتمضى الوثيقة قائلة « .. ومع أن النحاس باشا قد وقف مناصرا لبريطانيا فى الحرب الاخيرة وقدم لها خدمات لا تنسى الا أن المصادر تقطع بانه لم يعد ذلك الرجل القوى الذى يمكن لبريطانيا أن تعتمد عليه كل الاعتماد حقا لقد أثبتت المحادثات المصرية ـ البريطانية موافقة النحاس باشا شخصيا (!) وأغلب وزراء الوفد (!) على التسليم بمبدأ الدفاع المشترك .. لكن يبدو أن هذه الوزارة تتهيب مواجهة الشعب والحركة الوطنية الجارفة والتى زادت من اشتعالها الحرب الكورية وحركة تاميم البترول الايرانية . ومن مظاهر التاثر بأحداث كوريا وايران أن بعض المهيجين من أعضاء مجلس النواب المصرى تباروا فى اظهار حماستهم ومزق أحدهم معاهدة ١٩٣٦ فى البرلمان وطالب آخر بعقد معاهدة عدم اعتداء مع روسيا السوفيتية .» .

. ثم انتقلت الوثيقة الى الحديث عن السعديين والدستوريين وقالت عن عبد الهادى بالذات أنه قد انتهى ثم قالت « لم يعد فى الامكان استخدام هؤلاء الرجال للعب أى دور على مسرح السياسة المصرية بعد أن سببت السنوات التى حكموا فيها كراهية الرأى العام لهم واستعداده للثورة اذا فرضوا عليه من جديد لذلك يجب أن نسقطهم من حسابنا ولو فى الفترة الحرجة الحالية على الأقل » .

وبعد أن تستعرض الوثيقة فى فقرات مطولة تطورات الوضع الدولى التى توضح ان منطقة الشرق الاوسط التى اعتادت بريطانيا على استخدامها كمركز استراتيجى فى الحرب قد أصبحت منطقة قلقة وتحولت الى منطقة

خصبة لنشاط الشيوعيين يساعدها فى ذلك الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية الشاذة التى لا تمثل الا مصلحة فئة خاصة لا تتعدى المئات من الافراد ..
بعد ذلك تصل الوثيقة الى نتيجة بالغة الخطورة .. فتقول « لن ينقذ الوضع فى مصر ويحوله الى جانبنا الا انقلاب جديد له طابع ثورى ويحقق بعض الاصلاحات للطبقات الفقيرة فى الوقت الذى يبطش فيه بالحركة الوطنية ويقضى على نشاط العناصر المعادية لنا وفى مقدمتها العناصر الشيوعية » .

ثم يستعرض التقرير العناصر المصرية والهيئات السياسية التى يمكن استخدامها فى هذا الانقلاب وقد جاء ذكر حافظ رمضان باشا ووصفه التقرير بأنه « ولو أن له ميول أمريكية ويعمل فى عدد من الشركات الامريكية الا أنه ما زال رئيس الحزب الوطنى وهو غير اللجنة العليا للحزب التى يبدو أنها جرفت فى التيار الثورى وحافظ رمضان من النوع الذى يعتمد عليه ويمكن أن يشترك فى وزارة انقلاب » .

ثم تناول التقرير الاخوان المسلمين فقال « من الممكن أن نعتمد على قيادة الاخوان المسلمين بل يمكن أن نطرح دون مغالاة أن فى مقدورهم لعب أكبر دور يمثل مصالحنا ويجب بهذه المناسبة أن نذكر وزارة الخارجية بالخدمات الجليلة التى قامت بها قيادة الاخوان فى سنة ١٩٤٦ ولا يمكن أن ننسى الدور الكبير الذى قام به الاخوان المسلمين فى بداية حرب فلسطين ».
أما أخطر جزء فى الوثيقة فهو ذلك الذى يتناول الصحافة المصرية والذى جاء فيه « لولا المساعدات التى قامت بها أغلب الصحف لجلونا عن مصر منذ سنين » .

ثم تعلق الملايين بعد ذلك قائلة « واننا ننشر هذا التقرير لنسجل خيوط مؤامرة جديدة يديرها الاستعمار ضد مصر ولنضع هذه الحقائق الدامية أمام أعين الشعب ليعرف كيف يميز بين أصدقائه وأعدائه .. وليقف على الوسائل التى مكنت القوات البريطانية من احتلال مصر منذ سبعين سنة ومن البقاء فيها حتى اليوم »(٣١)

... هذه الوثيقة بالغة الخطر .

... انها تثير شهية المؤرخ للبحث عن كافة دقائقها . عن نصها الكامل وعن كيفية تسربها لجريدة الملايين وعن علاقتها بما وقع فى مصر من أحداث بعد أقل من عام واحد ..

لكن كل هذه الطموحات التاريخية ليست ضرورية لدراستنا هذه وليس أمامنا سوى أن نرجئها لدراسة أخرى ..

---

٣١ـ الملايين ـ ١٩٥١/٦/١٠ .

لكن ما يهمنا هو أن هذه الوثيقة قد ألقت بظلها على كثير من توجيهات الملايين وخاصة إزاء الوفد والنحاس ..

والمعركة التي تخوضها الملايين ضد الاستعمار معركة متكاملة فهي تتابعه في كل مكان ..

وعلى امتداد صفحة باكملها من نفس العدد موضوع بعنوان « كيف سطا اللصوص الانجليز على بترول ايران » أما العناوين الفرعية « قطار سكة حديد ثمنا لبترول ايران - قسيس انجليزى يسرق امتياز البترول - انجلترا تسرق ٢٠٠ مليون جنيه سنويا من ايران » أما مقدمة الدراسة الطويلة « النزاع المستمر بين الشعب الايرانى واللصوص الانجليز حول البترول الايرانى والبرقيات تتوالى عن تطورات قرار التأميم الذى أصدرته الحكومة الايرانية وعن المحاولات التى يبذلها الاستعمار الانجليزى لتحطيم هذا القرار وكان على الملايين ان تطلع قراءها الوطنيين فى جميع أنحاء الشرق الاوسط على الدور الخطير الذى لعبته القرصنة البريطانية والجاسوسية الانجليزية فى سلب بترول ايران ، إنها قصة من قصص الاستعمار الذى يمتص دماء الشعوب متحدثا عن مهمته الجليلة فى رفع مستواها والنهوض بها .. انها قصة للخونة الذين يتحدثون عن مآثر كرومر ودنلوب وأخلاق السادة الانجليز الذين اذا ضربوا لك موعدا للشاى فى الساعة الخامسة حضروا فى الموعد بالضبط ودون تقديم أو تأخير .. انها قصة الاستعمار على حقيقته .. وفى بساطة هى قصة لص ينتزع اللقمة من يديك فاذا أبيت عليه ذلك .. قتلك » وبعد هذه المقدمة صفحة كاملة .. لقصة النهب البريطانى للبترول الايرانى ..

وفى نفس العدد دراسة مطولة وهامة للغاية عن أفريقيا وعن دور القوى الثورية فيها ودور حركات التحرير الافريقية وتكوين التجمع الديمقراطى الافريقى الذى تاسس فى المستعمرات الفرنسية فى أفريقيا والذى يزيد عدد أعضائه على المليون عضو ..

أما عناوين الدراسة « قبس من نور الحرية يشرق على القارة السوداء - أفريقيا آخر معقل للدول الاستعمارية تعبئه جميع الموارد الافريقية لخدمة الولايات المتحدة وحليفاتها » .

وهكذا تمد الملايين ذراعيها بعيدا لتضع أمام قارئها معلومات لم يعتد على مطالعتها فى الصحف المصرية وتتقدم بذلك على تجربة جديدة تستحق التامل وتوحى بأن كوادر « حدتو » لم تكن قادرة على تتبع هذه الموضوعات

ودراستها فحسب وانما كانت أيضا تدرك أهمية وحدة النضال ضد الاستعمار ووحدة كل المناضلين المعادين له . بهذا المفهوم تستمر « الملايين » فى معركتها ضد الاستعمار .

وفى العدد ٩ تطالع فى صدر الصفحة الاولى صورة كبيرة لماك أرثر وتحتها التعليق التالى « هذا الوجه .. انه وجه ماك آرثر فى شبابه ، عندما كان ضابطاصغيرا فى الحرب العالمية الاولى ، لقد أبلى بلاء حسنا فى ميادين فرنسا ، بلاء ينبىء عن مستقبله اللامع فى ذبح الشعوب والفتك بها كما حدث فى كوريا وكما ينتظر أن يحدث مع غيرها فى أنحاء العالم اذا لم تسحق الشعوب أمثال هذا الجزار سحقا ، وهى لا شك ستسحقه »(٣٢)

وفى نفس العدد « حديث الملايين » بعنوان « أساليب الاستعمار » وبقلم أحمد صادق عزام » الاستعمار اليوم رغم ضعفه وتراجعه فى كل مكان الا أنه لا زال يقاوم لكنه لا يقاوم بنفس الاساليب السابقة سافرا يرسل البوارج والانذارات ، وانما بوسائل أخرى أصبحت هى الوسائل الوحيدة الصالحة أمام ثورة الشعوب واصرارها على القضاء عليه قضاء لا رجعة فيه ، ففى مصر يطلق ألسنة صحافته ومأجوريه كى يتحدث عن حيدر .. الديكتاتور القادم ، ويثير حكاية الوثائق المزيفة ، ومؤامرة النحاس مع الاتحاد السوفييتى ، ويدفع هيكل الى المسرح ليشغل أذهان الناس بالحديث عنه ، ويحاول أن يدبر انقلابا رجعيا فى مصر لا يلعب دور البطولة فيه ابراهيم عبد الهادى الذى انتهى ولا حيدر الذى يتربص له الجميع وانما هيكل الوديع وبذلك يرضى الشعب المصرى « بالار » خوفا من « الأمر منه » أيها الاستعمار المغفل هل تظن أن الشعب المصرى مثلا لا يدرى ماذا تربيته مع النحاس وصلاح الدين وابراهيم فرج لامضاء الدفاع المشترك ؟ امض فى مؤامرتك واجمع من حولك جواسيسك ومأجوريك ووقع المعاهدات والاتفاقات فان الشعوب تعرفك جيدا وستحطم جميع ما أعددت وستمزق جميع الوثائق التى وقعتها بالاتفاق مع الخونة البلهاء الذين لا زالوا يظنون انك قوى مهاب وليثق الخونة العاهرون الذين وقعوا معه معاهدة صدقى – بيفن والخونة المنتظرون الذين يوقعون بأنفسهم صك خيانتهم فان الشعوب لا تهزل ولا تمزح » .

وفى الصفحة الحادية عشرة من نفس العدد دراسة مطولة عن « الماسونية » واتهامها بأنها « وكر من أوكار الاستعمار » .

والمعركة ضد الاستعمار تركز فى جانب كبير منها على الاستيعمار الامريكى ومخططاته ازاء مصر والمنطقة فى العدد ١٠ يخصص أحمد صادق عزام

---

٣٢ – الملايين – ١٩٥١/٦/١٧ .

«حديث الملايين» للتحذير من النقطة الرابعة «غدا يعرض على مجلس النواب مشروع النقطة الرابعة وعلى النواب المحترمين الذين يناقشون هذا المشروع أن يتذكروا المعركة التى لم تعرفها مصر من قبل والتى أتت بهم الى البرلمان المعركة الانتخابية التى جرت بين الشعب الذى عانى ما عانى فى خمس سنوات طوال وبين العهد الغابر الاسود المعركة التى أراد سرى وهاشم والسفارتان الأمريكية والانجليزية أن يعترضوا طريقها، المعركة التى فاجأت بنتائجها النحاس نفسه لانه لم يكن يتوقع هذا النصر، وظنه نصرا لنفسه بينما هو نصر للشعب».

ويمضى عزام محذرا النواب «على النواب الذين ينظرون مشروع النقطة الرابعة غدا أن يتذكروا هذه المعركة الخالدة، وأن يدركوا جيدا أنهم يدينون بمقاعدهم لهذا الشعب وحده وأن أى انحراف عن الواجب الوطنى سوف يفقدهم هذه المقاعد الى الابد، لان هذا الشعب لم يعد يهزل بل هو جاد كل الجد. غدا يعرض مشروع الاستعمار الامريكى على مجلس النواب المصرى .. نحن لا نصارع الاستعمار الانجليزى باحتلاله ونفوذه الاقتصادى لنلقى بأنفسنا فى براثن استعمار أشد وأنكى»(٣٢)

وفى نفس العدد دراسة هامة عن بترول العراق وعن مؤامرات الانجليز للاستيلاء عليه وعنوان الدراسة «الاستعمار يبيع الاكراد والارمن واليونانيين فى سوق البترول» ثم دراسة أخرى بعنوان «قصة تأميم بترول ـ درس من المكسيك».

أما صفحة الكاريكاتير التى اعتاد زهدى أن يواصل عليها ابداعه الفنى فقد خصصت فى هذا العدد هى الاخرى للهجوم على «النقطة الرابعة» ويصاحب الرسوم تعليق سياسى يقول «ان الحكومة لن تتيح التسول لمعظم رعاياها يسهل عليها أن تتسول دوليا وتمد يدها مستجدية النقطة الرابعة هذه الحكومة التى أباحت أموالها للبلطجية الانجليز كما أعلنت حرب، والتى تفزع بالمعونة كلما زلزلت الارض بتركيا المتغطرسة، والتى أذابت فى رمال فلسطين ٢٠. مليون جنيه وآلاف من الارواح بلا ثمن، والتى هزها الكرم فجادت بسلاح يحتاجه جيشها ان مصر الكريمة هذه اذ تمد يدها الى النقطة الرابعة انما تمدها الى حبل الاستعمار الامريكى تلفه حول عنقها».

وتواصل «الملايين» تعقيبا للاستعمار الامريكى الزاحف الى مصر وفى العدد ٢١ «تتقول الافتتاحية «تدرس وزارة الخارجية هذه الايام نص الرسالة

٣٣ ـ الملايين ـ ١٩٥١/٦/٢٤ .

التى بعث بها الرئيس ترومان الى لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ والنواب عن المعاونة المقترحة لبلدان الشرق الاوسط وقد استطاعت «الملايين» أن تحصل على نص هذه الرسالة ، وفيما يلى نصها « تحتم مصالح الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط بذل غاية الجهد لمعاونة الحكومات والشعوب فى هذه المنطقة لبناء قوتها العسكرية والسياسية والاقتصادية ٠٠ أولا لكى لا يشجع أحد على العدوان عليها من الخارج ، وثانيا لحمايتها من الانقلابات الداخلية ، وثالثا لدعم رغباتها فى الاستقرار والتقدم ، ورابعا لمنع أسباب الشقاق والاضطراب التى تحول دون الاستقرار ودون التقدم والرقى » وان نظرة واحدة على نص الخطاب تدل دلالة واضحة على أن قبول هذه المعونة ليس الا قبولا لتدخل أمريكى سافر فى كل ما يتعلق بالشؤون الداخلية والخارجية فقد بدأت الرسالة بالاشارة الى أن أساس هذا المشروع هو ما تدعيه أمريكا من مصالح فى بلاد الشرق الاوسط ، ولا يعدو قبول المشروع أن يكون اعترافا رسميا من جانب هذه الدول بهذه المصالح الامريكية »(٣٤)

وفى العدد ١٤ ريبورتاج بعنوان « عين شمس ٠٠ وكر من أوكار الجاسوسية الانجلو أمريكية فى الشرق ٠٠ الحلقات الثقافية تتولى تخريج صنائع الاستعمار ٠٠ ليلة حمراء لتدشين الاعضاء الجدد » .

وبالرغم من أهمية الموضوع الا اننا نشير الى أن اعداد هذا الريبورتاج كان ضعيفا من الناحية الصحفية بصورة لم نعهدها من قبل فى الملايين ، مما يشير الى أن كاتبه كان بعيدا تماما عن ميدان الصحافة .

أما فى العدد ١٧ فافتتاحية « أحمد صادق عزام » تقول « أوضح مستر موريسون فى بيانه الشهير أن الاستعمار البريطانى قد صمم نهائيا على البقاء فى مصر أبد الآبدين ، وأنه فى هذا لا يمثل نفسه فحسب بل يمثل الجبهة الاستعمارية فى مجموعها وعلى رأسها الولايات المتحدة رأس الرمح فى العدوان والهجوم على الشعوب وبالرغم من هذا جاء خطاب صلاح الدين خاليا من أى اشارة ولو من بعيد الى هذا الموضوع ، وليس هذا من قبيل المصادفة البحتة فالدلائل تشير جميعا الى أن هناك اتجاها متزايد النمو الى الارتباط رأسا بالسيد الجديد الاستعمار الامريكى ولم يعد هذا الاتجاه خافيا على أحد ولا سيما بعد المواقف المتتالية فى النقطة الرابعة وفى الترحيب بفكرة الانضمام لحلف الاطلنطى ، وفى اللجوء الى أمريكا لتصفية الخلافات الناشئة بين مصر وبريطانيا » .

---

٣٤ ـ الملايين ـ ١٩٥١/٧/٨ .

وتمضى الملايين مؤكدة فى الختام « ان الشعب المصرى الذى يناضل للتحرر من براثن الوحش البريطانى لن يرضى أن يضيع نضاله على مذبح الاستعمار الامريكى بل سيناضل بكل قوته ليرده على أعقابه »(٣٥)

وفى العدد ١٨ مانشيت يعرض الصفحة الثالثة « الاستعمار الانجليزى فى شرق الدلتا والاستعمار الامريكى فى غرب الدلتا ـ الخواجة « جاناكليس » يرث الخواجة « نوبار » فى استغلال الشعب المصرى ـ مساحات شاسعة من ارض الوطن الزراعية لشركة أمريكية »(٣٦)

وهكذا توجه الملايين طعناتها للمراكز الاستعمارية فى الاقتصاد المصرى بل انها تكشف فى نفس الوقت حقيقة الدور التخريبى الذى تلعبه أمثال هذه الشركات ففى الصفحة الرابعة من نفس العدد موضوع عنوانه « مدير شركة جريشام للتامين ٠٠ جاسوس » وفى نفس الصفحة موضوع عن الهند بقلم حليم طومسون ( حدتو ) « الهند الجوهرة التى سقطت عن التاج البريطانى » .

وفى نفس العدد أيضا يواصل زكى مراد تقديم عموده الاسبوعى « مصر جزء من العالم » ٠٠ « كانت تصرفات أمريكا فى هذا الاسبوع فيما يتعلق بمشكلة معاهدة الصلح اليابانية مثار دهشة الرأى العام العالمى الا أن الدهشة تزول حين تتضح الاسباب الحقيقية التى تدفع أمريكا الى « كروتة » هذه المعاهدة فى هذه الآونة بالذات » وبعد تحليل ظروف عقد المعاهدة يطالب زكى مراد وزير خارجية مصر أن يقوم بما يأتى :

**أولا :** أن يطالب باشتراك الدول ذات الشأن فى عقد معاهدة الصلح اليابانية وهى الجمهورية الشعبية الصينية والإتحاد السوفييتى وأن يعلن اعتراف مصر بالصين الشعبية حتى لا نظل متخلفين عن الدول التى أعلنت هذا الأعتراف واحداها بريطانيا الإستعمارية ٠٠

**ثانيا :** أن يصر على موقفه هذا من اليابان فى حله للقضية المصرية فان الانسجام المنطقى بين موقفه هذا وبين مواجهته لمسالتنا الوطنية لا يمكن أن يتحقق الا اذا الغى معاهدة ٣٦ واعتبر القوات البريطانية قوات معادية وأيد الشعب فى ضرورة تطهير أرض الوطن منها » ٠٠

٠٠ ومن الهجوم على الاستعمار الامريكى وعلى مشاريعه الاستعمارية ومن تعقبه حتى اليابان الى الهجوم على عملائه بالداخل وفضحهم ٠٠ فالموضوع

---

٣٥ ـ الملايين ـ ١٩٥١/٨/١٢ .

٣٦ ـ الملايين ـ ١٩٥١/٨/١٩ .

الاساسى فى الصفحة الاولى من العدد ٢٠ « أمريكا تؤسس لنفسها حزبا جديدا » وتفضح الملايين قصة هذه المحاولة « كان أول هذه الخيوط العطف الأمريكى الواضح على الدكتور أحمد حسين وزير الشئون الاجتماعية المستقيل الذى تثق به الدوائر الامريكية وتقوم له بدعاية واسعة فى المنظمات الدولية باعتباره سياسيا واعيا يستطيع وقف الخطر الشيوعى بما يفكر فى تنفيذه داخل اطار الاوضاع القائمة من مشروعات الاصلاح الاجتماعى ، وكان ثانى هذه الخيوط الحديث الذى نشرته الاهرام للدكتور حافظ عفيفى والذى دعا فيه الى عقد محالفة ثلاثية مع الولايات المتحدة وبريطانيا ونوه فيه بضرورة الاهتمام بالاصلاح . أما الخيط الثالث فهو المقابلات التى تمت بين رجال السفارة الامريكية وبعض المستقلين فى الاسابيع الاخيرة فى دار السفارة وفى احدى الصالونات النسائية ، وقد قاموا بجس النبض والايحاء بانشاء حزب سياسى جديد يحارب الفساد وتعاونه أمريكا بتأييدها المادى والادبى وبين الأسماء التى ترددت كنواة لهذا الحزب الدكتور حافظ عفيفى والدكتور أحمد حسين وسابا حبشى وعبد القوى أحمد وفكرى أباظة وأحمد عبود الذى هو من أوائل الذين عملوا على تغيير الدفة نحو الاستعمار الامريكى وقد بذلت عدة محاولات مع فتحى رضوان ولكنه رفض باباء بعد أن لقن الامريكان درسا قاسيا فى الوطنية (٣٧) .

وتواصل الملايين تعقبها لهذا المخطط وتعود فى العدد ٢٤ لتسلط الاضواء على علاقة أحمد عبود بالامريكان وبالانجليز فأحد مانشتات العدد « عبود يطلب تدخل السفير الامريكى » والخبر الرئيسى فى الصفحة الاولى من العدد « فى الساعة الثانية عشرة بالضبط شوهد عبود باشا وهو يدخل السفارة البريطانية من بابها العمومى »(٣٨) .

.. فاذا عدنا الى العدد العشرين نجد أن الصفحة الرابعة والاخيرة تخصص مساحة كبيرة لباب جديد « القاموس المصرى » وفيه تقول الملايين « ثبت من أحاديث أقطاب الاستعمار فى مصر والخارج أنهم يستخدمون لغة أخرى غير التى يفهمها الشعب المصرى ونحن هنا نقدم ترجمة العبارات الجارية على لسان الدعايات الاستعمارية الخبيثة ..

ـ الدفاع عن الشرق الاوسط = مقاومة كفاح شعوب الشرق الاوسط فى سبيل التخلص من الاستغلال الاستعمارى لثرواتها ومواردها والايدى العاملة فيها ..

---

٣٧ ـ الملايين ـ ١٩٥١/٩/٩ .

٣٨ ـ الملايين ـ ١٩٥١/١٠/٢٨

ــ العالم الحر = المعسكر الذى يدافع عن «حرية» الاحتكارات فى استغلال الانسان وامتصاص دماء المستعمرات و «حرية» الأغنياء فى ذبح الفقراء .

ــ أسلوب الحياة الامريكية = مذبحة دنشواى والوعود بالجلاء وابتلاع الديون الاسترلينية وسرقة الشعوب المستضعفة على أحدث طرق القرصنة الغادرة وشراء ذمم الخونة من الحكام »

ويأتى العدد ٢٢ بعد اعلان النحاس باشا الغاء معاهدة ٣٦ وتقول الافتتاحية « علم مندوبنا فى الدوائر السياسية ، أن اعلان الحكومة المصرية الغاء المعاهدة واتفاقية ١٨٩٩ قد أحدث ذعرا وارتباكا فى الدوائر الانجلو ــ أمريكية وقلب خطط ساسة هذه الدول رأسا على عقب فقد كانت الخطة مرسومة من قبل على أساس أن يطلب من مصر الانضمام الى حلف الشرق الاوسط كثمن لالغاء المعاهدة ، وبهذا تضمن الكتلة الاستعمارية أن تخضع مصر ومن ورائها الدول العربية الاخرى عسكريا وسياسيا الى دول حلف الاطلنطى تحت زعامة أمريكا وكان الثمن الذى سيقدم الى مصر فى هذه الحالة هو أطنان الدبابات والمدافع الامريكية فى نظير أن تقدم مصر الوقود الآدمى لهذه الاسلحة وقد اضطر وزراء بريطانيا وأمريكا وفرنسا وتركيا الى فض اجتماعاتهم التى كانت معقودة فى الدولة الاخيرة والتى التوجه الى عواصم الدول العربية مباشرة لانقاذ ما يمكن انقاذه قبل أن تتحرك الشعوب العربية فتتأثر بتغيير الموقف فى مصر وبالحركات الشعبية فى ايران وتهب فى ثورة جامحة على الاستعمار الاجنبى تقضى على كل أمل فى الاتفاق وقد علم مندوبنا أن وزراء خارجية سوريا ولبنان والعراق قد أبلغوا وزراء الدول الاربع أنهم على استعداد للانضمام الى هذا الحلف اذا اتخذت مصر هذا الموقف ..

وصرح وزراء خارجية هذه الدول بأن الاتجاه السياسى فى مصر وموقفها من الصراع العالمى هو الذى سيحدد اتجاه سياسة دول الشرق الاوسط جميعا(٣٩)

أما مانشتات العدد ٢٣ فكل منها ذا مغزى خاص :

« ــ الاتحاد السوفييتى يرفض مؤامرة أمريكية ضد الشعب المصرى .

ــ مؤامرة انجليزية لاحتلال جميع المطارات المصرية .

ــ يجب اجبار الحكومة على اطلاق الحريات

ــ نحو جبهة وطنية ديمقراطية متحدة .

---

٣٩ ــ الملايين ــ ١٩٥١/١٠/١٤ .

- المسألة المصرية تتعدى حدود مصر » .

أما الافتتاحية فتكرس لموضوع تخطيط الانجليز لاحتلال المطارات « علم مندوبنا فى الدوائر الدبلوماسية من مصدر كبير يعمل فى السفارة البريطانية(!) ان هناك مؤامرة خطيرة دبرت فى الايام الاخيرة لتوجيه ضربة قاصمة الى الشعب المصرى وتقضى الخطة بأن يحتل جنود المظلات التى وصلت أخيرا من قبرص جميع المطارات فى القاهرة والاسكندرية والمنيا وأى مكان آخر .. وتحتم الخطة أن يتم هذا الاحتلال فى ظرف ٢٤ ساعة وقد صرح نفس المصدر أن هذه الخطة قد عرضت على حكومات فرنسا وتركيا وكندا فوافقت عليها بالاضافة الى أمريكا التى اشتركت فى رسم الخطة » .

وبعد هذه « الخبطة الصحفية » تعلق الملايين « والملايين تنشر خيوط هذه المؤامرة الاستعمارية الجديدة لتوقف الشعب والحكومة على ما يدبر للوطن ولتطالب الحكومة بأن تقوم بواجبها وأن تجعل من الجيش الحصن الذى يحمى الوطن ويتقدم الصفوف لتحريره »(٤٠)

.. ولا بد لنا أن نشير هنا الى هذه النجاحات الصحفية المتتالية التى تميزت بها الملايين بحصولها على معلومات صحفية بالغة الاهمية لعل نشرها قد أربك أصحابها كثيرا وأفسد خططهم .. ان مثل هذه المعلومات ويسبقها « الوثيقة » الانجليزية الهامة .. تشير الى أن الملايين وربما ( حدتو ) أيضا كانا على صلة بمصادر اخبارية عليمة وقادرة على الحصول على معلومات ما كان لها أن تصل الى أية صحيفة مصرية وفى العدد ٢٤ يعود الضوء ليسلط على عبود باشا وعلاقاته بالامريكان « علم مندوبنا فى الدوائر الاجنبية أنه قد تمت فى الايام الاخيرة اتصالات عديدة بين بعض الباشوات المصريين من المستقلين وكبار رجال المال وبين السفارة الامريكية وبين السفير الامريكى نفسه .. وقد توجه الباشا عبود الى السفارة الامريكية ثلاث مرات فى يومى ٢٤ ، ٢٥ ومكث فى كل مرة مدة أطول من ساعة فى نقاش حار مع جيفرسون كافرى » .

وبعد أن تفضح الملايين لعبة الاتصال بأمريكا وتفضح أصحابها من المصريين .. وتسجل انهم بعض الباشوات من كبار رجال المال .. تعلق على الخبر قائلة « والملايين تقول للباشا عبود وأمثاله بمنتهى الصراحة والوضوح ان الشعب الذى تراق دماؤه فى القنال لم يعد على استعداد للسكوت على أى نوع من الخيانة وان أى اتصال بالانجليز والامريكان للتعاون معهم يدخل

---

٤٠ - الملايين - ١٩٥١/١٠/٢١ .

فى قائمة جرائم الخيانة • ان الشعب الذى يرغم صغار التجار على قطع علاقاتهم بالانجليز سيعرف كيف يرغم حفنة من كبار الباشوات وأصحاب الشركات على الاعتراف بأن القضية أصبحت تخص عشرين مليونا من المصريين »(٤١) •

والمعركة ضد أمريكا ليست مصرية المذاق فحسب •• فحدتو الآن جزء من الكتيبة التقدمية فى الشرق الاوسط وكوادرها تنهمك فى الاعداد لانعقاد مؤتمر شعوب الشرق الاوسط بالقاهرة :

وينعكس المذاق الجديد عبر صفحات الملايين :

وفى العدد ٢٧ تحرص الملايين على أن تقدم لشعب مصر باقة من تأييد القوى التقدمية فى العالم •

وعلى نصف صفحة كاملة « شعوب العالم تؤيد مصر فى نضالها ضد الاستعمار » وتحت هذا العنوان رسائل وبرقيات تأييد للنضال المصرى ضد الاستعمار من •• اتحاد الطلبة العالمى ، الاتحاد العام العالمى للشبيبة الديمقراطية ، الاتحاد العام الفرنسى للنقابات ، مجلس النقابات العراقية ، الاتحاد العالمى للنقابات ، أنصار السلم فى لبنان ، أنصار السلم فى سوريا ، أهالى فلسطين ، المحامين السوريين »(٤٢)

كان ذلك ضروريا ليس فقط لضخ المزيد من الحماس فى نفوس المصريين وانما أيضا لاقناعهم بوحدة المعركة ضد الاستعمار وبأن المعركة ضد الاحتلال البريطانى فى قنال السويس وضد التسلل الامريكى فى مقدرات مصر هى جزء لا يتجزأ من المعركة ضد النفوذ الاستعمارى فى كل منطقة الشرق الاوسط خاصة والعالم أجمع عامة ••

ويكون طبيعيا أن تتركز نيران الافتتاحية ضد مشروعات الدفاع المزعوم عن الشرق الاوسط وضد « الخائن » نورى السعيد لانه لم يزل يلعب دوره فى الدعوة الى مشروع استعمارى جديد وبعد ذلك تقول الافتتاحية « ونحن نوجه نداءنا الحار الى الشعوب العربية وشعوب الشرق الاوسط للكفاح بكل ما أوتيت من قوة لتحطيم هذا المشروع العدوانى الاستعمارى اننا نوجه نداءنا الى شعوب الشرق الاوسط وشمال أفريقيا ان تواجه هذه المؤتمرات •• مؤامرة الاستعمار ومؤمرات عملائه وأن توحد صفوفها لمواجهة الخطر الذى يهددها ويهدد مستقبلها ، ان الدول الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا وأمريكا بالرغم من التنافس بينها قد وحدت صفوفها ولم يبق الا ان ترد الشعوب على هذه

---

٤١ ـ الملايين ١٩٥١/١٠/٢٨

٤٢ ـ الملايين ١٩٥١/١٠/٢٨

المؤامرة بوحدتها فى النضال . ان مؤمرات الخائن ( نورى السعيد ) العراقى والخائن ( الحكيم ) السورى لن يوقفها بلا رجعة الا الوحدة والتحالف بين الشعوب . وقد أصبحت الظروف والاحداث الاخيرة تحتم أكثر من أى وقت مضى أن يعقد مؤتمر شعوب الشرق الاوسط وشمال أفريقيا لتحدد فيه موقفها وواجباتها فى النضال من أجل التحرر الوطنى ومن أجل السلام العالمى »وتواصل « الملايين » رحلة الدعوة لوحدة نضال شعوب الشرق الاوسط والشعوب العربية فى المعركة ضد الاستعمار . وفى العدد ٢٨ يكتب أحمد صادق عزام فى الصفحة الاولى .. « الاستعمار الامريكى يزحف ويدبر المؤامرات للسيطرة على الشرق » فيقدم تفسيره لمواقف الوفد الاخيرة قائلا « وأمام هذا التهديد السافر وأمام وعى الشعب المصرى الذى جرب خيانات صدقى وعرف كيف يحطمها وجرب تذبذب النحاس ومفاوضات وعرف كيف يحطمها أمام ذلك لم يكن أمام حكومة الوفد وهى ما زالت مرتبطة أمام الشعب بالعهود والمواثيق الا أن تقف أمام الضغط وترفض أن تضع مصر تحت سيطرة الكتلة الإستعمارية مجتمعة وأن تقدم ثروات مصر ودماء شعبها قربانا لاعداء الشعب » . .

ثم ينتقل الى التحذير « اننا ننظر الى الانقلاب الذى تم فى سوريا كدرس يجب أن تتعظ به حكومة مصر . ان عملاء أمريكا ينتظرون الاوامر » .

ثم يتنبأ بما حدث فعلا بعد بضعة أسابيع « ان حكومة الوفد تكاد ترتعد لانها تشم رائحة المؤامرة ولانها تعرف أنه ليس هناك الا طريقين التطويح بها أو الخيانة واننا لنثق أن ليس هناك الا طريقا واحدا لا لبقاء حكومة الوفد فقط ولكن لتحرير مصر أيضا وهو أن تتجه هذه الحكومة الى الشعب وتثق فيه وتطلق سراح قواه المكبوتة وتمكنه من تنظيم صفوفه وحشد قواته فى المعركة ، المعركة التى يجب أن تشترك فيها كل مدينة وكل قرية فى مصر لا أهل القنال وحدها التى يجب أن يشترك فيها جميع العمال والفلاحين والطلبة والوطنيين فى مصر لا مدن القنال وحدهم المعركة التى لا يمكن أن تكون سليمة ولا يمكن أن تكون عادلة ولا يمكن أن تكون حقيقية اذا لم تنتقل بالكامل الى يد الشعب .. بهذا الاسلوب وحده ستتحطم مؤامرات نورى السعيد .. وستتحطم مؤامرات الشيشكلى وغيره من الخونة .. وستتحطم مؤامرات عبد الهادى وغيره من رجال الاستعمار فى مصر وسيتحطم الخط الثانى للاستعمار ويكشف ظهره ويواجه الشعب المتعطش الى الحرية والى السلام والى حياة عادلة وجها لوجه »(٤٢) .

---

٤٢ ـ الملايين ١٩٥١/١٢/٢

أما مانشتات العدد ٢٩ أى العدد قبل الاخير فهى :

« هدف الانجليز احتلال القنال لاسقاط حكومة الوفد .

ـ الحكومة العربية تتآمر مع الاستعمار ضد الشعب المصرى .

ـ مؤامرة أمريكية لتحويل الشرق الى مستعمرة ومستودع للبارود .

ـ مؤتمر شعوب الشرق الاوسط هو رد شعوب الشرق على الاستعمار » (٤٤)

أما فى العدد الاخير فان الاستعداد لمؤتمر شعوب الشرق الاوسط يجرى على قدم وساق ويكتب محمد على عامر عضو اللجنة التحضيرية ورئيس نقابة عمال النسيج الميكانيكى تحت عنوان « العمال فى النضال من أجل حقوقهم من أجل التحرر » .. لقد سجلت اللجنة التحضيرية لاتحاد عمال نقابات القطر المصرى انتصارات ضخمة فى المرحلة الماضية فقد اشتركت اللجنة بمندوبيها فى المؤتمر السنوى لاتحاد النقابات العالمى فربطوا بذلك كفاحهم بكفاح عمال العالم واشتركت بمندوبيها فى المؤتمر السنوى لاتحاد نقابات عمال السودان وربطوا بذلك كفاحهم بكفاح عمال السودان » .

ثم يمضى محمد على عامر الى هدفه « ان الطبقة العاملة المصرية يجب أن تلعب دورها البطولى فى التحضير لمؤتمر شعوب الشرقين الادنى والاوسط وشمال افريقيا لان نجاح المؤتمر يعنى نجاح العمال فى قيادة الشعب فى الصراع الوطنى الديمقراطى ان الفئات الشعبية ستلعب دورها لانجاز هذا المؤتمر وعلى الطبقة العاملة أن تدعم قيادتها السياسية لهذه الفئات بدورها الجبار فى التحضير لمؤتمر شعوب الشرقين الادنى والاوسط وشمال افريقيا .

ولا يمكن أن ينجح العمال فى الاشتراك فى مؤتمر الشعوب الا اذا قويت وحدتهم بانجاح مؤتمر النقابات بالقطر المصرى الذى دعت له اللجنة التحضيرية فى يوم ٢٦ يناير .

يا عمال مصر : ان أعداءكم فى الداخل والخارج يتربصون بكم فاحرصوا على انجاح مؤتمركم »(٤٥) .

والمعركة من أجل السلام العالمى هى أيضا جزء من معركة النضال ضد الاستعمار ومخططاته .. ولقد كان النضال من أجل السلام أحد واجبات « حدتو » الرئيسية فى هذه الفترة .

---

٤٤ ـ الملايين ١٩٥١/١٢/١٢

٤٥ ـ الملايين ١٩٥١/١٢/٢٦

وقد خاضت « الملايين » معركة السلام بكفاءة وفعالية مستخدمة كل أسلحتها .. ابتداء من الكاريكاتير الى الشعر الى المقال الى الخبر .

وفى الصفحة الاخيرة من العدد ٩ يتالق كاريكاتير زهدى دفاعا عن السلام ومعه تعليق يقول « منذ ظهر الانسان على الارض وهو يكافح ليعيش فى سلام وسراج الدين باشا لا يريد أن يعيش شعب مصر فى سلام فهو يتهم أنصار السلام بالشيوعية والعمل لحساب موسكو .. واذا كان أنصار السلام شيوعيين كما يزعم سراج الدين وقلم المخابرات البريطانية فالنبى عيسى كان يدعو للسلام ولم يكن شيوعيا والانبياء جميعا دعوا للسلام ولم يتهمهم أحد بأنهم شيوعيون »(٤٦)

ويخصص العدد ١٠ صفحة كاملة للسلام .. بها موضوعان قادران على جذب انتباه القارىء لموضوع الدفاع عن السلام العالمى .. « عندما تسقط القنابل الذرية على مصر - بقلم محفوظ عزام » و « القاء قنبلة ذرية على قنال السويس » - بقلم عبد المغنى سعيد . ويهمنا هنا أن نسجل أن المقال الاخير قد حمل أول دعوة مصرية لتشكيل معسكر عدم الانحياز .

فهو يؤكد أنه اذا فكر الروس يوما فى الهجوم على مصر فسيكون ذلك لاغراض دفاعية اذا ما استخدمها الحلفاء كقاعدة هجومية ضدهم وهذا ما يجدر أن نتلافاه باعلان الحياد وبتاليف كتلة محايدة من الدول العربية والهند التى أبدت فى الاعوام الاخيرة حرصا واضحا على أن لا تربط عربتها بعجلات الامبراطورية البريطانية ملتزمة طريق الحياد المستقيم عاملة على توطيد دعائم السلام »(٤٧) .

وفى نفس العدد موضوع اخبارى بعنوان « نساء العالم ضد الحرب »

.. ويسافر زهدى الى برلين الشرقية ليحضر « المهرجان العالمى الثالث للشباب والطلبة المدافعين عن السلام » ومن هناك يكتب رسائل عديدة عن نضال الشعوب من أجل السلام .

وفى العدد ١٧ يكتب زكى مراد فى عموده الاسبوعى « مصر جزء من العالم » .. « ان الحقيقة الواقعة ان مصر اليوم جزء من جبهة الانجلو أمريكان وتقوم بدورها فى الخطط العدوانية التى تنفذها هذه الجبهة » .

واليوم وبعد خطاب شفرنيك ورد ترومان أصبح واضحا أمام العالم كله من هم العاملون للحرب ومن هم الذين يصونون السلام ويدافعون عنه،

---

٤٦ - الملايين ١٩٥١/٦/١٧
٤٧ - الملايين ١٩٥١/٦/٢٤
٤٨ - الملايين ١٩٥١/٨/١٢

وعلينا أن نحدد موقعنا واضحا صريحا اننا فى جبهة السلام والحرية فى نضالها المتيد ضد مجرمى الحرب وشياطين الذرة »(٤٨)

وفى نفس العدد مقال لانجى أفلاطون عن نضال نساء العالم من أجل السلام بعنوان « ٩١ مليون امرأة معنا » .

وفى العدد التالى تشن الملايين حملة عنيفة ضد محمود أبو الفتح صاحب جريدة المصرى لانه يضطهد الصحفيين أنصار السلام والتقدميين العاملين فى جريدته .. فقد خير انجى أفلاطون محررة باب المرأة بالمصرى بين عملها بالجريدة وبين نشاطها فى حركة أنصار السلام وقد فضلت انجى أفلاطون حركة السلام .. ثم أشارت الى اضطهاد عبد الرحمن الخميسى المحرر بالمصرى بسبب نضاله من أجل السلام .. لكن الملايين تؤيد فى نفس الوقت أحمد أبو الفتح وتشيد بمواقفه الوطنية (٤٩) .

وفى العدد ذاته مقال بعنوان « لمصلحة من ؟ » والتوقيع ع . سعيد ( ربما كان عبد المغنى سعيد ) والمقال يدين حملات الحكومة على أنصار السلام قائلا « ألقت الحكومة القبض على بعض أعضاء جماعة انصار السلام بدعوى أن هذه الفكرة وافدة من الخارج وقد نبتت فى بلاد معينة لها اتجاهات معروفة كما صرح بذلك معالى وزير الداخلية بالنيابة .. لمصلحة من يقوم معاليه بهذا الاعتقال ؟ ألمصلحة الانجلو سكسون الذين يناصبوننا العداء ويحاربوننا فى كل ميدان ويناصرون كل من يعادينا ؟ أم لمصلحة السياسة المصرية الخارجية القائمة على تمسك مصر بالحياد فى النزاع القائم ؟ والحياد والسلام توأمان لا يمكن فصل أحدهما عن الاخر وان فصلهما معالى الوزير الخطير فى مؤتمره الصحفى »(٥٠) .

واذ تتعرض اللجنة التحضيرية لانصار السلام لهجمات بعض المنظمات الماركسية وبعض الصحف مثل صحيفة « الناس » يكيل ابراهيم عبد الحليم الصاع صاعين على صفحات العدد ٢١ . تحت عنوان « أنصار السلام وأعداء السلام » .. « اليوم يظهر بعض الخونة والمخربين وأعداء الحرية ليوجهوا طعناتهم المسمومة الداعرة الى حركة السلام والى اللجنة التحضيرية والى معارك حركة السلام تحت شعارات أخرى مثل شعار الكفاح من أجل السلام بشكل أسلم ! وتحت شعار حركة سلام سلامية ! وتحت شعار هدم اللجنة التحضيرية والهجوم على أشخاصها أو تحت شعار اتحام الخلافات الحزبية ، أى بشعارات لا تختلف عن الصفات التى حاول أن يلصقها بيا

---

٤٩ ـ الملايين ١٩٥١/٨/١٩

٥٠ ـ الملايين ١٩٥١/٨/١٩

الخونة وأبواق الاستعمار وكتبت للتضليل من اليسار الى اليمين بدلا من اليمين الى اليسار .

واليوم آن الوقت لنقول لهؤلاء ما قلنا للمستعمرين وما ستقول لكل من يخدم أغراضهم أنتم خونة ، أنتم مخربين . أنتم أنصار الحرب . أنتم أعداء السلام وموقفكم الحالى لا يختلف عن موقفكم من نداء استكهولم حين رفضتم جمع التوقيعات أو حتى مجرد التوقيع . . هذا هو رأينا . وقد آن الوقت لنعلنه للخونة والمترددين الاستعمار سواء أكانوا يلعبون دورهم فى النور أو فى الظلام ، سواء كانوا يلعبون دورهم بتوجيه من الاستعمار أو بتخريب توجهه وتقوده عناصر عفنة مضللة .. آن الوقت لنقول لهؤلاء وللشعب ليس هناك كفاح للسلام تحت أى شعارات كانت الا تحت لواء اللجنة التحضيرية الحالية وتحت قيادتها ولقد تعلمنا من تجارب الماضى ومن أساليب الاستعمار والبوليس السياسى فى التخريب ولن نسمح للمآسى والجرائم التى حدثت فى الماضى بأن تتكرر »(٥١)

. ويعلن العدد ٢٢ انتصارا هاما لحركة السلام .. « فى يوم الأحد الماضى وفى منزل الفنانة السينمائية لولا صدقى اجتمع ٢٥ من الكتاب والفنانين ورجال السينما لاعلان تاليف لجنة الفنانين المصريين لانصار السلام وكان مندوب الملايين هناك يشهد هذا الحدث التاريخى ويسجل هذه الخطوة الحاسمة خطوة انتقال الفنانين من الابراج العاجية ومن الابتذال ومن التضليل الى المعركة والى الشعب والى الكفاح من أجل الحرية لمصر ومن أجل السلام للعالم وكانت أول خطوة هى اعلان تكوين اللجنة واعلان بيان واضح وصريح الى جميع الفنانين والى الشعب وقد جاء فى البيان : نحن الفنانين المصريين ، نحن الذين عانينا من الحرب وأهوالها فى أعصابنا وفى انتاجنا وفى أرزاقنا وفى حرياتنا نحن الذين نكره الاستعمار الذى يصر على احتلالنا وعلى جعلنا مسرحا للحرب نحن الذين نرفض الحرب كوسيلة لحل الخلاف فى الرأى نحن الذين نحب الحياة بكل لحن موسيقانا ، وكل نبضة فى دمنا ، نحن الذين نعشق الحرية ونؤمن بوحدة الانسانية ونكره أعداء الحرية نعلن انضمامنا لحركة السلام العالمية لنناضل مع أبطال السلام فى العالم »(٥٢) .

ثم بعد ذلك ..

نعود قليلا لنتوقف أمام موضوع هام تلمسته الملايين أكثر من مرة وتلمسناه معها أكثر من مرة .

---

٥١ – الملايين ١٩٥١/١٠/٧

٥٢ – الملايين ١٩٥١/١٠/١٤

نجحت وهو اكتشافها الخطير للمؤامرة التى كانت تدبر لتصفية المد الثورى ولانهاء الكفاح المسلح وسواء على المستوى الصحفى أو المستوى السياسى فقد حققت الملايين نصرا يبدو غريبا على مثل هذه الصحف التى كثيرا ما تكون مثل هذه « الأخبار » البالغة السرية بعيدة تماما عن متناول يديها ، ونبهت أكثر من مرة « الملايين » الى خيوط مؤامرة تحاك ..

ولم يكن الكلام مجرد تحليل سياسى صائب لكنه يرتكز فى الاساس الى معلومات محددة دقيقة مصدرها لا بد أن يكون وثيق الصلة بدوائر صنع القرار فى أعلى المستويات التى تنسج هذه المؤامرة .. والمؤكد أن مثل هذه المقدرة تحتاج الى تأمل .

سواء بالنسبة الى الملايين « الجريدة » أو بالنسبة للملايين « التعبير عن خط منظمة سياسية » .

وكمثال أخير نتوقف فى انبهار أمام موضوع اخبارى نشر فى العدد ٢٤ أى فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥١ ليروى وقائع حدثت فعلا فى ٢٦ يناير ١٩٥١ ..

لنقرأ معا « الجواسيس الانجليز يمهدون الطريق لعلى ماهر » :

« علم مندوبنا فى الدوائر السياسية أن الاستعماريين الانجليز يدبرون الآن أكبر جريمة ضد سلامة الوطن فقد من الاتصالات لجس النبض فيما اذا عين على ماهر باشا فجأة رئيسا للوزراء فى مصر وقد أبلغ هؤلاء الجواسيس بعض الباشوات والساسة المصريين أن تغيير الوضع فى بريطانيا وانتقال الحكم الى المحافظين سيتبعه حتما تغيير شامل فى الوضع الداخلى فى مصر حتى ولو اقتضى الامر استخدام القوة . أبلغ هؤلاء الجواسيس الباشوات والساسة المصريين ان الدوائر الحاكمة فى بريطانيا قد وقع اختيارها على رفعة على باشا ماهر كالرجل الذى فى مقدوره ان يلعب الدور البريطانى فى مصر فى المرحلة الحالية » .

لنفحص الأسطر السابقة صحفيا سواء من حيث صياغتها الدقيقة أو من حيث تركيزها على ما هو هام .. ثم لنفحصها على ضوء المقدرة على التوصل الى مثل هذه الأسرار .. ولنفحصها أخيرا ـ سياسيا ـ على ضوء ما وقع فعلا فى يناير ١٩٥١ ..

تماما كما قالت الملايين .. « فجاة » ثم « استخدام القوة » ( حريق القاهرة ) للاطاحة بحكومة الوفد وكان « الرجل الذى فى مقدوره أن يلعب الدور البريطانى » هو أيضا على ماهر » .

.. وبعد أن نشرت الملايين هذا الخبر المثير توجهت الى حكومة الوفد قائلة « والملايين تنشر هذه المعلومات أو هذه الجرائم لتنبه حكومة الوفد

ولتنبه الشعب الى هذه المؤامرة التي تمهد لانقلاب غاشي وتمهد لتحطيم صراعنا الشعبي الحالي ولاتمام جريمة ابقاء الاستعمار وربط العشرين مليونا من المصريين في معسكر الاستغلال والحرب والخراب »(٥٣)

* * *

كذلك فقد وهبت « الملايين » مساحات كبيرة من صفحاتها للدفاع عن الحريات العامة ..

وقد تركز دفاعها في شقين أساسيين :

١ ـ مقاومة التشريعات المقيدة للحرية .

٢ ـ الدفاع عن المسجونين الشيوعيين والمطالبة بالافراج عنهم .

وفي الشق الاول ترفع الملايين سبابتها أكثر من مرة لتقاوم الميل الوفدي لاصدار التشريعات المقيدة للحريات محذرة الوفديين انفسهم بأنهم لا يتخلون فقط عن وعودهم التي أتوا على أساسها الى الحكم وانما أيضا بأنهم ينسجون قيودا سوف تلتف حول أعناقهم هم قبل غيرهم وقد حرصت « الملايين » أيضا على خوض هذه المعركة في اطار أوسع جبهة ممكنة تضم في صفوفها الكثيرين من الوفديين المعارضين لسياسة حكومتهم ..

وعندما حاولت حكومة الوفد تمرير تشريعات الصحافة .. خصصت الملايين عددا خاصا ـ العدد ١٥ ـ لمعارضتها ..

وقد صدر هذا العدد في ١٢ صفحة خصصت جميعا لادانة تشريعات الصحافة وألغيت في هذا العدد كافة الابواب التقليدية ( السياسية الخارجية ـ الى المحرر ـ قبلي وبحري ـ نقط العرق .. الخ ) لتحل محلها حملة عنيفة ضد هذا القانون .

.. وبالضرورة احتاج هذا العدد الخاص الى توضيب خاص .. فالصفحة الاولى خصصت بأكملها لنشر افتتاحية ساخنة وفي وسطها بروازان ..

البرواز الاول اخباري « أصدر النحاس باشا تعليمات الى اللجنة التشريعية بمجلس النواب بان تترك مشروعات قوانين الصحافة تمر في سلام ولا ينطق أحد بكلمة واحدة بشأنها »(٥٤)

والبرواز الاخر عبارة عن مربع أسود بداخله صورة اسطفان باسيلي ( النائب الوفدي الذي قدم مشروعات القوانين لمجلس النواب ) والتعليق

---

٥٣ ـ الملايين ١٩٥١/١٠/٢٨

٥٤ ـ الملايين ١٩٥١/٧/٢٩

يقول أن أبناء دائرة الزيتون ( وهى الدائرة التى يمثلها اسطفان باسيلى فى المجلس ) عقدوا سلسلة من الاجتماعات لإعلان .. « احتجاجهم على المشروعات التى تقدم بها نائب دائرتهم والمطالبة بسحبه هو ومشروعاته من المجلس وأن المحامين سيطالبون فى جمعيتهم العمومية بفصل النائب باسيلى من النقابة وحرمانه من الاشتغال بالمحاماة لانه خان طبيعة المهنة التى كانت ولا تزال مهنة الدفاع عن الحرية والعدالة . »

أما الافتتاحية فقد كانت ساخنة حقا وقد جمعت كلها بالبنط الاسود الكبير .. ووقعها أحمد صادق عزام « أيها المواطنون .. حرية الصحافة فى خطر » .

هذا هو المانشت .. أما الموضوع ..

« أيها المواطنون .. فى كنف من السرية وتحت ستار الظلمات حاولت الحكومة الاطاحة بحقوقكم والعصف بحرياتكم بفرض تلك القوانين الرهيبة الغاشمة التى تخول لها إخماد كل صوت حر يرتفع من أجلكم وتحطيم كل قلم وطنى يزود عن قضيتكم .

ولكن الوطنيين هتكوا سترها ومزقوا الحجاب عن نواياها وجندوا أنفسهم لمعركة عنيفة عاتية يخوضونها ضد تلك المحاولة الاثمة ولم تفلح مناورات الحكومة ولا بياناتها المكذوبة فى أن تصرف المناضلين عن نضالهم لاحباط خططها واسقاط مشروعاتها .

أيها المواطنون .. تريد الحكومة بهذه التشريعات أن تعود بكم الى عهود الحكم المطلق وتجعل بلادكم سجنا رهيبا وتجعل منكم عبيدا أذلاء ولا تجرى اقلامكم الا بما توحيه لكم وتمليه عليكم ولا تنفرج شفاهكم الا عن كلمات التسبيح بحمدها والا سحقت أقلامكم وأخرست ألسنتكم بكلمة من وزير الداخلية سبحانه لا راد لمشيئته ولا معقب على أمره . ووراء هذا كله استعمار داعر يفزعه أن يسمع دوى أصواتكم ترددها صحافتكم الوطنية وهى تعلو .. من أجل الخبز والحرية والسلام »(٥٥)

وتحشد « حدتو » كل طاقاتها النضالية واتصالاتها الجبهوية وعلاقاتها الحزبية فى هذه المعركة ففى حى الزيتون كما رأينا تجمع الناخبون فى دائرة اسطفان باسيلى الانتخابية ليشاركوا فى المعركة . وعلى أصعدة عديدة تحشد مختلف القوى فى جبهة واسعة حقا ضد القوانين المقيدة لحرية الصحافة .

---

٥٥ ــ الملايين ــ ١٩٥١/٧/٢٩ .

ولنطالع على صفحات هذا العدد .. لنتابع كل هذا الحشد من الاقلام والمواقف :

ـ النائب الوفـدى أبو شادى الكيلانى .. ستذهب التشريعات وتذهب الحكومة .

ـ الطلبة السودانيون .. أيها النواب الوفديون أوقفوا جرائم الحكومة

ـ غضبة الازهر للحرية والدستور .. بيان موقع عليه من :

ـ أحمد على سكرتير عام اتحاد طلاب كلية أصول الدين بالنيابة .

ـ عبد الرحمن عبود عريدى سكرتير عام إتحاد طلاب كلية الشريعة .

ـ محمد العديسى عضو اتحـاد طلاب كلية الشريعة .

ـ محمد أحمد العصرة المحامى .. نحو الهاوية .

ـ كامل البندارى باشا .. هذه التشريعات تفتح الطريق فسيحا أمام الاستعمار الامريكى ..

ـ أحمد أبو الفتح .. دولة القوانين .

ـ عبد العزيز بيومى المحامى .. الحكومة تدعم الاغتيال السياسى .

ـ حسن عبد الرحمن رئيس نقـابة سائقى السيارات المتحدين .

ورئيس مؤتمر نقـابات سائقى وعمال النقل المشترك بمصر .. لن تقضوا على صحافة العمال .

ـ محمد على عامر رئيس نقـابة عمال النسيج الميكانيكى بالقـاهرة وضواحيها .. يا عمـال النسيج حرية الصحافة فى خطر .

ـ سيد خليل ترك سكرتير عام مؤتمر نقابات عمال وسائقى النقـل المشترك .. أعداء العمال يكممون الافواه .

ـ زئير العمال فى وجه أعداء الوطن .. بيان صادر عن عشرين نقـابة عمالية ..

ـ أحمد طه أحمد سكرتير نقـابة مستخدمى وعمال شركة ماركونى .. لن نخطىء طريقنـا مهما سننتم من تشريعات .

ـ عبد العزيز عثمان .. سكرتير نقـابة عمال شركـة الكوكاكـولا بالقـاهرة .. الصحافة منبر العمال ولن نسمح بالاعتداء عليه .

- دكتور عزيز فهمى .. القضاء نفسه لا يملك حق تعطيل الصحافة وإلغائها .

- أحمد شوقى الخطيب المحامى .. وقاية النظام الاجتماعى أكذوبة هامدة لن تبعثوا فيها الحياة ..

- مصطفى أمين بك .. الارهابيون يتولون الحكم سرا .

- محمد زكى عبد القادر .. المادة ١٥ من الدستور ..

- أحمد قاسم جودة بك .. تشريعات اجرامية .

- فتحى الرملى .. ثورة على الدستور .

- كامل الشناوى .. هذه جريمة .

- يوسف حلمى .. الخنجر ذو الحدين ..

صرخة الطليعة الوفدية .. حسن صدقى - ادوارد الضبع - رجائى عبد الملك - منير شنبير .

.. ونعود فنتأمل المغزى الكامن فى القدرة على حشد كل هذه القوى والاتجاهات للكتابة فى عدد واحد من أجل قضية محددة .

ونسأل هل يمكن أن يعبر هذا الحشد الذى يمتد من أهم القادة النقابيين الى قيادات الشباب الوفدى الى مختلف العناصر الليبرالية واليسارية .. الى حتى مصطفى أمين وأحمد قاسم جودة .. هل يمكن أن يعبر مثل هذا الحشد عن قدرات أو حتى علاقات ذلك التنظيم الذى كان يصدر الملايين ؟

ونعود فنقلب صفحات العدد لنلتقط منه بعض لمسات تكمل الصورة ..

فالبيان الذى أصدرته العشرون نقابة عمالية يمثل بذاته ثقلا سياسيا واجتماعيا هاما .. وعنوانه «زئير العمال فى وجه أعداء الوطن وأعداء الدستور» - نصف مليون عامل يدرأون عن الصحافة .. اعتداء الحكومة .. »

وقد حرصت الملايين أن تنشر صورة لهذا البيان وللتوقيعات التى جمعت عليه ..

فأما البيان فيقول « نحن ممثلو النقابات واتحادات ومؤتمرات الطبقة العاملة المصرية وقد روعتنا تلك المحاولة الآثمة التى يدبرها أعداء الوطن لطعن الدستور فى صميمه نعلن :

- ان هذه التشريعات الرجعية لن تخدم سوى المستعمرين وأذنابهم من الخونة الذين يفزعهم أن يتكلم الشعب ويرعبهم أن تكون فى مصر صحافة حرة

تزود عنه وعن مصالحه وقضيته الوطنية وان العمال وهم يدركون تمام الادراك مدى خطورتها يقفون اليوم لمقاومتها بكل ما تعنيه الكلمة من معنى .

أيها المواطنون

ناضلوا ضد هذه المحاولة التى يراد بها مسخ دستوركم والتطويح بحرياتكم ووضعكم وراء القضبان .

أيها المواطنون

احتجوا على هذه القوانين وأسمعوا صوتكم للبرلمان وأطلبوا ممن حملتوهم الى مقاعده أن يوقفوا الجريمة .

أيها النواب

لتجعلوا من يوم ٣٠ يوليو يوما مشهودا فى تاريخ مجلسكم ولتلقنوا لأولئك الذين توهموا أنهم قادرون على العبث بالدستور درسا فى احترامه .

عاشت صحافة الشعب حرة .. وعاش الدستور »

وأما الموقعون على البيان .. فمن بينهم قيادات أهم التشكيلات النقابية مثل نقابة عمال الشركة الشرقية للدخان ( ماتوسيان ) ، نقابة عمال ومستخدمى الحكومة ، نقابة عمال النسيج ، نقابة عمال الفنادق ، عمال سوكونى فاكوم ، عمال وسائقى النقل المشترك .. الخ » .

.. ولم تكن صرخة الطليعة الوفدية بأقل حدة « فى الوقت الذى يشتد فيه الصراع بين الشعب وبين الاستعمار وفى الوقت الذى يقوم فيه الشعب بالنضال ضد أذناب الاستعمار الانجلو ـ أمريكى وفى الوقت الذى يجب أن يناقش فيه كل مصرى مشاكلنا العامة بكامل حريته فى هذا الوقت بالذات تحاول الحكومة تفسير المادة ١٥ من الدستور بحيث يتيح لها الاعتداء على الحريات البسيطة الباقية .. » .

ويمضى البيان قائلا « ان السياسة التى تسير عليها الحكومة والتى تؤدى الى ربطنا بعجلة الاستعمار من دفاع مشترك وحلف البحر الابيض لتسير جنبا الى جنب مع سياستها الداخلية فى كبت الحريات والاعتداء على الدستور ذلك أنه فى ظل الحريات الشخصية والسياسية يسهل على الشعب أن ينظم نضاله من أجل طرد الاستعمار . ان هذا القانون يعد قيدا جديدا يضاف الى مئات القيود المفروضة على هذا الشعب . انه ليس بقيد جديد فحسب بل هو أشد وأقسى القيود .

.. أيها المواطنون .. إن الطليعة الوفدية التى كافحت بكل قوة ضد المشاريع الاستعمارية ، وضد القوانين الرجعية كالمادة السادسة من مشروع

قانون الاحكام العرفية ، وقانون المشبوهين السياسيين لتقف اليوم ضد القضاء على حرية الصحافة وتدعو جميع المواطنين أن يطالبوا نوابهم برفض هذا المشروع المتعارض مع روح الدستور » .

ونتوقف أمام الموقعين الاربعة ونجدهم جميعا على علاقة بشكل أو بآخر بتنظيم طليعة العمال بما يوحى بأن القيادات الاخرى للطليعة الوفدية لم تشأ أن تضع اسمها على هذا البيان ولعل هناك تفسيرا آخر !

.. أمام مقال سيد خليل ترك فيقول « ان دلت القوانين المقترحة على شيء فانما تدل على ضعف الحكومة وذعرها من أن تصل الاراء الحرة الى الشعب الذى اصبح فى نظرها يتكلم اكثر مما يجب باعلان ارادته ورغباته من فوق منبر صحافة حرة ومن الطبيعى أن تقدم على هذه المحاولة حكومة فاشلة ضيعت القضية الوطنية وجوعت الشعب وحرمته من رغيف العيش ولكن من الطبيعى ايضا ان يقف الشعب وأن يقف العمال للدفاع عن الحريات الدستورية وعن حرية الصحافة » .

وأخيرا هناك مقال أحمد أبو الفتح رئيس تحرير المصرى .. « علمت بأن أمرا يراد بالصحافة والصحفيين فى صورة مشروع قانون سيقدم للبرلمان لنظره على وجه الاستعجال ، .. ويقال أن بعض الصحف قد انحرفت عن طريقها الصحيح ودأبت على تهييج الخواطر وبث روح الكراهية بين طوائف الشعب ، وأنا لا أفهم كيف يجرؤ انسان على ترديد مثل هذا القول وقد انفردت مصر دون سائر الدول بقوانين وانظمة قاسية على الصحافة والصحفيين وأصبحت تملك أشد النظم سوءا مما تعيرنا به دول الارض جميعا » .

ويمضى رئيس تحرير المصرى جريدة الوفد الرئيسية ليضع يده على الجرح الحقيقى .. « ويقال ان الصحف أو بعضها يدعو للشيوعية ، ومصر هى الدولة التى تفردت بتشريعات بعضها لم يأخذ صفة الدستورية تحارب الشيوعية ومن يدعو اليها بأشد وسائل الحرب وانى لأعجب لعقلية تتصور أن محاربة الشيوعية لا تكون الا بسلطة القانون وقوة البوليس : أعجب لهذه العقلية التى وضع الله عليها المغاليق أو فرض أصحابها على أنفسهم المغاليق فأصبحت لا تستطيع ان تدرك أن الحكومات كلما تعنتت وقست وقيدت الحريات أنتج عملها هذا التذمر والسخط وهذه ولا شك أخصب حقول الشيوعية » .

ويمضى أحمد أبو الفتح « الله أكبر .. الله أكبر على كل من ضل سواء السبيل فرأى فى اقامة دعائم الظلم حائلا دون تفشى السخط . ان لانتشار الشيوعية ولاعتناق الناس لمبادئها أسبابا ، فهل فكرتم فى بواعثها وهل حاولتم دراستها وهل تبصرتم عواقب ترك تلك الاسباب والبواعث دون دراسة

وعلاج مكثفين بفتح السجون والمعتقلات ٠٠ اللهم لا حول ولا قوة الا بك ٠
منطقهم أن لا حول ولا قوة الا بالقوانين والسجون وهم يعلمون ان سجون مصر لن تكفى الساخطين الثائرين ، وهم يعلمون أنهم لو فتحوا فى كل حى وفى كل قرية وفى كل زقاق وحارة سجنا فانهم لن يستطيعوا أن يقفوا فى وجه ثورة الجوع والعرى والحرمان واليأس ٠٠

يا حضرات النواب المحترمين ٠٠ اليوم تبحثون قانونا جائرا فتبصروا وأذكروا أن كلمة الشعب هى العليا ولا حياة للشعوب الكريمة فى ظل القوانين الجائرة المتعسفة وأذكروا ما أصاب سمعة مصر فى المحافل الدولية من القوانين القائمة ٠٠ أذكروا كل هذا واعتمدوا على الله فى رفض المشروع وفقكم الله وسدد خطاكم وجنبكم سوء الذكرى وهو سبحانه وتعالى ولى التوفيق»

ولسنا بحاجة الى القول أن حملة الملايين كانت تتم فى اطار حملة شعبية عارمة شاركت فى تنظيمها قوى عديدة بحيث أصبح من المستحيل على القانون أن يمر ٠

٠٠ولعلنا لسنا بحاجة أيضا الى القول ٠٠ بان مثل هذه التشريعات البشعة كانت تستهدف أساسا صحفا كالملايين وغيرها من الصحف الوطنية والتقدمية التى تكاثرت فى هذه الايام فأصبحت سلاحا حقيقيا فى حشد الجماهير وتحريكها ٠

وتنجح القوى الوطنية والتقدمية فى معركتها وتسقط تشريعات الصحافة ٠

ومع ذلك تواصل الملايين المعركة فى افتتاحية العدد ١٦ « أيها المواطنون انتهت الجولة الاولى من المعركة بفوزكم فوزا مبينا على أعدائكم أعداء الوطن والدستور لقد ذهبت تشريعات اسطفان باسيلى الى غير رجعة وتقدم هو نفسه يجر أذيال الخجل والخزى والعار ليعلن أنه لا يقل غيرة على الحرية من غيره من المصريين ، ما أشبهه وهو تنازل عن تشريعاته التى أثارتكم بفؤاد سراج الدين حين وقف فى مجلس النواب ليعلن تنازله عن المادة السادسة من قانون الاحكام العرفية تلك المادة التى كانت تريد أن تحيل مصر معتقلا لكم بعد أن كانت المعتقلات قاصرة على هاكستب والطور وأبى قير وعيون موسى ٠ ولكن المعركة لم تعد معركة تشريعات غاشمة أرادوا بها أن يطعنوا الحرية الصحفية طعنة قاتلة ويقضوا بها على الدستور قضاء مبرما ، انها اليوم معركة لتوطيد دعائم الحريات الوهمية التى خدعونا بها سنين طويلة ولقطع دابر الانقلابات التى نكبونا بها أكثر من مرة لقد استيقظتم اليوم بعد طول هدوء ٠٠ لتقيموا تلك الحريات على أسس حقيقية أو ليست تشريعات « عزيز فهمى » « ابراهيم شكرى » بادرة قوية من تلك

البوادر التى لم تعـد تطيق خداعا أو تمويهـا أو ليست القرارات التى اتخذتها نقـابة الصحفيين خطوة أخرى نحو انعتاق الصحافة من كثير من القيود التى كبلتهـا ، أو ليست اعادة النظر فى قانون المطبوعات دليـلا على أنكم أزمعتم أن تحطموا هذه القوانين الغاشمة واحـدا بعـد الاخر ، أو ليس المشروع الذى تقـدم به حضرات النواب المحترمين لالغـاء الفقرة الاخيرة من المادة ١٥ من الدستور برهـانا على أنكم قررتم أن تضعوا حدا لجميع المنافذ التى تجعل من دكستوركم أكذوبة .. أيها المواطنون .. الى الامام من أجل تحرير وطننا وتدعيم دستورنا »(٥٦) .

وحتى فى صفحة الفن تستمر معركة الدفاع عن حرية الصحافة ففى العدد ١٧ نقرأ فى العمود الثابت « المحرر الفنى يقول » والذى كان يحرره عبد الفتاح البارودى .. « من حق الفنانين أن يبتهجوا بانتصار الصحافة فى معركـة الحرية التى خاضتها فى الاسبوع الماضى ولكن ليس من حقهم أن يقفوا كما بدأنا نلاحظ عنـد حد الابتهاج بل ان واجبهم الاول الان أن يبصروا الناس بأن هذا الانتصار لا معنى له ولا جـدوى فيه اذا لم نفهمه فهما صحيحا يحول دون التعامى عنه فى الواقع ، واذا لم نعتبره مجرد خطوة ينبغى أن تعقبها خطوات طويلة شاقة حتى يتخلص المجال الفكرى والادبى والفنى من شتى العوائق والشوائب . لقـد أمنوا مؤقتـا أن تزداد القيود وأن يتضخم الاعتساف ولكن لا تزال القيود الاولى باقيـة صارمة متعسفة كما كانت هى .. لننبه الشعب الى الحقيقـة ونحذره من الوقوع بين براثن التخـدير ، لذلك أجاهر بأن انتصار حرية الرأى فى المحنة الاخيرة المريرة لا يمكن أن يسمى انتصارا حقيقيا حاسما الا اذا فهمنـا اننـا ما نزال فى بدايـة الطريق واننـا فى حاجة الى مزيـد من الصمود والكفـاح ضـد المستعمر ، أى ضـد مكمن الـداء الاصيل » (٥٧) .

ولم يكن غريبـا أن تواصل الملايين معركتها ضـد تشريعات الصحافة بعـد سحبهـا .. ولكن هل يبدو غريبـا أن تنسب الكلمات السابقة الى عبد الفتاح البارودى ؟

وفى أكثر من معركة من معارك الحرية تسهم الملايين بل لعلهـا أسهمت فيهـا جميعـا وفى العدد ١٨ نقرأ « القبض على ابراهيم شكرى » .. « قامت النيـابة العـامة أمس باتخاذ أول اجراء من نوعه فى تاريخ القضـاء المصرى اذ أمرت بالقبـاء القبض على النائب الاشتراكى الجرىء ابراهيم شـكرى

٥٦ ـ الملايين ١٩٥١/٨/٦

٥٧ ـ الملايين ١٩٥١/٨/١٢

وتنزع بصورة قاسية من بلدته شربين كما ينتزع اللصوص والمجرمون وتجار المخدرات ٠٠ وعلم مندوبنـا أن كثيرا من حضرات النواب الاحرار قد اجتمعوا على أثر علمهم بالقبض على زميلهم الاشتراكي ورأوا ان الاجراء المتخذ ضده هو اجراء ضد الدستور وضد النظام البرلماني كله وانه انذار لهم جميعا بالكف عن معارضتهم الوطنية ولهذا فانهم سيتخذون عدة اجراءات ايجابية مضادة سيعلنون عنها في الجلسة المقبلة لمجلس النواب »(٥٨)

وتتواصل المعركة من أجل الحريات العامة وتكون بذاتها معركة ضد الممارسات المنافية للديمقراطية التى ترتكبها حكومة الوفد ومعركة من أجل تبصير الوفديين بأخطار مثل هذه الممارسات عليهم أنفسهم ٠٠

وتحت عنوان « ماذا يريدون » نقرأ في العدد ٢٠ « تشريعات الصحافة ، القبض على الصحفيين وأنصار السلام ، الغاء الصحف والاجتماعات ومنع المظاهرات ، المؤامرات ضد مجلس الدولة تهديدات سراج الدين للصحف الوطنية الحرة ، تصريحات حافظ عفيفي ٠٠ هذه كلها حلقات من سلسلة السياسة العليا في مصر تتجمع كلها في شعاع من الانوار الكاشفة المصوبة الى موقف الحكومة من الاستعمار ومعاهدة ١٩٣٦ » ونواصل القراءة «وتتضمن سياسة فؤاد سراج الدين الغاء الصحافة وتصفية مجلس الدولة وقمع تحركات الشعب بالقوة والتمهيد لاعادة مهزلة فلسطين الداعية من جديد خلال الشهور القليلة القادمة لتحويل أنظار الشعب عن الاستعمار ، عن عدوه الاول والحقيقى وسند الرجعية المصرية جميعا » ثم « أن هذه المؤامرة المفضوحة لن تصرف الشعب عن كفاحه وعلى قوات الجبهة الوطنية أن تستعد وأن تتحرك وتتحد وتتسع لمواجهة العدوان المدبر على حريات الشعب وكرامته وأهدافه وعلى جميع العناصر الشريفة أن تحشد صفوفها لمواصلة الضغط على وزارة الوفد حتى تنفذ وعودها وتفهم أن الشعب لن يرضى أن يمثل به من جديد وأنه لا بد من محاربة سراج الدين رأس الرمح في السياسة الرجعية الوفدية اليوم والقضاء على نفوذه ومحاولاته ومؤامراته وأن تحذر الحكومة والوفد من الالتجاء الى الوسائل غير المشروعة بالعدوان على الحريات والدستور واهدار القوانين لا بد أن يشجع على مواجهة الكبت بالوسائل غير المشروعة والتاريخ البعيد والقريب شاهد على ما نقول ٠٠ أفلا تبصرون »(٥٩) ٠

وفى العدد ٢٥ نقرأ في الصفحة الاولى مقالا بعنوان « الشعب يكشف مؤامرات الحكم العرفى » يقول ٠٠ « سينظر مجلس الوزراء اليوم في اصدار

---

٥٨ ـ الملايين ١٩٥١/٨/١٩
٥٩ ـ الملايين ١٩٥١/٩/٩

قانون التعبئة العامة الذى يجيز لوزير الداخلية فى احدى فقراته ·· اعتقال الافراد المدنيين وزجهم فى المعتقلات والسجون فى حالة احتمال خطر الحرب وهذه الفقرة بعينها هى قانون الاحكام العرفية وسيصدر فؤاد سراج الدين هذه الفقرة الاجرامية لا لحماية الحركة الوطنية كما يدعى بل لكبتها وتحطيمها ولاعطاء الفرصة المواتية للاستعمار الانجلو أمريكى كى يسوق شعبنا الى مجزرة الحرب الثالثة ·. ان سراج الدين كان يحاول منذ ان اعتلى منصة وزارة الداخلية أن يصدر مثل هذه القوانين الاجرامية ولكن الكفاح البطولى للشعب المصرى كان يحوله عن هذا وفى كثير من الاحيان ولكنه اليوم ينتهز فرصة الثقة المؤقتة التى كسبها من الشعب المصرى عن طريق الغاء معاهدة ٣٦ واتفاقيتى ٩٩ والمؤثرات الصحفية والاذاعة اللاسلكية والتصريحات الجوفاء لاعلان الحكم العرفى » ثم تمضى الملايين قائلة « وكما غرر النقراشى بطل العهد الارهابى الاسود بالوفديين والاخوان والاشتراكيين فى سنة ١٩٤٨ معلنا عن عزمه على اعلان الحكم العرفى لتطهير مصر من الشيوعيين الحمر فان سراج الدين قد تمكن اليوم من التغرير بالاشتراكيين والاخوان المسلمين وباقى الاحزاب الغير خائنة » ·

·· ثم تتوجه الملايين بالحديث الى الاشتراكيين والاخوان « نقول بصراحة انكم مخطئون اذا اعتقدتم ان سلاح الحكم العرفى سيوجه ضد التقدميين فقط أنه سيوجه ضد الشعب المصرى كله سيوجه ضد الاستعمار الانجلو ـ أمريكى سيوجه ضدكم اذا كنتم صادقين فى كفاحكم ضد الاستعمار الانجلو ـ أمريكى فحددوا موقفكم من الان وبصراحة فاما أن تكونوا مع الشعب أو تكونوا مع الاستعمار الانجلو أمريكى وأذنابه »(٦٠)

ودفاعا عن المسجونين الشيوعيين وحريتهم وتحسين معاملتهم تخوض الملايين معركة ضارية غير معظم أعدادها ففى العدد ٦ نقرأ « الحكومة تامر بهتك عرض عشر آنسات ـ النائب العام لا يجرؤ على التحقيق مع المجرمين » ·· « فى الاسبوع الماضى نشرت الملايين تفاصيل جريمة تقتل خطيرة ترتكب فى سجن مصر وتحدت النائب العام أن يحقق فيها ، كما تدفقت معلومات خطيرة فى عدة رسائل مهربة من سجن مصر تثبت ان الجريمة التى نشرت تفاصيلها فى الاسبوع الماضى أهون كثيرا من الجرائم التى لا تزال ترتكب والملايين تتحدى النائب العام مرة اخرى أن يحقق فى هذه الجرائم ·

ثم تمضى الملايين لتركز نيرانها على البوليس السياسى « ان البوليس السياسى اقوى حتى من أحكام الدين ونصوص القرآن فعرض الآنسات فى السجن

---

٦٠ ـ الملايين ١٩٥١/١١/٤

وهن عشر آنسات يهتك بصفة دورية مرتين كل شهر ، يهتك بعد اخضاع الضحايا بالضرب والسحق بالاقدام أو يهتك كما حدث منذ أسبوعين حين هاجمت السجانات سعاد بطرس الطويل الطالبة بكلية الطب وأفقدنها الوعى بالضرب ثم مزقن ملابسها وعبثن بأقدس مواضع جسدها ثم تركوها عارية على الاسفلت تلعق جراحها ٠٠ » وتمضى الملايين منددة بالنظام كله « ان هذه الجرائم ستظل ترتكب ، وصمت النائب العام سيظل مستمرا وستظل مصر شعبا تسجنه حكومة ، والدستور خرافة تدوب على أحذية البوليس ، ان على الشعب ان يفهم ان البوليس السياسى والعساكر السود وأحذية الكلاب المسنحين وسياط المجرمين العجزة لا تتبع عهدا معينا ولا تاصم حكومة بعينها انها أدوات الديمقراطية المصرية التى تبقى ٠٠ والحكومات تذهب وتجىء » (٦١) ٠

وفى العدد ٨ نقرأ عنوانا مثيرا « المسجونون والسجونات فى قضايا الرأى مهددون بالموت العاجل ـ تلقينا الرسالية الاليمة التالية ننشرها على الرأى العام ونطالب النواب الاحرار ٠٠ باستجواب الحكومة عن صحة هذه الوقائع » .

٠٠ وفى العدد ١٤ يروى أحمد الرفاعى فى أسلوب قصصى ممتع قصة أول مجموعة من الفلاحين يقبض عليها بتهمة الشيوعية فى قرية طناح تحت عنوان « سيعودون » (٦٢)

وعندما يسافر زهدى الى برلين لحضور مهرجان الشباب يحتل الصفحة الاخيرة من الملايين موضوع طويل يكتبه عمر رشدى ويرسمه ( ح ) ( فى الاغلب هو حسن فؤاد ) والموضوع ٠٠ بعنوان « خمسة أيام على الاسفلت » ويروى واحدة من قصص الاعتقال الدامية بعد اعلان الاحكام العرفية فى مايو ١٩٤٨ (٦٣) ٠

وشعرا تخوض الملايين معركة المطالبة بالافراج عن السجناء الشيوعيين وفى العدد ١٨ تنشر قصيدة لفؤاد حداد بعنوان « مازادوش الا يقين » تقول :

| | |
|---|---|
| قالت السمراء وليفى | من سنة وشهرين سجين |
| ونا دمع العين حليفى | من سنة وشهرين |
| أنا فى السجن شقيقى | وحبيبته بعيدة عنه |
| وأنا فى السجن صديقى | وحبيبته بعيدة عنه |
| الليالى تروح وتيجى | وحبيبته بعيدة عنه |

..........

..........

---

٦١ ـ الملايين ١٩٥١/٥/٢٧

٦٢ ـ الملايين ١٩٥١/٦/٢٢

٦٣ ـ الملايين ١٩٥١/٨/١٢

قدى لا قدى احتمل خمسميت مرة السجن ..
ما زادوش الا يقين في انتصار الملايين (٦٤)

وقصيدة أخرى لفؤاد حداد تربط بين معركة المطالبة بالافراج عن المسجونين الشيوعيين ومعركة الكفاح المسلح في القنال وعنوانها واضح الدلالة « السجن أوله في القنال »(٦٥)

في سجن مبنى من حجر .
في سجن مبنى من قلوب السجانين
قضبان بتمنع عنك النور والشجر
زى العبيد مترصصين
في منظر القضبان عساكر الاحتلال
في فعل سبحانك أوامر الانجليز
السجن أوله في القنال
بحق يوم الشهيد خالد على الازمان
وبحق جرح الشهيد ضارب في كل مكان
وبحق نزع الشهيد سابق لكل أوان
طالب بحريتك والسجن للسجان

وفي نفس العدد تقف ريشة زهدى مع معركة الافراج عن السجناء .. تحت عنوان « المسجونون السياسيون القضبان تمنعهم من لقاء السجان » أما السجان فعند زهدى هو « جون بول » .

ولم يكن دفاع « حدتو » عن المسجونين الشيوعيين مجرد صيحات على صفحات جريدة .. تتخذ طابع المقال والخبر والقصيدة والكاريكاتير ، وانما تعدى الامر الى محاولة خلق أشكال تنظيمية ووسائل عمل جماهيرى كرست جهدنا لانجازها .

فقد تأسست « مؤتمر الدفاع عن المسجونين السياسيين » وهو تنظيم ذو طابع جبهوى وأصدر سلسلة من الندوات وطالب الجماهير بالتوقيع على عرائض تطالب بالافراج عنهم وتتبنى الملايين الحملة وتعلن أنه قد تم جمع ٥٠٫٠٠٠ توقيع في سبعة أيام ، وتربط الملايين بين هذه المعركة وبين التشكيلات الجبهوية التى قامت في ذلك الحين فتوجه نداءها « الى جميع اللجان الوطنية للاتصال بمؤتمر الدفاع عن المسجونين السياسيين لتنسيق الجهود التى

---

٦٤ ـ الملايين ١٩٥١/٨/١٩
٦٥ ـ الملايين ١٩٥١/١٢/٢

تهدف الى اطلاق سراحهم كما نناشد المسجونين السياسيين الانتظام فى جمعية توحد جهودهم فى هذه الظروف » .

كذلك ارتفعت لافتات المطالبة بالافراج عن المسجونين السياسيين فى مختلف المسيرات والمظاهرات التى تكاثرت فى هذه الايام ، وتعكس الملايين هذا النشاط قائلة « ان الشعب المصرى الذى اظهر شعوره الطيب نحو المسجونين السياسيين فى مظاهرة ١٤ نوفمبر عن طريق اللافتات وغيرها يستنكر سياسة الحكومة الوفدية نحو هؤلاء المسجونين ، لقد تكون مؤتمر للدفاع عن المسجونين السياسيين ضم عدد كبيرا من الوطنيين يمثلون مختلف الاتجاهات السياسية وبينهم عدد كبير من الصحفيين والمحامين والنواب وقد جعل هذا المؤتمر هدفه الافراج عن المسجونين السياسيين وقد تقدم بعض النواب ٠٠ ابراهيم شكرى ، نور الدين طراف بمشاريع قوانين للافراج عن المسجونين السياسيين كما قام المؤتمر بطبع نداءات لجمع التوقيعات عليها من أفراد الشعب »(٦٦) ٠

٠٠ وتمضى الملايين فى معركتها حتى نهايتها التى أصبحنا نعرفها تماما ٠

****

ونأتى الان الى قضية العمل الجبهوى ودعوة الملايين الى تأسيس جبهة وطنية والصراعات والجهود التى تجمعت حول هذه الدعوى ٠

وتبدأ الملايين حملة تأسيس الجبهة الوطنية منذ وقت مبكر ففى العدد ٦ ( ٢٧ مايو ١٩٥١ ) نقرأ حديثا لأحمد حسين يقول « الاخوان المسلمون ، اللجنة العليا لحزب الوطنى ، ولجنة السلام وبقية اللجان التقدمية ــ الحزب الاشتراكى هذه الهيئات الاربع تهدف كلها الى اخراج الانجليز من مصر والسودان وتهدف كلها الى القضاء على الفساد فى مصر والى محاربة الطغيان واقرار القواعد الدستورية والديمقراطية،وباتت تؤمن بوجوب القضاء على الفوارق بين طبقات المجتمع وهى فى هذه الاهداف انما تعبر تعبيراً صادقا عن مطالب الشعب وارادته وليس من لا يبذل الجهود الصادقة ما هو جدير بالاكبار والاحترام » « ومع ذلك فان كل هذه الجهود المبذولة لن تؤدى الى أى نتيجة من أى نوع الا اذا تضافرت هذه الهيئات والفت من بينها جبهة شعبية قومية اتفقت فيما على هذه الاهداف المشتركة فان هذه الجبهة ستصبح بلا شك هى قائدة الرأى العام الذى اصبح يلتمس قيادة جديدة وهو لن يقبل بحال من الاحوال ان يسلم نفسه لشخص من الاشخاص أو لحزب من الاحزاب بعد أن سخرت منه الاحزاب ، ولكنه مستعد دائما للسير خلف جبهة قومية تتألف من كل القوى العاملة » ٠

---

٦٦ ــ الملايين ١٩٥١/١١/٢٥

ثم يمضى أحمد حسنى قائلا « ان الانجليز أعداؤنا فى الدرجة الاولى وهم يعبثون بنا وبآمالنا وبحرياتنا واستقلالنا ، والاقطاعيون فى مصر هم أحلاف المستعمر ، وهم يحكمون الشعب هذا الحكم الفاسد المزرى الذى يجعلنا سبة العالمين وقد وجب التخلص فورا من هذا المستعمر وأذنابه وأحلافه » ويمضى أحمد حسين مؤكدا « اننى مستعد أن أنزل عن رئاسة هذا الحزب وأن أعمل جنديا صغيرا فى هذه الجبهة المتحدة التى أدعو اليها ايمانا منى بأن هذا هو الطريق وهذا هو السبيل فالى الرأى العام ، الى الصحافة الحرة الى الشعب الذى هو مصدر السلطات أتوجه باقتراحى وندائى فعسى أن ألقى مجيبا وسميعا هذه المرة »(٦٧)

واذا كان أحمد حسين قد أثار – وعن غير قصد – معركة عنيفة حول « الجبهة الشعبية » و « الجبهة الوطنية » وذلك عندما تحدث عن ضرورة تأسيس « جبهة شعبية قوية » فان فتحى رضوان قد ركز فى العدد التالى من الملايين على التفرقة بين جيل قديم وجيل جديد .. « لقد أصبح الجيل القديم ومن يتصل به ماضيا ينسحب ببطىء لكنه ينسحب حتى لقد أصبح كالقشرة التى تعلو الجرح لا تزال تتصل بالجلد وقد تنزعها قبل الاوان فيتساقط من موضعها دم ولكنها ستنفصل بعد حين وهى أن تنفصل قسم ميت لا يحس ولا ينتفع به الجسم ولا يساوى شيئا » .

والشباب هو الذى يمثل عناصر النضال وأكبر أسباب الانتكاس أن تقوم بين الشباب وشيوخ الجيل القديم أية صلة أينما كانوا وبأى اسم ظهروا فاشتراكيوهم كوطنيوهم كرأسماليوهم كمسلموهم كالملحدون منهم .. هم .. هم لا يتغيرون لو أدرك الشباب هذه الحقيقة منذ عشرين عاما لاضطردت قدماء واستقامت على طريق النجاح ولوفر على نفسه الكثير من التضحيات »(٦٨) .

.. وتدخل الميدان شخصية لعبت دورا هاما وايجابيا فى ذلك الحين – خالد محمد خالد – معقبا على كلمة أحمد حسين بعنوان « هنا أو فاحرثوا فى البحر » .. « الكلمة التى أضاءها أحمد حسين فى عدد الملايين الاسبق كلمة ذات شأن وخليق بالذين يديرون خواطرهم على شؤون بلادهم أن يتدبروا ويستجيبوا لها » .. « ان مصر التى يتخبطها الظلام وتضرب فى الارض على غير هدى فى حاجة الى « فنار » يرسل لها على الطريق نورا وهذه الشموع المرعشة الخابية المتمثلة فى تثارات الجماعات البازغة وأشتاتها لن تصمد للنسمة العابرة فضلا عن العاصفة القاهرة ، والجبهة الشعبية التكتل الشعبى

---

٦٧ – الملايين ١٩٥١/٥/٢٧
٦٨ – الملايين ١٩٥١/٦/٣

هو الفنـــار الذى يستطيع أن يتشامخ ويخترق العاصفة بأضوائه المتحدية · الا بد من جبهـــة شعبية يا صحاب » ثم يوجه خالد محمد خالد من العلماء كلمـــاته إلى قادة الهيئات الشابة الحديثة قائلا « لأن تكونوا أفرادا فى جماعة الأسود خير لكم من أن تكونوا قوادا لقطعـــان »(٦٩) ·

·· ودون أن يدرى فان خالد محمد خالد قـــد ارتكب هو أيضا خطأ الحديث عن الجبهـــة الشعبية ·· الامر الذى أثار زوبعة بين كوادر حدتو التى كانت تتمسك بخط الجبهة الوطنية الديمقراطية وأثار شهية العناصر المـــاركسية خارج حدتو للمجادلة حول هذا الأمر ··

وتفتح الملايين صدرها وصفحاتها لمزيـــد من الحوار معلنة بذلك أنها تمتلك قدرا كبيرا من الديمقراطية واحترام الرأى الاخر ، وضيف هذه المرة خصم عتيد من خصوم حدتو هو محمود العسكرى أحد قادة تنظيم طليعة العمال ·

ويفجر محمود العسكرى بمقـــاله هذا خلافـــا شديدا بين « حدتو » وبين بعض الفصائل المـــاركسية الاخرى فمحمود العسكرى « طليعة العمال » يرفض فكرة حدتو لتأسيس جبهة وطنية ديمقراطية فهو يدعو « الى تحالف شـــعبى يجب أن يتم على أسس شعبية ويأتى بقيـــادة شعبية تقود الكفـــاح من أجل تحقيق ذلك البرنامج الوطنى الشعبى وليس على أساس فرض شـــخصيات براقـــة تربت فى أحضـــان المدرسة السياسية الاستعمارية حتى وان كـــانت تحمل فى يدها شعارات براقـــة وجملا طنانة بهـــدف ركوب التيار الشعبى الوطنى المتصاعد » ·

وواضح من كلمات العسكرى انه يقصد اشخاصا مثل أحمد حسين وقيادات الاخوان وغيرهم الذين كانت تدعوهم حدتو الى الجبهة ·

اما البرنامج الذى يقترحه العسكرى فهو أيضا برنامج متشدد لا يمكن أن تتفق عليه أطراف الجبهة المرجوة فهو يهـــدف الى « تأميم الاحتكـــارات والشركات ذات المنافع العـــامة ويحقق حرية العمل النقـــابى طبقـــا للمواثيق الدولية ويعطى المرأة حقهـــا السياسى ويهدف الى توزيع الارض على المعدمين من الفـــلاحين على أساس المزارع الجماعية » (٧٠) ·

·· وهكذا وفى غمار المعركة ضـــد الاستعمار وكبرنامج لجبهة واسعة ·· رأى العسكرى انه من الملائم رفع شعار التأميم وشعار المزارع الجماعية ·

---

٦٩ ــ الملايين ١٩٥١/٦/١٠ .

٧٠ ــ الملايين ١٩٥١/٦/١٠

وكان طبيعيا أن يتفجر الخلاف بين الفرق الماركسية حول المفهومين وبدلا من تكريس الجهود لتأسيس الجبهة إنشغل الكثيرون بالمفاضلة بين « الجبهة الوطنية » و « الجبهة الشعبية » .

ففى العدد التالى مباشرة ردت « حدتو » على محمود العسكرى « طليعة العمال » .. تحت عنوان « جبهة ديمقراطية لا جبهة شعبية » .. « الذين يدعون اليوم لقيام جبهة شعبية فى مصر مهرجون لأنهم لا يعرفون الاسس التى تقوم عليها هذه الجبهة الشعبية على وجه التحقيق ، ولذلك فمن حقهم أن نحيطهم علما بها لعلهم يرتدعون .. الجبهة الشعبية هى جبهة من أحزاب تمثل العمال والفلاحين والمثقفين فهل يوجد فى مصر أحزاب يمكننا أن تدعى أنها تمثل هذه الطبقات الاجتماعية تمثيلا حقيقيا لا تمثيلا هزليا ؟» وتمضى الملايين فى هجوم به من الشتائم أكثر مما به من محاولات الاقناع أو الالتقاء «ليست المسألة مسألة مزايدات أيها الحمقى انما المسألة هى إدراك القيادة الواعية لواجباتها السياسية فى المراحل المختلفة التى يجتازها الكفاح الوطنى ضد الاستعمار والمزايدات التهريجية هى التى يمكن أن تنادى بجبهة شعبية لا يمكن تحقيقها الان .. الجبهة الوطنية اذن هى واجب من واجبات الساعة واجب يجب الاسراع فى القيام به . وحشد كل القوى لمصارعة الاستعمار وصنائع الاستعمار » وردا على مخاوف محمود العسكرى تقول الملايين « ولن يكون هناك أدنى خوف من دخول هيئات لها ماض فى هذه الجبهة فالسبيل الوحيد لكشف هذه الهيئات هو التدليل على مواقفها خلال الكفاح واقناع الجماهير المنضوية تحت قيادتها بخيانة قيادات هذه الهيئات » .

وهكذا يكشف الجميع أوراقهم فى حمى صراع محدب .. وتمضى الملايين قائلة « نحن لا نستطيع أن نظل قاعدين فى بيوتنا فى انتظار جبهة شعبية أو اصدار مراسيم ضد هيئات وطنية مطالبين الجماهير بالامتثال لنا بل سبيلنا الوحيد لتأكيد قيادتنا الواعية هو خوض الكفاح والقيام بواجبنا فى كشف هذا أو ذاك أثناء الكفاح نفسه ومن خلال الكفاح ، ومن خلال الجبهة الوطنية الديمقراطية نصل الى الجبهة الشعبية المنشودة » .

أليس غريبا أن ينساق أطراف الصراع الماركسى الى حد الاعلان عن أنهم يتحالفون مع قوى حزبية بهدف القيام بكشف قيادات هذه الاحزاب من خلال الكفاح وعزلها عن جماهيرها ؟

على أية حال تمضى الملايين « نحن لسنا مثاليين خياليين هستيريين ولكننا ماديين واقعيين نفكر بعقولنا ونستفيد من أخطائنا ونتعلم من تجاربنا ونتقدم للامام يوما بعد يوم والجبهة الديمقراطية هى تضامن جميع القوى التى تريد

أن تدرأ عن هذا الشعب العظيم خطر الدفاع المشترك والتي تريد أن ترد لدستوره اعتباره » .

وأخيرا تؤكد الملايين « وكل من اعترض طريق هذه الجبهة خائن .. أدرك ذلك أو لم يدرك ، فالخائن المدرك لخيانته والخائن غير المدرك لخيانته يستويان »(٧١) .

ولا بد أن هذا المقال قد أثار الكثير من سوء الفهم ولا بد أنه قد أساء كثيرا الى العلاقات التى كانت قد نمت بين حدتو وبين قيادات الاحزاب الاخرى فقد نسيت الملايين فى غمار حماسها فى الرد على العسكرى أن الذى نادى بالجبهة الشعبية هو أحمد حسين وخالد محمد خالد صحيح انهما لم يكونا طرفا فى أى صراع أيديولوجى حول هذا الامر وانهما استخدما لفظ « شعبية » استخداما لغويا بحتا الا انهما قد استخدماه على أية حال ، وفى غمار الحماس أيضا عرضت الملايين بكثير من القيادات الحزبية الوطنية . وكان لا بد من السعى لتضميد جراح صنعتها « الملايين » بيديها .. ويكتب عمر رشدي في العدد ١٠ « المهرجون الذين عنيناهم عندما تحدثنا عن الجبهة الديمقراطية » .. « أثار حديثنا فى العدد الماضى عن الجبهة الديمقراطية تعليقات كثيرة وأساء كثيرون فهمه ولذلك يتحتم علينا أن نوضح الامر توضيحا دقيقا ، اننا نقدر تمام التقدير ما بدا من الاساتذة فتحى رضوان وأحمد حسين وأعضاء الاخوان المسلمين وغيرهم نحو الحركة التحررية المصرية ، وجميل من أحمد حسين وأعضاء الاخوان المسلمين وغيرهم نحو الحركة التحررية المصرية ، وجميل من أحمد حسين بالذات أن يقول أنه على استعداد لان يعتذر عن كل ما بدر منه فى حق هذه الهيئة أو تلك ، فهذا هو أسلوب الوطنيين الصادقين نحن لسنا آلهة ، نحن نخطىء ومن خلال خطئنا نتعلم ولقد أخطأنا نحن كثيرا وها نحن أولاء نتدارك خطأنا يوما بعد يوم » .

وتواصل الملايين انتقادها لنفسها قائلة « نحن لم نعن بهذا المقال فتحى رضوان وأحمد حسين ولقد شاهدنا بأنفسنا فى معتقلات هاكستب والطور تلك العناصر الثائرة من الاخوان المسلمين تلك المئات من الذين لم يقبلوا الرضوخ للاستبداد والظلم وتحدثنا الى كثير من قيادتهم فتبينا بأنفسنا صدق الدوافع التى تحفزهم للنضال » .

ثم تحدد الملايين هدفها معلنة انها انما تعنى منظمة شيوعية بعينها فتقول « هذا المقال لم نوجهه أولا وأخيرا الا لبعض المهرجين فى الحركة

---

٧١ ـ الملايين ـ ١٩٥١/٦/١٧ .

العمالية هؤلاء الذين نعرفهم جيدا والذين تأتينا انباؤهم يوما بعد يوم على الرغم من عدم احتكاكنا بهم احتكاكا مباشرا ، نحن نعرف الدوافع التى تدفعهم الى المناداة بجبهة شعبية يستحيل اقامتها واعتراضهم طريق الجبهةالديمقراطية التى يمكن فى الحال أن تقوم .. » .

ثم تعود الملايين الى الشتائم بل والى تبرير هذه الشتائم « هؤلاء المخربون نحن نعرف اللغة التى يجب أن نخاطبهم بها فطالما خاطبناهم بهذه اللغة .. ان الأمر لم يعد يحتمل مجاملات وترضيات على حساب هذا الشعب المسكين الذى غرر به الكثيرون تغريراً كبيراً ونحن لا نستطيع مطلقا أن نقف الموقف المائع الذى يقفه بعضهم ... أمثال هؤلاء المخربين المهرجين .. ان الطريق الوحيد للوحدة الحقيقية هو وضع نهائى لاساليب هؤلاء المخربين الدجالين وأى طريق وفاقى أو تهادنى مع هذة الشرذمة يعتبر جريمة كبرى فى حق هذا الشعب »(٧٢)

وفى نفس العدد نقرأ نقدا لفكرة « الجبهة الشعبية المزعومة » بقلم قارىء .. ولعله ايضاح آخر من حدتو .. يستحق منا أن نتابعه .. « للجبهة الشعبية مدلول محدد فالاصل فيها أولا قيام الطبقة العاملة بقيادة كافة الحركات الجماهيرية المكافحة بجميع مراتبها وصورها ذلك لانه بدون قيادة الطبقة العاملة سيظل كفاح تلك الحركات مائعا ضائعا وتلقائيا .. فاذا كانت الطبقة العاملة فى مصر لم تزل فى دورها الجنينى واذا لم تكن قد ارتبطت حتى الان ارتباطا قياديا ببقية الحركات المكافحة كانت الدعوة الى الجبهة الشعبية دعوة مضللة سيئة القصد تهدف أولا الى تمييع الصراع الحقيقى وثانيا الى اخضاع سلطة الطبقة العاملة لسلطات الجبهة الشعبية المزعومة وما تتضمنه من عناصر قلقة غير متآزرة ولا .. متجانسة » ثم يمضى هذا « القارىء » موضحا موقف حدتو « اننا ندعو لتكوين الجبهة الديمقراطية على شرط أن لا يقتصر ذلك التآزر والوحدة على الهيئات القائدة بل ينبغى أن يتم الربط بين تلك الهيئات والاتحادات ذات المطالب المهنية كاتحاد المعلمين والمهندسين والاطباء والكونستبلات والعساكر وصف الضباط .. الخ اذ ينبغى أن تفهم هذه الفئات أن مطالبها المهنية مرهون أمر تحقيقها بكسب المعركة السياسية وأن السبيل السليم هو الكفاح السياسى العام . فتوضيح الصلة بين المصالح الاقتصادية لهذه الفئات وبين الاوضاع السياسية المحلية والعالمية القائمة هى الوسيط الى ربط هذه الهيئات بالسياسة كسبيل لاقامة الجبهة الديمقراطية تحت شعارات موحدة وأهداف محددة .. فلنعمل اذن على صياغة خط كفاحى موحد بين هذه الهيئات جميعا يجمع بين الهدف السياسى العام والمصلحة المهنية الخاصة » .

---

٧٢ ـ الملايين ـ ١٩٥١/٦/٢٤ .

وبرغم هذه الايضاحات يظل الامر غامضا بل وغير مبرر بالنسبة للكثيرين وحتى بالنسبة للقادة السياسيين للاحزاب الاخرى ويكتب أحمد حسين على صفحات الملايين ( العدد ١١ ) معبرا عن دهشته من هذا الاستغراق فى الخلاف حول اسم الجبهة « كان يجب أن تكون الملايين بالذات هى آخر من يثير هذا الخلاف اللفظى حول الجبهة فالجبهة هى الهدف أما أن تسمى شعبية أو ديمقراطية فلا أظن أن ذلك يصح أن يكون مثار خلاف بل قد تسمى الجبهة القومية أو الوطنية والذى يعنينا فى النهاية هو البرنامج الذى سنتفق عليه .. فعسى أن ينجح الساعون لتأليف هذه الجبهة الشعبية أو الديمقراطية أو القومية التى قلت مرارا وتكرارا بأننى سأكون أسعد الناس بأن أعمل تحت لوائها (٧٣) .

وبرغم هذا الخلاف تمضى » حدتو « فى خطة تأسيس الجبهة الوطنية وفى ٢٦ أغسطس ١٩٥١ .. تبدأ جنينيات العمل الجبهوى فى التواجد .. « دعوة الملايين فى سبيل التحقيق . مؤتمر ٢٦ أغسطس خطوة نحو الجبهة الوطنية المنشودة » .. « كانت الملايين أول من دعا لتكوين جبهة ديمقراطية من القوى الشعبية للنضال ضد الاستعمار الانجلو أمريكى .. وقد شهد يوم ٢٦ أغسطس أول حشد من حشود الجبهة المنشودة . وهكذا يظهر معسكر الشعب مجسما واضحا يدخله كل الوطنيين على اختلاف مذاهبهم السياسية وعقائدهم الاجتماعية ولن يبقى خارجه الا الخونة أعداء الشعب .. وقد اشتركت جماهير الاخوان المسلمين فى الاجتماع الشعبى معلنة سخطها وعداءها للاستعمار وصفقت للوحدة الشعبية الرائعة وللقرارات الوطنية التى أبرمها قادة الاحزاب والهيئات المجتمعة ولكن صالح عشماوى ممثل قيادة الاخوان لم يحضر الاجتماع ولم يبعث مندوبا عنه ولم يوقع على القرارات الوطنية التى انتهى اليها المؤتمر لقد قالت جماهير الاخوان كلمتها وبقيت كلمة قيادة الاخوان » .

.. أما ممثلو القوى المشاركة فى المؤتمر فهم أحمد حسين ـ فتحى رضوان ـ أحمد كامل قطب ـ يوسف حلمى .

وأما القرارات فهى « أولا : يقرر المجتمعون ان معاهدة ١٩٣٦ باطلة لانها أبرمت فى ظل الاحتلال ولذلك يجب المبادرة الى الغائها مع اتفاقية ١٨٩٩ ..

ثانيا : يقرر الحاضرون أنهم يستنكرون التفكير فى عقد معاهدة أخرى أيا كانت أسسها مع بريطانيا أو أمريكا او معهما معا .

---

٧٣ ـ الملايين ـ ١٩٥١/٧/١ .

ثالثا : يدعو الحاضرون الشعب الى تحريم التعامل مع الانجليز عسكريين أو مدنيين ومع معسكراتهم وكل ما ومن يتصل بهم »(٧٤) .

لكن هذا البرنامج لم يكن كافيا بنظر حدتو ولهذا فانها تعود فتلح على وضع برنامج جديد تنشر نقاطه فى العدد ٢١ من الملايين وتضيف الى ما سبق من نقاط « احترام الدستور وتوسيع الحريات العامة وتوثيق العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفييتى وبلاد الديمقراطية الشعبية وعقد مواثيق مع البلاد التى تساند الشعب المصرى »(٧٥) .

ثم تعود الملايين لتتقدم فيما أشمل لقوات الجبهة وبرنامجا أكثر تفصيلا فى العدد ٢٣ .. أما قوات الجبهة فهى « الاخوان المسلمون ـ التقدميون ـ الوطنيون ـ الاشتراكيون ـ الوفديون ـ منظمات العمال والطلبة وجميع المواطنين الأحرار » .

أما البرنامج فينص على :

١ ـ مقاومة مشاريع الاستعمار الانجلو أمريكى العدوانية وحلف البحر المتوسط والنقطة الرابعة .

٢ ـ عقد معاهدة صداقة وتحالف مع حكومات الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية وسائر حكومات الديمقراطية الشعبية .

٣ ـ عقد معاهدات تجارية مع الدول السابقة لكى لا يخنقنا الاستعمار الانجلو أمريكى اقتصاديا .

٤ ـ توسيع الحريات الديمقراطية بالافراج عن المسجونين السياسيين جميعا وبعدم التعرض للعمال عند تكوين نقاباتهم والغاء قانون حمل السلاح والغاء قوانين الجمعيات والتظاهر والاجتماعات وحفظ النظام بالمعاهد والغاء قانون الاحزاب والقوانين المقيدة لحرية الصحافة .

٥ ـ التحضير للكفاح المسلح لطرد قوات الاحتلال من وادى النيل وجمع التبرعات لشراء السلاح ولتكوين فرق الانصار وتدريبها .

٦ ـ ربط الكفاح مع الوطنيين السودانيين .

٧ ـ توثيق روابط الكفاح بيننا وبين شعوب الشرق الاوسط كايران

---

٧٤ ـ الملايين ـ ١٩٥١/٩/٢ .

٧٥ ـ الملايين ١٩٥١/١٠/٧ .

والعراق وسوريا ولبنان التى أعلنت تأييدها لنا فى كفاحنا لالغاء معاهدة ١٩٣٦ بدعوتها لمؤتمر يضم ممثلين لهذه الشعوب يعقد فى القاهرة »(٧٦) .

ثم محاولة جادة لتأسيس قواعد جماهيرية للجبهة فلم يكن من المتصور أن تبقى الجبهة مجرد لقاء بين أربعة أو خمسة من القيادات ٠٠ « مرة أخرى تناشد الملايين جميع الوطنيين العمل الجاد فى سبيل تكوين اللجان الوطنية فى كل حى وقرية ومصنع بحيث تكون هذه اللجان القاعدية نواة الجبهة الوطنية المتحدة »(٧٧) .

وفى العدد ٢٥ تضيف الملايين بندين هامين الى برنامج الجبهة معلنة أن اضافتهما تستهدف ٠٠ اشتراك العمال والفلاحين بشكل جدى فى نضالنا الوطنى وهما :

١ ـ السماح للعمال بتكوين نقاباتهم واتحادهم العام دون تدخل من البوليس السياسى .

٢ ـ السماح للفلاحين بتكوين اتحاداتهم . وللاجراء الزراعيين بتكوين نقاباتهم الزراعية »(٧٨) ٠ لكن المسألة لم تكن مجرد الاستمرار فى اضافة نقاط الى برنامج الجبهة ذلك أن الامر يتطلب رضاء أطراف ما كان لها أن تقبل مثل هذه النقاط والذى التقوا حول النقاط الثلاث فحسب فى مؤتمر ٢٦ أغسطس ما كان من الممكن اقناعهم بالمزيد خصوصا وهم يتعرضون لضغوط شديدة للتخويف من أى تحالف مع الشيوعيين ٠

وهكذا وفى العدد ٢٧ تكشف الملايين عن خلاف مع القيادات السياسية الاخرى فتعلن أن هناك اتجاهين اتجاه تاسيس اللجان الوطنية الذى تدعو له الملايين واتجاه آخر يدعو له كبار المصريين ويهدف الى تأسيس هيئة سياسية أو وحدة قومية وتقول « لقد تذبذبت أحزاب الاشتراكيين والاخوان والوطنيين بين هذين الاتجاهين ومن هنا فقد صبت علينا تحت عمليات مصادرات المجلة بدون حساب » ٠

شم تعيد الملايين طرح برنامجها المقترح للجبهة وتعود للتأكيد على أنه لا يمكن التغلب على الخطر الداهم الا اذا « قوينا اللجان الوطنية المصرية وعمقنا جذورها بين الجماهير ٠٠ ومرة أخرى نكرر لا يمكن تحطيم هذا الخطر

٧٦ ـ الملايين ـ ١٩٥١/١٠/٢١ ٠
٧٧ ـ الملايين ـ ١٩٥١/١٠/٢٨ ٠
٧٨ ـ الملايين ـ ١٩٥١/١١/٤ ٠

إلا اذا « قوينا اللجان الوطنية المصرية وعمقنا جذورها بين الجماهير ٠٠ ومرة أخرى نكرر لا يمكن تحطيم هذا الخطر الا اذا مدت اللجنة الوطنية يدها الى كل المخلصين من جماهير الوفديين والاشتراكيين والاخوان والمنظمات النسائية وكل الطوائف الوطنية لتتعاون معها فى النقطة التى يمكن أن تتعاون فيها »(٧٩)

ونتوقف لنسجل ملاحظتين هامتين :

ـ أولاهما أن التوجه الآن الى جماهير الوفديين والاشتراكيين والاخوان وليس الى القيادات التى كانت فى ذلك الوقت غارقة فى بحر من التردد والخضوع للمناورات والتى ما كان لها أن تقبل هذه لاضافات فى البرنامج المقترح للجبهة ٠

ـ وثانيهما : ان البرنامج الذى تقدمت به الملايين لم يعد قبوله كاملا شرطا لتأسيس الجبهة فهى تدعو للتعاون مع مختلف الهيئات فى النقط التى يمكن أن تتعاون فيها ٠

لكن ابراهيم عبد الحليم يعود مرة أخرى ليؤكد أن المؤامرة ستنتصر « اذا لم تتحرك العناصر المخلصة فى قيادات وقواعد الوفد والاشتراكيين والاخوان والحزب الوطنى والشبان المسلمين والتقدميين وتحمل نصيبها الايجابى فى الكفاح ٠٠ اننا نمد أيدينا الى كل هؤلاء ونناشدهم أن يقدروا خطورة الموقف وخطورة المؤامرات التى يدبرها الاستعمار وأن يضموا صفوفهم فى جبهة تقود المعركة »٠

لكن ابراهيم عبد الحليم يختم مقاله بعبارات تحذيرية ٠٠ « ان الطريق الى الخيانة واضح والطريق الى التحرر الوطنى واضح وليس هناك طريقا وسطا »(٨٠)

وفى نفس العدد ٢٩ تعلن الملايين فى زهو واعتزاز « تم تكوين ٣٨ لجنة وطنية فى منطقة القاهرة » ٠

وفى العدد ٢٩ تنشر الملايين بيانا موقعا « باسم سكرتارية اللجنة الوطنية المصرية » تؤكد فيه ان « اللجان الوطنية ليست تابعة لحزب معين وانما هى جبهة الوطنيين من أبناء الشعب الذين التقوا عند الحد الادنى من الأهداف التى ينادى بها كل وطنى » ويقول البيان أيضا أن برنامج اللجنة هو برنامج « تكتل حوله الشعب وضم عددا كبيرا من الاعضاء رغم اختلافاتهم

---

٧٩ ـ الملايين ـ ١٩٥١/١١/٢٥ ٠
٨٠ ـ الملايين ١٩٥١/١٢/٢ ٠

الحزبية ومذاهبهم النظرية فوصل عدد اللجـان فى القـاهرة وحدها ٣٩ لجنـة تجمع بين أعضائها اشخاص من أحزاب مختلفة فمنهم الاشتراكيون والاخوان المسلمون والحزب الوطنى « وتعود سكرتارية اللجنة الوطنيـة المصريـة الى الالحـاح » ان قيـام اللجـان الوطنية بدورها التاريخى لا يمكن أن ينجح نجاحا تاما إلا اذا وسع البرنامج بشكل يجمع بين المطالب السياسية ومطالب الشعب، ولا يمكن أن ينجح الا اذا وثقنـا علاقاتنـا والا اذا عمقنـا مناقشـاتنا مع الاشتراكيين والاخوان والحزب الوطنى والنقـابات العمالية واتحادات الطوائف المختلفـة رغبة فى اقناعها ببرنامجنـا وضمها الى صفوفنـا »(٨١)

وواضح من السياق ٠٠ ان « حدتو » قـد سئمت تردد القيادات الحزبية الاخرى فعمدت الى تأسيس « سكرتارية اللجنة الوطنية المصرية » ودعت قواعـد هذه الأحزاب الى الاسهام فيهـا ٠. وواضح أيضا أن حدتو قـد ظلت رغم ذلك على الحاحهـا فى محاولة كسب هذه القيادات وشل ترددها ٠

٠. وتظل الملايين متشبثة بفكرة الجبهـة الوطنية حتى آخر عدد من أعدادها وتعود مرة أخرى لتسأل « جبهـة وطنية أم جبهة شعبية ؟ » محاولة ان تعزز موقفهـا بمساندة خارجية « صرح لنـا الزميل احمد طه سكرتير اللجنة التحضيرية لاتحـاد عام نقـابات العمـال بالقطر المصرى أن الزميل لويس سايان ( سكرتير عام اتحاد النقـابات العالمى ) قـد طلب اليه أن يدلى بالتصريح التالى ٠٠ « لقـد أشار قرار الاتحـاد العـالمى للنقـابات الصادر فى برلين وغيره من البرقيـات التى أرسلت الى اللجنة التحضيرية انه يجب أن تؤلف وفى الحال جبهة وطنية باعتبارها الضمان لنجاح الكفـاح ضـد الاستعمار وان الكـلام فى المراحل الحـالية عن التأميم أو اتهـام بعض الهيئات بالفاشية ورفض التعاون معهـا ليس فقط انعزالى بل انهزامى »(٨٢)

لكن هذا الدعم يأتى متأخرا ٠

فنحن الان مع آخر أعداد الملايين والقـاهرة توشك أن تحترق بينما فكرة الجبهة لم تزل تتعثر ٠ وكان كل ما سبق مجرد محاولة لرصد التوجهـات الوطنية على الصفحات للملايين ٠٠ فماذا عن التوجهـات الاجتماعية والطبقية ؟

٠. ولقـد كان النضال وسط العمال أمرا مفترضا من أى تنظيم ماركسى لكن حدتو تميزت بأنها استطاعت أن تتمركز فى محور الحركة النقـابية وأن

---

٨١ ـ الملايين ١٩٥١/١٢/١٢ ٠
٨٢ ـ الملايين ١٩٥١/١٢/٢٦ ٠

تكسب الى صفها عددا هاما من القادة النقابيين وأن تعمل وبنجاح لتأسيس اتحاد عام لنقابات العمال ..

وكان العمل وسط عمال النقل المشترك أحد المراكز الهامة لهذا النشاط .

وفي باب « نقط العرق » وهو باب ثابت ، تتوالى أخبار هذا النشاط .

« مؤتمر جديد لعمال النقل ليس فيه خونة » .. « تستنفد نقط العرق هذا الاسبوع لوثبة جديدة فقد دعت الهيئة الجديدة لمؤتمر نقابات سائقي وعمال النقل المشترك بالقطر المصرى وهى الهيئة التى يمثلها حسن عبد الرحمن رئيسا وسيد خليل ترك سكرتيرا عاما الى مؤتمر عام بيوم السبت ٢ يونيو ١٩٥١ لمناقشة ما تم في مطالب العمال التى سبق أن تقدموا بها » .

وتروى الملايين كيف دعا العمال الى اضراب شامل اذا لم تجب المطالب « ولكن الهيئة القديمة التى كان يمثلها محمود صالح ومصطفى غرغلى ومحمد ابراهيم زين الدين وعبد العزيز مصطفى ومحمد العقيلى أذاعت فى مؤتمر عام قبل الاضراب بأربعة أيام أن المطالب جميعها قد أجيبت ، ولكن انكشفت بعد ذلك أن المطالب لم تجب .. والملايين تطلب الى جميع عمال النقل بالقطر المصرى أن يتمسكوا بمطالبهم مهما تطورت الظروف وأن ينظموا انفسهم كى يضمنوا تحقيق أهدافهم ويامنوا الخيانات المفاجئة وأن يتمسكوا بالهيئة الجديدة ويمنعوا تسلل أية عناصر خائنة الى صفوفها (٨٣) .

وهكذا فان حدتو تتقدم بقيادة جديدة لحركة عمال النقل وتسعى لتنظيمهم فى اتحاد عام وينعكس ذلك على مسار الجريدة كلها ويكاد لا يخلو عدد من أعداد الملايين من خبر أو مقال عن عمال النقل .

وفى العدد ٧ تحقيق مصور عن .. « أضخم مؤتمر نقابى لعمال النقل شارك فيه مندوبون عن نصف مليون عامل مصرى مشتركين فى ٤٣ نقابة لعمال النقل فى مصر .. » .

والحقيقة أن هذا المؤتمر كان يعتبر انتصارا حاسما لحدتو ولكوادرها التى استطاعت بكفاءة وفعالية أن تحشد كل هذا القدر من القيادات العمالية حول شعاراتها وأن تعزل العناصر الصفراء والخائنة عن مجمل الحركة العمالية النشطة تقريبا ..

وفى هذا التحقيق الصحفى تورد الملايين مجموعة من البيانات الهامة « ان عدد الرخص غير الخصوصية فى القاهرة وحدها ٦.٨٣٩ رخصة بينما لا

---

٨٣ ـ الملايين ١٩٥١/٦/١ .

يزيد عدد السيارات على ٣٧٦٨٧ سيارة ومعنى هذا أن فى القاهرة وحدها ٢٣١٥٢ سائقا متعطلا ومرتب السائق الخاص من ستة عشر جنيها الى عشرة جنيهات شهريا وهم جميعا آدميون ولهم زوجات وأولاد وأمهات وشقيقات ومن أجل هذا تكتل نصف مليون عامل ومن أجل هذا فشلت الحكومة والبوليس فى القضاء على مؤتمر عمال النقل »(٨٤)

ويتوج المؤتمر انتصاره بانتخاب حسن عبد الرحمن رئيسا وسيد خليل ترك سكرتيرا عاما والاثنان من أعضاء حدتو .

وبينما كانت الملايين تبشر ببدء نضال جديد وجاد فى صفوف العمال كانت بعض المنظمات الماركسية الصغيرة تستخدم أساليب أخرى وتحاول الملايين أن تنقد هذه الأساليب « الاضراب عن الطعام ليس وسيلة لتحقيق مطالب العمال » .. « ما أكثر الافراد الابطال الذين يعيشون ببطولتهم ولبطولتهم بعيدين عن كتل الكادحين غير مؤمنين الا بأنفسهم يرون فى ذواتهم وفى ذواتهم فقط المخلصين للكادحين من الاستغلال والاستعباد . وأخيرا أعلنت مجموعة من العمال الاضراب عن الطعام من أجل مطالب عمال النسيج واعتكف هؤلاء الغانديون فى حجرة باحدى النقابات .. ان هذا الاسلوب انما يعنى يأس هؤلاء الغانديون من كتل العمال ، ونضال العمال الحقيقى وامكانية تنظيم العمال » ثم تمضى الملايين « ان مطالب عمال نسيج مصر لن تتحقق بأن يناضل من أجلها أفراد أبطال ، ولكن لتحقيق مطالبهم فانه لا بد أولا من تنظيم صفوفهم تحت راية واحدة تحت قيادة واحدة .. ان الخطوة الضرورية التى تنقص عمال النسيج وغير عمال النسيج ليست هى جوع الاصنام ولكن هى تنظيم العمال وتوحيد صفوفهم »(٨٥)

ولم تلبث كوادر حدتو المتمركزة فى قطاع عمال النقل أن رفعت شعار التأميم لوسائل النقل معلنين أنهم بذلك « انما يضربون المستعمر والمحتكر المتصرف فى شؤون الشعب ضربة قاصمة » ويختتم البيان الذى طالب بالتأميم بنداء الى الجماهير « أيها الشعب طالب معنا بتأميم هذه الشركات لضمان سير المواصلات بانتظام . وفى أوقات متقاربة . ولكى تصبح مواصلات شعبية يملكها كل أفراد الشعب ، .. يا شعب مصر اننا فى حاجة الى تأييدك فى هذه المعركة التى أعلناها من أجل تأميم المواصلات وقد عقدنا العزم على السير فى هذا الاتجاه الوطنى بكل عزم وقوة »(٨٦)

---

٨٤ ـ الملايين ١٩٥١/٦/٢٢
٨٥ ـ الملايين ١٩٥١/٧/٢٨ .
٨٦ ـ الملايين ١٩٥١/٨/١٩ .

•• ويصبح التأميم معركة حقيقية ••

وتعلن الوزارة فزعها منه وتجتمع لجنة المرافق العامة لتعلن رفضها لمطالبة العمال بتأميم وسائل النقل ويأتى رد العمال بالاضراب العام لمدة ربع ساعة وتنشر الملايين خبر الاضراب قائلة « ان هذا الاضراب لهو اعلان عن تصميم العمال ممثلين فى اتحادهم على كسب معركة التأميم »(٨٧)

ثم ترفع الملايين بعد ذلك شعار تأسيس اتحاد عام لنقابات العمال وتخوض مع كوادر حدتو معركة عنيفة من أجل تأسيسه وعندما تشكلت اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات •• توجه مندوب الملايين ليجرى حديثا مع أحمد طه سكرتيرها العام الذى قدم فى هذا الحديث ملخصا لموقف حدتو ونهجها ازاء الحركة النقابية فقال « ان النقابات مع نمو وعيها تقوم بواجبها نحو وطنها وقد اشترك عمال مصر منذ أمد بعيد فى الكفاح الوطنى » أما عن الكفاح السياسى •• « ان الكفاح السياسى هو الذى تقوم به احزاب سياسة وليست الحركة النقابية » •• أما خطة تأسيس الاتحاد العام فيلخصها أحمد طه كما يلى « أوضحت اللجنة فى بيانها الاخير أنها ستقوم بعمل اجتماعات لكل مهنة على حدة لتكوين اتحادات مهنية ومنها يتكون الاتحاد العام » .

وتسأل الملايين سيد خليل ترك عن موقف اللجنة التحضيرية من اتحاد عمال السودان ومن الاتحاد العالمى للنقابات فقال « ان كفاحنا لا يمكن ان يتجاهل كفاح زملائنا عمال السودان وقد وافق المؤتمر بكل حماس على الارتباط بهذا الاتحاد الذى يلعب اليوم دورا أساسيا فى السودان أما بالنسبة للاتحاد العالمى للنقابات فاننا ننوى أن نرسل مندوبين من اللجنة التحضيرية لتقديم طلب الانضمام وتسديد الاشتراك » (٨٨)

ومع الاهتمام بتأسيس إتحاد عام للعمال تكون المناداة بتأسيس اتحاد عام للطلبة وتنشر الملايين فى العدد ٢٥ نبأ تأسيس لجنة تحضيرية بالاسكندرية لتأسيس اتحاد عام للطلاب تستهدف :

١ ــ تنظيم اشتراك الطلاب فى المعركة الوطنية •

٢ ــ حل مشاكل الطلبة الاجتماعية والرياضية والثقافية .

ثم لجنة تحضيرية أخرى فى شبين الكوم تضم مختلف تيارات الطلبة وتضع لنفسها برنامجا يطالب :

---

٨٧ ــ الملايين ١٩٥١/٩/٩ .

٨٨ ــ الملايين ١٩٥١/١٠/١٤ .

١ ـ سرعة اتخاذ اجراءات ايجابية لتنفيذ مراسيم الغاء المعاهدة والاتفاقيتين والرد على اعتداءات الانجليز ٠

٢ ـ اباحة حمل السلاح ٠

٣ ـ الافراج عن المسجونين السياسيين ٠

٤ ـ مقاطعة الانجليز اقتصاديا وسياسيا » (٨٩)

وكذلك الفلاحين اهتمت الملايين أيضا بمشاكلهم وبالدعوة لتكوين اتحاد عام لهم ٠٠

وفى العدد ٦ يكتب على الدالى تحت عنوان « الجحيم الاخضر » ٠٠ « كان الفلاح منذ بداية حياته فريسة لطغيان المستبدين من حكامه ، ومنذ استسلم الفلاح لطغيان فراعنة النيل وهو خاضع للذل والمهانة والعبودية ، انه لا يزال مستمرا فى بناء اهرامات جديدة ٠٠ لا يزال يحرث الارض ويزرعها لا لحسابه بل لحساب سادته من الفراعنة الجدد الذين يملكون حياته فى أيديهم ٠ والذين يسخرونه فى بناء أهرامات من نوع آخر ، أهرامات من الذهب يكدسونها فى خزائنهم وينفقون منها على مباذلهم » وبعد أن يستعرض الكاتب أحوال الفلاح فى جحيمه الاخضر وتشبث الاقطاعيين بطغيانهم يقول « ولكن فى تاريخ الامم المستعبدة حقيقة معروفة وهى أنه ما من أمة خضع الملايين من أبنائها لعتو الجبابرة وطغيانهم الا وتحول هذا الخضوع فى النهاية الى سخط وبعد السخط ماذا أقول ؟ اقرأوا تاريخ الأمم يا مهراجات مصر وعندها سوف يدفعكم الرعب الى الايمان بأن حياة الملايين من البشر أغلى بكثير من حياة الخيول والكلاب »(٩٠) ٠

وتتصاعد النغمة الطبقية على صفحات الملايين عددا بعد عدد وتنتقل من مجرد الحديث عن الفقراء والاغنياء الى الحديث عن طبقات تقف فى مواجهة طبقات ٠٠ وفى العدد ٨ دراسة طويلة بعنوان « قصة الناس فى مصر » ٠

وللدراسة مقدمة تتحدث عن عرابى وثورته وتقول « وكانت ثورة عرابى آخر عهد الناس فى مصر بالحرية لانه لم يظهر بطل فلاح من بعده ، صحيح ان ثورة ١٩١٩ كادت تحرر الناس فى مصر ولكن القائد كان طموحا وكان الشعب معجبا بالقائد الى درجة أن اسمه نقش على أطارف المناديل وفوق جباه النساء واستبد الطموح بالقائد فنسى الثورة وبهر الحكم أنفاسه فحكم القائد الناس فاصبح متفاهما مع العدو عدو الناس وسجل التاريخ ثورة الشعب واستسلام القائد ثم مضى الاستعمار يكتب قصة الناس فى مصر ٠٠ »

---

٨٩ ـ الملايين ١٩٥١/١١/٤

٩٠ ـ الملايين ١٩٥١/٥/٢٧ ٠

وبعد هذا البرواز تبدأ حكاية قصة الناس في مصر في سبعة فصول والفصول السبعة ساخنة جميعا وطبقية الى أقصى حد .. ونكتفى بأسطر قليلة توضح لنا نوعية الدراسة وأهدافها ..

« ان المسؤولية تقع كاملة على عاتق الحكومة ، الحكومة التى تسمح لأصحاب المصانع بأن يتصرفوا كما يشاؤون فى حياة العامل ومستقبله ، الحكومة التى سنت قانونا صارما يمنع العامل من التعبير عن جوعه وفقره وجهله ويخرس صوت العامل عندما يهمس طالبا عدلا وحرية وخبزا » .

.. « والعامل المصرى شيوعى لحما ودما كما هو ثابت من تقارير البوليس السياسى ولم يحدث أبدا أن قام العمال باضراب من أى نوع ولم يتهمه البوليس السياسى بأنه حركة شيوعية ولا يمكن للعامل اثبات براءته من الشيوعية الا اذا طاطا الرأس واستسلم وكف عن المطالبة بالعدل والقوت » .

وبعد أن تخصص الدراسة فصلا كاملا لمباذل الاقطاعيين وترفهم .. تخصص الفصل الاخير للحديث عن اللصوص الكبار « وقد ظهرت هذه الطبقة خلال الاعوام الاخيرة .. انهم يسرقون الملايين ولا يحاكمون ، وسرقاتهم تتم علنا وفى وضح النهار لا يهشمون الخزائن أو يقتحمون البنوك فهم يجلسون فى مكاتبهم ويعقدون الصفقات ثم فى دقائق تتم السرقات وهذه الطبقة من الناس تلاقى الاحترام اللائق بها فى كل مكان وتمثل فى المجتمع مكان الصدارة .. انهم لصوص كبار »(٩١)

وفى العدد ١٠ نقرأ « صرخة الملايين » وتصرخ الملايين باحثة عن قيادة ، قيادة من الشعب ، قيادة لا تتغذى من مرأى الملايين الجائعة العارية ، هذه الملايين تبحث عن قيادة لا تقتنى القصور الفاخرة والعزب والضياع ، قيادة لا تعرف النفاق ، لقد حان حين هذه القيادات جميعا ، وحل ميعاد القيادة الجديدة »(٩٢)

وتحت عنوان « مشكلة الخبز » يكتب عبد العزيز بيومى منددا باتجاه الحكومة الى تخفيض الميزانية المخصصة لدعم سعر الخبز بحجة وجود عجز فى الميزانية .. ويقول « بدأت مأساة هذا العجز منذ أن شرعت الحكومة بدون وعى فى فتح اعتمادات ضخمة وصلت ٤٠٠ مليون جنيه لشراء أسلحة وذخائر .. لا لطرد الاستعمار وانما للاشتراك مع جيوش هذا الاستعمار فى القيام باشعال نار الحرب ضد الاتحاد السوفيتى وبقية الدول الديمقراطية المحبة للسلام ، ولاطلاق الرصاص على صدور عمال المحلة الكبرى وشبرا الخيمة لمنعهم من المطالبة

---

٩١ – الملايين ١٠/٦/١٩٥١ .
٩٢ – الملايين ٢٤/٦/١٩٥١ .

بزيادة أجورهم وتحسين مستوى معيشتهم ولفرض حصار مروع على طلبة الجامعة لكتم أنفاس الحركة الوطنية » ويمضي المقال معلنا أن الحكومة رغضت تحت ضغط البدراوى عاشور وعبود وأمثالهما سد هذا العجز عن طريق فرض ضرائب تصاعدية ولم يبق الا « أن تتجه بأبصارها الى الشعب بفرض ضرائب جديدة على الاقمشة والمواد الغذائية وانتهت أخيرا الى السطو على ذلك المبلغ المخصص لتمويل رغيف الخبز »(٩٣) ٠

ومع تفجر انتفاضة الفلاحين فى بهوت ٠٠ تبدى الملايين المزيد من الاهتمام بمشاكل الفلاحين وتبدأ بالدفاع عن فلاحى بهوت « لا زالت الاحكام العرفيـة قائمة فى بهوت ٠ فى جو خانق شاذ حاول المحامون الدفاع عن الفلاحين المسجونين » وتروى الملايين قصـة تطوع عدد من المحامين اليساريين ( أحمد شوقى الخطيب ـ على عبد البارى ـ عصمت الهوارى ) للدفاع عن هؤلاء الفلاحين وتصف الجو الخانق الذى جرت فيه المحاكمة وتنشر أجزاء من دفاع أحمد شوقى الخطيب (٩٤) ٠

وتواصل « الملايين » اهتمامها بالامر وفى العدد ٢٤ نقرأ « الفلاحون فى معركة التحرير » ٠٠ « ان الفلاحين هم جيش التحرر ضد الاستعمار ولا يمكن أن تتحرر البلاد مادام كفاح الفلاحين من أجل مطالبهم اليومية بعيدا عن كفاح الشعب العام من أجل التحرر ولا يمكن الربط بين مطالب الفلاحين اليومية وبين الحركة الوطنية الا اذا أدرك الفلاحون أن الاستعمار هو الذى يسند الملاك ضدهم ، يقيد حريتهم فى تكوين النقابات والاتحادات التى توحدهم فى الكفاح من أجل تحقيق مطالبهم الاقتصادية والاجتماعية ٠٠٠ الاصلاح الزراعى هو أمل الفلاحين ولن يتم هذا الاصلاح ما دام الاستعمار قائما يسند الاوضاع البالية فى مصر فعلى الوطنيين جميعا أن يدركوا أن انتصار الحركة الوطنية رهن بدخول الفلاحين المعركة وعليهم بالتالى أن يمدوا أيديهم اليهم حتى يستيقظوا ويكونوا لجانهم الوطنية ويسيروا مع أهل المدن فى معركة الحرية »(٩٥)

وتمضى الملايين فى دفاعها عن كل فئات الشعب حتى كونستبلات البوليس تفسح صدرها لبياناتهم ونداءاتهم ، بل وتحظى بتأييد الاتحاد العام للكونستبلات البوليس الذى يصدر بيانا يدعو فيه أعضاءه الى مساندة عدد من الصحف الحرة على رأسها الملايين »(٩٦)

---

٩٣ ـ الملايين ١٩٥١/٧/١ ٠
٩٤ ـ الملايين ١٩٥١/٧/٢٢ ٠
٩٥ ـ الملايين ١٩٥١/١٠/٢٨ ٠
٩٦ ـ الملايين ١٩٥١/٦/١٠ ٠

.. ويبقى لكى تكتمل الصورة أن نشير الى دفاع الملايين عن الاتحاد السوفيتى وسياسته ازاء مصر واهتمامها بنشر نجاحاته ومنجزاته الديمقراطية الشعبية ودعوتها لعقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى .

وفى العدد ٨ تبدأ الملايين دفاعها عن سياسة الاتحاد السوفيتى مستندة إلى موقف الانجليز ابان الحرب العالمية الثانية وتورد فقرات من كتاب نشر فى لندن يتحدث عن مواقف السياسة الانجليزية من الاتحاد السوفييتى أثناء الحرب عندما كانت تؤكد أن الاتحاد السوفييتى هو الذى أنقذ العالم ونقرأ ما ترجمته الملايين من فقرات هذا الكتاب فنجد « العلم السوفيتى لن يسقط أبداً » .. « قالت اذاعة لندن عام ١٩٤١ أن روسيا انقذت العالم . وان النظام السوفيتى قوى وصلد لا يمكن هدمه » .. « ان تدبير أية مغامرة لغزو روسيا هو عمل لا يقدم عليه إلا المجانين ولا يمكن أن يحققه جيش من الشياطين »(٩٧)

ـ ثم نتابع سريعاً عناوين لموضوعات عديدة لعل العناوين تكفى بذاتها ..

ـ المجاعة تجتاح الهند . الاتحاد السوفيتى يهرع لانقاذ الشعب الهندى (٩٨) .

ـ مشاريع الخمس سنوات فى تشيكوسلوفاكيا(٩٩) .

وفى العدد ٢٢ تكتب الملايين « نحو معاهدة تحالف مع الاتحاد السوفيتى » .. « ان الشعب المصرى لا يريد التحالف مع جبهة الاستعمار بل أنه يريد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى . ان الشعب المصرى يعادى جبهة انجلترا وأمريكا وفرنسا التى تستعمر مصر والسودان ومراكش والهند الصينية والتى تهدف الى اغراق العالم فى طوفان من الدماء » وبعد أن تقارن الملايين بين مواقف الاتحاد السوفيتى ومواقف أمريكا من القضية المصرية .. تعود فتؤكد « لهذا فنحن نطالب بعقد معاهدة تحالف مع الاتحاد السوفيتى ، ولهذا فنحن نرفض أى تحالف مع الدول الاستعمارية أى مع أمريكا وانجلترا وفرنسا بالتحديد وهذه هى ارادة الشعب ولن تقوى أى حكومة على تحدى هذه الارادة »(١٠٠) .

* * *

---

٩٧ ـ الملايين ١٩٥١/٦/٢٤ .
٩٨ ـ الملايين ١٩٥١/٧/٨ .
٩٩ ـ الملايين ١٩٥١/٦/١٧
١٠٠ ـ الملايين ١٩٥١/١٠/١٤ .

وتبقى بعد ذلك بضع كلمات حول موقف « الملايين » من القضية الفلسطينية ومن القضية العربية عموما ..

وتبدأ ملامح هذا الموقف منذ العدد ٦ عندما تنشر الملايين « مالك يرد على صلاح الدين » ... « في ١٩ مايو عقد الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرى مؤتمرا صحفيا أجاب فيه على سؤال .. « لماذا لم تلجأ الحكومة المصرية الى الاتحاد السوفيتي كما اعتادت أن تلجأ الى أمريكا وبريطانيا ؟ » وقد أجاب الوزير الخطير بكل بساطة « لم يكن موقف الاتحاد السوفيتي فيما يتعلق باسرائيل أقل حماسا من موقف أمريكا كما أن موقفه فيما يتعلق بالسودان على غير ما يرام » وقد استطاع مراسل الملايين الخاص أن يحصل على وجهة نظر المندوب السوفيتي في الامم المتحدة في تصريح السيد وزير الخارجية قال « لقد واجه أصدقاء الشعوب العربية الحقيقيون وعلى رأسهم الاتحاد السوفيتي المشكلة الفلسطينية في هيئة الامم المتحدة مواجهة واقعية وعميقة رمت الى احباط المؤامرات الاستعمارية الكبرى والى مراعاة مصالح الشعوب العربية كما رأى الاتحاد السوفيتي أن الحل المنشود هو جلاء الاحتلال البريطاني ووحدة فلسطين المستقلة الديمقراطية ولكن الاستعمار الخبيث قد أثار الفتنة العنصرية وأجج نيرانها فأصبح من المستحيل على العرب واليهود أن يعيشوا جنبا الى جنب في دولة واحدة واذن فلا بد من حل عملي آخر ليس هو المنشود وانما هو خير الحلول العملية لانه يحبط المؤامرة الاستعمارية ويستهدف مصالح شعوب الشرق الاوسط وتحقيق الحل المنشود أى وحدة فلسطين المستقلة الديمقراطية على مر الزمن ، وكان مشروع التقسيم الاول الذى أقرته هيئة الامم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وقد وافق الاتحاد السوفيتي عليه ونصح الحكومات العربية بالموافقة عليه لتفادى المؤامرة الخبيثة التى ساقها الاستعمار اليها ولكنها للاسف وقعت في براثن هذه المؤامرة(١٠١)

ولعل حدتو بنشرها هذا التصريح الذى يدافع عن خط الموافقة على قرار التقسيم كانت تحاول تبرير موقفها بأكثر مما تحاول تبرير موقف الاتحاد السوفيتي ..

لكننا سرعان ما نلاحظ تغيرا ملحوظا على موقف الملايين ..

ففى العدد ٨ نقرأ العنوان التالى « هذه هى اسرائيل - الملايين تقوم بأول تحقيق صحفى عن اسرائيل المزعومة » ويناقش المقال الحملة الاعلامية التى تنظمها أجهزة الدعاية الصهيونية لكسب الرأى العام العالمى ، ثم يتطرق

---

١٠١ ـ الملايين ١٩٥١/٥/٢٧

١٠٢ ـ الملايين ١٩٥١/٦/١٠ .

المقال الى الحديث عن أرض الميعاد « الأرض التي لا يعلم أحد حدودها أو معالمها الا يهود العالم ويهود امبراطورية اسرائيل ، الامبراطورية التي يريد اليهود جادين أن تنطوى بلاد العرب تحت لوائها ويومها سوف نندم على أيام ضيعناها في اعتبار هذه الامبراطورية التي يريد اليهود خلقها امبراطورية مزعومة وعندئذ لن يجدى ما زعمناه » ومع المقال صورة طفل اسرائيلى يحمل مدفعا رشاشا ٠

وفى العدد ١٠ نقرأ نغمة أخرى « المواطنون اليهود لاقوا الأمرين من حكومات العهد الغابر وفى أثناء مجزرة فلسطين العنصرية فقد اعتقلوا وصودرت اموالهم والقى بهم فى المعتقلات وارسلوا الى المنفى فى الطور وكانت السلطات الغاشمة فى ذلك الوقت ترغمهم على الرحيل ارغاما ولا تعطيهم جواز سفر بل ورقة ترحيل صغيرة تجعل منهم مشردين عالميين لا يحملون جنسية ولم يكن يخطر ببالنا أن حكومة الوفد ستواصل هذا الاسلوب غير الديمقراطى ولكنها واصلته ٠٠ وآخر هذه المآسى مأساة نينيت بيلاييش فى سجن الاجانب اذ أنهم حاولوا ارغامها على التوقيع على طلب الترحيل ولكنها لم ترد أن تغادر وطنها مصر وظلت متشبثة بأرض السجن ٠٠ وأرض الوطن العزيز »(١٠٣) ٠

والحقيقة ان الدفاع عن حق اليهود المصريين فى عدم الترحيل بمعنى عدم ترحيلهم الى اسرائيل لا يتناقض بل لعله يتسق تماما مع ادانة اسرائيل ورفض اى صلح معها ولعل هذا الموقف يتسق تماما مع خطة حدتو منذ عام ١٩٤٧ والتى رأت فى اضطهاد اليهود المصريين وترحيلهم ، مجرد مؤامرة لدعم اسرائيل، وتعزيز المقولة الصهيونية بأنه لا خلاص ليهود العالم الا بالهجرة لاسرائيل ٠

وتنشر الملايين فى العدد ٢١ ٠٠ « اتصل بعض عملاء الصهيونية ببعض الجهات المصرية لعقد معاهدة بين مصر واسرائيل وقد رفضت هذه الجهات العرض الذى تقدم لانه لا يختلف عن معاهدة ١٩٣٦ وقد علمنا ان هؤلاء العملاء يتفاوضون الان مع هيكل باشا وبعض الباشوات المصريين لاتمام هذه الصفقة عن طريقهم »(١٠٤) ٠

يبقى بعد ذلك ان نشير الى موقف بالغ الاهمية لحدتو ٠٠ هو الموقف من الوحدة العربية ولعله موقف يستحق منا قدراً كبيراً من التأمل ٠٠ والاهتمام ٠

ففى العدد ١٧ نقرأ تحت عنوان « الى ملايين العرب » ٠٠ « نعم نحن هذه الملايين السبعين التى تقطن المواطن العربية مشرقا ومغربا من العراق الى الشام ومن نجد الى مصر وليبيا الى مراكش ، نحن وحدة قائمة صارمة لآلاف

---

١٠٣ ـ الملايين ١٩٥١/٦/٢٤ ٠

الآلاف من البشر الذين شاء المستعمرون أن يصبغوا بالسواد أيامهم وأعوامهم وأن يحتلوهم » ويمضى المقال / النداء قائلا : « ان لم نكن نحن وحدة جنسية يربطها أصل واحد ولغة واحدة وتاريخ واحد فنحن وحدة حسية خارقة أصلها الحرمان من كل حقوق الانسان الكريم ولغتها السخط المحتوم ضد المتحكمين الطغاة وتاريخها هذه الفضائح والمآسى التى تقترفها فى بلادنا الكتلة الاستعمارية المتحالفة ان واحدة هذه الملايين من العرب لا تجديهم فى كسب معركة الحياة الحرة المتقدمة اذا بقيت وحدة تذمر وسخط فحسب ، واذا لم تتقدم الى الميدان الايجابى ، ميدان النضال المتمرد ، ولن تتقدم الا بالتنظيم العلمى والعملى ، التنظيم الموحد فى كل وسائل الكفاح الوطنى ، وحدة تستطيع المنظمات الشعبية الموحدة بواسطتها الانطلاق الكاسح وتخترق كل العقبات التى يضعها المستعمرون فى طريق أهدافنا وتشعل قواعدهم الاحتلالية فى آن واحد وبذلك نعد العدة الجبارة لانتفاضة الخلاص من الاستعباد والاستبداد ، انتفاضة الحرية والتقدم الانتفاضة الكبرى »(١٠٥)

والامر لا يحتاج الى تعليق ، فقط نعيد قراءة الاسطر السابقة لنطالع موقفا جديدا وحاسما من قضية الوحدة العربية .

* * *

وبالاضافة الى ما سبق تبقى اشياء كثيرة يمكن أن تقال عن هذه الجريدة الفريدة .. فهناك المعالجات المتميزة فى صفحة الفن ..

« لا فن بلا شعب ولا شعب بلا غذاء »(١٠٦) هكذا أكدت الملايين .

وفى نفس الصفحة نطالع موضوعا بعنوان « نرشح للمجد الفنى » .. دأبت بعض الصحف على أن تسخر صفحاتها لتمجيد بعض الفنانين دون البعض ولو أن ذلك التمجيد كان لاسباب فنية بحتة لما كان لنا اعتراض ولكنه يرجع مع الاسف الشديد لاسباب شخصية أو لاسباب مادية أما الاسباب الفنية الصحيحة فهى لا تخطر ببال أما نحن وقد آلينا على أنفسنا أن نرفع شأن الفن فلن نشارك فى تمجيد الاصنام ولكننا سنبحث وسننقب عن الفنانين المتمكنين وما أكثرهم فندفع بهم الى الامام حتى يحتلوا من المراكز الفنية ما هم أهل له وبذلك تؤدى الصحافة الحرة واجبها نحو الفنانين الاحرار والى اللقاء »(١٠٧) .

---

١٠٥ ـ الملايين ١٩٥١/٧/١ .
١٠٦ ـ الملايين ١٩٥١/٨/١٢ .
١٠٧ ـ الملايين ١٩٥١/٨/١٢

ويمكننا أن نلاحظ عبر صفحات الفن التى نشرتها الملايين موقفا تقدميا واضحا من قضية الفن والفنان وعلاقاتهما بالجماهير الشعبية كما يمكننا ان نلمح علاقات واسعة ناضجة بين حبتو بين عديد من الفنانين التشكيليين والسينمائيين وغيرهم .

كذلك أسهمت الملايين فى ابراز ما يمكن تسميته « بالتهكم البنيابى » وهى المقالات السياسية المحتوى الكوميدية الصياغة وكنموذج نقدم هذه الكلمات التى نشرها حلمى الغندور على صفحات الملايين بعنوان « فتاوى أمريكية » .. « وعلى سهوة من المسلمين خرج شيخان من كرادلة الازهر يفتيان الناس وكادا يقسمان بالطلاق بأن شرب الكوكاكولا والبيبسى كولا حلال وذعل البعض وهاج البعض الآخر وقال فريق أن « مستر » شلتوت لابد يهىء نفسه ليكون قاصدا رسوليا فى شيكاغو وأن « مسيو مخلوفيدس لابد يريد أن يكون « حبرا » على ورق بنكنوت مع أنه « بابا » محمود مخلوف مدير شركة البيبسى كما أن الأول أيضا «بابا» أيضا لاحمد شلتوت الموظف بها وقال الجميع ان الشيخان من تلاميذ الشيخ « الديناري طيب الله ثراه »(١٠٨)

لكن التطوير الجديد فى صحافة اليسار وفى الصحافة المصرية عموما كان تلك اللمسات العبقرية التى حفلت بها الصفحة الاخيرة للملايين والتى خصصت مساحتها بالكامل فى معظم الاعداد للفنان زهدى ولرسومه الكاريكاتيرية المتميزة وتعليقاته السياسية اللاذعة .

وفى العدد ٨ نقرأ فى صفحة الكاريكاتير « فى مصر حريات كفلتها الحكومة المتعاقبة لافراد الشعب فحرية الجوع مكفولة فى مصر وحرية المرض كذلك اما حرية الفكر وحرية الاجتماع وحرية القول وحرية الصحافة فهى حريات غير ذات موضوع فى رأى الحكومة المصرية »(١٠٩)

ولعل من أطرف ما قدمه زهدى من أبواب فى صفحته .. باب « من هو ؟ » حيث يرسم احدى الشخصيات ثم يبدأ فى التعليق عليها .. فهو مثلا يرسم صورة الملك عبد الله ثم يسال من هو ؟ والاجابة « ملك دون الملوك يحكم ولا يملك ــ كان أميرا وأصبح ملكا بقدرة قادر والقادر هنا هو الخواجة جون بول قال فى الحرب الفلسطينية اما أن يخرج اليهود من فلسطين أو نخرج نحن وبر الرجل بوعده وخرج العرب . خطب فى القدس أثناء زيارته لها فى حرب فلسطين قائلا « اما أن يخرج اليهود من فلسطين أو يموتوا ومات اليهود على جلالته من الضحك .. وقف على رأس جيشه قبل بداية الحرب الفلسطينية

---

١٠٨ ــ الملايين ١٩٥١/٨/١٩

١٠٩ ــ الملايين ١٩٥١/٦/١٠

وقال الان بدأت الحرب المقدسة ثم رفع يده الى أعلى وقال فى خماس وشدة اضرب .٠ ونفـذ الجيش الأمر وضرب .٠ سلام الملك عبد الله » ٠

وفى العدد ١٠ يكون « ترومان » صاحب الصورة ٠٠ والتعليق «صنع فى أمريكا وضرب فى كوريا ٠٠ بدأ حياته بائعا لاربطة العنق واستطاع أخيرا أن يستبدلها بحبـال المشانق ٠٠ أنجب للعـالم ابنة ترقص على المسارح وترك زوجـات المجندين يرقصن على البارود ٠٠ صياد ماهر يجعل من النقطة الرابعة طعما لاصطياد حريات الشعوب .٠ أحـد أربعـة كبار .٠ ورابعهم ٠٠ »(١١٠)

وفى العـدد ١٢ نجـد صورة عثمان محرم ٠٠ والسؤال التقليدى من هو ؟ أما الاجابة « وزير حالى وسابق ومصر على أن يكون لاحقـا أيضا ٠٠ له ذوق شعبى فى هندسة المبانى يتجلى فى انتشار العشش والجحور ٠٠ عندما ظهرت عليه أغراض الفن الفرعونى استخدم هذا الطراز فى بناء قبر لسعد وقصر لنفسـه فى شارع الهرم ٠٠ عبقرى أنشأ حديقة للشعب كلفته الدولة نصف مليون جنيه ونسى شيئا واحدا نسى أن يختار للحديقـة مكـانا بقرب الشـعب فانشـأها على بعـد ثلاثة كيلو مترات من آخر خط ترام شبرا »(١١١)

***

ولم تكن معركة الملايين سهلة ٠

فقد اعترضتها عقبـات مالية خطيرة وكانت السلطة لها بالمرصاد وظلت المصادرات تلاحقهـا العـدد تلو الاخر حتى أفلست تماما .

واضطرت الى اصدار العدد ٢٦ فى صفحة واحدة بنصف حجم الجريدة « الملايين تصدر لك هذا الاسبوع فى صفحة واحـدة لتحتـج على اضـطهاد ولتطلب منك أن تقف معهـا ٠ ان صوت الشعب الذى ينشد التحرر يجب أن يرتفع فارفع صوتك عاليـا معنـا وثق اننـا سنظل فى المعركة الى أن ننتصر » ثم « ٠٠ هل تريـد أن تستمر الملايين فى الظهور ؟ هل تريـد أن يظل منبرك الحـر الذى يكشف الاستعمار ويكشف الخيانة عاليـا ؟ ان أسرة تحرير الملايين تضع الموقف فى يدك ، تضع حياتها فى يد الشعب لانها مجلة الملايين وان قدرة الملايين على مواجهـة الاستعمار الغاشم وعلى مواجهة الارهـاب البوليسى تتوقف على موقفك أنت ـ على تأييدك ـ على وقوفك معهـا فى معركتنا المشتركة ضد الاستعمار وضد كل صور الاضطهاد »(١١٢) ٠

---

١١٠ ـ الملايين ١٩٥١/٦/٢٤

١١١ ـ الملايين ١٩٥١/٧/٧

١١٢ ـ الملايين ١٩٥١/١١/١٨

ثم تروى الملايين قصة مصادرتها مرتين متتاليتين ..

« فى الأسبوع الماضى أعد عدد الملايين للطبع وكان العدد خاصا بيوم ١٤ نوفمبر أى بثورة الشعب التى أرادت الحكومة أن تكون صامتة بلا فم أذرع تتحرك وبلا جماهير توصل لعناتها الى المستعمر وتمشيا مع هذه السياسة سياسة الصمت منعت الملايين صوت الشعب من أن تخرج » .

وتواصل الملايين روايتها « لقد فوجئنا بالبوليس يحاصر مطبعة الزمان حيث تطبع الملايين وقد فوجئنا بالاوامر تصدر من البوليس السياسى وغير السياسى الى عمال المطبعة بعدم تسليم نسخة واحدة لنا ، وفوجئنا بأحد رجال البوليس يعلن فى وقاحة وتبجح ستصادر المجلة سواء كانت تحوى موادا قانونية أو غير قانونية هذه هى التعليمات . فوجئنا بحصار بوليس لا يمكن اختراقه الا بقوة مسلحة فوجئنا بالمؤامرة .. مؤامرة مصادرة الملايين بلا قانون وبلا قضاء وبلا دستور لهذا قررنا ألا نطبع الملايين . قررنا أن نفضح الجريمة وأن نتوجه الى نقابة الصحفيين وأدلى فكرى أباظة باشا لزميلتنا الكاتب بالتصريح التالى « اننى لا أملك حيلة امام فؤاد سراج الدين باشا فقد قال أنه مصمم على مصادرة الصحف التى تخرج على الحدود المرسومة وحتى اذا أفرج القضاء عن الصحيفة المصادرة فانه سوف يتشبث بالمصادرة ويدفع التعويض » وتمضى الملايين مخاطبة الشعب « اننا نقول للشعب الملايين جريدتك ، الملايين ليست الا صوتك ، الملايين هى سلاح من أسلحتك فى المعركة ضد أعدائك ، واننا نقول للشعب بكل ثقة وايمان أنت صاحب الحق . فى وسعك أن تصدر قرارا باغلاق الجريدة ، وفى وسعك أن تحميها ، وأن تمكنها من أداء رسالتها ، وسنصدر باستمرار وسنصدر أكثر قوة .. وسنصدر أكثر ايمانا بقضيتنا ، لاننا نؤمن بالشعب .. ونؤمن بأنه حقا مصدر السلطات » ..

لكن الأمر لم يكن سهلا ..

فالقرار قد صدر فعلا باسكات هذا الصوت ..

وتحاول الملايين ، فتصدر فى نصف ورقة .. فقط لكن ذلك لا يجدى .

وأخيرا وبعد العدد الثلاثون تتوقف الملايين عن الصدور ..

معلنة انتهاء أكثر التجارب الصحفية الماركسية ثراء وثورية ..

## فهـــرس


| | صفحة |
|---|---|
| الشىء الصعب | ٢٤١ |
| البشـــــــــير | ٢٥٣ |
| المســــــــتقبل | ٣٠٣ |
| المعارضــــــــة | ٣١١ |
| النــــــــاس | ٣٣٧ |
| المــــــــلايين | ٣٤٩ |

رقم الايداع ٥٤٤١ / ١٩٨٧

شركة الأمل للطباعة
والنشر والتوزيع
"موا فيتلى سابقا"

١٩ ش محمد رياض - عابدين ت ٩٠٤٠٩٦

•• وليس هذا المجلد مجرد محاولة لتاريخ عدد من الصحف ، بل هو اسهام فى كتابة تاريخ حركة سياسيه لعبت دورا فاعلا فى تاريخ مصر كلها ••
فالحركة الشيوعية المصرية قدمت نفسها للمجتمع المصرى عبر عديد من القنوات الاعلامية والنضاليه •• كانت الصحافة العلنيه واحده منها •

ولسنا هنا نقدم الجريده كاداه معزولة عن وعائها الاساسى •• الزمان ، والهدف ، والاسلوب وانما نقدم ما يمكن تسميته بالقصة الداخلية •• الجريده ، اصحابها ، خصومها وخصومهم ، أدواتها واسلوبها فى التخاطب •• وعلاقة ذلك كله بالهدف الاساسى وهو •• جماهير الناس الذين صدرت هذه الجريدة لتخاطبهم •

وبهذا فان هذا المجلد وهو الثانى من مجموعة الدراسات المتكاملة عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، مكمل لمجمل تاريخ هذه الحركه ، بل امله انعكاس اكثر وضوحا من غيره لآلياتها فى محاولة الالتقاء بالناس وإتقان فن التخاطب المباشر معهم •

الثمن 25 قرشا



شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع
إخوان مورافتلى سابقا
تأسست سنة ١٨٩٨
١٩ شارع محمد ... - أرض شريف - عابدين - القاهرة - تليفون ٠٩٤٠٩١ ...

